

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



معهد الآثار

جامعة الجزائر 2

الحمامات الرومانية الخاصة في الشرق الجزائري

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار القديمة

تحت إشراف:

د/ زارقة مراد

إعداد الطالب:

دحمان رياض

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. مهنّتل جهيدة	رئيسا	معهد الآثار - جامعة الجزائر 2
د. زارقة مراد	مقرّرا	جامعة 8 ماي 1945 - قلمة
أ.د. دريسي سليم	عضوا	معهد الآثار - جامعة الجزائر 2
أ.د. حاجي ياسين رابح	عضوا	معهد الآثار - جامعة الجزائر 2
د. معلم محمّد فوزي	عضوا	جامعة 8 ماي 1945 - قلمة
د. عينوش حسينة	عضوا	المركز الجامعي مرسلّي عبد الله - تيبازة

السنة الجامعية 2021-2022

وَلَا تُغْنِي عَنِ الشُّكْرِ

الشكر لكل من ساعدني في انجاز هذه الأطروحة 



ومدّ يد العون، كلّ حسب قدرته .

قائمة المختصرات

A.N.A.P.S.M.H	Agence Nationale d'Archéologie et de Protection des Sites et Monuments Historiques
A.N.R.H	Agence Nationale des Ressources Hydrauliques
A.J.A	American Journal of Archaeology
A.E	Année Epigraphique
Ant. Af	Antiquités Africaines
A.A.A	Atlas Archéologique de l'Algérie
B.A.H	Bibliothèque Archéologique et Historique
B.A.R	British Archeological Reports
Bull Ac. Hippone	Bulletin Archéologique de l'Académie d'Hippone.
B.C.T.H	Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques
B.A.A	Bulletin d'Archéologie Algérienne
B.C.Hé	Bulletin de Correspondance Héliénique
B.S.N.A.F. :	Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France et Belles Lettres
C.N.R.A	Centre National de la Recherche en Archéologie
C.N.R.S	Centre National de la Recherche Scientifique
C.R.A.I	Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres
C.I.L	<i>Corpus Inscriptionum Latinarum.</i>
E.F.R	Ecole Française de Rome
F.	Feuille
Fig.	figure
H.A.A.N	Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord
H.S.J	Hydrological Sciences Journal
I.L. Alg	Inscriptions Latines de l'Algérie
I.S.S.H	Institut Supérieur des Sciences Humaines

J.Sav	Journal des Savants
J.M.R	Journal of Mosaic Research
M.A.H	Mélanges d'Archéologie et d'Histoire
M.E.F.R.A	Mélanges de l'Ecole Française de Rome, Antiquité
M.A.N.M	Mémoire de l'Académie Nationale de Metz
p	Page
Pl.	Planche
R.S.A.C	Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine
R. af.	Revue Africaine
R.A	Revue Archéologique
G.A.I.A	Revue Interdisciplinaire sur la Grèce Archaïque
Rev. Sci. Technol	Revue Sciences Technologiques
Scr. Var.	<i>Scripta Varia</i>
S.N.E.D	Société Nationale d'Edition et de Diffusion
T.R.A.C	Theoretical Roman Archeology Conference
ل/د	لتر في الدّقيقة
م	متر

قائمة المصطلحات

المصطلح الاجنبي	المعنى باللغة العربية
<i>aedilis</i>	المراقب العام للشؤون العمومية، وتنظيم الأسواق وتنظيم الألعاب داخل المدينة
<i>alveus</i>	حوض مسند على جدار
<i>annonae militaris</i>	ضريبة التّموين العسكري
<i>apodyterium</i>	قاعة نزع الملابس
<i>Atrium</i>	ردهة أو فناء
<i>auguris</i>	رجل دين من فئة العرافين
<i>Baptistère</i>	حوض تعميد
<i>caldarium</i>	القاعة الساخنة
<i>Calice</i>	كأس الزهرة
<i>cubicula</i>	غرفة النوم
<i>curator</i>	القيّم على الشؤون المالية للمدن أو المسؤول عن المداخليل الزراعيّة السنوية للمدينة
<i>curator aquarum</i>	القيّم على المياه
<i>Damier d'osselets</i>	ضامة الكعب
<i>decemvir judicares</i>	المسؤول القضائي
<i>decuriones</i>	نائب عن المجلس المحلي للمدينة
<i>(II vir)duumvir</i>	أحد الشخصيتان المسؤولتان على المدينة "ديومفير"
<i>Eau bitumineuse</i>	مياه قارّية
<i>elaeothesium</i>	قاعة التدليك
<i>évergesie</i>	الهبّات
<i>flamen</i>	كاهن
<i>flamen annvvs</i>	كاهن سنوي
<i>frigidarium</i>	القاعة الباردة
<i>Galerie</i>	
<i>Greques</i>	بأشكال هندسية مشبكة
<i>gymnasium</i>	قاعة التحمية والتمارين الرياضية
<i>Hypocauste</i>	نظام التسخين تحت أرضي

<i>labrum</i>	حوض او اناء محمول فوق أرجل
<i>laconicum</i>	قاعة التّعريق
Médailion	رصيعة
Néréides	الحوريات البحرية
Nimbe	اكليل مشع
Nœud de Salomon	عقدة سليمان
<i>oecus</i>	قاعة الاستقبال
<i>opus africanum</i>	التقنية الافريقية
<i>opus incertum</i>	تقنية البناء بدبش الحجارة أو الحجارة الغير منتظمة الزوايا
<i>opus mixtum</i>	تقنية البناء المختلط او المزدوج
<i>opus quadratum</i>	تقنية البناء بالحجارة الكبيرة رباعية الشكل
<i>opus signinum</i>	الملاط الممزوج بكسر الآجر أو الفخار
<i>opus testaceum</i>	تقنية البناء بالآجر
<i>opus vittatum</i>	تقنية البناء بالحجارة الصغيرة منتظمة الزوايا
<i>opus vittatum</i>	تقنية البناء بالحجارة الصغيرة منتظمة الزوايا
<i>patronvs</i>	حامي ومحافظ المدينة
pelte	تريس ملفوف
péristyle	رواق معمد
piscina	حوض واسع أو مسبح للاستعمال الجماعي
Plinthe	وطيدة- نعل القاعدة
<i>pontifex</i>	راهب الشؤون الدينية الوثنية
portique	رواق
<i>pretore</i>	قاضي الضرائب
<i>principalis</i>	المسؤول الأول بالمدينة
Promenoir	منتزه
<i>qvestor</i>	مراقب الشؤون المالية في المدينة و محافظ الخزينة العمومية
rétrograde	تراجعي
Rosace	نجمية
<i>sacerdos</i>	كهنوت

<i>solium</i>	حوض صغير للاستعمال الفردي
<i>summa honoraria</i>	الهبات الشرفية
<i>tepidarium</i>	القاعة الدافئة
Tresse à double brins	ضفيرة مزدوجة
<i>triclinium</i>	قاعة الأكل
<i>triumvir capitaux</i>	مراقب مدى تطبيق القرارات العظمى
<i>triumvir monétaires</i>	القيم أو المراقب العام على صك العملة
<i>Triumvir(IIIvir)</i>	حاكم ثلاثي مهمته تنظيم المستعمرة، وإدارة الشؤون المالية
<i>tubuli</i>	نظام التسخين العمودي (التجويفات الحائطية)
Vestibule	بهو
Voute D'arête	عقد ذو زوايا بارزة
Voute en Berceau	قبة على شكل مهد

مقدّمة

مقدمة

يندرج هذا البحث في قلبه العام، ضمن قائمة البحوث والدراسات التي تعنى بعمران الشعوب القديمة وآثارها المادية، وما ترتب عنها من معرفة مستوى الفكر الذي توصلت إليه، والذي عبرت عنه بمختلف الأساليب الأدبية والفنية والمعمارية وغيرها..، وفي قلبه الخاص دراسة الحمامات داخل التجمعات السكانية وخارجها، في مجال زمني تمثله الفترة الرومانية، وفي حيز جغرافي هو الشرق الجزائري بالمفهوم الحالي، أو الجزء الغربي لمقاطعة البروقنصلية إلى الحدود الغربية لمقاطعة نوميديا، بمفهوم الخارطة التاريخية للشمال الإفريقي في فترة الاحتلال الروماني. هذا الجزء من المقاطعات الرومانية عرف انتشارا كبيرا للمدن باختلاف مراتبها الإدارية والسياسية وحتى التجمعات السكانية الصغيرة، من هذه المدن ما وصل فيها الرقي إلى حدّ المقارنة مع أخرى، أقدم منها زمنيا وأعرق منها في مجال الفن والنظم المعمارية المختلفة، على غرار مدينة ثاموقادي التي يطلق عليها "بومبي إفريقيا"، لما تقدمه من آثار شاهدة على التنوع في المباني العمومية والخاصة، وتنظيمها العمراني المتمثل في استقامة شوارعها ووحداتها السكنية وتوفيرها متطلبات الحياة؛ ومنها من لعب دورا اقتصاديا هاما، فعلى حدّ تعبير "جون ماري لاسير"، مدينة تيفاست كانت عاصمة الزيت في إفريقيا، إلى جانب كونها مجتمعة مع مدينتي كالما وهيوريحيوس كمصدر هام للحبوب التي توفرها أراضيها، فحسب النقيشة التي تؤرخ بفترة حكم ترايانوس، الذي كلف فلافيوس ماکر بتحصيل حبوب هذه المناطق، دون شك وجهتها روما لإشباع الفرد الروماني. ومن انعكاسات هذه المكانة استقطاب العنصر البشري، على اختلاف مستوياته الاجتماعية، وتشير العديد من النقيشات أنّ من النخب الإدارية والسياسية والدينية الكثير - في حدود المكتشف منها - وهي أكثر من ذلك، وعند إشارتنا إلى النخب، إنّما للتعرف على إسهاماتهم في بناء مختلف معالم المدن أو ترميم ما تضرر منها، وهو ما نريد إسقاطه ومقارنته مع ما وجد من عمارة مدنية متمثلة في المنازل الحضرية والريفية وما تحويه من أجزاء، بالنسبة إليهم لا تشكل إنفاقا كبيرا لانجازها، فحين مقارنة حمامات خاصّة مع أخرى عمومية أو مع قناة نقل المياه أو مسرح...، من حيث التكلفة، لا يكاد المجال مسموحا للمقارنة، فهي لا تتطلب إلا جزءا يسيرا بمقدور الفرد الروماني متوسط الحال انجازها.

من زاوية أخرى ترتبط الحمامات الخاصة مع مدى توفر عنصر الماء، وإمكانية الاستفادة من قنوات المدينة، والمجال الذي بنيت فيه المنازل من حيث المستوى الطبوغرافي وربطها مع قنوات التوزيع، وهي نقطة وجب البحث فيها، إذ من المؤهلات ما يوفر كمية كبيرة من المياه، وهو ما تحدّث

عنه المصادر الأدبية حين تطرّقها إلى استمرارية الاستيطان البشري بالمدن، حقيقة أنّ طرق الاستغلال اختلفت من فترة إلى أخرى، لكن النتيجة واحدة، هي وصولها إلى الفرد بشتّى الطّرق مهما كانت التكاليف، ففي الفترة الرومانية أسندت هذه المهمة كسابقة للتعمير إلى وحدات الجيش الروماني، ثم كلف بها مدنيون بعد بناء المدن وتجهيزها.

وحيث إلقاء نظرة إحصائية للبحوث التي تطرّقت فقط إلى الحمامات الخاصة، فإننا لا نجد منها إلا القليل، إذ أنّ أغلبها مرسّ في كثير من الأحيان الحمامات العمومية ذات الشّساعة المعتبرة والبناء المرتفع على اختلاف هندستها، ولا يلتفت الباحثون إلى الحمامات الخاصة، إلا إذا درست كعنصر من المنازل الرومانية أو كجزء من المباني المدنية، الأمر الذي قادنا إلى التّخصّص في دراسة هذا النوع من العمارة فكان البحث موسوما بـ "الحمامات الرومانية الخاصة في الشّرق الجزائري" والهدف من ذلك يكمن بدرجة أولى في جرد هذه الحمامات في إقليم الدّراسة، ومحاولة معرفة أوجه التّشابه ونقاط الاختلاف فيما بينها، ومن ثمّ ربطها بأصحابها إن توفرت المعطيات - خاصة النّقيشات أو النّصوص اللاتينية - من أجل معرفة المكانة الاجتماعية والرّتب الإدارية لهم، فجميع المدن الرومانية ضمت في شبكتها العمرانية منازل على اختلاف مساحتها وهندستها، لكن هذه الأخيرة لا تحتوي كلّها على حمامات، إنما القليل منها، ومعرفة هذا الإشكال لا يكون إلا إذا تعمّقنا الدّراسة فيها، الأمر الذي نحن بصدد البحث فيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تلعب الحمامات العمومية دورا هاما داخل المدن الرومانية في توفير جو يناسب جميع الأفراد، خاصة إذا كانت مجانية ومتاحة لجميع فئات المجتمع الأحرار منهم والعبيد، الرّجال والنّساء على حدّ سواء، وبالتالي إذا كانت هذه الأخيرة تلبي الغرض المنشود، فما الدّافع إلى إنشاء حمامات خاصة داخل المنازل الرومانية؟.

وبالنسبة لتلك الخارجة عن المدن والبلدات والتّجمعات السّكانية يطرح السؤال في حال احتوائها على حمامات، هل هي تابعة للمنازل الرّيفية أو ملحقة بها قد تبنى بعيدة عنها، لكنّها مرتبطة بأصحابها؟.

نقطة أخرى وجب البحث فيها، وهي مدى تركيز هذه الحمامات في الرّقعة الجغرافية التي يشغلها الشّرق الجزائري؟ ومتى عرفت انتشارا واسعا لها ؟ وهل هندستها وأقسامها تختلف عن العمومية، أم أنّهما يشتركان في توفّر نفس المكونات بما يتماشى و مساحة كل واحدة منها، وفي ضوء ذلك هل جميعها مبنية وفق مخطّط موحد، يفرض اتجاها معينا لها ولأحواضها، أم لكل منطقة خصوصياتها؟

هل النظام الذي اتّبع في تزويدها بالمياه خاضع إلى تخطيط خاص يختلف عن باقي منشآت المدينة ؟ هل كانت الإدارة الرومانية تضع شروطا معينة لأصحاب هذه الحمامات للاستفادة من منسوب إضافي من المياه، على اعتبار أنّ وفرة المياه إلزامية وحتمية في مثل هذه المنشآت؟ وبالتالي تعيدنا هذه الخاصية إلى معرفة المكانة الاجتماعية التي مكّنت أصحابها من إنشائها، هل كل فرد له الحق في ذلك ؟ و هل العناصر المعمارية و التّزيينية التي وجدت بها لها دلالة معيّنة بذاتها أو بمدلولها؟.

من هذه الأسئلة تبرز أهمية الموضوع، الذي يزاوج الدّراسة التّقنية المبنية على معطيات ماديّة، بالبنية الاجتماعية المصطبغة بالمكانة الاقتصادية، من مخرجات هذه الدّراسة معرفة تركيز الحمامات الخاصّة في الشّرق الجزائري، فإن كانت البحوث تشير إلى المنازل بمختلف أجزائها المعروفة والضرورية، و حين الحديث عن حمامتها، لا تكاد تعدوا إشارات لما وجد منها - على قلّتها-، من هنا يأتي هذا البحث ليقدم رؤية تحليلية مبنية على قواعد، يشترك فيها الجانب الميداني الذي يركز على المعاينة البصرية، مع المعطيات النّظرية، لتحلّل بعدها وفق خطة محكمة أساسها المنطق الأثري، فيندرج ضمن قائمة البحوث المكّملة لأخرى عدّت ناقصة في هذا المجال المتخصّص في جزئية، موضوعها الحمامات الخاصّة بعيدا عن المفاهيم العامّة، بالمقابل هو إضافة بتصحيح ما ورد في دراسات سابقة، سواء في المقاسات أو الوصف الذي يفتقد أحيانا للدقّة العلمية، خاصّة التقارير التي أنجزت نهاية القرن التاسع عشر.

وقادنا إلى الاهتمام بهذا الموضوع، دوافعاً وأسباباً تجمع بين الدّاتية والموضوعية، وأخرى يشترك فيها الاثنان معا، أمّا الدّاتية فهي مواصلة ما بدأناه في الماجستير حين كانت دراستنا حول الحمامات الرومانية العمومية، وكانت الرّغبة في دراسة الخاصّة لتفتح لنا باب المقارنة بينهما، لكن هذه الرّغبة بمجرد غوصنا في موضع الحمامات الخاصّة تقلّصت لتغلّب عليها الموضوعية، بمعالجة المعطيات بعيدا عن أي حكم ذاتي أو تصوّر مبني على خلفية معيّنة، هذا ما حاولنا الابتعاد عنه لنجد أنفسنا محكومين بخطوات يتطلّبها الفهم المنطقي والحكم التّوافقي المصاحب بالتّحليل الموضوعي، أمّا الدّوافع التي تشترك فيها الدّاتية مع الموضوعية فهي تنطلق من دراسة الأجانب لتراثنا الذي بين أيدينا وتحت نظرة أعيننا، فاستغلال الطّرف الأجنبي له أصبح يشكل هاجسا حتى وان كان لهم فضل محسوس في إنتاج المعرفة العلمية، لكن الدّاتية الساكنة في أذهانهم تأخذ مأخذا في دراساتهم، فالمؤرخون وعلماء الآثار في القرنين التّاسع عشر والعشرين - خاصة الفرنسيون - إنّما كانت أبحاثهم في سياق واحد، عسكري بطبعه، وهو ما نلمسه في تقاريرهم التي يغلب عليها الأسلوب الإداري الذي

يبحث عن سبل وذرائع للاستيطان، فكانت شبكة الطّرق والمسالك المختلفة و التّحصينات العسكرية وأبراج المراقبة، وكل ما له علاقة بمنظومة التّحكّم العسكري الرّوماني هي الغالبة في تلك الأبحاث، والغاية من وراء ذلك هو تتبّع وتشغيل المنهج الذي سار عليه الرّومان في التّعامل مع السكّان المحليين، لكن هذه النّزعة الإيديولوجية تقلّصت منذ النصف الثّاني من القرن العشرين؛ ومع الأبحاث القليلة للجزائريين بدأت القراءة الموضوعية تبرز بانتهاج منهج علمي في التّعامل مع المادّة الأثرية، غايتها إنتاج المعرفة على اختلاف مصدرها، مبتعدة عن التّزمت والنّزعات الدّائنية.

ولعل من المناسب في مثل هذه الدّراسات إتّباع مناهج علمية تتوافق وطبيعة المعطيات، ومنها:

- المنهج التّاريخي المرتبط بكل ما له علاقة بالجغرافية التّاريخية للمنطقة، من خلال ما كتبه المؤرخون والزّواة خاصّة الرّومان واليونانيين، وهو قاعدة عامة تحاكي الأوضاع التي كانت في وقتهم، كذلك الحال بالنّسبة لتلك المتخصّصة في مجال العمارة وأساليب التّحكّم فيها، وهي إن كانت كلاسيكية إلا أنّها مرجع تاريخي هام، على غرار فيتروفيوس في مؤلّفه حول العمارة الرّومانية ومختلف التّقنيات التي نواجهها عند دراستها .

وقد تفيدنا الانجازات التي حصّلها الجغرافيين و الكتاب اللاتين حول الشّمال الإفريقي بصفة عامة، على الرغم من أنّ أغلبها لا تمدنا بمعلومات دقيقة حول تحديد موقع المدن والتّجمعات السّكانية، الأمر الذي يستدعي منا التّدقيق فيها لاستخلاص ما أمكن من معطيات ذات قيمة علمية، فسالوست وتاسيت وغيرهم من الكتاب الرّومان، جلّ ما كتبوه سرد لوقائع وأحداث دون اهتمام فعلي بالبيئة الجغرافية إلا في مواضع قليلة، في بعض الأحيان تصعب علينا تحديد مكانها كون الوصف المقدّم قد تشترك فيه مناطق كثيرة لتشابهها، الأمر يختلف عند الجغرافيين على غرار بطوليمي الذي يحدّد المواقع بطريقة يسهل العثور عليها بدرجة كبيرة، وهو ما نلاحظه عند رسم شبكة الطّرق الرّومانية وما لها من أهمية في الدّراسة، فكثير ما تعرف المدن والتّجمعات السّكانية انطلاقا من ذلك. وهذا المنهج اتبع في بحثنا بشكل كبير في الفصل الأوّل.

- المنهج الوصفي: الذي يتّبع لعرض ما يتمّ معاينته ميدانيا وسرده وفق تسلسل منطقي، على أن يعرّز بصور وأشكال ومخطّطات توضيحية، حين تجتمع مع الوصف يصل الفهم إلى القارئ دون تنقّل وعناء، فالوصف هو نقل الشيء كتابة أو نطقا لإنشاء تصوّر لدى الأذهان، هذا المنهج برز بوضوح في الفصل الثّاني من البحث .

- المنهج التحليلي: اعتمدناه في الفصل الثالث، يركز على المادة العلمية المحصلة، التي إن لم تحلل وفق طرق علمية تبقى جافة ومبهمه، فعند دراستنا لأجزاء الحمامات الخاصة دون ربطها مع بعضها، لا يمكننا فهم طريقة عملها ولا التغييرات التي حدثت لها ولا حتى التدخلات التي مستها عند ترميمها، فالتحليل هو بناء مخيلة متعددة الجوانب للخروج باستنتاجات مفسرة لأفكار منطقية.

وقد يتدخل منهج رابع، هو الاستقراء الذي يتبع في تقصي المعلومات والمعطيات من المراجع والدراسات السابقة، منها ما له علاقة مباشرة بالموضوع ومنها ما يتصل به بصفة غير مباشرة، وعلى الرغم من أن الأبحاث في هذا النوع من العنصر بشكل عام، تعرف اهتماما متزايدا من قبل الباحثين، حتى أن جزء منها خصص لتتبع حركة الهواء داخلها أو مسار المياه في مختلف مراحلها، وجزء من العناية تلك المخصصة للعلاج من الأمراض المختلفة، والأمثلة تتعدد حين الحديث عن هندستها وطريقة بنائها، لكن دراسة الحمامات الرومانية من قبل الباحثين الجزائريين لا تعدوا أن تكون أبحاثا مرتبطة بنسق عام، كالدراسات الشاملة لمدينة رومانية أو دراسة المنازل أو منظومة التحكم العسكري أو التنظيم الاجتماعي.... الخ .

وما يفيدنا من كل هذه الأبحاث هو معرفة النظم الإدارية والبنية الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية لمختلف المدن، أما تلك التي توصف بالأبحاث التقنية في مجال العمارة الرومانية بشكل شمولي، وحين تتطرق إلى الحمامات فحصة الأسد تأخذها العمومية مقارنة بالخاصة، فهذه الأخيرة يلمح إليها عند دراسة المجال العمراني لمدينة ما، أو تذكرها تقارير الحفريات باختصار، كأن لها من الأهمية شأن قليل مقارنة بمختلف المباني المكتشفة، لكنها تبقى مرتكزات لا يستغنى عنها لاحتوائها مادة خام للبحث، تحتاج بشكل مستمر لإعادة قراءتها وفق التطور التكنولوجي والتقني المتصاعد مع الزمن. على العموم من الدراسات التي يمكن اعتمادها، تقارير الحفريات، على غرار ما فعله بالو وكانيا وكريستوفل حول آثار مدينة ثاموقادي، وليسكي وايفون آلي وبلنشار ليمي في كويكول، وبارتي في كاستلوم تيديتانوروم، وماراك في هيبوريجيوس، وجولي في توبورسيكو نوميداروم وقزال في مادوروس وكالما وما احتواه الأطلس الأثري من تحديد لبعض المواقع المدروسة، شاباسيار وألي في حمامات بومبيانوس، ولاسوس في حمامات هنشير الصفية... الخ، ولم تقتصر أبحاث كل منهم حول تلك المدن فقط بل كانت إسهاماتهم في التعرف على آثار مدن ومواقع أخرى لا يطل الحديث عنها جميعا، نشرت هذه التقارير في الدوريات والمجلات المتخصصة في التاريخ والآثار، منها:

- ✓ Bulletin du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques ;
- ✓ Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine ;
- ✓ Revue Africaine ;
- ✓ Bulletin de l'Académie d'Hippone ;
- ✓ Encyclopédie Berbère

إلى جانب هؤلاء نجد رافوزي ودولامار من خلال الرّسومات والمخطّطات والأشكال المختلفة للمعالم الأثرية، وإن كان ما تعلق بالحمّامات الخاصّة قليلا جدا إلا ما ارتبط بقنوات المياه. كل هذه المراجع وأخرى اعتمدت في الدّراسة الوصفية والتّقنية للحمّامات الخاصّة. أمّا بخصوص شبكة الطّرق وحدود المقاطعات اعتمدنا على دراسات بيار سلاما. وحين التّطرق إلى مواقع بعض الحمّامات، خاصّة تلك البعيدة عن التّجمعات السّكانية، تمّ الاعتماد بدرجة خاصّة على أبحاث بيريبيانت حول المنشآت المائية الرّومانية المنتشرة في الشّرق الجزائري، لكن معظم المواقع التي أشار إليها، لم يبق منها إلا القليل، لا تمكّننا من دراستها لا تقنيا ولا تعطينا قراءة تحليلية، من هذه المواقع ما ذكر حصرا في الفصل الأوّل.

ومن الأبحاث القليلة جدا، التي كتبت في موضوع الحمّامات الخاصّة بالشّمال الإفريقي، نحصي، مؤلف تيار سنة 2003 حول الحمّامات الرّومانية بصفة عامة في الشّمال الإفريقي، وإن كان قد تطرق إلى بعضها، إلا أنّ دراسته هندسية قائمة على المخطّطات معتمدا في ذلك على ما كُتب سابقا في تقارير الحفريات.

وفي الجانب الفني كتابات سوزان جرمان حول الفسيفساء المكتشفة في مدينتي ثاموقادي وهيبيوريجيوس، ومنها فسيفساء حمّامات المنازل، إذ تقدم وصفا وافيا لها، وتاريخ بعض الحمّامات أو على الأقل المنازل التي تحتويها، انطلاقا من الدّراسة الفنية للمشاهد الفسيفسائية وتقنيات انجازها متّبعة أحيانا المنهج المقارن.

كذلك البحث المقدم من طرف صونيا هيوييت كمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه لدى جامعة أوتواو بكندا سنة 2000، حول الحمّامات الخاصّة داخل المدن في إفريقيا الرّومانية، والتي اعتمدت فيه على تقارير الحفريات سابقة الذكر.

على العموم هذه المراجع وأخرى دون شك تساعدنا في الإجابة على الأسئلة السابقة، وتستدرجنا إلى التوسع في الموضوع ومحاولة أخذ كل جانب على حدى، الأمر الذي استدعى تقسيمه إلى ثلاثة فصول وقبلها مقدمة تشتمل على تعريف بالموضوع والإشكالية المرتبطة به.

الفصل الأول يخصص للبحث في المؤهلات الطبيعية للشرق الجزائري وآليات بناء الحمامات، فالشطر الأول منه هو تعريج على طبيعة المنطقة وخصوصيتها لاستقطاب العنصر البشري، وما تقدمه من خصائص طبيعية ومناخية وشبكة هيدروغرافية هامة، أدت إلى توفر عنصر الماء بشكل دائم إلى جانب مواد البناء، كذلك الأمر في تحديد المجال الجغرافي للدراسة وإسقاط شبكة الطرق القديمة للتعرف على مواقع المدن والتجمعات السكانية وربطها فيما بينها، هذا بالاعتماد على النصوص القديمة، سواء الأدبية منها أو السياسية التي تؤرخ لحقبة زمنية معينة، والنقيشات اللاتينية والأنصاب الملية، التي تحدد المسافات للطرق الرئيسية بين المدن الكبرى والطرق الثانوية المؤدية للتجمعات السكانية الخارجة عن النطاق العمراني، وهي خاصية تمكن من التعرف عن مدى تأثيرها فيما بينها، ويظهر هذا من خلال الأنظمة المتبعة داخل المدن كما يظهر في الجانب المعماري والفني والحس الجمالي. والشطر الثاني يمثل الإطار المفهمي والنظري للموضوع، يضم مختلف التعريفات التي يمكن أن نواجهها، مع رؤية شاملة تنطلق من رصد مختلف المحطات التاريخية التي عرفت الحمامات الخاصة في شمال إفريقيا بوجه شامل، وعلى وجه الخصوص الإقليم الذي يشكله الشرق الجزائري حاليا، في ظل غياب تحديد دقيق لحدود المقاطعات الرومانية، أو التغيرات التي طرأت على رسمها، كما نتحرى كل ما هو حديث من الأبحاث، كي لا تقتصر الدراسة فقط على معرفة المفاهيم الكلاسيكية وتبنيها كما كان سائدا لفترة من الزمن، هنا لا بد من معرفة الدلائل التي يركز عليها كل باحث للتعرف على الحمامات الخاصة، وهي مبنية أساسا على دعائم مادية منها نظام التسخين مكتمل العناصر، شبكة تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها، التوزيع الفضائي لعناصرها، الأحواض وخصائصها، وعلاقة الحمامات بالمباني المجاورة لها .

والفصل الثاني يعتمد على الدراسة الوصفية والتقنية للحمامات الموجودة في المجال الجغرافي الذي تم تحديده في الفصل الأول، وبالتالي رصدها والتعرف عليها، مما يعطينا قراءة شاملة لتركيز هذه الأخيرة، فالبيئة الجغرافية مختلفة والمناخ هو الآخر يختلف بين المدن الرومانية، ونتيجة هذا المسح تكون في شكل دراسة وصفية مدعومة بالصّور والمخطّطات .

ولمّا كانت هذه الحمّامات موزّعة بين المدن على اختلاف مراتبها الإدارية و الأخرى الموجودة خارج التّجمعات السّكانية أو ما يصطلح على تسميتها بالمنازل الرّيفية، وعلى الرغم من الصّعوبة الّتي نواجهها في تحديد طبيعتها، إلّا أنّ عناصر عدّة تجتمع لتمكّننا من معرفة هذه المباني، وهذه العناصر المبينة في الفصل الأول تتدخل لتعطينا مقارنة عن المجال الّذي بنيت فيه الحمّامات، وبالتالي يلغى من محور الاهتمام الفرضيات الّتي تنشأ بخصوص بعض المنشآت في حال عزلها نهائيا عن مصادر المياه أو صعوبة حصولها على ما يكفي في عملية الاستغلال.

بالإضافة إلى ما ذكره قزّال في الأطلس الأثري حول الحمّامات الرّومانية، والتي يمكننا من خلالها استخلاص الخاصّة منها، وذلك في الأوراق (8 سكيكة ، 9 عنابة، 16 سطيف ، 17 قسنطينة ، 18 سوق أهراس ، 27 باتنة ، 28 عين البيضاء ، 37 القنطرة ، 38 الأوراس ، 39 الشريعة ، 50 نقرين)، والّتي تمثّل تغطية تقريبا شاملة للشرق الجزائري، هناك أخرى لم يتمّ ذكرها من طرفه، ممّا يستدعي التّدخل الميداني عن طريق التّحري والمعاينة بالاستعانة بالخرائط الطوبوغرافية والإدارية، أو تلك المكتشفة بعده، ضف إلى ذلك المسح الجوي عن طريق الصور الساتليتيّة.

كما يستند البحث على فكرة أنّ الماء الّذي تجلبه القنوات لم يكن مخصّصا فقط للمنشآت العمومية، بل حتى الخواص كان لهم نصيب منها، حتى وإن كانت الحمّامات والنافورات العمومية تستهلك الكمية الكبيرة من هذه المياه خاصّة منذ حكم أكتافايوس، فكانت النقطة الأولى الّتي وجب البحث فيها هو مصادر المياه وكيفية وصولها إلى الحمّامات الخاصّة، وحركتها داخلها ثم نظام تصريفها من المباني.

كما يشتمل هذا الفصل على الأمور التّقنيّة المتعلّقة بالحمّامات الخاصّة الّتي تمّ إحصاءها، وينبغي التركيز على مساحتها لمعرفة مخطّطها العام، وموقعها داخل المنازل والّذي يوحي لنا أنّ هذه الحمّامات وعلى عمومها تأخذ موقعا في الطابق الأرضي بالنسبة للمنازل التي تحتوي أكثر من طابق، لكن مساحتها تختلف من واحدة إلى أخرى، مثلا الحمّامات بمنزل سارتيوس بثاموقادي تحتل نسبة 9%، أمّا حمّامات المنزل الواقع شمال الكابتول بنفس المدينة فتصل النسبة إلى حوالي 21%، وبمدينة كويكول نجد حمّامات منزل كاستوريوس تحتل نسبة 12% ومنزل الحمار 10.62%، وبمدينة كاستلوم تيديتانوروم نجد أنّ مساحة حمّامات منزل الفسيفساء تحتل نسبة تقارب 30% من مساحة المنزل...الخ.

من جهة أخرى، وجب التركيز على التّوّع في الأحواض بين الساخنة والباردة وحتى الدّافئة إن وجدت، هذا التّوّع تفرضه عدّة معايير، الأول مرتبط بشكل مباشر بالمساحة، والمعيار الثاني مرتبط بمدى توقّر المياه، والثّالث مرتبط بنظام التّسخين فيما تعلّق بالأحواض الساخنة، كذلك الأمر في تعدّد الأحواض من طبيعة واحدة، إذ قد نجد في الحمّامات الخاصّة ما احتوت على ثلاثة أو أربعة أحواض ساخنة، تختلف مساحتها كما يختلف شكلها وحدّة حرارتها، كما قد نجد التّعدّد في الأحواض الباردة. وقليلًا ما نجد أحواضا دافئة.

بعد الانتهاء من هذه الفكرة تستوقفنا فكرة ثانية وجب البحث فيها، بانتهاج منهج الوصف والتحليل والمنهج المقارن، الذي تتدخّل خطواته حين التّعامل مع العناصر المعمارية المختلفة، بدءًا بجدران الحمّامات، سواء الدّاخلية أو الخارجية، عن طريق ترابطها بشكل أفقي وتوافقها بشكل عمودي، فالجدران الخارجية يتمّ دراستها لمعرفة سمكها ودرجة صلابتها، نظرا لتعرّضها المباشر للعوامل الخارجية، مثل الرّطوبة والتّغير في درجات الحرارة بين داخل وخارج المبنى، وبالنسبة للحمّامات موضوع الدراسة يمكن تقسيمها إلى ثلاث أنواع رئيسية:

- الجدران الخارجية ذات سمك متوسط (أقل من 0.5 م)،
- الجدران السّميكة والتي يصل سمكها إلى 1م،
- الجدران المزدوجة، يفوق سمكها 1م.

أمّا الجدران الدّاخلية التي تفصل بين مختلف مكونات الحمّامات الخاصّة، فإنّ سمكها يتوافق وسمك جدران المبنى ككل في كثير من الأمثلة، وقليل منها فقط لها خصوصياتها سواء من حيث تقنية بنائها أو مواد تشكيلها. بعدها يتمّ التّطرق إلى تلبّيس هذه الجدران من الدّاخل والخارج، والتّفرقة هنا بين المواد المستعملة، التي لا تسمح بتسرّب المياه خارج الأحواض، وخصائصها التي تحافظ على العزل الحراري بالقسم الساخن للحمّامات .

ونفس الطرح عند معالجة تسقيف الغرف، فكما ذكرنا سالفًا أنّ عددا كبيرا من الحمّامات تكون في الطّابق الأرضي للمباني السّكنية، بالتّالي عملية العزل الحراري إلزامية للفصل بينها وبين الطوابق العلوية، خاصّة الذي يعلوها مباشرة، كذلك الحدّ من الرّطوبة داخل المبنى، مع الإشارة أنّ تسقيف قاعات وأحواض الاستحمام تلعب دورا كبيرا في المحافظة على استقرار درجة الحرارة المرغوب فيها وعدم انتشارها خارجها.

ما يستوقفنا أيضا هو التعرّف على مواد و تقنيات البناء، والعناصر التّزيينية الّتي وجدت بالحمامات الخاصّة، ولعلّ أهم عنصر يستوقفنا هو الفسيفساء، هذه الأخيرة وجدت في قسميها السّاخن والبارد، وهي ذات أشكال هندسية مختلفة وأخرى نباتية، ومواضيع تختلف بين الميثولوجية ومشاهد الحياة اليومية، ذات الدلالات المرتبطة مباشرة بأصحاب وملّك الحمامات.

أمّا الفصل الثالث فهو يجمع بين الفصلين السّابقين، إذ يعنى باستخلاص النتائج المتوصّل إليها في الفصل الثّاني، وربطها بالمفاهيم النّظرية المحصّلة في الفصل الأوّل، وفق منهج التّحليل الكميّ للعيّنات، بمعنى معرفة العلاقة بين الحمامات الّتي تم إحصائها في البحث فيما بينها من الجانبين الجغرافي والتّاريخي، وهذا الأخير في معرفة الأوضاع السّياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثّقافية، الّتي شهدتها المدن الّتي احتوتها داخلها، كما تمكّننا من معرفة الأوضاع خارج حدود المدن، وتتطّلق عملية التّحليل هنا من النقاط التالية :

✓ التعرّف على زمن بناء الحمامات، وتحديد ما هو أصلي من البناء وما هو مضاف في فترات زمنية لاحقة.

✓ تحليل توجيه الحمامات وأحواضها، باستخلاص مدى توافقها مع توجيهات فيثروفيوس، أم لكل خصوصيتها.

✓ التعرّف على مواد بناء الجدران وتلييسها وتبليط الأرضيات، بما في ذلك المشاهد الفسيفسائية وما لها من دلالة مرتبطة باستغلال المبنى، سواء من طرف شخصي أو من عدة أشخاص قد يكونوا من مقربي مالكيها أو خدمه.

✓ تحليل العلاقة بين الحمامات العمومية والخاصّة في نقطة الظهور والاستغلال والزّوال.

وبإتباع المنهج السّوسيوأركيولوجي الّذي يسهم في معرفة الحالة الاجتماعية لأصحاب أو ملاك هذه الحمامات، وقبلها التعرّف على المناصب الإداريّة والعسكريّة والدينيّة للتّركيبة البشريّة داخل المدن، وملّك الأراضي الرّعائيّة والرّعويّة خارجها، إلى جانب أصحاب المهن والحرف والتّجار، بين هذا وذاك، الكلّ يجتمع لتحديد المستويات الّتي مكّنت أصحابها من اتخاذ مجال للاستحمام داخل مبانيهم، سواء كانت منازل أو ورشات، وكذا اختلاف مشاربهم الثّقافية، الّتي تؤثر على نمط عيشهم وفق نسق رفيع المستوى .

كما يتم تحليل تركيز هذه الحمّامات في حيّز جغرافي دون الآخر، وبقراءة إحصائية مع إسقاط موضعي فوق الخريطة التاريخية التي يشكّلها الشرق الجزائري حاليا، يمكن بناء نتائج ترتكز على النقاط التالية:

- ✓ التّعرّف على الحمّامات الخاصّة داخل المدن الكبرى، ومن بعدها أقلّها مساحة ومرتبّة في السّلم الإداري، وصولا إلى الضّيعات والمساكن الخارجة عن نطاق التّجمعات السّكانية .
- ✓ مساحة الحمّامات والنّسبة التي تمثّلها داخل المبنى الذي يحتويها وداخل المدينة ككل.
- ✓ تحديد الكميّة التي يمكن استغلالها من المياه يوميا لتزويد الحمّامات، من خلال معرفة مساحة أحواضها وسعتهم.

بعد دراسة جميع النقاط السابقة، يختتم البحث بمجموعة من الاستنتاجات المحصّلة، والإجابة عن مختلف الأسئلة التي طرحت في المقدمة، وتكون مختصرة ودقيقة الألفاظ والعبارات ومتراطة الأفكار، مع توصيات بالاهتمام بالتّراث المادي، خاصّة في المناطق المهدّدة بالاكْتساح العمراني أو الطبيعي، على غرار ما حدث لحمّامات بومبيانوس، التي غمرتها مياه سد وادي العثمانية، وحمّامات قصر فاطمة المهدّدة بكثافة الغطاء الغابي والحرائق، وحمّامات هنشير الصّفية التي اجتثّت أحواضها الباردة من مكانها الأصلي.

الفصل الأول

المؤهلات الطّبيعية وآليات بناء
الحمّامات الخاصّة بالشرق
الجزائري

الفصل الأول: المؤهلات الطبيعية وآليات بناء الحمامات الخاصة

بالشرق الجزائري

يتطرق هذا الفصل بالدراسة لمعرفة المؤهلات التي أدت إلى تزويد المدن ومن ثم المنازل وحماماتها الخاصة بالمياه، وهي إحدى المقومات الرئيسية لاشتغالها، وهذا لا يتسنى إلا بمعرفة الشبكة الهيدروغرافية والاستغلال الحقيقي للموارد المائية، التي تختلف من مدينة إلى أخرى، سواء كان ذلك عن طريق جلب المياه من المنابع والوديان وتخزينها، أو عن طريق حفر الآبار لتعزيز قدرات التخزين، كما يتطرق إلى معرفة شبكة الطرقات والتي نحسبها مهمة للتعرف على سبل نقل مواد البناء خاصة الرخام، أو نقل الخبرات المتعلقة بإنجاز المباني وتركيب الفسيفساء... الخ؛ ومن المواضيع المهمة التي سنعتمدها في الفصل الثاني المخصص للدراسة الميدانية، هو اختيار المصطلحات حتى يتسنى وضعها في مكانها للتعرف على مختلف أجزاء الحمامات، هذه الأخيرة لا بد لنا من أدوات ودلائل لتمييزها عن باقي المنشآت الأخرى والتي قد تتشابه معها في بعض الجزئيات، منها الأحواض ونظام التسخين... الخ. كذلك الأمر لتحديد موقع الحمامات الخاصة ومجاورتها للمباني الأخرى.

1- جغرافية المواقع المدروسة وحدودها

1-1 تحديد المجال الجغرافي للدراسة

قبل تحديد المجال الجغرافي للدراسة، وربطه بالخريطة التاريخية لمختلف المواقع التي ضمت حمامات خاصة ضمن نسيجها العمراني، تشكلت عدة اعتبارات، لعلّ أولها تغيير الحدود التي رسمتها السياسة الرومانية بين فترة وأخرى، الأمر الذي أدى إلى تغيير انتساب مدن ومجمّعات سكانية لمقاطعة من المقاطعات، ونلمس هذا التغيير في مناطق التماس الحدودية خاصة بين نوميديا الرومانية والبروقنصلية من جهة ونوميديا ومريطانيا السطّافية من جهة أخرى.

ولمّا كانت دراستنا متعلّقة بالحمامات الخاصة دون الدّخول في هذا الإشكال، اعتمدنا على الانتماء الإداري الحالي، لا لسبب سوى لضبط حدود معلومة للدراسة لا تتجاوز دائرة المعارف المكتسبة حولها مواقع أخرى خارجها، ما لم تكن لغرض المقارنة أو استخلاص علاقات الشّبه أو الاختلاف.

ويتدخّل اعتبار آخر في تحديد هذا المجال، يتمثّل في الخصائص المناخية والبيئية، وهو ما يضمن تنوّعا في مواد البناء رغم التشابه الكبير في خصائصها الفيزيائية، بالإضافة إلى الاختلاف في مساحة التّجمّعات السّكانية بين المدن الكبرى من مصفّ المستعمرة وأخرى ذات رتبة بلدية وحتى التّجمّعات الأقل مرتبة في السّلم الإداري، إلى جانب المنازل الريفية *villa rustica*، هذا التّنوع يعطينا قراءة حول المجتمع وأفراده واهتماماتهم، وكذا الثّقافة المعمارية التي تنشأ من احتكاك الخبرات، نلتمسها من خلال التشابه الذي يمكن معاينته في كثير من العناصر داخل الحمامات الخاصة رغم بعد بعضها عن بعض مسافات معتبرة، كذلك ربط هذه المدن والتّجمّعات فيما بينها بشبكة من الطّرق تسمح بالتّقل ونقل مختلف مواد البناء، على غرار الرّخام ذو الجودة العالية الغير متوفر في أغلبية المناطق القريبة من المدن المدروسة، ويتعدى الأمر لنقل خبرات البنائين والأنظمة المعمارية التي شهدتها المدن السّابقة إلى إنشاء معالم مختلفة، ومنها الحمامات عمومية كانت أو خاصّة.

من جهة أخرى إذا اعتمدنا تحديد المجال وفق المقاطعات الرومانية، فإنّ ذلك يؤدي بالضرورة إلى دراسة جميع المدن على اختلاف مراتبها في تلك المقاطعات، فمن وجه نظر إحصائية فهي كثيرة العدد، وعلى سبيل المثال نوميديا الرومانية والبروقنصلية في أواخر القرن الثّالث ميلادي ضمّت ما يقارب 50 بلدية و 34 مستعمرة، وإن كان هذا العدد المحصى ما وفّرتّه النّقيشات اللاتينية

فحسب، فإنّ العدد الحقيقي يفوق ذلك بكثير، قد يصل في المقاطعات الست الرومانية على الأقل إلى 500 بين بلدية ومستعمرة¹، من جهة أخرى تعتبر المناطق الداخلية أكثر رومنة من الساحل بدليل وجود العديد من المدن، ففي أقصى الشرق تنحصر بين وادي ميلاقو وسيبوس ومنها كالماء، تاغاست، قاديوفالا، تيبيليس، زاتارا، توبورسيكو نوميداروم، مادوروس...، وبالمناطق الشمالية للأوراس وجد العديد منها على غرار ماسكولا، ثاموقادي، لامبايزيس، كاساي، لاميققا، ديانا فيتيرانوروم، زاري...الخ².

من خلال هذه الاعتبارات تم اختيار مجموعة من الحمامات الخاصة، في ولايات الشرق الجزائري، منها: سوق أهراس، الطارف، تبسة، عنابة، قسنطينة، ميلة، سطيف، جيجل، باتنة، حتى وان كانت بعض هذه الولايات تحتوي مواقع أثرية غنية ببقايا الحمامات الرومانية، وهو ما يعطينا مادة وافرة تسمح بالدراسة المستفيضة، التي من خلالها تتبلور استنتاجات عدة تبنى على أساسها معطيات علمية متوافقة يصبغها المنهج المقارن، لكن قد يصادفنا من حين لآخر في بعض المواقع نقص أو غموض في المادة الأثرية، مما يصعب قراءتها بشكل تام وبالتالي تقتصر الدراسة على ما هو واضح للعيان، وقد تسمح في بعض الأحيان إصدار فرضيات قد يصيب جزء منها، كما قد يتخلله الشك في إبراز حقيقتها الوظيفية. أما باقي الولايات المشكّلة للشرق الجزائري، على غرار أم البواقي، قالمة، خنشلة وسكيكدة، فإنّ ما بقي من آثار تشير إلى المنشآت الحموية، لا تعطينا قراءة حقيقية بالاعتماد على المشاهدة أو المعاينة البصرية، فمن جهة لا يمكننا معرفة حدودها وأقسامها، ومن جهة ثانية لا تتوفر فيها العناصر اللازمة للحكم على طبيعتها أصلا، لذا سيكون التّطرق إليها في شكل إشارات لغرض مرتبط بمحور من محاور البحث.

وعند محاولة الرّبط بين الجغرافية الحالية وتلك التاريخية فإنّ الحدود المرسومة والفاصلة بين المدن والمقاطعات لا تختلف بين الأمس واليوم، فالبنية المرفولوجية المتمثلة في الوديان والشعاب والمرتفعات تعتبر المؤشّر الأول للفصل بين الحدود، ولنا أمثلة عن ذلك، فالفاصل بين مقاطعتي نوميديا والبروقنصلية يمثلته الوادي الشّارف ومن بعده وادي سيبوس *ubus flumen*، في حين الحدود الغربية لمقاطعة نوميديا والتي أنشئت ما بين (198 و199م)³ فتتخذ من الوادي الكبير *ampsaga*

¹TADEUSZ (K.), Snobisme municipal ou prospérité relative? Recherches sur le statut des villes nord-africaines sous le Bas-Empire Romain, Traduit en français par Michal MICHALAK, in Ant. Af, n° 8 ,1974, p115.

²MESNAGE (P.J.), Romanisation de l'Afrique, Gabriel BEAUCHESNE, éditeur, Paris, 1913, p193.

³PFLAUM (H.G.), La date de la création de la province de Numidie. In: B.S.N.A.F, 1959, p26.

فاصلا بينها وبين موريطانيا، ضامة كل من كويكول و زاري...الخ¹، وعلى حدّ تعبير سترابون فإنّ بلاد نوميديا تشمل الإقليم الواقع شرق الوادي الكبير وغربه نجد موريطانيا القيصرية².

وفي هذا الحيز الجغرافي هناك من المدن ما اعتبرت عاصمة على غرار كيرتا كعاصمة لنوميديا الرومانية، وهو امتداد تاريخي لمكانة المدينة في الفترة النوميدية وسيتيفيس كعاصمة لموريطانيا السطايفية أواخر القرن الثالث ميلادي. ولا يستثنى من الأهمية باقي المدن والتي ارتقت إلى مصف مستعمرة حتى وان كانت تشريفية *honoraria*، إذ نجد توبورسيكو نوميداروم وكالما التي كانت بلدية تحت حكم أدريانوس (117-138 م) وأصبحت مستعمرة تحت حكم كاراكلا (211 - 217)، ومن النقوشات ما يشير إلى ذلك على غرار تلك التي تؤرخ بـ 283 والتي تذكر بأنّ الماجيسترا لوكيوس سوانبيوس فيكتوربيوس *L. Suano victori* تم تكريمه بمناسبة تحصله على منصب القيم على مستعمرة كالما³، ومدينة كويكول التي كانت حصن عسكري مع نهاية القرن الأول لتصبح بلدية سنة 147 م، ثم ارتقت إلى مستعمرة، و روسيكاد و شولو وميلاف التي تحصلت على مرتبة مستعمرة في فترة حكم ترايانوس⁴ (98-117) ...الخ، في حين بقيت بعض المدن برتبة بلدة *pagus* على غرار تيبيليس وتيقسيس (عين البرج)، رغم أهميتهما من الناحية الزراعية والاقتصادية، واستراتيجية موقعهما للربط بين المدن الكبيرة⁵.

¹ مؤلف جماعي، حضارات إفريقيا القديمة، المجلد الثاني، الفصل التاسع عشر، العصر الروماني وما بعده في شمال إفريقيا، بقلم ع. محجوبي، دار النشر جون أفريك، 1985، ص480.

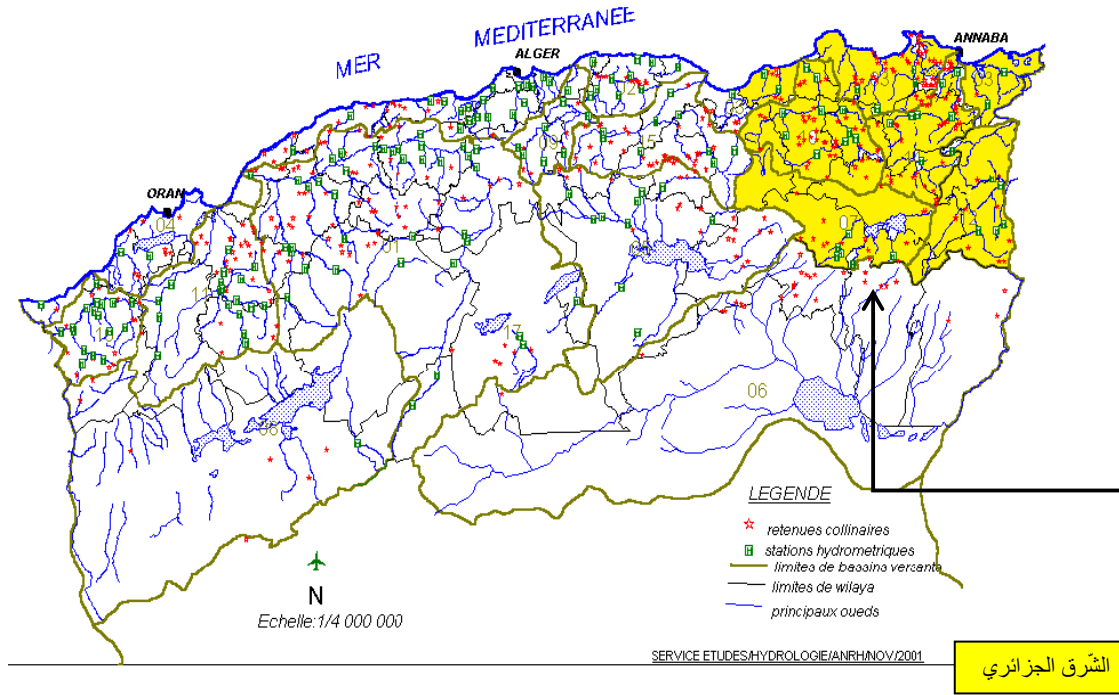
² La géographie de STRABON, traduit par Amédée TARDIEU, tome premier, librairie de L Hachette et c^{ie}, Paris, 1867, livre 17, chapitre 3 la Libye.

³ PFLAUM (H. G.), *L'Afrique Romaine*, in Scr. Var I, Paris, 1978, p384

- JACQUES (F.), Les curateurs des cités dans l'occident Romain de Trajan à Gallien, nouvelles éditions latines, Paris 1983, pp201-202.

⁴ MEYNIER (G.), L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam, édition la découverte, Paris, 2007, p 66.

⁵ LEPELLEY (C.), Les cités de l'Afrique Romaine au Bas-Empire, T1, études augustéennes, Paris, 1979, p48.



خريطة رقم 01: تحديد المجال الجغرافي للدراسة¹

2-1 الخصائص الطبيعية والمقاربة التاريخية للشرق الجزائري

إنّ البحث في تضاريس الجزائر القديمة كجزء من الشمال الإفريقي، يندرج ضمن اهتمامات كل باحث في الآثار، لأنّها مرتبطة بشكل كبير بطبيعة المواد وأصلها، ولا تتوقّف عند هذا الحدّ بل تتعدّاه لدراسة مؤهلات كل منطقة وما توفّره للاستقرار البشري، إذ من الأهمية بمكان التركيز على هذه الجزئية، بدءا بما ذكر في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين اليونان واللاتين، حين وصفهم لليبيا، أو القارة الثالثة حسب ما ذكر هيرودوت وبلين الأكبر و ترابون، وإن كان هذا الأخير مجحفا أحيانا في وصف مؤهلاتها، حيث يجدها أقلّ شأنًا من أوروبا وآسيا في الثروة والخصوبة، بل وذكر أنّها بلاد قاحلة بلا ماء ولا مساكن مثبتة في الأرض (وان كان يقصد هنا مناطق الجنوب حيث الصحراء القاحلة)، وأنّ المناطق التي يشغلها القرطاجيون هي وحدها الغنيّة والمكتنّزة بالسكان وما عداها بوار لا تصلح للتعمير البشري²، ويستطرد قائلا أنّ أراضي المور في الغرب هي أراضي خصبة مشجرة، حتى أنّ أشجارها تصل إلى ارتفاع يثير الدهشة، و لا تختلف عنها أراضي الماسيل³، كما ينوّه إلى وفرة المياه من خلال وفرة المجاري المائية وهو ما يستشفّ من قوله : « أشك أنّ بوزيدونيوس Posidonius قال

¹ (بتصرف الطالب) Agence Nationale des Ressources Hydrauliques, Algérie

² La géographie de STRABON, Livre 17, Chapitre 3, la Libye, 1.

³ Ibid, Livre 17, Chapitre 3, 9.

في أحد خطبه، أنّ أراضي ليبيا لا تسقى إلا عن طريق عدد قليل من الوديان والتي يتسم بعضها بعدم الأهمية.... ثم يضيف أنّ عدد الوديان التي ذكرها بوزيدونيوس معتبر¹،

ولا يستغرب ما قد وصفه سترابون لأنّ الكثير من قوله منقول عن كتاب آخرين، أو سمعه ممن ارتادوا على تلك المناطق، إذ نجده يستعمل ألفاظا دالة على النقل مثل: يقال و يحكى، ويذكر فلان، وغيرها، أمّا هيرودوت فيستدل من حديثه أنّ أراضي الشمال الإفريقي كانت خصبة، إذ يقول في الكتاب الرابع من تاريخه «...ولقد انطلق الفينيقيون من البحر الأحمر وعبروا إلى المحيط الجنوبي واختطّوا خطّة بأن يزرعوا حيثما بلغوا على الساحل الليبي قطعة من الأرض كل خريف، ثم ينتظروا محصولها في الموسم التالي...»²، فهي بذلك أرض صالحة للتعمير فاتحة لشهية المستعمرين للاستيطان فوقها، فتربتها غنيّة بالمواد العضوية والرّسوبيات التي جلبتها السيول والشّعاب، وهو ما ميّز آخر الأزمنة الجيولوجية.

وعلى شاكلة المصادر القديمة، يصفها "قزال" Gsell على أنّها جزيرة معزولة يحدها البحر من جهات ثلاث (الغرب والشرق والشمال) ومن الجنوب الصحراء³، أمّا الجزائر فتشتمل على منطقة السّهول الكبرى، ففي الشمال يمتد التّل بعرض 100 كلم، تكسوه سلاسل جبلية تكوّنت في أزمنة جيولوجية مختلفة تنفصل عند سهل سيبوس، ويغطّي الحجر الرّملي مساحات شاسعة تغطّيها غابات السّنديان، وأراضيها من التّربة الصّوانية لا تساعد على زراعة الحبوب إلا في الشّعاب المتكوّنة من الرّسوبيات الطّينية.

وبإسقاط منطق الجغرافية الحديثة، فإنّ مجال الدّراسة ينتمي إلى سلسلة الأطلس التّلي، وهي شاسعة تمتد من شمال شرق تونس وصولا إلى جبال الرّيف في الجنوب الغربي للمغرب، ويسبب ارتفاع تلال الشّرق الجزائري وتعرّضها للرياح الجالبة للأمطار، تنتعش المراعي والحدائق اليانعة حول عيون الماء الكثيرة، وتشير بقايا العمران القديم إلى أنّها كانت أهلة بالسّكان⁴. وفي جزء من هذا المجال الجغرافي، يذكر "قزال" أنّ بشمال قسنطينة تسير الأنهار في شعاب ضيّقة في السّهول العليا، ويضيف أنّ الأمطار بهذه المنطقة غزيرة، ويربطها بصلاحية الأرض للزّراعة والرّعي حول الحوض القسنطيني

¹ La géographie de STRABON, livre 17, chapitre 3, 10.

² تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 308.

³ GSELL (S.), H. A. A. N , Tome.VII, Librairie Hachette, Paris.1928, p1.

⁴ Ibid, p8.

بطول 80 كلم وعرض 20 كلم، والحوض الثاني بقالمة يعبره نهر سيبوس، تربته صالحة لزراعة الكروم والحبوب¹.

وحين الحديث عن أصل التركيب الجيولوجي للشرق الجزائري، فإنّه يعود إلى نهاية الزمن الثالث الجيولوجي وبداية الرابع، ويعرف هذا الزمن بتشكّل الصّخور الرسوبية بشكل واسع، وهو ما نجده في التّكوينات الصّخرية المعروفة بالمنطقة، هذه الصّخور الرسوبية تتمثّل أساسا في الحجارة الرّملية والجيرية كثيرة الاستعمال في مختلف المنشآت والمعالم، التي تعود للحضارات القديمة في مختلف المدن والمواقع الأثرية، بالإضافة إلى التّكوينات الرّملية والحصوية والطّمي في المصاطب النّهرية؛ وتسجّل بعض المرتفعات الصّخرية أنواع أخرى من الصّخور المتحولة، لكن بنسب قليلة مقارنة مع الرسوبية، وتتمثّل في الشيست والميكا شيست، مثل ما نجده في منطقة رأس العسة وبوحمرة وكتلة بليليط ومنطقة فزارة بعنابة، وصخور الغرانيت النّارية بكتلة الإيدوغ على الشّريط السّاحلي².

ويستدل على رسوبيات الزمن الرابع الجيولوجي من خلال مساماتها، والأحوال الغنية بالقواقع والمواد العضوية، التي تستقر في المنخفضات مشكّلة أراضي خصبة للزراعة والرعي، وفي الجبال تشكل الإلتواءات المنبثقة من الحركة التكتونية للأرض جراء التغيّر في درجات الحرارة، تشكّل طبقات رسوبية استغل بعضها كمحاجر لمواد البناء في فترات متعاقبة من الزمن.

1-3 مناخ الشرق الجزائري بين الاستمرارية والتغيّر

تستند دراسة مناخ الشمال الإفريقي القديم إلى مقاربات نظرية وأخرى مصدريّة، لما رصده مؤرخو الفترة القديمة، حين حديثهم عن النشاط الزراعي وما صاحبه من أوقات الوفرة والجفاف، وما تشير إليه الدلائل المادية من أعمال مرتبطة بإنشاء السّدود وربط المدن بالقنوات المائية، مع الإشارة إلى جفاف بعض الينابيع واستمرار أخرى في التدفق إلى غاية اليوم، مما يطرح تساؤلات عدّة حول تغيّر المناخ منذ الفترات القديمة من عدمه، هذه التّساؤلات لم يتفق كل من بحث في الموضوع بالإجابة عليها، بذلك تشكّلت عدّة فرضيات³.

¹ GSELL (S.), H. A. A. N.....Op.Cit, p 12.

² بن غضبان فواد ، دور شبكة الخدمات في التنظيم المجالي بولايتي عنابة والطارف، أطروحة دكتوراه في التهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة، 2009، ص 28.

³ آيت أومغار سمير، ملاحظات حول مناخ المغرب القديم ، مجلة سطور، العدد 3، 2016، ص 55.

الأولى ترتكز على أنّ مناخ المنطقة لم يتغيّر منذ الفترة القديمة إلى غاية اليوم، وهو ما أشار إليه "فيليب لوفو"¹ Leveau بقوله: "... مناخ شمال إفريقيا في الفترة الرومانية لم يكن مختلفا كثيرا عما هو عليه اليوم، ومع ذلك كان أكثر رطوبة؛ ولاق هذا الرأي إجماعا بين المؤرخين وعلماء المناخ لمدة تقارب القرن...".

الفرضية الثانية، على خلاف من الأولى أنّ المناخ تعرّض لتغيّرات جذرية، حيث عرفت المنطقة جفاف وحده، ليس فقط بفعل الطبيعة بل كان للإنسان دخل في تدهور الأوساط الطبيعية، وهو ما تشير إليه الدلائل المادية، خاصة ما تعلّق بهجران بعض المدن بعد القرن الرابع ميلادي بسبب الجفاف، والتي كانت أهلة بالسكان في القرون الأولى، وتشير بعض النقيشات اللاتينية المؤرخة ما بين القرن الثاني والرابع ميلادي إلى عمليات الصيانة المستمرة والتدخل لإصلاح قنوات المياه، ومع ذلك تعرّض بعضها لتلف كلي حال دون تزويد المدن بالمياه، وهذه الإشارة لإصلاح قنوات المياه إنّما تقودنا إلى فرضية الجفاف الذي مس المنطقة أو إلى ضعف تدفق المياه، وما نقوله عن القنوات يمكن إسقاطه على السدود التي تراكمت فيها الأوحال فأصبحت غير صالحة للاستعمال ومن ثم الاستغناء عنها .

والفرضية الثالثة لا تختلف عن الثانية من حيث الاستمرارية في التطور المناخي منذ آلاف السنين أدى إلى تحوّل الجو من رطب إلى جاف، وتوسّعت المناطق الصحراوية على حساب السهول، دليل الكتابات القديمة التي تتحدّث عن أنواع حيوانية كانت تعيش بالمنطقة، وهي في الأساس تعتمد على وسط طبيعي مغاير لما هو عليه الحال، مثل الفيلة التي عاشت حتّى القرون الأولى للميلاد بشمال إفريقيا، ويثير اختفائها من المنطقة تساؤلا كبيرا حول الدافع، ففي القرن الرابع ميلادي ذكر "ثيمستوس" *thémistius* (راوي وفيلسوف 317-388م) أنّ الفيلة لم تعد موجودة، ويذكر بعض الباحثين أنّ اختفائه علامات تدلّ على تغيّر المناخ وانخفاض كمّية المياه وجفاف التربة، في حين يرجعه البعض الآخر إلى العامل البشري بسبب الصيد المكثّف لغرض استعماله في الاحتفالات أو استغلال عاجه في صناعة الحلي وأدوات الزينة².

¹ LEVEAU (Ph.), « Les conditions environnementales dans le nord de l'Afrique à l'époque romaine. Contribution historiographique à l'histoire du climat et des relations homme/milieu », colloque 2008, Editoriale scientifica, Naples, 2009, pp 309-310.

² آيت أومغار سمير، مناخ شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، مقاربات جديدة، مجلة *hépérís-tamuda* LII، العدد الأول، 2017، ص60.

بالنظر إلى هذه الفرضيات وما تقدّمه الشّواهد المادية المرتبطة بعنصر الماء محور التّغيرات المناخية، منها ما ينفي حدوث أيّ تغيّر مسّ مناخ الشّمال الإفريقي القديم، بل ويعزّز الرّأي القائل باستمراره على حاله حتّى اليوم، ربما كانت هناك تغيّرات طفيفة كما نشهده بين الحين والآخر، وهذا راجع حسب علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى حركة الأرض وعلاقتها بالشّمس ومختلف الكواكب والأجرام. كمثال عن التّلاّتيّر المناخي، تشير بقايا المعاصر المنتشرة بكثرة في الشّرق الجزائري، إلى كثافة استغلال شجرة الرّيتون والتي تتطلّب مناخ معتدل في المرتفعات مع بعض الرّطوبة، ونجد استمرارية لهذا النوع من الأشجار في نفس المناطق ممّا يدل على نفس الخصائص المناخية تقريبا.

وكما ذكرنا سابقا عن توقف بعض القنوات عن الاشتغال، لا يعني بالضرورة زوال عنصر الماء، فقد يرتبط أحيانا بالإرادة السّياسية وضعف الأنظمة الحاكمة والتّسيير السيّئ، ممّا أدى إلى عدم بناء قنوات جديدة أو إصلاح أخرى متضرّرة، في الوقت الذي أولى بعض الحكام إجراء أعمال الصّيانة على بناء منشآت جديدة، ومنع استعمال مواد البناء العتيقة لتزيين مرافق جديدة مثل ما فعل "كونستونس الثّاني" Constance II مع حاكم إفريقيا البروقنصل **فلافيانوس** Flavianus سنة 357، ونفس الشيء فعله "فلانتينيانوس الأوّل" Valentinien 1^{er} مع محافظ إيطاليا **ماميرتينوس** Mamertinus سنة 365 م¹.

كما أنّ كثيرا من الشّهادات التي رصدها الرّحالة والمستكشفون، تعطي تصوّرا عن عيون وينابيع استمرت في التّدفق والجريان منذ مئات السّنين، ولا يزال بعضها جاريا إلى غاية اليوم، ونأخذ مثلا عن ذلك منبع حمّامات يوكوس، حيث بقي مستغلا إلى اليوم، وفي الفترة الرّومانية بنيت حوله عديد الفيّلات، بقيت آثارها منتشرة فوق مساحة تقارب 8 هكتار²، كذلك الأمر مع منبع عين موري الذي زوّد مدينة تاموقادي من الفترة الرّومانية إلى البيزنطية، وبقيت جارية إلى اليوم.

فالخلاصة أنّ المناخ لم يتغيّر بشكل جذري، لكن تدخّل الإنسان في انحصار الأراضي الرّاعية أحيانا وتغيّر مجرى المياه أحيانا أخرى، كان له دخل في البيئة وتغيّر المنظومة الهيدروليكية، ونجم عنه الابتعاد عن مناطق كانت آهلة بالسّكان مزدهرة الاقتصاد، والبحث عن أخرى سهلة الوصول إلى موارد طبيعية بأقل تكلفة وعناء.

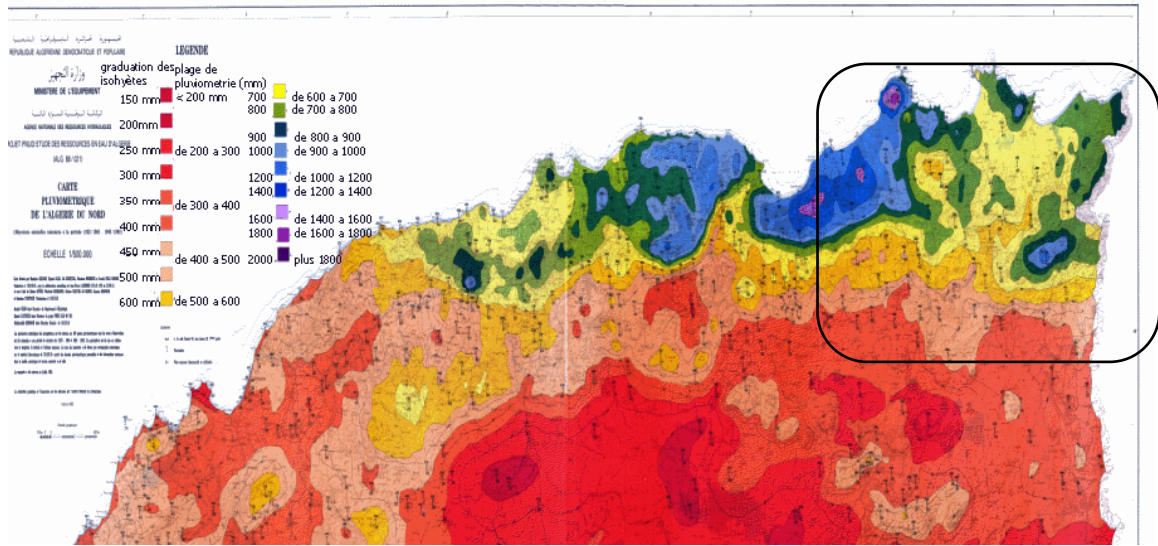
¹ LEPELLEY (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T1,..... Op. Cit, pp 62-63.

² Doc. SERIZIAT, Etudes sur Tébessa et ses environs, in Bull. Ac. Hippone, n°22, 1886, p 36.

وإذا سلّمنا بأنّ مناخ القرون الأولى للميلاد هو نفسه تقريبا مناخ اليوم، فإنّ منطقة الشّرق الجزائري تنتمي إلى نطاقين مناخيين هما:

- مناخ البحر المتوسط: ويشمل المدن السّاحلية، هو مناخ معتدل يميّزه فصلان متباينان، الأول شتاء ماطر بمعدّل تساقط يصل إلى 1000 ملم/سنة، والثّاني صيف جاف وحر، وهو يمتاز بمدى حراري ضئيل عموما.

- مناخ الإستبس: يشمل الهضاب العليا، هو مناخ انتقالي بين مناخ البحر المتوسط والصحراوي وهنا تبدأ ملامح المناخ المتوسطي في الانحسار تدريجيا من الشّمال، ليفسح المجال للمناخ الجاف المتميّز بالظّروف القارية، فالأمطار تتراوح ما بين 400-800ملم/سنة، كما يشمل الهضاب العليا الشّرقية الشّبه جافة، مناخها قاري (50يوم جليد في السنة و 30 يوم سيروكو).



خريطة رقم 02: توزيع مناطق المغيائية في شمال الجزائر¹

2- الشّبكة الهيدروغرافية (استغلال حقيقي لموارد مائية متعدّدة)

منذ القرن الأول ميلادي وحتى اليوم، لم تتغيّر كثيرا البنية الجيولوجية ولا التّضاريس الّتي احتوتها مقاطعتي نوميديا والبروقنصلية الرّومانيّتين، فكثير من المجاري المائية ممثّلة في الوديان والينابيع الجارية رصدت في الفترة الرّومانية وبقيت آثارها إلى الآن، ومنها ما بقي على عهده دائم الجريان دون انقطاع، في هذه النّقطة من البحث سنحاول دراسة كل ما له علاقة بمصدر الماء أساس

¹ A.N.R.H, 2005.

الحمامات، حتى يتسنى لنا معرفة مدى وفرته وما يحققه من اكتفاء لديمومة الاستغلال، وسنعمد على منهج يركز على الإسقاط التاريخي، من خلال الدراسة الجيومرفولوجية و الهيدروغرافية الحالية في الشرق الجزائري، وتقصي كتب الجغرافيين القدامى حول المنطقة وربط المعطيين مع التجمعات السكانية في الفترة الرومانية، كما تمكّننا مختلف الحمامات المنتشرة في المدن الرومانية وحتى خارجها من إعطاء صورة حول الكمية المطلوبة من المياه، وما إن كانت المؤهلات الطبيعية للشبكة الهيدروغرافية قادرة على تلبيتها، خاصة الينابيع العذبة، أم أنّ اللجوء إلى مياه الوديان حتمية لا بد منها.

2- 1 أنواع المياه وجودتها حسب المصادر القديمة

للمياه تأثير مباشر على صحة وعافية الأشخاص، إذ لا يمكن بأي حال إهمال نوعيتها وتركيبها الكيميائية، سواء كانت موجه للشرب أو الاستحمام، الأمر الذي أدى إلى تخيير مصدرها حتى وإن كان بعيدا عن التجمعات السكانية، على الرغم من وجود مصادر أخرى أقرب منها، فالرغبة في الحصول على مياه ذات جودة لا تنثني العزيمة في انجاز قنوات على امتداد مسافات كبيرة للحصول عليها، والأمثلة عديدة في مختلف المدن الرومانية، أبرزها قناة قرطاج التي يبلغ طولها 130 كلم وقناة سيزاري بطول 40 كلم..الخ.

هذه النقطة لم تكن غائبة عن المهندسين الرومان، على غرار "فيتروفيوس"، الذي يميّز في كتابه الثامن من *de architectura* بين أنواع عديدة من المياه، حيث يدرج قائمة للمياه المعدنية الساخنة منها والباردة¹ كذلك يفرّق بين :

• المياه الكبريتية *sulphuratas*

• المياه القارية *bitumen*

• المياه الغنية بالألمنيوم *aluminosas*

• المياه الشبّية *ulumen*

• المياه المالحة *salsae*

من جهة أخرى يصنّف المياه بحسب حركيّتها وطعمها، وكذا غناها بالمعادن الصالحة للجسم كمسكن للآلام وعلاج للأبدان، وهي أنواع عدة منها :

• المياه الزاكدة *stantaquae*

¹ VITRUVÉ, De l'architecture, traduit par Maufras (Ch..L), C.L.F, Panckoucke, 1847, VIII, 4.1-2.

- المياه الجارية *eunt*
- المياه المالحة *salsae*
- المياه المرّة *amarae*
- المياه العلاجية *medicatae*

كما يذكر مؤرخو العصر الإمبراطوري تصنيفات مختلفة للمياه، على غرار ما ذكره "بلين الأكبر" Pline l'Ancien و"قاليانوس" Gallienus، وخلال القرن الرابع الطبيب اليوناني "أوريباز" Oribase

وبمعرفة هذه الأنواع يكون الاختيار سليماً لتزويد المدن بها، ليس هذا فحسب، بل وتتم تنقيتها على مراحل عدّة في القنوات الناقلة وفي خزانات التجميع والتوزيع.

وكتلخيص لما ذكر في المصادر القديمة، ومن خلال دراسة لـ "ماري قيران بوفوا" Beauvoix، يحدّد الجدول التالي أنواع المياه التي تطرقت إليها تلك المصادر في كل جزء أو محور أو فصل¹.

نوعية المياه	فيتروفيوس (<i>De architectura</i>)	سيناك (<i>Quaesturnes naturalis</i>)	بلين الأكبر (<i>Histoire naturel</i>)	قاليانوس	أوريباز	إيزيدور السيفيلي
مياه حامضية	VIII. 3.17	////	XXXI.4,9	////	X I,3	XIII, 13
مياه مشبعة بالألومنيوم	VIII. 3.4	III .2.1	XXXI.2,5	VI 423 K XI 388 K	X I,3	XIII, 13
مياه قارّية	VIII. 3.8	III .20.2	XXXI.8,12	VI 423 K XI 388 K XI 493 K	X I,3	XIII, 13
مياه غنية بالحديد	////	III .2.1	XXXI.2,5	////	X I,3	////
مياه غنيّة بالنيترات	VIII. 3.5	III .20.2	XXXI.2,5	XI 388 K XI 393 K XV 155 K	X I,3	XIII, 13
المياه المالحة	VIII. 3.7	III .2.1	XXXI.2,5	XI 393 K	X I,3	XIII, 13

¹ BEAUVOIS (M. G.), *Les aquae*, sujet médico-religieux ou thème littéraire « essai d'interprétation », dans *bains curatifs et bains hygiéniques en Italie de l'antiquité au moyen âge*, E.F.R, 383,2007, p100.

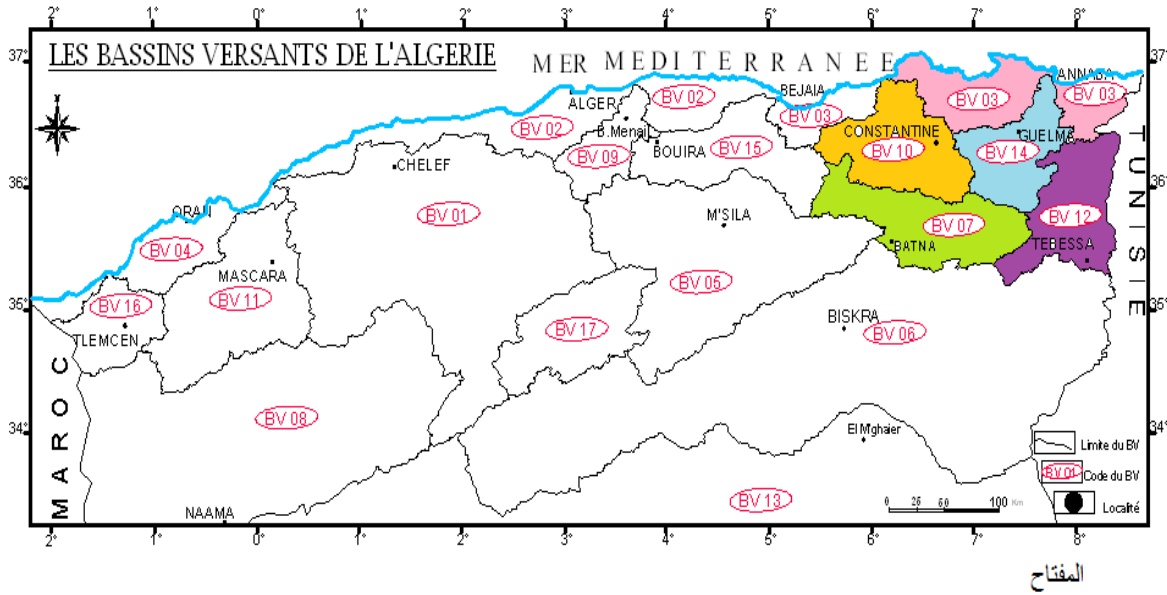
XIII, 13	X I,3	VI 423 K XI 388 K XI 493 K	XXXI.2,5	III .2.1 III .20.2s	VIII. 3.4	المياه الكبريتية
////	X I,3	////	XXXI.2,5	////	////	مياه مختلطة

من خلال هذه المعطيات التاريخية حول نوعية المياه، وجب البحث في الهيدروغرافية الحالية عن أوجه تشابه خاصة في الجغرافية المحددة للدراسة، وإسقاط واقع الحال على مختلف المنشآت التي رصدت كمؤن حقيقي للحمامات. وإن صحَّ الحديث عن العمومية، فالخاصة لها نفس الأحقية من نفس المياه، على الأقلّ المجلوبة بواسطة القنوات، على الرغم من احتواء بعض المنازل آبارا محفورة داخلها على غرار منازل ثاموقادي، لكن هل هي كافية لتلبية الحاجة أو تبقى خزان يلجأ إليه في حالة تعطل إحدى القنوات أو شح في التزود بالمياه، وبالتالي نقص في توزيعها بانتظام؟.

2- 2 المؤهلات الهيدروغرافية للشرق الجزائري

من خلال الدراسات الحديثة للشبكة المائية في الجزائر بصفة عامة وشرقها على وجه الخصوص، تمّ إحصاء خمسة أحواض رئيسية من مجموع 17 حوضا، موزعة على كامل الشمال الجزائري انطلاقا من شمال الصحراء إلى حوض المتوسط، تحتوي هذه الأحواض مجموعة معتبرة من الوديان دائمة الجريان، وهذه الإحصائيات أجرتها الوكالة الوطنية للموارد المائية ANRH (إحصاء 2005)، الأحواض الخمس سالفة الذكر هي :

- حوض الشريط الساحلي (يضم ولايات الطارف، عنابة، سكيكدة، جيجل) BV03
- حوض الهضاب العليا (يضم ولايات خنشلة، باتنة، وشرق سطيف) BV07
- حوض الرمال (يضم ولايتي قسنطينة وميلة) BV10
- حوض المجردة (يضم ولايتي سوق أهراس وتبسة) BV12
- حوض السييوس (يضم ولايتي قالمة وأم البواقي) BV14



خريطة رقم 03: توزيع الأحواض المائية في الجزائر¹ (التركيز على الشرق الجزائري بتصرف الطالب)

1. **حوض المجردة:** تقدّر مساحته الإجمالية بـ 7942 كلم²، يتشكّل من عدة أودية أهمها:

- **وادي المجردة:** عرف في المصادر القديمة باسم وادي بقرادة، ينبع من أعالي سوق أهراس ويتّبع مجراه إلى الإقليم التّونسي، يبلغ طوله قرابة 460 كلم، ويصفه "الحسن الوزان" بأنه "....نهر كبير جدا ينبع من الجبال المتاخمة لإقليم الزّاب الشرقي قرب مدينة تبسة متجها نحو الشّمال.... ويفيض كثيرا أيام الشتاء"²؛ كما أنّ مستواه يرتفع ليفيض على جانبيه مشكّلا أرضا خصبة للزّراعة.

- **وادي ملاقو:** ينبع من أعالي الشّمال التّبسي في منطقة العوينات، ويشق طريقه إلى الأراضي التّونسية، على ضفّته الشرّقية تنبع مياه حمّام ملاق المعدني الموجود بمدينة الكاف التّونسية، استغلت مياهه الحارة لتزويد الحمّامات الرّومانية بذات المدينة خلال القرن الثّاني ميلادي.

- **وادي مسكيانة:** ينبع من راس الزّبار على بعد 20 كلم شرق خنشلة³، يبلغ طوله حوالي 50 كلم.

¹ ABDEDDAIM (H.), Contribution à l'étude de l'influence de la structure du réseau hydrographique sur le risque hydrologique « cas des bassins de l'est de l'Algérie », thèse doctorat En Sciences Hydrauliques, université Mohamed Khider – Biskra, 2017-2018. p69, fig.30.

² الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 1983 ص 253. وهناك إشارة من المترجم أنّ واد ملاك هو الذي ينبع من تبسة ليصب بعد ذلك في المجردة .

³ Doc. SERIZIAT, Op.Cit, p 55.

- **وادي شابرو:** ينبع من سهول بحيرة الأرنب (العقلة - غرب تبسة)، وعند التقائه مع وادي مسكيانة يشكلان وادي ملاقو.

2. **حوض الشريط الساحلي الشرقي أو الشمال القسنطيني،** يحتل مساحة تقدر بـ 11509 كلم²، ويضم عدة أودية دائمة الجريان منها:

- **وادي بوناموسة:** يبلغ طوله 100 كلم، يتشكل من التقاء وادي الكبير بوادي بوحجار ليصب في البحر المتوسط، يقدر متوسط صيبه السنوي 149 مليون م³.

- **وادي مفرغ:** يعتبر المنفذ الرئيسي لأودية عنابة والطارف نحو البحر المتوسط.

- **وادي الكبير الشرقي:** يتكوّن في سهل مكسنة بالقالة ليصب في البحر المتوسط رفقة وادي بوناموسة ووادي بوعلالة بعد إلتقائهم في مصب مشترك وهو وادي مفرغ¹، أهم روافده وادي بلوطة ووادي قرقور، يقدر طوله بـ 60 كلم.

- **وادي قبلي:** يأخذ مجراه عند سفح جبال إدريس وعياطة ليصب في حوض سيدي مزغيش وسهل القل ومن ثمّ يستقر في البحر المتوسط .

- **وادي جنجن:** طوله 29.2 كلم، يصب في البحر المتوسط، أهم روافده وادي عقوق، وادي ريحا ووادي زطوط بجيجل .

3. **حوض السّيبوس:** يغطي مساحة قدرها 6471 كلم²، ويضم 42 وادي يفوق طوله 10 كلم، وأهم هذه الأودية² :

- **الوادي الشّارف:** يتشكل من مجموعة هامة من الأودية على غرار وادي النيل ووادي العار (عين سلطان)، وادي همان (قصر الصبيحي) ، وادي الملاح (تاملوكة)، وادي الكرب (سدراة)، وادي شنيور (عين العربي)...الخ، وهو بذلك يعتبر من الأودية دائمة الجريان، يقدر طوله بـ 88.61 كلم.

- **وادي بوحمدان:** يتشكل من رافدين هما وادي الزّناتي ووادي برج صباط، وهما بدورهما ينبعان من جبل مسطاس، يقدر طوله من المنبع بـ 99 كلم وبمعدل انحدار³ 0.8%،

¹ BENCHALEL(W.), SAMRAOUI (B.), Caractérisation écologique et biologique de l'odonatofaune de deux cours d'eau méditerranéens : l'oued El-Kébir et l'oued Bouaroug (Nord-Est de l'Algérie), in Méditerranée . n°118, 2012, p 20.

² Agence de bassin hydrographie (constantinois-seybousse-mellegue) , les cahiers de l'agence n° 1,1999, p 9.

³ LOUAMRI (A.), MEBARKI, (A.), et LAIGNEL, (B.), Variabilité interannuelle et intra-annuelle des transports solides de l'Oued Bouhamdane, à l'amont du barrage Hammam Debagh (Algérie orientale).in H.S.J, 58 (7), 2013, p1560.

• **وادي سيبيوس:** يتشكّل عند التقاء الوادين السّابقين في مدينة مجاز عمار غرب مدينة قالمة، يبلغ طوله 134.74 كلم، في حين يبلغ متوسط صبيبه السنوي 440 مليون م³، عرف قديما باسم روبريكاتوس *rubricatus* أو أوبوس فلومان *ubus flumen*، وسماه الحسن الوزّان بـ يدوغ¹، تصبّ فيه عدّة روافد منها وادي المعيز، وادي بوسرة، وادي زينبة، ... الخ.

4. **حوض الرّمال:** تقدّر مساحته الإجمالية بـ 8811 كلم²، تمتد حدوده إلى سهول فج مزالا، عين مليلة والخروب من الجنوب، ومن الشّمال السّلسلة الجبلية لكل من سكيكدة وجيجل، يضم عدة أودية منها:

• **وادي الرّمال:** ينبع من المرتفعات الجنوبية لقسنطينة، دائم الجريان ذو صبيب معتبر بسبب تعدّد روافده، أهمّها وادي سقان الذي يأخذ مجراه من مرتفعات التّلاغمة وجبل الفلتان، إلى جانب وادي العثمانية وادي بومهراس وادي تاجنانت .. الخ

• **وادي الكبير الغربي:** يبلغ طوله 43 كلم، ومعدل صبيبه السنوي 282 مليون م³، ينبع من مرتفعات بوتليس جنوب شرق سكيكدة، وتصبّ فيه مجموعة من الأودية الثّانوية على غرار وادي موجار، مشكال، فندق، العنب ووادي النقوش² ... الخ، ويذكر الحسن الوزّان أنّه ينبع من جبال متاخمة لإقليم الرّاب ويصبّ على بعد ثلاثة أميال من بجاية ولا يفيض إلا أيام الشتاء³

• **وادي بومرزوق:** يبلغ طوله 31.5 كلم، ينبع من ينابيع الفورشي بعين مليلة، أهم روافده تأتي من جهته الشرقية⁴، وتتملّ أساسا في أودية صغيرة وشعاب عديدة، تنتعش في فصل الشتاء منها وادي الباردة، وادي الكلاب (وادي سيقوس) ووادي الفسقية.

• **وادي النجا:** يتشكّل نتيجة التقاء وادي الدهامشة مع وادي المانع في الجهة الغربية لولاية ميلة ليلتقي بعد ذلك مع وادي الرّمال في منطقة سيدي مروان على ارتفاع 125م.

• **وادي السمندو:** يأخذ مجراه من مرتفعات جبل الوحش على ارتفاع 1145م، يستقبل مجموعة هامة من الرّوافد تعطيه ديمومة الجريان، منها وادي بوحيان، وادي الحجر، وادي بوكارة ووادي سبيكرة⁵ ... الخ

¹ الحسن الوزّان، المرجع السّابق، ص 252.

² BENRABAH (S.) et al., *Caractérisation de la qualité des eaux de l' oued Kebir Ouest (Nord Est algérien)* , Rev. Sci. Technol., Synthèse 26, université Badji Mokhtar Annaba, 2013, p 32.

³ الحسن الوزّان، المرجع السّابق، ص 252.

⁴ نيني فارس، التهيئة الهيدرولوجية وآفاق التنمية الهيدرولوجية - حالة ولاية قسنطينة، مذكرة ماجستير في تهيئة الأوساط الطبيعية والفيزيائية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص 15.

⁵ المرجع نفسه، ص 16.

5. حوض الهضاب العليا: يترع على مساحة قدرها 9615 كلم²، حدوده تمتد إلى عين مليلة شمالا، وباتنة جنوبا و السهول السطايفية من الغرب وخنشلة من الشرق ، يضم عدة أودية أهمها:

• وادي الشمرّة: يأخذ مجراه من وادي الطاقة بالإضافة إلى مياه الينابيع التي تصل طاقتها إلى 18000 ل/د.

• وادي بولفرايس: ينبع من جبل الشيلية ويخترق جبل السالف بولعراوة .

• وادي الابيض: "إغزر أملال" ينبع من سفح جبل الشيلية، ويخترق جبلي أحمر خدو والجبل الأزرق، يتبع مساره إلى الجنوب وصولا إلى مشونش ويصب حاليا في سد فم الخرزة(بسكرة)، أهم روافده وادي باشا و وادي التجرين...

• وادي الطاقة: ينبع بين جبلي ماجبة وتاماقلت، يتجه نحو الشرق ليتصل بوادي الرباع.

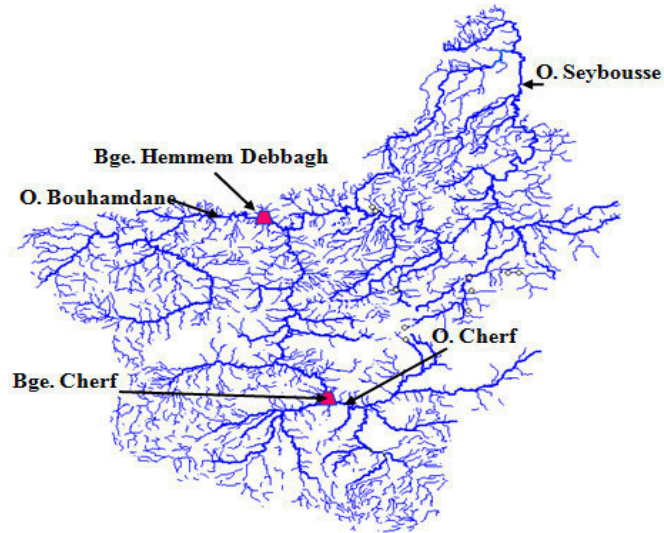
• وادي عبيدي: ينبع من عين قرزة بثنية العابد، ليصب في الوادي الأحمر شمال بسكرة، ثم يتجه جنوبا، يبلغ طوله 40 كلم .

وتتبعي الإشارة إلى أنّ ما ذكر من الأودية إلى القليل، فكثيرا منها لم يذكر، ورغم صغر بعضها إلا أنها تعتبر روافد هامة تشكّل المنظومة الهيدروليكية للشرق الجزائري، تترسب على ضفاف مجراها تربة خصبة صالحة للاستقرار منذ القدم، فاستغلالها ضارب جذوره في تاريخ المنطقة، فحين تتبع خرائط المدن القديمة نجد أنّ عددا معتبرا منها، اتخذ من جوارها مجالا للاستيطان، ما يعزّز هذا الأخير هو المسطحات المائية العذبة والينابيع الجارية ومنابع المياه الساخنة ذات الطبيعة العلاجية، فإلى جانب هذه الأودية وروافدها، تعرف منطقة الشرق الجزائري بوجود عدد لا بأس به من المستقعات والبحيرات العذبة، خاصة في الشمال الشرقي مثل بحيرة فتزارة بمساحة تقارب 18500 هكتار، وبحيرة طونقا 2600 هكتار، وبحيرة أوبيرا 2200 هكتار وبحيرة الملاح 860 هكتار و بحيرة الطيور 50 هكتار، وهو ما يوحى بمخزون هائل من المياه الجوفية، تتفجر منه عيون جارية ومنابع عرفت قديما وحديثا .

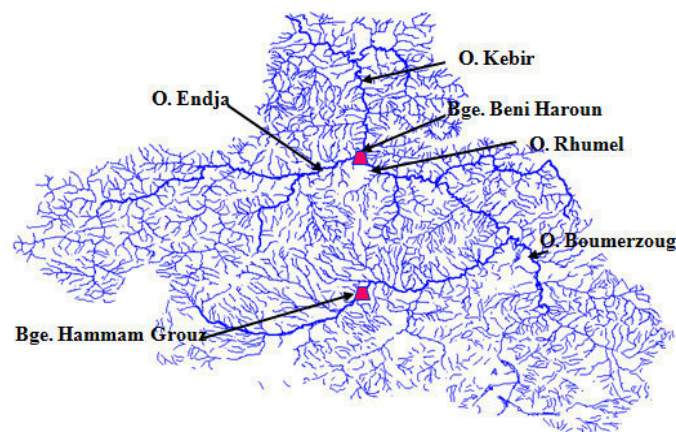
بالإضافة إلى ينابيع ذات تدفق عال يصل إلى 2000 ل/د بمنبع عين البلاد بمنطقة تبسة، وبذات المدينة منبع عين شلة بتدفق 60 ل/د....الخ، وبمنطقة ميلا منبع عين قمرة يصل معدل تدفقه إلى 2500 ل/د ومنبع البادسي 1080 ل/د ومنبع عين التين بمعدل 840 ل/د ومارشو أكثر من 600 ل/د...الخ، كل هذا على سبيل المثال، إذ لا يتسع المجال لذكرها جميعا.



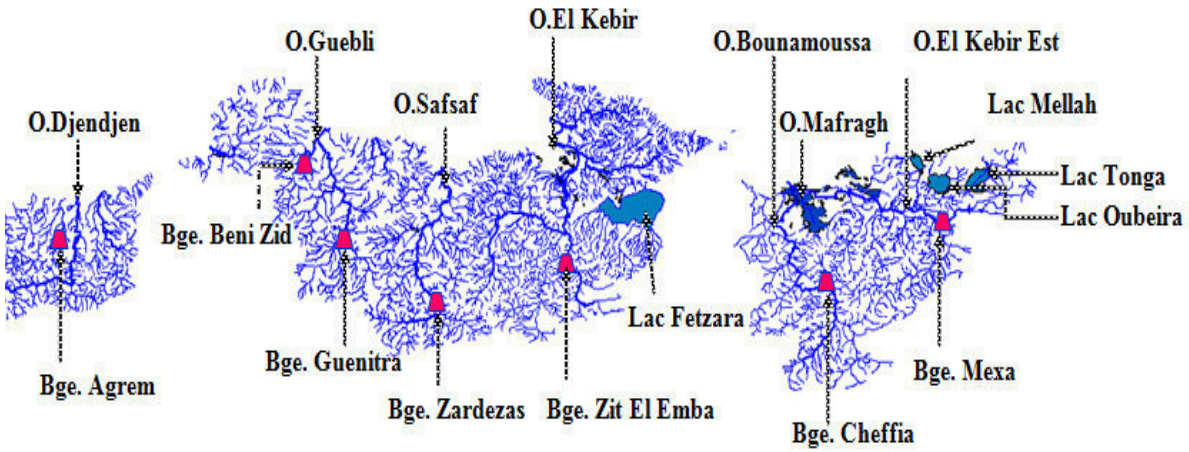
حوض
المجردة



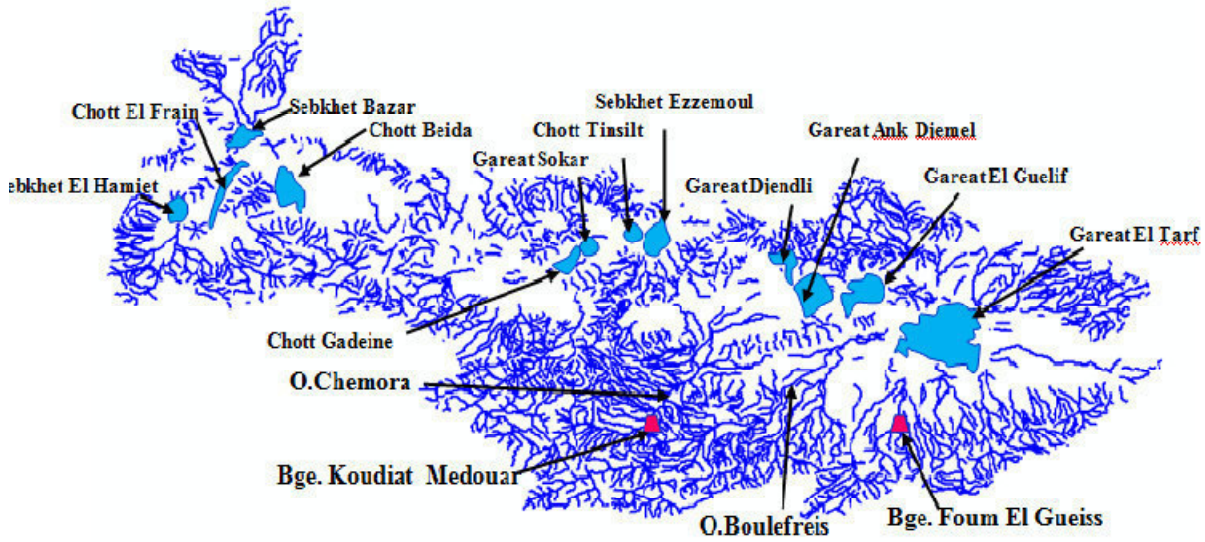
حوض
السيبوس



حوض الرمال



حوض الشريط الساحلي أو الشمال القسنطيني

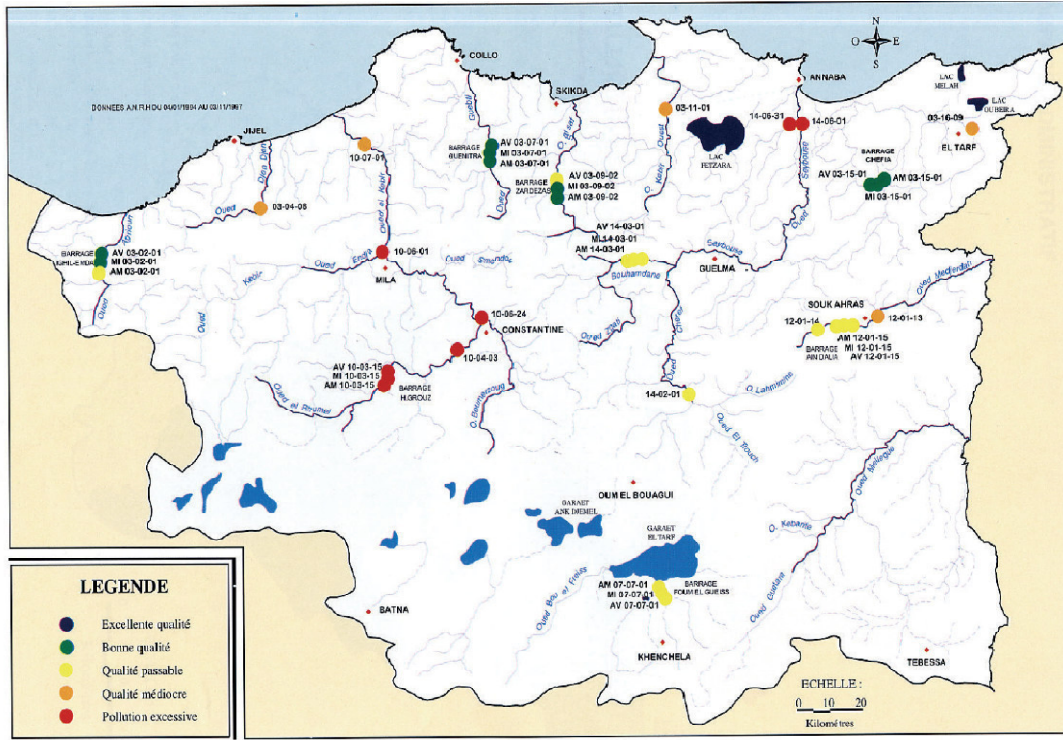


حوض الهضاب العليا

مخطط رقم 01: ملخص إجمالي للأحواض الخمس ومختلف مؤهلاتها الهيدروغرافية¹

من خلال هذا العرض حول أودية الشرق الجزائري ومدى استغلالها، يطرح السؤال حول نوعية مياهها وهل هي صالحة للاستغلال، ويرتبط به سؤال آخر حول امتدادها التاريخي، وأن جريانها استمر منذ الفترة الرومانية، وبخصوص السؤال الأول، تتدخل عدة معايير للحكم على صلاحية المياه من عدمه، أولها الكثافة السكانية والتطور التكنولوجي الذي أحدث تلوثا ملحوظا، إذ تصب في كثير منها المياه المستعملة المنبثقة من المنازل والمصانع على حد سواء، على الرغم من ذلك بقي البعض صالحا للاستغلال في الشرب أو سقي الأراضي الفلاحية.

¹ ABDEDDAIM (H.), Op Cit, p-p73,75-76,78,80.



خريطة رقم 04: خريطة توضح مدى جودة مياه أودية الشرق الجزائري¹

النقطة الثانية أنّ ما يمكن استخلاصه من خلال هذه الإشارة إلى المؤهلات التي يحتويها الشرق الجزائري من وفرة في المياه، دون شك ما هو موجود حاليا لا يختلف عما كان عليه في القرون الأولى للميلاد، بدليل أنّ أغلبية الأودية سالفة الذكر إمّا ذكرت في النصوص والخرائط القديمة أو على مشارفها منشآت مائية، خاصة أحواض التجميع أو السدود التي من خلالها يتمّ النقل والتوزيع إلى المدن، والجدول الآتي يبيّن أسماء بعض الأودية والمجمّعات المائية التي ذكرت في النصوص أو خرائط المدن .

الاسم القديم (اللاتيني)	الاسم الحالي أو الموقع	المصدر أو المرجع
<i>Ubus (Rubricatus)</i>	وادي سيبوس	Atlas barrington, map 31
<i>Ampsaga</i>	الوادي الكبير	AAA, F 8, n°5; Enc. Berb. 4 Atlas barrington, map31 Géographie ancienne des états barbaresques, pp277,366
<i>Thapsus</i>	وادي صفصاف	Atlas barrington, map31 AAA, F 8, n°196 GSELL(S.). musées de l'Algérie et de

¹ Agence de bassin hydrographique (Constantinois-Seybousse-Mellegue) , les cahiers de l'agence N° 1,1999, p32.

la Tunisie..., p 44 JUDAS ¹ .pp 190 ,192		
Atlas barrington, map32	وادي المجردة	<i>Bagrada</i>
Géographie ancienne des états barbaresques, p693	وادي باغاي	<i>Abigas</i>
	بحيرة جندلي(جنوب عين مليلة وشمال عين ياقوت)	<i>Regius Lacus</i>
	غرب ميله	<i>Saga</i>
Atlas barrington, map34 AAA, F25, n° 70 LANCEL (S.) ² , 1377	وادي القصب	<i>Piscence(piscium)</i>
Atlas barrington, map34 Géographie ancienne des états barbaresques, Ps.392,686,672,	عين شبرو	<i>Ardalius</i>
AAA, F8, n°1 Atlas barrington, map31	وادي النيل	<i>Assarath</i>
AAA, F7, n°79 Atlas barrington, map31	وادي جنجن	<i>Goulos?</i>
Atlas barrington, map31 AAA, F48, n°29	وادي جدي	<i>Nigris</i>

كما تشير الدلائل الأثرية المكتشفة، وفي مقدمتها قنوات نقل المياه وبقايا سدود التجميع، إلى الاستمرارية في استغلال مختلف الأودية والمنابع المائية إلى غاية اليوم، وهذا دليل ثابت على أن هذه المصادر دائمة الجريان، الأمر الذي أدى إلى استغلالها استغلالاً حقيقياً من طرف شعوب الجزائر القديمة في الفترة الرومانية، والأمثلة عديدة، فـ"قزال" على سبيل المثال عند حديثة عن قناة نقل المياه إلى مدينة كويكول من المنبع المحاذي لوادي قرقور، يشير إلى أن سكان المنطقة لا يزالون يستغلون ماء الوادي³، كما يشير إلى بقايا سد تجميع المياه بالقرب من منبع لا يحدده بوجه الخصوص، فقط يذكر « منبع عين العنصر»، وللاشارة فالجبال القريبة من مدينة كويكول تحوز على عدد معتبر من

¹ JUDAS (A.), Sur l'identité des mots Thapsus et Saf Saf .in mémoire de la société des antiquaires de France, 1859, pp190-192.

² LANCEL (S.), Actes de la conférence de Carthage en411, vol. 4, Sources chrétiennes 373, Paris, p1377.

³ GSELL (S.), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, imprimerie national Ernest Leroux , Paris, 1902, p 41.

الينابيع الصّالحة للشرب منها : بني مروان، عين الكرمة، عين البورة، عين الشعب الواعرة، عين بوتلجة، عين سي شريف وعيون الحقاري¹.

كذلك الأمر في مختلف التّجمعات القديمة، حيث لعبت الوديان مصدرا هاما ليس فقط لحياة التّمدن ومتطلباتها اليومية ولكن في الزّراعة ومستلزماتها، وهذه الوديان دون شك أساس الاستقرار البشري والتّعمير في مناطق محدّدة، درست بيئتها ومقوماتها لتكون محلّ توطّن الشّعوب، وإلى اليوم لا يزال الاستقرار حولها ثابت، فقط الّذي تغيّر هو نمط العيش وطرق استغلال هذه المصادر المائية.

أمّا عن المغياثية فلا يوجد اختلاف كبير بين الشّرق الجزائري الحالي ونفس المنطقة قبل أكثر من 20 قرن، وهو ما نستنتجه من مختلف المصادر الكلاسيكية الّتي تطرقت إلى مناخ المنطقة، ووصفه بالماطر، أو عند حديثها عن ثرواتها الطّبيعية وما تنتجه الأرض من حبوب وثمار الزيتون، وأنّها كانت تشبع بطون الرّومان كل موسم، هذا ما بينته النقوش اللاتينية سواء تلك الّتي تشير إلى المبادلات التّجارية، أو الّتي تذكر تجميع المحاصيل لإرسالها إلى روما عبر موانئ هيبوريجيوس و تابرقا وحتى قرطاج.

وكعينة من مجال الدّراسة، تبلغ نسبة التّساقط في مدينة كرتا «قسنطينة» 800مم³ سنويا، وهو معدل يسمح بالاستقرار والديمومة من خلال توفّر عنصر الماء، كما تساعد على الزّراعة والاستثمار في أراضيها²، ونفس الإسقاط على باقي التّجمعات السّكانية الّتي بنيت على مقربة من الأودية أو المنابع المائية، الّتي تسمح بالاستغلال الحقيقي لكل تلك المؤهلات الضّرورية في الحياة اليومية .

3- الطّرق الرّومانية المحاذية لمختلف التّجمعات السّكانية موضوع الدّراسة

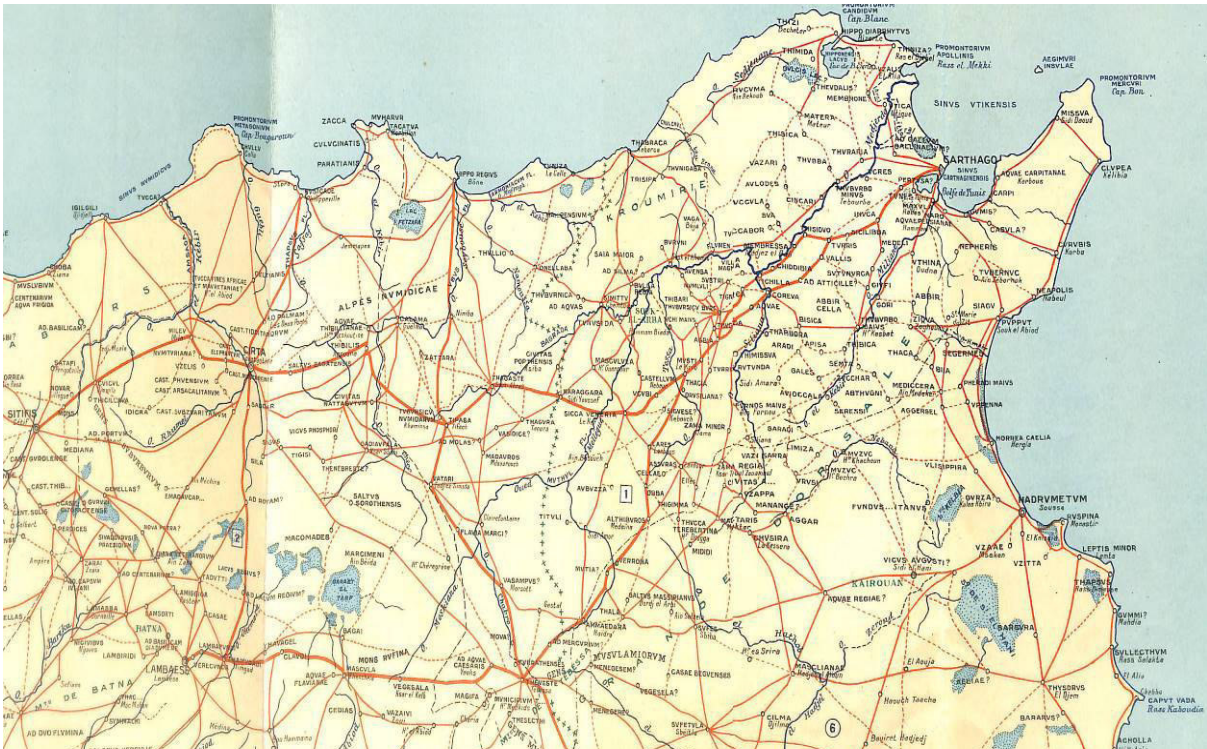
قبل التّطرق إلى هذا الجزء، ينبغي توضيح أمر مرتبط بالغرض الّذي أدرج فيه هذا العنصر بالموضوع وعلاقته به، ببساطة إنّ ما جعلنا نتوقّف عند الطّرق الرّومانية ليس بغرض التّوسع أو البحث في خصوصيات بعضها، ولا محاولة منا إعادة رسم خارطة جديدة للطّرق وفق الأبحاث الحديثة، وإنما قصد التّعرّف على شبكة المواصلات بين المدن والتّجمعات السّكانية الّتي احتوت

¹ حاج كهيّنة، طرق تموين مدينة كويكول " جميلة " بالمياه في العصر الرّوماني، مذكرة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2، 2010، ص12.

² شنيّتي محمد البشير ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 41.

حَمَامَات ضمن محيطها العمراني، وتستوقفنا نقطة ثانية وهي التعرف على مكانة كل تجمّع عمراني وفق نسيج الطّرق خاصّة الرّئيسية، هذه المكانة تعود بالآثر على مكانة الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ...، أيضا التأثير والتأثر بين المدن في مجال العمارة وثقافة إنشاء المرافق المختلفة .

واتضحت الطّرق التي كانت تربط بين المدن، من خلال البقايا الأثرية خاصّة الأنصاب الميلىة، وشكّلت أبحاث "سلاما" P.Salama نقطة الانطلاق الرّئيسية لكل باحث في مجال الطّرق الرّومانية، لكن ما يظهر من آثار بين الفينة والأخرى يجعل البحث شيق مع كل جديد.



خريطة رقم 05 شبكة الطّرق بين المدن والتّجمّعات السّكانية الرّومانية من قرطاج شرقا

إلى سيتيفيس غربا¹

وتبقى التّجمّعات السّكانية الموجودة في المناطق الجبلية مربوطة بشبكة ثانوية، حيث من الصّعب شقّ طرق كما هو الحال في المناطق السّهلية، خاصّة لعربات نقل البضائع، مما أدى إلى التّثقل على الخيول، وهذا ما نلاحظه على امتداد السّلاسل الجبلية، التي تفصل السّاحل عن المناطق الدّاخلية، فالحركة على مسار أفقي متاحة بشكل كبير عبر الطّرق الاستراتيجية، في حين الطّرق

¹ Carte de réseau routier de l'Afrique Romaine, 1/1500000, établie par P. SALAMA, 1947, service cartographique, gouvernement général de l'Algérie, 1949.

شمال/جنوب محدودة وكثيرا ما تقتصر على الطّرق الثّانوية، لكن هذا لم يمنع من عبور المرتفعات الجبلية الوعرة مثل تلك الّتي تخترق جبال الأوراس والناماشة، أو الّتي تربط بين كيرتا وكالما وهيوريغيوس عبر جبال الألب النوميديّة¹.

وتعتبر العائلة الفلافية ممثلة في فيسبسيانوس (69-79) و تيتوس (81-79) ودوميسيانون (96-81) قد أسهمت بشكل كبير في خلق شبكة واسعة من الطّرق، أهمها ذلك الرّابط بين تيفاست (مقر الفيلق الثّالث الأوغسطي 75م) وقرطاج، على طول مسافة تقارب 282 كلم، وذكرت عدّة محطات على امتداده في مسار أنطونين ولوحة بوتنجير ووصف الكون لمجهول رافان، وينبغي الإشارة إلى أنّ أول نصب ميلي لهذا الطّريق الّذي أنجز من طرف الفيلق الثّالث الأوغسطي تحت قيادة ميتيليوس سكوندوس . *P. metilius secundus*. يؤرخ بـ123 ميلادي².

هذا الطّريق وإن كان عسكري بدرجة أساسية، فقد ساهم بشكل كبير عبر مراكز المراقبة المنتشرة حوله في تنشيط الحركة الاقتصادية، وسرعان ما توسّعت الطّرق من تيفاست نحو هيوريغيوس وإلى شمال الأوراس عبر آكواي كاييزيس، و فازايفي و آكواي فلافياناي ولامبافوندي، وقد ولدت هذه الشّبكة توسيع الهيمنة الرّومانية، حيث شيدت مستعمرة سيتيفيس وكذا مدينة كويكول في عهد نيرفا (98-96) ، وبنيت مدينة ثاموقادي سنة 100م في فترة حكم ترايانوس (117-98) لإيواء قدماء المحاربين الرّومان نتيجة تواجد الفيلق في لامبايزيس، هذه الأخيرة ربطت مع مدن وتجمّعات جنوب الأوراس بطريق استراتيجي يقود إلى ثابوديوس عبر آد مايراس كما يربط هذا الأخير بتوزوروس³. بشكل أو بآخر هذه الطّرق كانت حتمية عسكرية فرضها تنقّل الجنود الرّومان من مدينة إلى أخرى، ومن برج مراقبة إلى آخر.

وتترجم الأنصاب الميالية الكم الهائل من شبكة الطّرق، حيث أحصيت في الشّمال الإفريقي القديم ما يقارب 2300 نصب من مجموع 4000 منتشرا في المقاطعات الّتي أحلتها الرّومان عبر

¹ SALAMA (P.), Les voies romaines de l'Afrique du nord, Imp. Officielle du gouvernement général d'Alger, 1951, p33.

² DESANGES (J.), DUVAL (N.), et al., Carte des routes et des cités de l'Africa à la fin de l'antiquité d'après le tracé de Pierre SALAMA, brepols publishers, turnhour, Belgique, 2010, p46.

³ SALAMA (P.), les voies romaines, Op.Cit, pp 25-26.

قرون من الزمن، هذه الشبكة ساهمت بشكل كبير في الحركية الاقتصادية وفرض سياسة الاستيطان التوسعية إلى مناطق الوفرة والمقومات الفلاحية¹.

وتشير الدراسة الإحصائية التي قام بها "سلاما" إلى مجموعة كبيرة من الأنصاب الميئية، خاصة في مقاطعة البروقنصلية، على غرار الطرق الرابطة بين قرطاج وتيفاست كأهم طريق رئيسي، ومن تيفاست نحو هيبوريغيوس وكيرتا وثاموقادي إلى جانب بعض الطرق في نفس المقاطعة وأغلبها يورخ ما بين 20 نوفمبر 284 و 17 جانفي 395، البعض من هذه الأنصاب مبين في الجدول التالي²:

الرقم	الطريق	المسافة المقطوعة من نقطة الانطلاق	المرجع
01	قرطاج - تيفاست	38/37 ميل	CIL,VIII. 21995
02		100/96 ميل	CIL,VIII. 22102
03		183 ميل	RSAC.1926, p248
04		186 ميل	CIL,VIII. 22170 ILAlg, I. 3938
05		71 ميل	CIL,VIII. 21999
06		75 ميل	CIL,VIII. 22068
07		96 ميل	CIL,VIII. 22099
08		47 ميل	CIL,VIII.10058
09		43 أو 44 ميل	CIL,VIII. 22012
10		183 ميل	RSAC,1926, p250
11		184 ميل	ILAlg, I. 3934 CIL,VIII. 22159
12		186 ميل	ILAlg, I.3939 CIL,VIII. 22163
13		52 ميل	BCTH,1900, p104
14		92 ميل	CIL,VIII. 22094

¹ معلم محمد فوزي، المنشآت والمعالم الأثرية الريفية لسلسلة جبال ماونة وضواحيها- جنوب قالمة ، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2 ، 2015، ص 138.

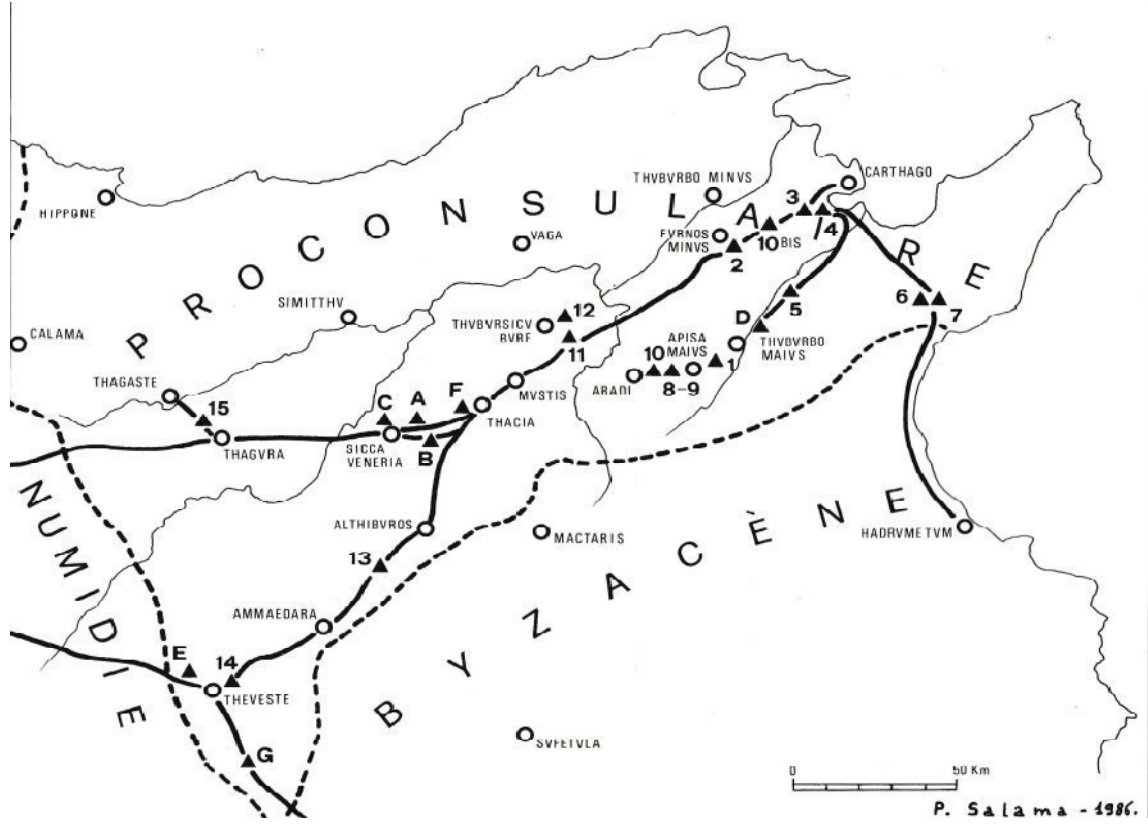
² SALAMA (P.), Bornes milliaires d'Afrique proconsulaire (un panorama historique du bas empire romain), E.F.R-101, 1987, pp185-211.

ILAlg, I. 3910 CIL,VIII. 10059/10060	47 ميل	قرطاج - تيفاست	15
CIL,VIII. 22035	71 ميل		16
CIL,VIII. 22014-22015	44-43 ميل		17
BCTH, 1934-1935, p320	121 ميل		18
ILAlg, I. 3948	187 ميل		19
ILAlg, I. 3945 CIL,VIII. 22169/10957	182 ميل		20
ILAlg, I. 3949	187 ميل		21
CIL,VIII. 22038	73 ميل		22
ILAlg, I. 3949	187 ميل		23
Cahiers de Byrsa.1952, p69	36 ميل		24
ILAlg, I. 3935 CIL.VIII, 22161/10108	185 ميل		25
ILAlg, I. 3941 CIL.VIII, 22161/10110	196 ميل		26
BCTH, 1908-1931.p243	53 ميل		27
CIL.VIII, 22124	118 ميل		28
BCTH, 1932-1933, p405	3 ميل		29
CIL.VIII, 22000*	72 ميل		30
BCTH, 1908, P 261	50 ميل		31
CIL.VIII, 22086 BCTH,1928-1929,p 687	89 ميل		32
CIL.VIII, 22076	85 أو 86 ميل		33
BCTH, 1928-1929,p 388	95 ميل		34
ILAlg, I. 3894 /3895 CIL,VIII. 22249/22256	؟	35	
CIL,VIII. 22257/22258 ILAlg, I. 3896	؟	36	

*ورد رقم النقيشة 2201 عند Pierre SALAMA بالخطأ في الصفحة 208، من مؤلفه bornes milliaires d'Afrique proconsulaire ، فالرقم 2201 في مجمع النقشيات اللاتينية CIL، هي نقيشة جنائزية .

BCTH, 1923, p207 1924, p142	98 میل		37
ILAlg, I. 3897	؟	ہیپوریجیوس - تیفاست	38
ILAlg, I. 3896 CIL.VIII. 22259	؟		39
ILAlg, I. 3884 CIL.VIII, 22206	؟		40
ILAlg, I. 3888	؟		41
ILAlg, I. 3972/3973	22 میل		تیفاست -تیلاہت
ILAlg, I. 3967	22 میل	43	
ILAlg, I. 3971	21 میل	44	
ILAlg, I. 3956	11 میل	45	
ILAlg, I. 3962	15 میل	46	
ILAlg, I. 3959	13 میل	47	
ILAlg, I. 3976	22 میل	48	
ILAlg, I. 3965 CIL.VIII, 22289/10172	18 میل	49	
ILAlg, I. 3954/3960/3977/3981	9 / 13 / 22 / 27 میل	50	
Bull. mensuel, con., 1930, p34,51-52	3 میل	تیفاست - سوفیتولا	
ILAlg, I.3923	22 میل	تیفاست -ماسکولا- ٹاموقادی	52
BCTH,1930-1931, p306- 309	4 میل	تیفاست -کیرتا	53
ILAlg, I. 3910 CIL,VIII. 22286/10070	7 میل		54
ILAlg, I. 3912 R.Afr, 1931, p288	8 میل		55
ILAlg, I. 3908	2 میل		56
ILAlg, I. 3909 CIL.VIII, 22285/10166	5 میل		57
ILAlg, I. 3911 CIL.VIII, 22287/10170	7 میل		58

ILAlg, I. 3916 CIL.VIII, 22289/10172	9 ميل		59
BCTH, 1930-1931.pp306-309	4 ميل		60
ILAlg, I. 3909 CIL.VIII, 22285	4 ميل		61
ILAlg, I. 3915	9 ميل		62
ILAlg, I. 3921	19 ميل		63
ILAlg, I. 3922	21 ميل		64
ILAlg, I. 3920	17 ميل	تيفاست - ثاموقادي	65
Inédit	90 ميل		66
ILAlg, I. 3918 CIL, VIII. 22291	16 ميل		67
ILAlg, I. 3920	17 ميل		68
CIL.VIII. 22221 ILAlg, I. 3878	؟	كالما - روسيكاد	69
ILAlg, I. 3903	؟	تاغاست - تيبازا	70
ILAlg, I. 3905 CIL.VIII. 22264	؟	تاقورا - قاديوفالا	71
CIL.VIII. 22183	الأميال الأولى	سيكا - تاقورا	72
BCTH, 1917, p259	؟		73



خريطة رقم 06: توزيع بعض الأنصاب الميلية الرومانية في مقاطعة البروقنصلية¹

بالموازاة مع الطريق الرابط بين قرطاج وتيفاست، يشكّل الطريق الذي يربط سيتيفيس بقرطاج مروراً بكيرتا شريان المواصلات بين هذه المدن الهامة. وعلى مسافة تقارب 460 كلم، انتشرت المدن والتجمعات السكانية على اختلاف مراتبها الإدارية، من مستعمرة وبلدية وكاستيلوم...، حيث نجد من الغرب إلى الشرق كل من سيتيفيس، مونس، كويكول، ميلاف، كيرتا، سالتوس باغاتنيسيس، تيبيلس، توبرسيكو نوميداروم، تيبازة، تاغاست ثم شبكة من المدن الرومانية (خارج إقليم الدراسة) سيكا فينييريا، موستي، بيسكيا، توبريو مايوس)، وصولاً إلى قرطاج، وتتفرّع عن هذا الطريق عدّة طرق ثانوية تختلف مكانتها بحسب المدينة.

¹ SALAMA (P.), Bornes milliaires d'AfriqueOp.Cit , 1^{ère} carte.

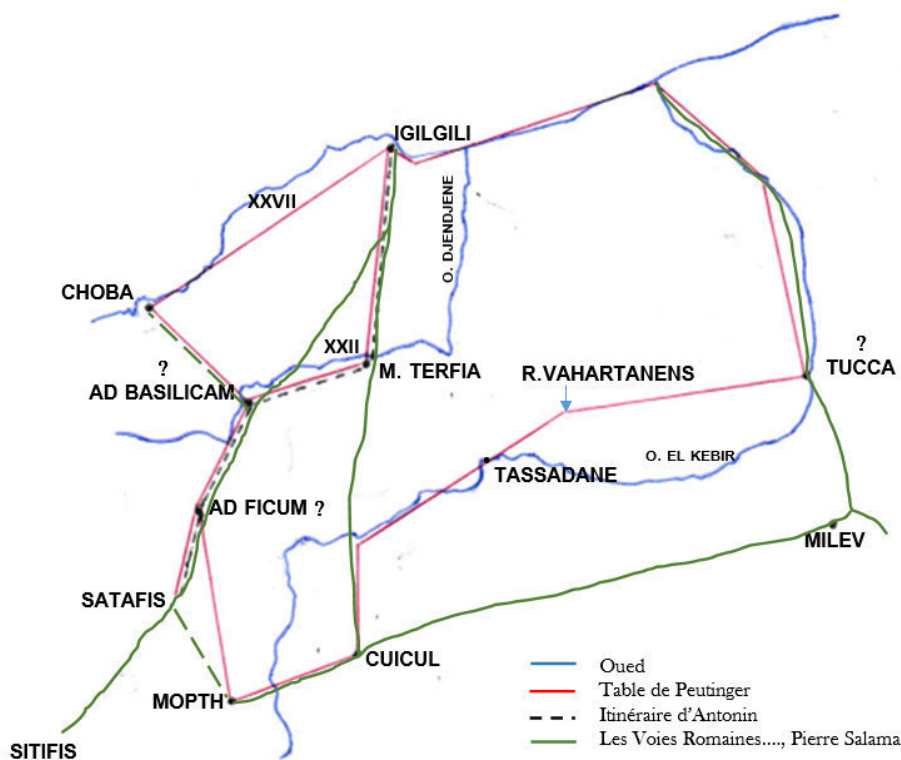
ومن الطّرق الرابطة بين مدن الشّمال والجنوب ورغم قلتها مقارنة بطرق الشّرق والغرب، نذكر ذلك الّذي يربط هيبوريغيوس بتيفاست مرورا بـ نينيبا و زاتارا وتوبورسيكو نوميداروم وفاتاري، ليكمل مساره إلى غاية كابسا وصولا إلى خليج قابس .

والطّريق الثّاني الّذي يربط روسيكاد وثاموقادي مرورا بكيرتا .

وللربط بين مدينتي سييتيفيس وايجلجلي ينبغي تتبع واحد من المسارين¹:

الأول ناحية الغرب من سييتيفيس إلى نوفار، ساتافيس، آد بازيليكام، ايجلجلي أو شوبا وصولا إلى ايجلجلي، والثّاني من الشّرق مشكّلا مسارا غير مستقيم، إذ يمرّ الطّريق عبر مونس و كويكول، ميلاف ، توكا وصولا إلى ايجلجلي.

ويربط الطريق بين مدن الكنفدرالية السيرية، الأول من كيرتا إلى روسيكاد موازاة مع وادي تابسوس ، والثّاني بين كيرتا وشولو عبر آد بالمام وسلتيانيس.



مخطط رقم 02: شبكة الطّرق الرّومانية بين سييتيفيس وكويكول وميلاف وايجلجلي² (بتصرّف الطّالب)

¹ MORIZOT (P.), « Une étape sur les voies romaines de la wilaya de Jijel, la *Respublica Vahartanensium*, », 110^e Congrès national des sociétés savantes, Montpellier, 1985, III^e Colloque sur l'histoire de l'archéologie de l'Afrique du Nord, p 330.

² Ibid, p328.

أمام هذا العدد الكبير من الطّرق الرّومانية منذ القرن الأول ميلادي إلى نهاية القرن الرّابع، أنشئت على امتدادها تجمّعات سكّانية، تشهد آثارها المادّية على مكانة كل طريق في الشّبكة العامّة للمنظومة الإستراتيجية للاستيطان، وتشكّل المنشآت المائية العنصر الأهم في تلك السّياسية، ونحصى في مدن الشّرق الجزائري آثار رومانية من حمّامات وقنوات نقل المياه، وناפורات وخزّانات وسدود، فمن خلال الأطلس الأثري "لقزال" وأبحاث "بيريبانت"¹ Birebent نذكر على سبيل المثال ما أشير إليه من حمّامات، منها ما هو موجود في المدن الكبيرة على طول الطّرق الرّئيسية، ومنها ما هو منتشر على امتداد الطّرق الثّانوية، ويزيد العدد بكثير عن ما سنعرضه في هذا الجدول.

الرقم	اسم الموقع ²	نوع الأثر	المرجع
01	أبتين	حمّامات	BIREBENT, aquae romanae.p35
02	إيزاوين	حمّامات	BIREBENT, aquae romanae. p293
03	بلعة	حمّامات	BIREBENT, aquae romanae. p455
04	بن نجا	حمّامات معدنية	BIREBENT, aquae romanae. p170
05	ببر النسا	حمّامات	BIREBENT, aquae romanae. p464
06	تاغاست (سوق اهراس)	حمّامات	AAA. f.18, n°270
07	تامقرة	حمّامات	BIREBENT, aquae romanae.p144
08	تهودة (ثابوديوس)	حمّامات	AAA. f.49, n°1
09	تيفاش (تيازة)	حمّامات	AAA. f.18, n°391
10	تيمقاد (ثاموقادي)	29 حمّام وقراية 50 بئر، وخزّانات وقنوات وناפורات (العدد أكبر من هذا)	AAA. f.27, n°255
11	تينيانوين	حمّامات	BIREBENT, aquae romanae. ... p384
12	الحامّة	حمّامات + فسيفساء	BIREBENT, aquae romanae. ... p169

¹ BIREBENT (J.), *aquae romanae*, recherches d'hydraulique romaine dans l'Est Algérien, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1961.

² تذكر المواقع إما باسمها القديم (الروماني)، وفي حالة أنه غير معروف يذكر الموقع باسمه الحالي.

AAA. f.18, n°270	حمّامات	حمّام النبائل	13
BIREBENT, <i>aquae romanae</i>p261	حمّامات	خلايفية	14
AAA. f.18, n°297	حمّامات	خميسة (توبورسيكو نوميدياروم)	15
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> ... p221	حمّامات + نقيشة لاتينية	الحمّامات الصيفية بخنشة	16
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p25	حمّامات + خزانات	رومي	17
AAA. f.17, n°126	حمّامات ، خزانات..	كيرتا (قسنطينة)	18
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p449	حمّامات	عزيز بن تليس	19
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p464 AAA, f16, n°323	حمّامات + فسيفساء	عين خلفون	20
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p19	حمّامات	فورييس	21
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p39	حمّامات + نافورة + فسيفساء	قريت	22
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p29	مسبح + فسيفساء + قناتين من عين نصراني وعين ملول	قوسات	23
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p355	حمّامات أو خزّان	(هنشير معفونة) لامسورتي	24
AAA. f.27, n°223-224	حمّامات - خزانات - قنوات ماء...الخ	تازولت (لامبايزيس)	25
AAA. f.18, n°432	حمّامات + خزانات + قنوات....	مداوروش (مادورو س)	26
AAA. f.18, n°24	حمّامات + فسيفساء	المويدية	27
AAA. f.17, n°59	حمّامات، قناة مياه تحت الأرض	ميلة (ميلاف)	28
BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p349	حوض	هنشير الخروب	29

30	هَنْشِير القصبانت	حَمَّامات -خزان	AAA. f.17, n°128
31	وادي العثمانية	حَمَّامات	AAA. f.17, n°262
32	الوسطية	حَمَّامات	BIREBENT, <i>aquae romanae</i> p291

ولعلّ هذه الشبّكة الهامة من الطّرق، أكسبت مجتمع المدن في الجزائر القديمة، ثقافة متبادلة من خلال احتكاك السّكان مع التّجار أو مع العائلات الّتي استوطنتها مع الزّمن، وكان لها تأثير مباشر في العمران، سواء من حيث الهندسة أو الديكور، مثلا الرّخام الّذي استعمل لنحت التّمائيل أو كعنصر في البناء أو كمكعّبات للأرضيات الفسيفسائية، عرف تنقلا من منطقة إلى أخرى بحسب نوعه ولونه، فنقل رخام شمتو أصفر اللون المائل إلى البرتقالي (*greco scritto*) إلى كويكول، واستعمل في القاعة الباردة بالحَمَّامات الكبرى الجنوبية إلى جانب رخام بوحنيقية (*alabastro apecorella*)، ورخام عين سمارة إلى بولا ريجيا وتيفاست وثاموقادي وسيتيفيس وكويكول وحتّى تيبازة وسيزاري غربا، ورخام جبل ماونة إلى هيپوريغيوس وروسيكاد، واستعمل رخام فيلفلة الأبيض ذو الحبيبات الرفيعة في مادوروس وتاغاست وفي نحت بعض تمائيل كويكول، خاصة تمثال جوبيتير....الخ

وفي جانب الهندسة وتوزيع المرافق والملحقات بالمنازل الرّومانية في الشّرق الجزائري، خاصّة ما تعلّق بالحَمَّامات، فالمبدأ العام واحد تشترك فيه جميعا، من حيث توزيع غرف الاستحمام وتعاقبها وفق مسار معين، وتبقى الخصوصية حاضرة في بعضها، ولما كانت مدن شرق البروقنصلية سبّاقة في إنشاء مباني رومانية بعد الهيمنة العسكرية إثر سقوط قرطاج وإنشاء إفريقيا الجديدة *africa nova*، كان لها هي الأخرى تأثير على ثقافة الإنشاء في مدن غرب البروقنصلية ونوميديا الرّومانية، وتعتبر نهاية القرن الثّاني وبداية الثّالث مولد أغلبية المباني الحموية في مدن الشّرق الجزائري، من تيفاست شرقا إلى سيتيفيس غربا ومن هيپوريغيوس شمالا إلى تابوديوس وجيميلاي جنوبا .

وأحيانا يشكّل أوجه الشّبه في إنشاء بعض الحَمَّامات إلى طرح فرضية أنّ من قام بالبناء شخص واحد أو تحت إشراف مهندس واحد، مثل ما نجده في إحدى الحَمَّامات الخاصّة بكويكول¹ وحَمَّامات المنزل ذو قاعة الاستقبال الكبيرة بأوتيكا² .

¹ THEBERT (Y.), Thermes romains d'Afrique du Nord et leur contexte méditerranéen, Écoles françaises d'Athènes et de Rome, Rome, 2003, p627

² Ibid, p.620.

4- البحث في المصطلحات وحدود استعمالها

كثيرة هي المصطلحات المستعملة في المنشآت الحموية وما ارتبط بها من منشآت تجميع ونقل وتصريف المياه، سواء كان المصطلح باللغة العربية أو الأجنبية، فهي تتعدّد أحيانا لتعبّر عن معنى واحد، أو أنها تجتمع لتؤدّي مفهوم لا يكاد يختلف رغم اختلاف تركيبه اللّغوي أو النّحوي.

قبل البدء في عرض مختلف المصطلحات التي تصادفنا عند دراسة الحمامات بأنواعها المختلفة، نتوقف عند الجمع والإفراد، فكثيرا ما تذكر بصيغة المؤنث الجمع (حمامات) لا المذكر المفرد (حمام)، على الرغم من أنّ المصطلح إذا أُريد به التّدليل على الحمامات الحديثة أو المعاصرة لزماننا، استعمل بصيغة المفرد والأمثلة متوفرة بقدر الجزم في الجزائر وحتّى في تونس والمغرب، فنجد مثلا ب قالمّة "حمام المسخوطيين، حمام أولاد علي، حمام النبائل، حمام بلحشاني، حمام قرفة .. " وبسعيدة "حمام ربي، حمام سيدي عيسى، حمام عين السخونة" و بسطيف "حمام السّخنة" و"حمام قرقور"، وب الجلفة "حمام الشّارف"، وبخنشلة "حمام الصالحين"، و"حمام ريغة" بعين الدفلى، و"حمام بوججر" بعين تموشنت، و"حمام بوغرارة" بتلمسان، و"حمام بوحنيّفة" بمعسكر و"حمام الصالحين" ببسكرةالخ.

رغم أنّ هذه التّسميات تخص بدرجة أولى منشآت حموية ذات طبيعة علاجية، أسقطت غالبيتها على التّجمعات السّكانية أو المدن التي احتوتها ضمن مجالها العمراني.

وحين التّمعن في الفرق بين لفظ حمام و حمامات، فيراد بالأول الفعل الحموي وما ارتبط به، وهو بذلك الاغتسال من كل شائبة عالقة بالجسم، أمّا الثّاني بصيغة الجمع فيستعمل للتعبير عن المكان المخصّص للاستحمام، إذ هو العنصر المادي من بناء ولوازم مرتبطة به، متعدّد الغرف والقاعات والأحواض، وقد نجد من يستعمل لفظ حمام للتعبير عن حوض واحد لا أكثر.

أمّا بخصوص المنشآت الحموية في العالم القديم خاصّة الفترة الرّومانية، فقد دأبت الأبحاث على تبني التّرجمات الحرفية للمصطلح الأجنبي والذي يصيغها بصفة الجمع على شاكلة *thermes*, *bains*، و هذا الأخير إذا استعمل في حالة المفرد فإنّه يدلّ على حوض واحد، وبالرجوع إلى الأصل اللّاتيني فإننا نجد المصطلحات التّالية *aquae, balnea, thermae, piscina*، بعدّة صيغ مما يصعب الحكم عليها ما إن كانت تخصّ مبنى عمومي أو حمامات خاصّة، بدوره "ريبوفا" R. Rebuffat، طرح

هذا الإشكال سنة 1988 وخلص إلى أنّ مصطلح *thermae* يخصّ للحمّات العمومية ذات المساحة الواسعة، في حين مصطلح *balnea* استعمل للتدليل على الحمّات الخاصة¹.

ثم إنّ مصطلح *thermae* زال مع الوقت ولا ندري بالتّحديد التّاريخ الذي انقطع استعماله فيه وحل محله *balneum* الذي أصبح واسع الاستعمال، فنجدّه في مادوروس بصيغة المضاف إليه الجمع *balnearum*² وفي منطقة الشّافية في حالة المفعول به الجمع *balneas*.

ومصطلح *piscinae* الذي يتغيّر استعماله من منطقة إلى أخرى، ففي ايطاليا ناحية نابولي يستعمل للإشارة إلى منشآت تجميع المياه لغرض السّقي، كما يستعمل للتعبير عن الخزّانات، في حين يستعمل في مناطق أخرى للتدليل على أحواض الحمّات وبتصريفات مختلفة، إذ نجده في حالة المفعول به المفرد *piscinam* (accusatif singulier) في كالم³، وفي حالة المفعول به المفرد *piscinalem* مع اللاحقة *alem* للتعبير عن أحواض الحمّات الكبرى بمادوروس⁴.

ويصادفنا في كثير من الأحيان مصطلحين وجب التّدقيق في معناهما، *Aqua* و *Aquae*، ولإشارة فإنّ جميع المحطّات التي حملت الاسم *Aquae* في حالة الفاعل الجمع (nominatif pluriel)، والتي نجدها موثّقة على لوحة بوتنجر و مسار أنطونين وقوائم الأساقفة، هي بالفعل محطّات حموية ذات طبيعة علاجية⁵، ونصيغ من الأمثلة ما هو مبين في الجدول التالي:

الرقم	الاسم القديم (اللاتيني)	الاسم الحالي	المصدر
1	<i>Aquae calidae</i>	حمّام ريغة	Atlas Barrington, map30(Iol Caesarea) AAA, f13, n°28 Salama, les voies rom.....p121 Enc. Ber 6.1989
2	<i>Aquae thibilitanae</i>	حمّام دباغ (المسخوطين)	Atlas Barrington, map31 (Cirta) AAA, f19, n°144 Salama, les voies rom.....p121
3	<i>Aquae aptuccensium</i>	حمّام البياضة	Atlas Barrington, map32 (Carthago)

¹ ROBUFFAT (R.), « vocabulaires thermal, le bain romain dans les thermes romains » , pp 1-34, acte de la table ronde organisée par l'E.F.R (11-12 novembre 1988), Rome, 1991.

² *ILAlg*, I, n° 2108.

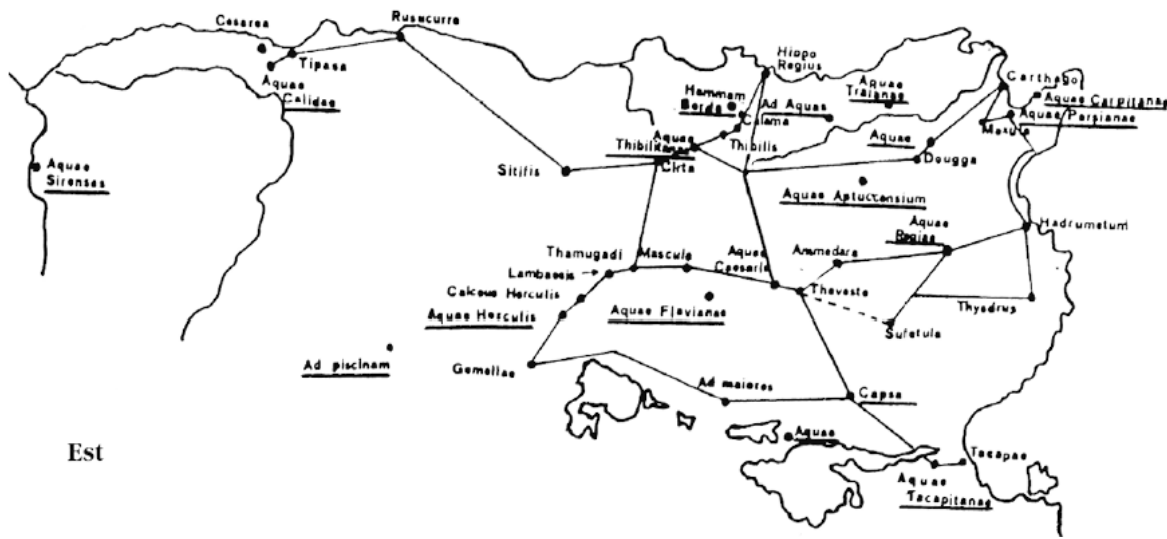
³ *ILAlg*, I, n° 256.

⁴ *ILAlg*, I, n° 2102.

⁵ JOUFFROY (H.), « Les eaux thermales et les cultes des eaux », Les *Aquae* Africaines », acte du colloque 28-30 septembre 1990, université de Tours, p88.

AAT, 1.32.38 Salama, les voies rom.....p121			
Atlas Barrington, map32 (Carthago) AAT, 1.14.7 Salama, les voies rom.....p121 Enc. Ber 6.1989 Enc. Ber 12.1993 CIL.VIII. 24106	حمّام كوربوس	<i>Aquae carpitane</i>	4
Atlas Barrington, map32 (Carthago) AAT, 1.21.5 Enc. Ber 6.1989	حمّام الليف	<i>Aquae persianae</i>	5
Atlas Barrington, map3 2 (Carthago) AAT, 1.8.2 Enc. Ber 12 Enc. Ber 6.1989 Salama, les voies rom..p121	حمّام السيلا	<i>Aquae traianae</i>	
	؟	<i>Aquae calidae cirnenses</i>	6
Atlas Barrington, map32(Carthago) AAT, 1.33.73 Enc. Ber 6.1989 Salama, les voies rom.....p121	عين يونس	<i>Aquae .?</i>	7
Atlas Barrington, map33 (Theveste-Hadrumetum) AAT, 1.63.43 Enc. Ber 6.1989 Salama, les voies rom..p121	هنشير الخطرة	<i>Aquae regiae</i>	8
Atlas Barrington, map34 (Numidia) AAA, f28,n°137 Enc. Ber 6.1989 Salama, les voies rom.....p121	هنشير الحمّام	<i>Aquae flavianae</i>	9
Atlas Barrington, map34 (Numidia) AAA, f37,n°59 Enc. Ber 6.1989 Salama, les voies rom.....p121	حمّام سيدي الحاج	<i>Aquae herculis</i>	10
Atlas Barrington, map35 (Tripolitana)	الحامّة بقابس	<i>Aquae tacapitanae</i>	11

AAA, f28, n°253 Salama, les voies rom....p121 Le glay, saturne...p357 Enc. Ber 6.1989	حمام يوكوس (هنشير الحمام)	<i>Aquae caesaris</i>	12
AAA, f32, n°18 Salama, les voies rom....p121 CIL. VIII 9745 Enc. Ber 6.1989	حمام بوحنيفية	<i>Aquae sirenses</i>	13
Enc. Ber 6.1989 Atlas Barrington, map28 (Mauretania Tingitana)	سيدي مولاي يعقوب	<i>Aquae dacicae</i>	14



خريطة رقم 07: توزيع المحطات الحموية الرومانية والطرق والمسالك الرابطة بينها¹

على خلاف من ذلك ، إذا كتب الاسم *Aqua* في حالة الفاعل المفرد (nominatif singulier) يراد به قناة نقل المياه، وهو في الأصل اختصار للمصطلح *aquaeductus*، الذي نجده في عديد النقيشات اللاتينية بمقاطعتي البروقنصلية ونوميديا في حالة المفعول به المفرد (accusative) *aquaeductum* (singulier) أو المفعول به الجمع² *aquaeductos*

¹ PETTENO (E.). *Le aquae et le terme curative dell'Africa romana*. In Ant. Af, n° 34, 1998, p135.

² « ...aquaeductus.... » (CIL, VIII 2658 Lambèse) ;

« ...aquaeductum ... » ; CIL, VIII 17520 Calama ; (AE 1973, 573 Charia el Gharbia) ; (CIL, VIII, 120 – AE 1934, 170 Capsa) ; (CIL, VIII 27818 Sidi Ahmed el Hachemi) ; (AE 1988, 1119 Ammaedara) ; (CIL, VIII 2572 - 2660 Lambèse) , CIL, VIII 4766 Macomades , AE 1942-1943, 93, AE 1973, 646 Ain Charchar)

«aquaeductos.... » (CIL, VIII 15204 Thignica)

وفي حال كانت القناة معروفة بالاسم فيكتب اللفظ *aqua* مرفوقا به، على شاكلة *aqua claudiana* بلاماسبيا (مروانة)، *aqua alexandriana* و *aqua titulensis* بلامبايزيس و *aqua septemiana* بثاموقادي....، وعلى شاكلتها نجد القنوات التي كانت تزود مدينة روما بالمياه¹، وهي *aqua appia*, *aqua marcia*, *aqua tepula*, *aqua iulia*, *aqua virgo*, *aqua alsietina*, *aqua aqua alexandriana* , *aqua traina* , *claudia*, وقد تكون مصدر أو ينبوع ماء على غرار *aqua viva* عين الشفاء، *aqua frigida* عين الباردة... الخ.

ونجد عادة مصطلح *aquarius* ويقصد به الخادم الذي يتولى مهمة تزويد الأحواض بالمياه خاصة الصغيرة منها، والتي لا تصلها القنوات.

ويصادفنا مصطلح آخر كثير الاستعمال في الحمامات خاصة الرومانية، وهو الهيبوكوست *Hypocaustum*، تعرّفه مختلف القواميس على أنه المكان الساخن الذي يسمح بالتّعرّق، أو أنّه نظام التّسخين الذي يعتمد على تدفئة المبنى من الأرضية، ويعطيه بعض الباحثون تسمية نظام التّسخين التّحت أرضي، كما نجد مصطلح *suspensura*، كمرادف للمصطلح السّابق وهو مشتق من الفعل اللاتيني *Suspendere*² معناه يعلّق، بهذا المعنى يشير إلى الأرضية المرفوعة فوق أعمدة، لا يتعدّى علوّها واحد متر. وكلا المصطلحين يؤدّيان معنى عام مشترك، ففي عديد المصادر والمراجع يذكران متلازمان حتّى تكاد التّفارقة بينهما صعبة الحصول.

مصطلح ثالث مرتبط بهذا النّظام هو *fornax* الموقد أو الفرن المسؤول عن توفير الحرارة المناسبة لتسخين مختلف الغرف؛ ويستعمل للدّلالة على فتحة الموقد مصطلح *Praefurnium*³ للتّعبير عن الهواء الساخن المنبعث من هذا الأخير والذي يتّخذ مسارا أفقيا تحت أرضية مهيّأة لاستقباله وتوزيعه بطريقة منتظمة. وهناك تداخل بين هذا المصطلح مع الذي يسبقه، إذ قد يؤدي نفس المعنى وربما غرفة الخدمات التي تسبق الفرن، وفي تعبير "الفيترفيوس" قد يفهم منه أن *Praefurnium* و *Hypocaustis* الاسم المؤنث في حالة الجمع للهيبوكوست، قد يؤدّيان نفس المعنى، حيث يقول: "لو أنّ كرة أُلقيت إلى الداخل فإنّها لا تستقر تحت أرضية *Suspensura* ولكنها تعود من تلقاء نفسها إلى

¹ ADAM (J. P.), La Construction Romaine, Matériaux Et Technique, Grands Manuels Picard, 3^{ème} Édition, France, 1995, pp 261-262.

² ROBERT Estienne, *Dictionarium Latinogallicum*, 1522, éditions eBooks France, p3486.

³ VITRUVÉ, livre VII, 10.2

مكان الفرن...". ويستعمل هنا مصطلح *Hypocaustis*¹ وحين التدقيق في معناه، نجد أنه يراد به التعبير على أن الفرن يتخذ موقعا أساسيا في هذه المنظومة.

ويتدخل مصطلح رابع ذو أصل إغريقي *propnigium* ليحل محل برايفورنيوم، إذ نجد استعماله في كتابات "بلين الصغير" *plinius le jeune*

«*frigida cella adjacet unctuarium (ou onctorium hypocauston, adjacet propnigium balnei mox duae cellae mahis elegants....*² »

فالحراة العالفة تتولد من مصدر واحد وهو الموقد لكنّها تنتشر وفق طرقتين هما: الأولى الهواء الساخن تحت الأرضفة أو عبر الجدران عن طريق التجويفات الجدارفة *tubuli*، والثانية من حراة المفاة الساخنة المنبعثة من الأحواض، وهذه الأخيرة على نوعين:

✓ *solium* أو *alveus*: هو حوض مفاهه ساخنة، يأخذ عدة أشكال منها رباعفة الأضلع أو النصف دائرفة، وقد تحتوى القاعة الساخنة على حوض واحد أو عدة أحواض من نفس الشكل أو مختلفة، وفي بعض التعريفات هو الحوض المزود بمسند للظهر³.

✓ *labrum*: هو إناء عادة يكون محمولا فوق أرجل يوضع في وسط القاعة أو على جانب من جوانبها، يستعمل لغسل الأطراف والأرجل، و لا يمتاز بعمق كبير⁴.

5- تطوّر الحمامات الخاصة في الجزائر

حين الحديث عن الحمامات الخاصة في الجزائر القديمة خلال الفترة الرّومانية، فإننا نبحث عن كل دليل من شأنه الإشارة إلى وجود نظام التسخين الخاص بها، إذ هو من المؤشرات الأولى للتعرف على طبيعة المبنى الحموي، أمّا عن أصول هذا الأخير في الشمال الإفريقي فهو دون شك لا يرجع إلى الفترة الهيلنستية، على عكس ما وجد في ايطاليا خلال القرون الأربع قبل الميلاد، وتشارك الحمامات، خاصة العمومية في أصلها ونشأتها في كل من الجزائر وتونس، حيث يؤرخ أغلبها بعد

¹ VITRUVIUS, Livre VII, 10.2

² DELORME (J.), *Etude architecturale de VITRUVIUS VII*, in B.C.Hé, 1949. 73 pp402-103.

³ MAIURI (A.), *Significato e natura del solium nelle terme romane*, parola dela passato 5, 1950, p 223 .

⁴ GINOUVES (R.) et Al., *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III. Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles Rome* : E.F.R, 1998, p103.

النصف الثاني من القرن الأول ميلادي، لعل السبب حسب "تيبّار" يرجع إلى أنّ المواقع القديمة هجرت وبنيت أخرى مكانها، وأنّ الحفريات لم تصل إلى المستوى الذي يختزن دلائل حولها¹.

وكغيرها من عديد المباني الرّومانية في الشّمال الإفريقي، يسجّل القرن الثاني ميلادي خاصّة النصف الثاني منه، ظهور عدد من الحمّامات الخاصّة، التي عرفت هي الأخرى تناعما هندسيا مع المنازل، وشكّلت ظهور رؤية جديدة لملاك المنازل الواسعة وذات الأهمية داخل المدن وخارجها.

في حين يشهد القرن الثالث ميلادي وبداية الرّابع توسعا كبيرا في العمران في مختلف مدن الشّمال الإفريقي، وهو ما أنتج أمثلة عدّة عن الحمّامات في مختلف البلديات والمعسكرات والتّجمعات السّكانية الأقل مرتبة في السلم الإداري.

ويرتبط ظهور الحمّامات الخاصّة بدرجة أساسية بالأنظمة السائدة، خاصّة فيما تعلق بنظام تزويد المدن بالمياه وتوزيعها على الأفراد والجماعات، كذلك القوانين المسيّرة للمدن والتي تتيح للأفراد إمكانية الاستفادة من المياه وأولوية توصيل القنوات إلى منازلهم، وهذا غير متاح للجميع، إذ العملية مكلفة سواء في الانجاز أو أثناء الصّيانة وتصلّيح الأضرار التي تلحق بها. كما ارتبط إنشاء بعض الحمّامات بهشاشة نظام الحكم وما انجر عنه من لا استقرار ولا مبالاة، تترجمها الفوضى في استغلال العقارات، حتّى وإن كانت ملكية مشتركة ذات أصل عام، ونشهد هذا النوع من البناءات خاصّة في النصف الثاني من القرن الثالث من خلال الاعتداء الصريح على الأرصفة وأجزاء من المباني العمومية، ويسجّل القرن الرابع وبداية الخامس ميلادي ضعف قنوات نقل المياه الموصلة إلى الحمّامات العمومية، مما أدى إلى توقف بعضها عن العمل، إلا في حالة تدخّل السلطة العليا أو كبار المسؤولين وأرباب المال، وبالتالي لجأ من لهم القدرة على الاستفادة من المياه إلى إنشاء حمّامات داخل منازلهم².

5-1 تسمية الحمّامات الخاصّة في الجزائر القديمة

من المعروف أنّ أسماء الحمّامات الرّومانية متعدّدة ومختلفة في آن واحد، وتقريبا المبدأ المتّبع مشترك بين دول الشّمال الإفريقي (تونس، الجزائر والمغرب)، لأنّ البحث في هذا الجزء من مقاطعات الإمبراطورية الرّومانية منذ القديم، متّبع من المدرسة الفرنسية ونادرا ما تكون ألمانية أو

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, p 407.

² DUMAS (M.), « Révolution de l'architecture domestique du Proche-Orient protobyzantin (IV-VIIe siècle): culture de l'élite au détriment de la culture classique? », Dans archeo-doc, Actes de la 10e journée doctorale d'archéologie Paris, 20 mai 2015, Éditions de la Sorbonne, Paris, 2017.

إيطالية، وبالتالي تفرض منهجها وطريقتها، فكثيرا ما نجد أسماء الحمامات بالنظر إلى موقعها داخل التجمعات السكانية، وهي عديدة خاصة العمومية، إذ نجد في الجزائر على سبيل المثال :

- الحمامات الشمالية في كل من تاموقادي و هيبوريجيوس؛
- الحمامات الوسطى في تاموقادي وسيزاري؛
- الحمامات الشرقية في كويكول و تاموقادي وسيزاري؛
- وفي المغرب الحمامات الشمالية في بانسا وفوليبيليس، والحمامات الغربية في بانسا؛
- وفي تونس الحمامات الوسطى في قيقتييس؛
- الحمامات الشرقية والغربية في ماكتريس...

كل هذه التسميات بطبيعة الحال حديثة، نسبت إلى الحمامات للفرقة بينها عند إعداد تقارير الحفريات، حتى لا يحدث الخلط في الفهم، ولا يوجد أي دليل على أنّ واحدة منها سميت بهذا الاسم في وقتها أو على الأقل إشارة إلى ذلك.

وان لم يكن معيار التسمية ما ذكر، فقد يكون بالنظر إلى المبنى العمومي أو ذاك الذي يمتاز بالأهمية داخل المدينة مثل الكابتول، البازيليكا، الفوروم... فتتسب إليها، إذ يقال حمامات الفوروم ونجدها في توبورسيكو نوميداروم كما نجدها في بلاليس مايوس، وحمامات الكابتول في كل من كويكول وتاموقادي وتوبوربومايوس وفولوبيليس وحمامات المعسكر بلمبايزيس ورابي دوم، وحمامات القلعة البيزنطية بتاموقادي...الخ.

وعلى الرغم من أنّ بعض الحمامات سميت بأسماء الأباطرة أو الوجهاء أصحاب الهبات والعطايا بدليل الكتابات اللاتينية، إلا أنها في كثير من المدن الرومانية لم تكن ممولة من طرفهم بشكل مباشر، إنما تبنى من خزينة المجالس المحلية¹، أو من طرف الخواص تيمنا بالإمبراطور أو بذكره الخالدة أو من طرف خليفته أو خلفائه .

وقد يكون لارتباط الحمامات بحقبة زمنية تأثير على تسميتها، مثل حمامات الصيد بلمبايزيس، نسبة إلى فرقة الصيادين العسكرية الفرنسية، التي قامت بالتقيب عن المبنى تحت قيادة "ساندر" Sander و "بيلون"² Pillon

¹ GARRETT G. (F.) , Bathing in public in roman world, university of Michigan, 1999,p171

² GSELL (S.), Les monuments antiques de l'Algérie, Tome1, ancienne librairie Thorin et fils Albert Fontemoing éditeur, Paris, 1901, p 218.

-POULLE (A.), Nouvelles inscriptions de Lambèse et de Timgad, in R.S.A.C, n° 23,1883-1884, pp202-203

وعلى شاكلة الحمامات العمومية نجد الحمامات الخاصة، وهنا نستشف طريقتين لتسميتها: الأولى تسمية الحمامات نسبة لأصحابها، مثل حمامات بومبيانوس، حمامات كاستوريوس، حمامات سارتيوس ويانوياريوس... الخ، وهي مستمدة في الأساس من المنزل الذي يحتويها، لكننا لا نملك دلائل قطعية حول هذه التسمية ما إن كانت معتمدة في وقتها، فالإشارة إلى ارتباط الاسم بالمبنى الحموي نادرا ما نجده، وعلى الرغم من ذلك في الشرق الجزائري القديم لنا على الأقل مثالين، الأول صريح والثاني ضمني مستخلص من ظرفية المكان.

أما الأول فهو حمامات باكاتوس بمدينة كيرتا، وهو موثق بنص منقوش حيث ورد الاسم كاملاً¹

*CARRIUS PACA
TUS BALINEUM
PACATIUM
SIBI MENSIB XIV*

هذا النص لا يحمل فقط اسم صاحب المبنى، بل يضيف المدة المستغرقة في الانجاز وهي 14 شهرا ، والدليل على أن هذه الحمامات بنيت من طرف باكاتوس هو عبارة *SIBI*، ويذكر "فارس"² vars أن باكاتوس قام بإهداء هذه الحمامات للمدينة، وأنها عمومية رمت في عهد **فالتنتيانوس** Valentinien و**فالانس** Valens (364-365م).

والمثال الثاني يخص يوليوس فوستوس، والذي وجد اسمه منقوشا فوق أرضية القاعة الباردة لحمامات عين توتة.³

*GEN(IO) (T)HAC(ARENTENSI) FEL(ICITER) P. IVLIVS FAVSTVS FECIT
QVOT PETVNT*

وعلى الرغم من أن هذه الحمامات لا تتسم بالشساعة إلا أن الفصل في كونها خاصة أو عمومية لا يزال قائما، لكن الغالب أنها عمومية، لاعتبارين اثنين: الأول مرتبط بتقديس الآلهة الحامية للمكان *genio* وهو ما نجده كثيرا في النقوشات التي تشير إلى انجاز مبنى أو منشأة عمومية، إلا ما اتصل منها بعبارة *domus*، مثل تلك التي وجدت على مذبح منزل عائلة الأونيسي *les antistii*⁴ بمدينة تيبيليس.

¹ CIL, VIII , n°7031.

² VARS (Ch.), *Inscriptions inédites de la province de constantine pour les années 1897 et 1898*, in R.S.A.C, n°32, 1898, pp342-343.

³ للإشارة ، قدم مخطط هذه الحمامات في عديد المراجع على أنه يخص حمامات ثابوديوس - تهودة حاليا. أنظر: حاجي ياسين رابح، دحمان رياض وآخرون، *مكتشفات موقع تهودة الأثري* ، مجلة تراث الأجيال، بسكرة ، العدد الأول ، 2016 ، ص ص 42-43 .

⁴ *ILAlg*,II, n°4631.

والاعتبار الثاني مرتبط بالإجابة على السؤال التالي: هل المسمى فوستوس قام ببنائه لاستعماله الشخصي أم هو إهداء لعامة الناس؟، فكلمة *fecit* تشير إلى قيامه بالفعل وليس لاستغلاله الشخصي فقط، صنف إلى ذلك العبارة الترحيبية التي لم يبق منها سوى *qvot petv(nt)* بمعنى ادخل كما تشاء¹.

الطريقة الثانية لتسمية الحمامات مستمدة من خاصية بذات المبنى ربما نجد ما يشبهها أو هي منفردة دون غيرها، وغالبا ما تكون المشاهد الفسيفسائية هي الموحية لتسمية الحمامات باسمها، وكثيرا منها ذات مواضيع ميثولوجية على غرار حمامات منزل أوروبا نسبة إلى الفسيفساء التي وجدت بقاعة الأكل² والتي تقدم مشهد اختطاف الأميرة الفينيقية أوروبا من طرف الاله جوبيتر "زوس"³، حمامات منزل استحمام فينوس، حمامات منزل انتصار فينوس وحمامات منزل هرمأفروديت بئاموقادي.

أو لها دلالات رمزية مأخوذة من كتابات فوق أرضيات فسيفسائية مثل حمامات منزل الحمار نسبة إلى الفسيفساء التي وجدت بالقاعتين الباردة والدافئة، والتي تحمل صورة الحمار وعليها كتابة "الحمار المنتصر *asinus nica*"، وفي القاعة الساخنة بحمامات فيلادلف بئاموقادي وجدت الكتابية التالية⁴ *filadelfis vita*

وبين الطريقتين الأولى والثانية تأخذ عديد الحمامات تسميتها من المنطقة التي عثر فيها الباحثون على آثارها، مثل حمامات حي الخيالة و حمامات هنشير الصفية... الخ . وقد تأخذ أيضا تسميتها من المدينة التي أنشأت فيها مثل حمامات شوبا *choba* وفق ما نصت عليه النقيشة المؤرخة بـ 196م⁵

*IMP(ERATORE) CAES(ARE) L. SEPTIMIO SEUERO PIO /
PERTINACE AUG(USTO), BALNEAE MUNICIPIUM / MUNICIPII
AELII **CHOB**AE P(ECUNIA) P(UBLICA) FACTAE, / DEDICANTIBUS
L. AIEDIO M. FIL(IO) QUIR(INA) / VICTORE, M. AEMILI[
O.] FIL(IO) ARN(IENSI) HONO/RATO, IIVIRIS, A(NNO)
P(ROUINCIAE) CLVII*

¹ WUILLEUMIER, B.A.C, 1928-1929, p278.

-JAUBERT (le chanoine), *Reliquaires- d'enchr-akhrib et ruines romaines d'ain-touta*, in R.S.A.C , n°37-1903, pp 318-319.

² ALLAIS (Y.), *La maison d'Europe à Djemila*, in R.Af, n°83, 1938, p37

³ هذا المشهد وجد في كثير من المواقع وعبر أزمنة متباعدة منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى العصر الحديث حيث وجد منقوش على وعاء يؤرخ بـ 640 ق م محفوظ بـ *Ténos-Béotie*، مشهد مماثل نقش على واجهة معبد يؤرخ بـ 580-560 ق م، وهو محفوظ بمتحف بلارم بصقلية، ويستمر هذا المشهد في الظهور والانتشار حتى القرون الوسطى .

⁴ GERMAIN (S.). *Les mosaïques de Timgad. Étude descriptive et analytique*, Éditions du C.N.R.S. 1969, p95.

⁵ CIL, VIII, 8375

كذلك الأمر مع حمامات كاستيلوم ماسترنسيس¹ *castellum mastarenses* (بني زياد)، حيث وجدت بها كتابة تؤرخ² بـ 228-230 م.

*GENIO / BALINE[I] CAST(ELLI) / MAS(TARENSIS)
[Q]UOMA SOLO / QUARTUM IDIBUS / DECEMBRIBUS / MODESTO
ET PROBO COS(ULIBUS).*

5-2 دلائل البحث عن الحمامات الخاصة في الشرق الجزائري

ليس من السهل البحث في بقايا المباني الرومانية عن دلائل وجود الحمامات الخاصة، حتى وإن كان نظام التسخين إحدى مؤشرات التعرف عليها، فعناصره ليست حاضرة على الدوام وبالتالي تتوسع دائرة البحث عن أدوات أخرى تمكّننا من معرفة طبيعة المبنى وغرضه، ويمكن إجمال هذه الدلائل في:

- الملف الإبيغرافي؛
- نظام التسخين وعناصره؛
- مصدر المياه وقنوات نقلها وتصريفها؛
- أقسام الحمامات وعلاقتها فيما بينها؛
- الأدوات المستعملة في الحمامات؛

5-2-1 الملف الإبيغرافي

هو واحد من أهم الشواهد للتعرف على الحمامات الخاصة، على الرغم من قلتها إلا أنها تعدّ توثيقاً صادقاً ومباشراً لمعرفة الحمامات وأصحابها، وفي كثير من الأحيان تسمح بتاريخها، ويبقى الملف الإبيغرافي ناقصاً لا يغطي كامل المباني المكتشفة، إذ ليس بالضرورة لصاحب المبنى ترك كتابة تشير إليه، ويغلب عليها طابع العموم إذا ارتبطت بالهبات لغرض تقلّد مناصب سامية أو الترقية إلى رتب أعلى، إدارية كانت أو دينية أو تشريفية، هذا النوع من النقوش سهل للتأريخ مقارنة بغيره، ومصادر هذه النقوشات هو الآخر محدود إذ نكتفي في كثير من الأحيان بدراسة تلك الموجودة في مجمع النقوشات اللاتينية الفصل الثامن، أو المذكورة في النقوشات اللاتينية للجزائر، أو من خلال

¹ AE, 1908, 244.

² تم تأريخ الحمامات انطلاقاً من نص النقوشة المكتشفة بذات المكان، إذ تبين أن الأشغال بالمبنى بدأت في 10 ديسمبر 228 وانتهت في 26 ماي 230، بعد 17 شهر و 25 يوم من الأشغال. AE, 1908, 245.

منشورات السنّة الإبيغرافية، وتجدر الإشارة إلى أنّ إثراء الملف الإبيغرافي لا يكون إلا بالمكتشفات المتجدّدة والقراءات المتعدّدة .

وعلى الرّغم من أنّ النقيشات التي ترتبط بالحمامات الخاصّة من حيث الإحصاء، أقلّ بكثير من تلك التي لها علاقة بالحمامات العمومية، فحين التّطرق إلى النقيشات التي وجدت في الشّرق الجزائري مجال الدّراسة، يكون عددها ضئيلا، وتبقى الإهدائية المرتبطة بالحمامات العمومية دليل مباشر للتّعرف على الواهبين أو المتدخلين في تمويل الحمامات أو صيانتها أو إصلاح قنوات مياهها.

من هذه النقيشات تلك التي تحمل اسم أييلوس سيليكوس *T. aelius seclus* وهو أحد معتوقي الإمبراطور أنطونيوس التقي¹، تؤرّخ بفترة حكم هذا الأخير، أكتشفت سنة 1906 بحمامات يوكوس *Aquae Caesaris* .

ومن النقيشات التي تذكر عمليات التّرميم لما تضرّر من الحمامات أو قنوات مياهها، نذكر تلك التي تؤرّخ بفترة حكم الإمبراطورين فالنتينيانوس وفالانس (364-365 م)، والتي تخص أحد أحواض حمامات مدينة كالما، بسبب التّدفق البطيء للمياه وتراكم الأوحال داخلها².

وفي نفس الفترة نذكر نقيشة الحمامات الصيفية بختشلة *thermarum aestivalium*، بأمر من فالنتينيانوس وفالانس رمّم ما تضرر من أحواض الحمامات³.

كذلك النقيشة التي وجدت في مدينة لمبايزيس، والتي تذكر تدخل الحاكم السيناتوري لإجراء عمليات صيانة الحمامات⁴، لكنها لا تشير إلى أي من الحمامات تمّ التّدخل عليها، إذ وجد بذات المدينة عدد معتبر منها، وهناك من النقيشات ما يذكر مدّة الانجاز بدقّة على غرار حمامات باكاتوس وحمامات كاستيلوم ماسترنسيس كما سبق ذكره.

وان كانت بعض الحمامات لا تذكر أسماء أصحابها أو المتدخلين عليها، فقط هناك إشارات لطبيعة الفعل الحموي وما ارتبط به من نظافة وصحة، ولنا من الأمثلة في مواقع متفرقة بالشّرق الجزائري كتابات تحمل العبارة *BENE LAVA* ولكن بتصريفات نحوية وإعرابية مختلفة .

فبمدينة لمبايزيس نجد العبارة *BENE LAVA* فوق تبليط فسيفسائي⁵.

¹ *ILAlg*, I, n°2943.

² دحمان رياض، الحمامات الشّرقية لمدينة كالما في مجالها العمراني الرّوماني القديم، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار - جامعة الجزائر، 2013-2014، ص99.

³ BIREBENT (J.), Op. Cit, p221.

⁴ AE, 1971,508.

-LE BOHEC (Y.), La troisième légion auguste, C.N.R.S., Paris, 1989, p474- N°228.

⁵ GSELL (S.), AAA, F27, n°224, 17 / CAGNAT (R.), BALLU (A), B.C.T.H, 1916, p CLXVIII.

و بمدينة ايكوزيتوم¹ *EQUIZETUM* (ولاد عقله)، وجد الأرضية الفسيفسائية للقاعة الباردة، العبارة التالية :

BENE LAVARE
SALVUM LAVISSE

كذلك الأمر في مدينة ثاموقادي، ففي حمّامات فيلادالف وجدت على عتبة القاعة الساخنة الثانية العبارة التالية² :

B(ONIS) B(ENE)
SALVU(M) LOTV(M)

العبارة الأولى للإشارة إلى دخول الحمّام والثانية بعد الخروج منه³
وفي حمّامات المنزل قرب سوق الملابس وجدت فوق أرضية فسيفسائية الكتابة⁴ *BONIS BENE*

وفي حمّامات المنزل شمال الكابتول وجدت فوق أرضية فسيفسائية لعتبة الفصل بين القاعتين الدافئة و الباردة⁵ الكتابة التالية :

BENE LAVA
[SALUU(M) LAV]ISSE

كما يظهر نفس التبليط زوج من الأحذية وهي تقريبا المستعملة حاليا في الحمّامات (TAB)
(TAB)، أمّا العبارة الأولى وتعني "استحم جيدا" فتوحي إلى الدخول للحمّامات، والثانية تشير إلى الخروج منها متمنية أنّ الحمّام نافعا وآمنا⁶، وقد نجد في حمّامات أخرى ما يشبه هذه الفسيفساء فنجد مثلا بحمّامات المسرح بمدينة صبراتة بليبيا العبارة *SALVOM LAVISSE*

¹ BALLU (A.), Rapport 1923, p 23.

² BALLU (A.), Les ruines de Timgad, antique *Thamugadi* « sept années de découvertes » III, Neurdein frères, imprimeurs-éditeurs, Paris, 1911, pp 105-107.

³ CAGNAT (R.), BALLU (A), B.C.T.H, 1916, p CLXIX.

⁴ BALLU (A.), Rapport 1909, pp 115-116.

-GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad..... Op.Cit., p 96.

⁵ CAGNAT (R.), B.A.C, 1916, p167-168.

-GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad..... Op.Cit, p116.

-WAROT (S.), Libyca , 1960, pp167-171.

⁶ VELDMEIJER (A.J.), Tutankhamun's Footwear: Studies of Ancient Egyptian Footwear, Sidestone Press, 2011, p 245.

-WAROT (S.), Op, Cit, p 111.

-GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad..... Op.Cit, planche 78.



صورة رقم 01: فسيفساء حمامات المنزل شمال الكابتول بثاموقادي

وبحمامات مدينة فريجوس Fréjus جنوب شرق فرنسا، وجد فوق بلاطة رخامية رسم منقوش
لقدمين منتعلين حذاء استحمام. وأخرى وجدت بحمامات جونفال Jonvelle بمنطقة بورغوني
Bourgogne شرق فرنسا تؤرخ بالنصف الثاني من القرن الثاني ميلادي¹.



صورة رقم 02: نقش على لوح رخامي
بحمامات مدينة فريجوس²

ولا يتوقف دور النقيشات اللاتينية عند هذا الحد، بل ويشير بعضها إلى مواد بناء الحمامات
وحتى الطريقة التي بني بها نظام تسخينها وشبكاتها المائية، ففي مدينة لامبايزيس نجد النص الذي

¹ STERN (H.), *Mosaïque trouvée à Jonvelle (haute Saône)*, in B.S.N.A.F, 1971, p239.

² BOUET (A.), *Thermes Privés et Publics en Gaule Narbonnaise*, E.F.R, n°320, 2003, Rome, planche 16-b.

يذكر القاعة الباردة لأحد الحمامات، ويقترح "مومسن" Mommsen في مجّع النقيشات اللاتينية تكملة النص بالصيغة الآتية¹

*QUART FRIG(IDARIUM) COL(YMBUS) PED(ES)
QUAD(RATI) T(UBI) DICXXXVTMCCXXC.IX*

وبخصوص الأحرف الأخيرة بعد كلمة *TUBI* فهي ربّما إشارة إلى معطيات متعلّقة بمواد البناء حسب ما ذهب إليه "تتيار"²، في حين الاختصار *COL* الذي يقترح "مومسن" تكمّله إلى *COL(YMBUS)*، يمكن أن يقرئ إذا ما ارتبط بالكلمة *TUBI* (قناة أو أنبوب) على النحو الآتي :

COL(LUUIES) والتي تعني عند "بلين" قنوات الصرف³.

ومن النقيشات ما يشير إلى الآلهة المرتبطة بالفعل الحموي وما يصاحبه من صحة وعافية للجسد، والمقصود هنا الإلهين اسكولابيوس وهيجيا، هذه النقيشات وجدت على قواعد حاملة لتمثيل الإلهين المذكورين.

ففي مدينة ثاموقادي نجد بمنزل يانوياريوس الكتابة الآتية⁴ :

*AESCULAPIU(M) L(UCIUS).ACILIUS GRANIANUS L(UCIO) IULIO
IAN(U)ARIO SOCER(O) SUO AT EXORNATIONE(M) BALINEI DONO DEDIT*

وهناك نقيشة أخرى تضم نفس المحتوى، و تخص الآلهة هيجيا⁵

*HYGIAM L(UCIUS) ACILIUS GRANIANUS L(UCIO) IULIO IANUARIO
SOCERO SUO AT EXORNATIONEM BALINEI DONO DEDIT.*

هذان النقيشتان تبينان بصريح العبارة أنّ تمثالي اسكولابيوس وهيجيا، أهديا ليانوياريوس لتزيين حماماته الخاصّة من طرف لوكيوس أكيليوس قرانيانوس زوج ابنته.

وبمنزل سارتيوس وجدت الكتابة الآتية⁶

HYGIAE AUG(USTAE) FAUSTUS ET VALENTINA

وهو تكريس للآلهة هيجيا من طرف فوستوس سارتيوس وزوجته فالنتينا.

¹ CIL, VIII ,n°2578 .

² THEBERT (Y.), Op.Cit, p507.

³ *Dictionarium Latinogallicum*,...Op.Cit, p758.

⁴ CIL, VIII, n°2340.

⁵ VARS (CH.), *Inscriptions découvertes à Timgad pendant l'année 1901*, in R.S.A.C, n°.35, 1901, p249

⁶ Ibid, p219.

وأخرى للإله اسكولابيوس¹

**AESCULAPIO AUG(USTO) AT EXORNATIONEM BALNEI PRIMITIV(U)S
ACTOR**

وعلى نفس الشاكلة بالنسبة للحمّامات العمومية حيث وجدت كتابات إهدائية للآلهة، إلى جانب تماثيل
لرعاية ومراقبة المستحمين، ومن هذه الكتابات نجد :

في الحمّامات الكبرى بمدينة مادوروس :

AESCULAPIOAUG(USTO)².

HYGIAE AUG(USTAE).³

وبنفس الحمّامات إهداء للإلهة فورتونا⁴. **FORTUNAE AUG(USTAE).**

وآخر للإله ماركور **MERCURIO⁵AUG(USTO)**

وفي الحمّامات الكبرى الجنوبية بثاموقادي وجد إهداء للإلهة فيكتوريا من طرف لوكيوس كلاوديوس⁶

**VICTORIAE AUG(USTAE) SACR(UM) L. CLAUDIUS
L. F(ILII) FAB(IA TRIBU) CLEMENS OB HONOR(EM) II
UIR(ATUS) POSUIT ID(EMQUE) D(E)D(ICAUIT)**

وآخر للإلهة فورتونا⁷ **FORTUNAE AUG[USTAE] SACRUM⁷**

وبحمام الفلافيين *aquae flavianae* عند ترميم الحوض الدائري للحمّامات في عهد سيبتيموس

سيفيروس أنجز تماثيل للإلهين اسكولابيوس وهيغيا، وهو ما تبيّنه النقّيشة التي تحمل اسميهما⁸

**PRO SALUTE ET VICTORIA DOMINI N(OSTRI) IMP(ERATORIS)
L. SEPTIMI(I) SEUERI PERTENACIS AUG(USTI) ET
CLODI(I) ALBINI CAES(ARIS) AESCULAPEM ET HYGIAM DEDICANTE
LEPIDO TERTULLO LEG(ATO) AUG(USTI) PR(O) PR(AETORE)
C(LARISSIMO) V(IRO) M. OPPIUS ANTIOCHIANUS C(ENTURIO)
LEG(IONIS) III AUG(USTAE) PIAE VINDICIS,
POSVIT ET V(OTUM) S(OLVIT).**

¹ GSELL (S.), Notes d'archéologie Algérienne, in B.C.T.H, 1901, p 311.

² *I.LAlg*, I, n°2031 / AÉ, 1907, 235.

- GSELL(S.), JOLY(Ch.J), Khamissa, Mdaourouch, Announa, 2^{ème} partie Mdaourouch, édition E de Boccard, Paris, 1914-1922 p. 107

³ *I.LAlg*, I, n°2050/ AÉ, 1907, 242.

⁴ *I.LAlg*, I, n° 2040/ AÉ, 1907, 240.

⁵ *I.L Alg*, I, n°2057.

⁶ CAGNAT (R.), B.A.C 1893, p162.

⁷ Ibid, p161.

⁸ CIL, VIII, 17726

- BIREBENT (J.), Op.Cit, p242.

ومن المعروف أنّ الحمامات خاصّة العمومية كان بعضها يفتح بالمجان، كما قد تحدّد قيمة معيّنة كرسوم للدخول، وهذا بيّنته بعض النصوص والكتابات القديمة، مثل تلك التي وجدت بحمامات خلفون بالقرب من سطيف فوق أرضية فسيفسائية جاء فيها¹:

BENE LAVES	SALVVIAVISE
O ⁴ EADES	BONO OI
CRAS GRAT	FIERI • IVSIT
IS RESTVTA	EX S

*bene laves oze(=hodie) ades cras gratis : Restuta
saluvi...bono[s]i fieri iusit ex s(estertiis)*

ويقترح "قزال"² ترجمتها إلى الفرنسية ونحن بدورنا نقلها عنه حرفيا كما يلي: "حماما صحيا! اليوم ادفع آس وغدا يكون الدّخول مجانا، فلا تجزع؟".

أمّا بالنسبة للسطر الثاني يقترح "كانيّا"³ Cagnat تكملته على النحو الآتي:

*SALUU(M) LAUIS(S)E, / BONO (EIUS) Q(U)I / FIERI
IUS(S)IT / EX S[UA PECUNIA ?].*

وحسب هذه القراءة، أنّ الكتابة أنجزت فوق تبليطين، الأول عند الدخول كترحيب بالمستحمين والثاني عند الخروج بتمنيات أنّ الحمام كان جيدا⁴.

5-2-2 نظام التسخين وعناصره

إلى جانب الملف الإيبوغرافي، تشير الآثار المكتشفة عن طريق الحفريات في المواقع الأثرية عن دلائل توجّه بدرجة كبيرة إلى الحمامات الخاصّة، وهذه الدلائل تعتبر مؤشرات حقيقية لطبيعة المبنى وحدوده ولواحقه وكذا المجال المحيط به.

ويعتبر نظام التسخين المتكامل بجميع مكوناته (الموقد، الأعمدة الآجورية أو الحجرية، التّجويّفات الجدارية، أواني تسخين المياه أرضية القاعات..) واحدا من أهم الدلائل التي إن وجدت في المباني السّكنية (*villae, domus*)، فهي إشارة قوية للحكم على أنّ هذا الجزء يعتبر حماما، لكن قد توجد حمامات لدى الخواص لا تحتوي على نظام تسخين بهذا الطّرح التّقليدي والشائع في جميع المدن، إذ يعتمد على تسخين المياه في موقد موحّد قد تشترك فيه مع المطبخ، بالتّالي تكفي غرفة واحدة للقيام

¹ CIL, VIII, n°8424.

² GSELL (S.), Les monuments antiques de l'Algérie,....Op.Cit, p231.

³ CAGNAT (R.), B.A.C, 1925, p172.

⁴ THEBERT (Y.), Op.Cit , p507.

بهذه العملية، وعليه وجب البحث عن مؤشر آخر يعزّز الحكم على طبيعة المبنى، ويعتبر الماء وما يصاحبه من قنوات ناقلّة وأخرى لتصريفه خارج المبنى هو الآخر إحدى المؤشرات القويّة، كذلك الملاط الجيري أو المشكّل من قطع فخارية وأجورية والذي عادة ما تلبّس به الجدران التي تحتكّ بالمياه، لما له من خاصيّة عزل وغير نفوذ لها، والجدران الفاصلة بين الجزء الحموي وباقي أجزاء المنزل، حتّى لا تتسبّب الرطوبة المنبعثة من القاعات الساخنة وأحواضها في التأثير السّلبّي على أجزاء أخرى، خاصّة إن كانت هذه الأخيرة ملبّسة بملاط أو تحتوي رسومات جدارية قد تمحى، أو تتشكّل فوقها طبقة من الأملاح المترسّبة جرّاء نفاذية مياه الحمامات إليها .

فالفرضية الرّامية إلى الحكم على المبنى من خلال أرضية القاعات الساخنة تبقى ناقصة، بسبب التشابه الإنشائي مع مباني أخرى، لكن غرضها الوظيفي مختلف عنها، قد تكون مثلاً قاعة استقبال وفي غياب أحواض مبنية *solium* أو حتّى أماكن لوضع حوض الاغتسال *labrum*، تثير التساؤل حول طبيعتها، مثل تلك التي وجدت بمنزل *l. octavius felix* بفرنسا Narbonnaise مما يتوجّب دراستها ضمن نسيجها الهندسي وارتباطها مع باقي أجزاء المبنى¹.

ويقودنا هذا الطرح إلى البحث عن عناصر لا تدع مجالاً للشك، وبالفعل التّجاويف المشكّلة من الأجر المجوّف و المنجزة في جوانب الجدران في القسم الساخن، التي يتخللها الهواء الساخن المنبعث من الأرضية والمكتسبة بدورها من حرارة المواقد، تعمل على نشر الحرارة إلى مستويات مرتفعة، من جهة أخرى تخفيف الضغط عن الهواء تحت الأرضية المحمولة فوق أعمدة الهيبيكوست، هذه التّجاويف تعزّز الحكم على حموية المبنى، ويضاف إليها عناصر تسقيف القاعات على شكل قباب سواء كانت بشكل مهد نصف دائري أو عقد ذو زوايا بارزة، هذا الأخير يسمح بجعل القاعة محافظة على حرارتها لمدة زمنية طويلة، ويقدم "فيتروفيوس" نصيحة في حال استعمال الخشب في القباب للمحافظة عليه من الرطوبة التي تنتجها القاعات الساخنة، وذلك عن طريق إنشاء مزدوج للقبّة يسمح للهواء الساخن المرور بينهما²، لكن عملياً قبّة بهذا الشّكل قليلة الوجود في الحمامات الرّومانية .

من جهة أخرى يشكّل اتّساع القاعات وارتفاعها من عدمه عاملاً هاماً لتتبع حركية الهواء الساخن داخلها، إذ تتناسب درجات الحرارة تناسباً طردياً مع علو القاعات، فعملياً الهواء الساخن ينتقل

¹ FOULCHE (A.L.), Le paysage balnéaire de Rome dans l'Antiquité : aspects topographiques, juridiques et sociaux. Thèse doctorat en Archéologie et Préhistoire, Université de Grenoble, 2011, p 155.

² VITRUVÉ, chapitre 5, 10.

بسرعة من المستويات الدنيا إلى الأعلى، فكلما كانت المساحة صغيرة والعلو كذلك كانت الحرارة عالية، هذه الخاصية تتيح لأصحاب الحمامات الخاصة الاقتصاد في وقود الأفران.

وقد يعتمد على عناصر البناء في التعرف على المبنى، مثل الآجر المستعمل في أعمدة الهيبيوكوست، حيث استعمل الآجر مربع الشكل *bessales* معدّل طول كل ضلع $3/2$ قدم (0.20م) وهو ما وجد متشابهاً في عديد الحمامات عامّة كانت أو خاصّة، وبخصوص تغطية الأرضية المحمولة فوق أعمدة الآجر *pilae*، عادة ما تتجزأ بالواح من الآجر *bipedales* بطول 2 قدم (0.60م).



صورة رقم 03.: أنابيب فخارية للهواء الساخن
مدمجة في الجدران - بومبيي¹

3-2-5 مصادر المياه وتصريفها من المبنى

بالنسبة للحمامات داخل التجمعات السكانية يستفيد الخواص من بعض الامتيازات في التزوّد بمياه القنوات العمومية، لكن هذه الميزة محدودة وقد تكون مكلفة عند بعضهم، كما قد لا تكفي الكمية الممنوحة لتزويد حماماتهم الخاصّة دون انقطاع، وقد يشكّل التزوّد بمياه القنوات اضطراب عند بعضهم بسبب حاجة الحمامات وغيرها إلى كميات كبيرة، أو بسبب أعطاب تصيب جزء منها عبر مستويات مختلفة من المنبع إلى غاية حوض التوزيع، هذا الانقطاع خلق ضرورة البحث عن مصدر آخر للمياه، وتشير بقايا الآبار المحفورة داخل التجمعات السكانية -خاصّة المدن التي تحتزن مياه جوفية سهلة

¹http://archeoaccea.chez.com/page_2.htm, consulter le 15/01/2020 à 23.44.

الوصول إلى السطح- إلى رغبة أصحاب المنازل في ديمومة التزود بالمياه، ففي مدينة تاموقادي يفوق عددها 60 بئراً، وبكاستلوم تيديتانوروم أكثر من 70.

وحسب توجيهات "فيتروفيوس" فإنّ المياه الموجّه للحمّامات يجب أن تكون متوفّرة بقدر يسمح بالاستحمام بأريحية، وعليه يشير إلى تزويد الأحواض الساخنة بالمياه انطلاقاً من تجهيز ثلاثة قدور توضع فوق الفرن أو الموقد، الأول مخصّص للماء الساخن الموجّه مباشرة إلى الأحواض والثاني مياهه دافئة أما الثالث مائه بارد، الغرض من هذا التتابع هو الاستمرارية في الحصول على الماء الساخن بتعويض قدر من آخر¹.

ومن الدلائل التي تشير إلى طبيعة المبنى الحموي، هو قربها من الخزانات، هذه الميزة تسمح لها بالتزود بصفة مباشرة من مياهها، مثل هذه الخاصية نجدها بشكل كبيرة في الحمّامات العمومية والأمثلة عديدة مثل الحمّامات الشرقية لمدينة كالمّا، إذ يبعد عنها الخزّان مسافة 10 متر ويذكر "قرولوا" Grellois أنّها كانت مرتبطة به بقناة زالت بقاياها²، والحمّامات الكبرى الجنوبية بكويكول تتّصل مباشرة بخزّانات تضمن لها استمرارية التزود بالمياه، وبثاموقادي يعتبر الخزّان الموجود جنوب الحمّامات الكبرى الجنوبية ممّون حقيقي لهذه الأخيرة بالمياه ويتعدّى إلى المنزلين المجاورين لها وهما منزل سارتيوس وهيرمافريدت؛ ونجدها كذلك في حمّامات المنازل الريفية أو الفيلات، مثل تلك الموجودة بحمامات قصر فاطمة، إذ لا يبعد عنها خزان التجميع سوى مسافة 2 متر، فالخزّانات القريبة تتيح للأفراد الاستفادة من مياهها، حيث تمد القنوات بينها وبين حمّاماتهم الخاصة.

وقد تبنى الخزّانات تحت الأرض مثل تلك التي زوّدت بها بعض المنازل في تاموقادي، شكلها مربع أو مستطيل، تستعمل لتخزين مياه الأمطار، فوهتها تشبه الآبار لذلك يصطلح على تسميتها بالبئر الخزّان، ويعتقد أنّ هذه الخزّانات تستغل فقط للحمّامات أو للتنظيف³، وبهيبيوريجيوس يضمن الخزّانان الموجودان بالمنزل ذو الطوابق (البروكوراتور) استمرارية تموين حمّاماته بالمياه.

¹ VITRUVÉ , Chapitre 5, 10.

² GRELOIS (E.), *Etudes archéologique sur Ghelma*, in M.A.N.M., première partie, bureau de l'académie, Metz, 1852, pp277-278.

³ BAHLOUL GUERBABI (F.Z.) et FARHI(A.), *La gestion de l'eau à Timgad de la source aux thermes antiques*, LARHYSS journal, n°23, Septembre 2015, p 263.

5-2-4 أقسام الحمامات وعلاقتها فيما بينها

نحن نتعامل في الحمامات الخاصة مع مجال ذو مساحة محدودة، مغلقا نسبيا في الكثير منها، يختلف عن الحمامات العمومية، التي تتعقد فيها الأمور ليصبح فهم طريقة عملها صعبا أحيانا، وبالتالي لا يتشعب البحث عن قاعات عادة لا تحتويها حمامات المنازل الخاصة على غرار قاعات المطالعة والتمارين الرياضية وقاعات الاجتماعات، والملحقات التي نجدها في الحمامات ذات الطوابق، ويقتصر تعاملنا مع القاعات الأساسية في الحمامات وعلاقتها بباقي أجزاء المبنى، ويبدأ البحث من نقطتين رئيسيتين هما:

- مصدر الماء وكيفية انتقاله داخل الحمامات وتوزيعه على مختلف أجزائها وتصريفه منها.

- الموقد ومصادر الحرارة وانتشارها داخل القسم الساخن للحمامات.

أما الأول، نقودنا إليه قنوات النقل والتوزيع والتصريف من جهة، من جهة أخرى ما يخلقه الماء داخل الأحواض أو على الجدران من ترسبات كلسية عادة ما توحى بطبيعة المبنى، لكن البحث هنا بحذر، إذ تشترك الحمامات في هذه الخاصية مع أجزاء أخرى في المبنى مثل النافورات، التي تتوسط عادة مساكن الخواص وكذا دور المياه Latrines، وفي بعض المنازل الخارجة عن التجمعات السكانية قد تشكل أحواض شرب الحيوانات - خاصة تلك المهيأة أو اللصيقة بالجدران - خلط بين وظيفتها الحقيقية، واحتمالية كونها أحواض خاصة بالحمامات على شاكلة *solium* في ظل غياب أجزاء أساسية للمبنى.

رغم هذا تبقى حركية المياه مؤشر رئيسي لمعرفة الأحواض، خاصة الحمامات التي تضم حوض سباحة أو استحمام بارد مثل حمامات بوميانوس، ثم إن هذا العنصر الحيوي لا يستقر عند القسم البارد ولا يتوقف مساره عند جزئية منه، فالقسم الساخن هو الآخر يحتاج إلى كمية معتبرة من المياه الساخنة، والتي تتولى المواقف المزودة بقدر أو أواني لتسخينه ثم نقله إلى الأحواض على اختلاف طبيعتها المبنية أو المحمولة فوق أرجل.

وفي إحدى ورشات الصباغة بئاموقادي وجدت ثلاثة أحواض مستطيلة الشكل مبنية بالحجارة، متجاورة الواحدة مع الأخرى، وثلاث أخرى دائرية مصنوعة من الفخار¹، وقنوات تصريف مياه هذه الأحواض إلى قناة الصرف الرئيسية تشبه تلك الموجودة في الحمامات، لكن الاختلاف في مواضعها.

¹ CHRISTOFLE (M.), Rapport de fouilles 1930.in B.C.T.H, pp31-32.

مثال آخر في مدينة كويكول يخلق مجالا للشك حول طبيعة المبنى، حيث عثر في منزل الأحواض الصغيرة على أقسام تشكّل في مجملها ما نجده في الحمّامات (قسم بارد وآخر ساخن، موقد، أرضية محمولة فوق أعمدة، تسلسل وترابط بين الغرف والأحواض..)، لكن هل هي حمّامات تابعة للمنزل أم لها وظيفة أخرى؟.

تذكر "إيفون ألي" Allais أنّ هذا الجزء من المنزل ما هو إلا ورشة لصباغة الأقمشة، هذه الأخيرة تغمس في أحواضها الساخنة لتثبيت الصبغة ثم تجفّ في القاعة الدافئة¹، والفصل في كون وظيفتها غير تلك الحموية هو مساحتها الضيقة التي لا تسمح للأفراد القيام بالاستحمام بكل أريحية.

ولنا مثال آخر في منزل الحمار حيث تشكّل الأحواض الثلاث في الجدار الغربي لقاعة الاستقبال والمعروفة بقاعة استحمام فينوس²، ما يشبه الأحواض التي نجدها في القاعات الساخنة والباردة، لكن طريقة تموضعها جنباً إلى جانب توحى أنّها نافورات وليست أحواض استحمام، التي عادة ما نجدها بشكل متقابل أو حوض واحد كبير يسمح بالاستعمال الجماعي في نفس الوقت .

من جهة أخرى قد نجد تشابهاً بين أحواض السباحة وخزانات المياه، وأوجه الشبه لا تتعدّى المستويات العليا من الجدران ولا حتّى الأسقف، بل على مستوى الحوض بأرضيته وتليبيه مما يصعب التفرقة بينهما، لذا وجب البحث عن ما يحدّد طبيعته، فمن خلال المعاينة لعدد أحواض السباحة، نجد أنّها تحتوي على درجات تشكّل سلّم النزول إلى الحوض حتّى وإن كان علوها لا يتعدّى 1 متر، الغرض من إنشائها قد يكون لمساعدة المستحمين على النزول إلى المسبح، كما يمكن أن يستعمل للجلوس وترك الأرجل تتدلى في المياه، وهي عادة يفعلها كثير من الناس حتّى يومنا هذا؟.

وبخصوص القاعات التي نجدها في الحمّامات الخاصة تختلف بحسب المساحة، إذ قد تكفي قاعتين للاستحمام واحدة ساخنة والأخرى باردة، كما يمكن أن تتعدّى إلى أكثر من ذلك وبأحواض متعدّدة، يختلف شكلها من رباعية الأضلع إلى النصف دائرية وحتّى الدائرية، مثل حمّامات انتصار فينوس بسيتيفيس، كما يمكن أن تحتوي القاعة الواحدة أكثر من حوض، مثل القاعة الباردة لحمّامات منزل الحمار بكويكول، التي تحتوي على حوضين نصف دائريين متقابلين، والشأن نفسه في حمّامات هنشير الصفية، لكن مساحتهما متفاوتة.

¹ ALLAIS (Y.), *Le quartier occidental de Djemila (Cuicul)*, in Ant. Af., 5, 1971, p105.

² BLANCHARD LEMEE (M.), *Maisons à mosaïques...* Op.Cit. pp 28-29.

وقد نجد في بعض الحمامات أحواض ساخنة لكن مياهها غير مسخنة بنظام الهيبوكوست، وهذا ما نجده في الحمامات العلاجية، حيث مياهها ساخنة طبيعياً تفوق 60°، مثل الحمامات الفلافية *aquae flavianae*، التي تصل درجة حرارة مياهها 70°، يتم جلبها من منبع يبعد عنها مسافة 300م، في حين مياهها الباردة يتم جلبها من مصدر آخر¹، وآكواي ثيبيليتتاي *aquae thibilitanae* التي تفوق درجة حرارة مياهها 90°، جلبت من المنابع الساخنة لودي شداخة.

بالنسبة للحمامات التي تحتوي قاعدة دافئة، يتم تسخينها بطريقة مباشرة من المواقد، أو غير مباشرة من أرضية القاعدة الساخنة أو قاعة التّعريق، تعمل على خلق مجال تناوبي بين القسم الساخن والبارد، سواء كان موقعها وفق مسار مستمر أو متعرج، فهي غالباً ما تكون مفتوحة على الاثنين معاً، يسميها كل من "بلين" و"غاليان" بالقاعة الوسطى للحمامات *cella media*²، وبالرجوع إلى مساحة الحمامات الخاصة يمكن الاستغناء عنها مثل حمامات منزل يانوياريوس بثاموقادي، والعكس من ذلك فهي أساسية في الحمامات العمومية واسعة المساحة، بل أكثر من ذلك قد يحتوي بعضها أكثر من قاعة واحدة دافئة، مثل الحمامات الكبرى الشمالية بثاموقدي، التي احتوت ثلاث قاعات دافئة، واحدة مركزية متصلة مباشرة بالساخنة والباردة وفق مسار مباشر، ويتفق عديد الباحثين على تسميتها بقاعة الدّخول، وعلى الجانبين قاعتين دافئتين يمكن تسميتهما بقاعتي الخروج.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحمامات بنيت لخلق مجال يبعث على الارتياح، من خلال توفير كل ما يحتاجه المستحمين، وفي إشارة من "سيناك" كتبها في القرن الأول، أنّ الناس يعتبرون الحمامات مناسبة، لكنها ليست كذلك ما لم تستقبل الشمس طوال النهار من خلال النوافذ الواسعة، إذ من غير الممكن الحصول على ملابسهم في الظلمة الحالكة³، هذه إشارة منه إلى إلزامية توفر الإنارة داخل قاعات الاستحمام، ويكون هذا بتوزيع عناصر البناء بشكل يوافق بين نوافذ الإنارة والمحافظة على درجة حرارة القاعات الساخنة .

¹ BIREBENT (J.), Op.Cit, pp238-239.

² QUATREMERE DE QUINCY, Dictionnaire historique d'architecture , T.1, librairie d'Adrien de Cler et c^{ei}, Paris , 1832,p 140.

³ JAMES W. RING, Windows, Baths, and Solar Energy in the Roman Empire, in A.J.A., Vol. 100, n° 4 (Oct., 1996), p 718.

5-2-5 الأدوات المستعملة في الحمامات

يعتبر محك الاستحمام strigile من الأدوات التي استعملت في الحمامات لإزالة شوائب الجسم، أو آثار التعرق أو الزيوت بعد المكوث في قاعة التعريق، بالإضافة الى الاسفنجة التي استعملت لدهن الجسم، وهي ذات طبيعة عضوية¹ سهلة التلف، إذ لا نجد منها في المتاحف سوى الآثار القليلة جدا، ويبقى محك الاستحمام معيار حقيقي للتعرف على وظيفة المبنى انطلاقا من آثاره، لأن استعماله مرتبط فقط بالاستحمام، ويمكن التعرف عليه بسهولة من شكله، إذ يتكون من الذراع *capulus* والمقبض *clausula* والقناة المنحنية *tubulatio*، وعلى جانبيها شفرة حادة *ligula* تسمح بحك الجسم بعناية لإزالة ما علق به، وهو مصنوع من الحديد أو البرونز أو العظم وحتى العاج². كما استعملت أداة لسكب الماء على الجسم *patère*، هي الأخرى مصنوعة من المعدن لا تمتاز بعمق كبير، بالإضافة الى بعض الأدوات التي توضع فيها الزيوت أو الدهون لترطيب الجسم *aryballe*، لكنها غير مرتبطة بالضرورة بالحمامات، فدرجة حكميتها أقل من تلك التي ذكرنا .



شكل رقم 01: رسم توضيحي لمحك الاستحمام⁴ strigile

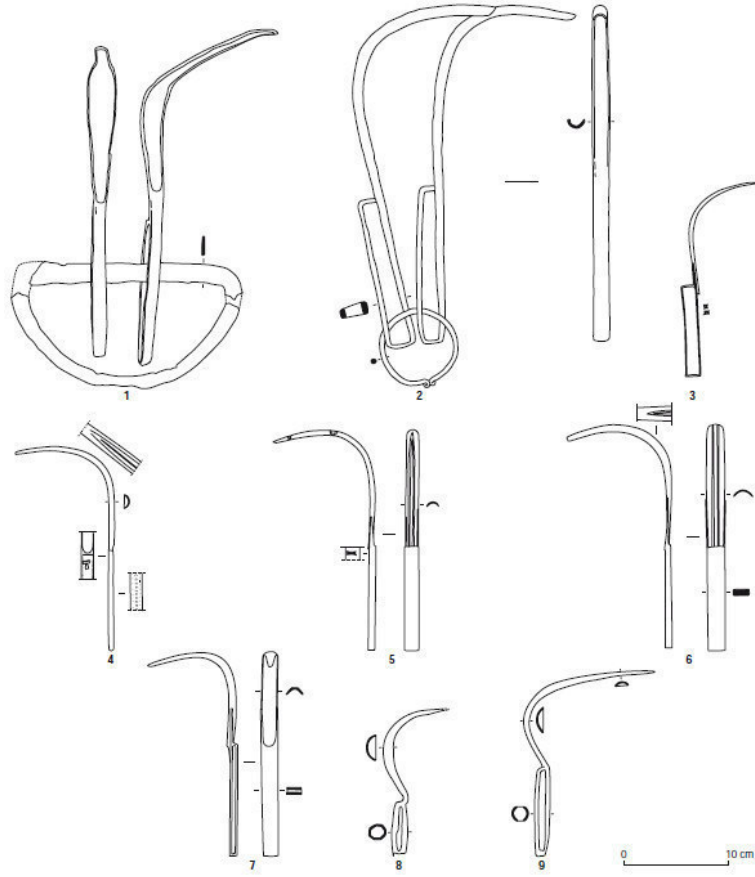
صورة رقم 04: بعض الأدوات التي استعملت في الحمامات³

¹ COUËLLE (C.), *Balaneutikè : le bain et les soins du corps dans l'Antiquité gréco-romaine*. Journées de l'Antiquité et des Temps anciens 2014-2015, Faculté de Lettres et Sciences humaines; Université de La Réunion, 2014, Saint Denis, La Réunion. p266 .

² MALLET (F.), PILON(F.). *Le strigile en Gaule, objet utilitaire et vecteur de romanité : l'exemple du strigile de la villa des Champs-de-Choisy à Charny (Seine-et-Marne)*. Gallia - Archéologie de la France antique, CNRS Éditions, 2009, 66 (2), pp 119-121.

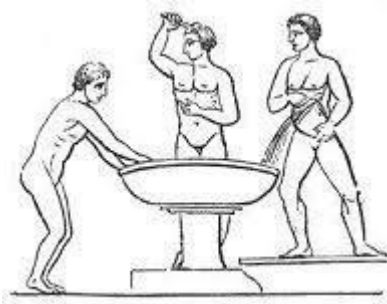
³ <https://www.photo.rmn.fr/archive/89-003807-2C6NU0HMH9Q6.html>, consulter le 16/01/2021 à 10.59

⁴ MALLET (F.), PILON (F.). *Op.Cit*, pp115.



شكل رقم 02: مختلف محكات الاستحمام¹

بالنسبة للحمامات الخاصة التي لا تحتوي على أحواض مبنية ساخنة، وجدت أحواض الاغتسال لوضع الماء الساخن، مصنوعة من المعدن أو الرخام² labrum، تستعمل لغسل الأطراف، ويكلف الخادم بسكب الماء من حين لآخر.



شكل رقم 03: رسم توضيحي لحوض الاغتسال "لابروم"³

¹ MALLET (F.), PILON (F.). Op.Cit, p122.

² BOUET (A.), Pratiques balnéaires et acculturation : quelques éléments de réflexion. In : Contacts et acculturations en Méditerranée occidentale, Publications du Centre Camille Jullian, Aix-en-Provence, 2015, p292.

³ ROMBY (J.), Histoire des bains- les bains dans l'antiquité, bibliothèque de travail n° 92, imprimerie à l'école Cannes (A.M), 1949 , p 12 .

وبالنسبة لتسخين المياه استعملت قدور معدنية تختلف سعتها بحسب حجم الأحواض، توضع فوق الموقد، يتم تزويدها من حين لآخر بالمياه.

بالإضافة إلى كل ما ذكر، تشير المواضيع التي تقدمها الفسيفساء التي وجدت بالحمّامات إلى ارتباطها بعنصر الماء، مثل صور الآلهة على غرار نيبتون وامفيتريت والحوريات والوحوش والمخلوقات البحرية والدلافين... الخ¹، لكنّها ليست بالضرورة مؤشر قوي، إذ قد نجدها في أجزاء أخرى من المنازل على غرار قاعات الأكل أو قاعات الاستقبال أو الأروقة، فصور الحوريات البحرية التي ارتبط وجودها بالحمّامات وجدت في عدد معتبر، منها تلك المكتشفة بحمّامات بومبيانوس، والتي تصور ست حوريات ممتطية حيوانات ميثولوجية بحرية، مصوّرة فوق أرضية فسيفسائية، وبإحدى الحمّامات بروسيكاد وجدت مع الوحوش البحرية، ووجدت في القاعة الباردة لحمّامات برج القصر (سيلا) رفقة سيلا scylla، وبالحمّامات الكبرى لحي الخيالة بتيفاست تشكّل الحوريات السبع ممتطية الوحوش البحرية الموضوع الرئيسي للفسيفساء المكتشفة بها².

بالمقابل وجدت في القاعة الكبرى لمنزل الحمار حوريات، احداها ممتطية المخلوق الأسطوري griffon وأخرى فوق حصان بحري، وفي هيبوريجيوس وجدت في المنزل ذو الطوابق (البروكوراتور) بقاعة غير تلك المخصصة للاستحمام، حيث عثر على فسيفساء تحمل صورة لأربع حوريات ممتطية وحوش بحرية³، في حين قاعات الحمّامات بلّطت أرضيتها بفسيفساء ذات مشاهد نباتية .

دون شك المشاهد الفسيفسائية، خاصّة تلك المشكّلة في المنازل، حتّى وان كانت دلالاتها الترابطية ليست مقنعة بشكل تام، إلا أنّها توجي إلى طبيعة ووظيفة الغرف، فالمشاهد المائية التي تضم الحوريات والمخلوقات البحرية والأسماك، وآلهة المياه والبحار ارتبطت بالحمّامات والنّافورات، ومشاهد الطبيعة الصّامتة، وتلك التي تصوّر المواضيع الديونيزية المرتبط بالخمّر، وجدت بشكل كبير في

¹ FOULCHE (A.L.), Op.Cit, p 155.

² DONDIN PAYRE (M.), Les thermes romains de theveste –Tébessa et l'album de François Maurice Allotte de la Fuye, un document sur les vestiges méconnus, in C.R.A.I , 154-2, 2010, p717.

³ MAREC (E.). Une maison à étages à Hippone. La villa dite « du Procurateur ». In: Ant. Af., T3, 1969. pp 164-166.

قاعات الأكل، والمشاهد التي تصور استحمام فينوس أو إيروس أو بيسيبي، أو ذات مشاهد شهوانية ارتبطت بقاعات النوم¹.

6- موقع الحمامات وعلاقتها بالمباني المجاورة لها

6- 1 القوانين المسيّرة والمنظمة للمدن والتجمعات السكانية

في التقليد اليوناني ومن بعده الهلنستي، يسهر *astynomes* وفي بعض الأحيان يحل محله *agoranomes* على السير الحسن للتنظيم العمراني وتسيير الشوارع والساحات العامة والأسواق، وكل ما يخص منازل الخواص بحيث لا تتعارض هياكلها وملحقاتها و الشكل العام للطرق والأزقة، وأن لا تكون في حالة سيئة حتّى تعطي مظهرًا مناسبًا للمدينة، حيث يعاقب كل من أضاف لمنزله جزءًا من الشوارع أو فتح نوافذ تطلّ عليها أو ترك قناة مفتوحة²، وفي حالة عدم إلّزام الخواص بتصليحها تفرض عليهم غرامات مالية حتّى إصلاحها، وتختلف العقوبة بين العبيد والأحرار، فإذا كان المخالف عبداً يجلد ويضرب بشدة من طرف أول شخص يتضرّر، أمّا إذا كان حراً فترفع ضده شكوى إلى مسؤول المدينة، فيحكم عليه بغرامة مالية مناسبة من جنس الضرر أو المخالفة³، بمثل هذه العقوبات أقر قانون بيرقام Pergame وقانون بيري Piree. وفي التنظيم الروماني أوكلت مهمة تنظيف الشوارع داخل المدن إلى المراقب العام *edile* و *quattuorviri*، أمّا خارج المدن يتولى مهمة تنظيف وصيانة الطرق الحاكم الثنائي.

من جهة أخرى تجبر القوانين عدم ترك المياه تركد في الشوارع، وإلا كانت تكاليف الصيانة وتنقية المجاري على عاتق الخواص، وهي بذلك إجراء وقائي للإحالة دون تلوث المحيط.

في هذا الإطار يبقى البحث عن المنازل التي تعرف مجاورة لبعضها أمر هام، من أجل معرفة حدودها، وفي حال قيام أصحابها بأي تدخّل (بناء أو تعديل أو ترميم)، الذي من شأنه إحداث أيّ خلل يضرّ بها، وهذا يستدعي النّظر في منازل الخواص ذوي المكانة المتميزة في المدينة، إذ لا

¹ PAPPALARDO (U.), CIARDIELLO (R.), *Mosaïques gréco-romaines, Citadelles et Mazenod*, Paris , 2010, p77.

² SALIOU (C.), « Le nettoyage des rues dans l'Antiquité : fragments de discours normatifs dans P. Ballet, P. Cordier, N. Dieudonné-Glad (dir.), *La ville et ses déchets dans le monde romain. Rebut et recyclages* », Actes du colloque de Poitiers, 19-21 septembre 2002, Montagnac, 2003, p.38-39.

³ SALIOU (C.), *Les lois des bâtiments « voisinage et habitat urbain dans l'empire Romain, recherches sur les rapports entre le droit et la construction privée du siècle d'auguste au siècle de justinien*, B.A.H, presses de l'Ifpo, Beyrouth, 1994, p11.

يحدّها في كثير الأحيان أيّ من منازل الجيران، فقط الأزقة التي يفتح عنها من جهاتها الأربعة مثل منزل الحمار بكويكول، إذ يحدّه من الشرق الشارع الرئيسي شمال /جنوب ومن الغرب شارع كبير ومن الجنوب يفصله طريق فرعي عن المعبد المجهول ومن الشمال معبد فينوس جينيتريكس، وبمدينة ثاموقادي نجد منزلي سارتيوس وهيرمافروديت.

نقطة أخرى تأخذ بعين الاعتبار تتمحور حول زمن بناء المنازل المجاورة لبعضها، ما إذا كانت في نفس الوقت أو في أوقات مختلفة، وما إن وقع عليها تعديل لاحقاً كإضافة أجزاء بها أو إزالة أخرى، والأمثلة عديدة يمكن أن نستدل بها من أقاليم مختلفة من العالم الروماني، مثل منزل الفيلسوف بأوستي Ostie، الذي بني في فترة حكم ترايانوس، في حين المنزلين المجاورين له مباشرة، واللذان لا يفصلهما عنه سوى جدار مشترك، بنيا على التوالي أثناء فترة حكم فلافيانوس والفترة السيفيرية، وفي الإسكندرية منزلان يشتركان في نفس الوحدة السكنية، يحتوي كل منها على أحواض تشترك في قناة التزويد بالمياه، يفصل بينهما جدار مشترك، وفي حال نشوب نزاع بينهما بسبب انهيار الجدار أو القيام بأعمال تهيئة أو ترميم لضرر قد يلحق به، سواء بإضافة أجزاء له أو إزالة جزء منه قد يضرّ بالمنزل المجاور، وللغرض في النزاع يطرح الإشكال حول الملكية الحقيقية وحدود كل منزل، خاصة الجدار الفاصل بينهما، ولتفادي مثل هذه المخاطر فإنّ قانون الألواح الاثني عشر، ألزم صاحب الجدار أن يوفر له الدعائم المناسبة ومنعه من الانهيار.

من جهة ثانية فإنّ القوانين المسيّرة للبناء في المدن الرومانية تفرض على الخواص استعمال تقنيات بناء معينة، وبالتالي حتمية استعمال مواد بناء دون أخرى، فبالنسبة للجدار الفاصل بين منزلين فإنّ القانون العمومي *leges publicae* يفرض سمكه بقدّم ونصف على الأقل، وحتى يكون الجدار متيناً يستبعد أن يبنى بالآجر وحده، الذي لا يمكنه تحمّل ثقل طابق على الأقل¹.

هذا لا يطرح إشكالا في حالة تزامن البنائيتين المتجاورتين، لكن تلك التي بنيت في فترات مختلفة تنثير النظر، خاصة إذا كان الجدار الفاصل بينهما لا يراعى فيه معيار السمك أو البناء المزدوج، ولنا مثال في مدينة كويكول، حيث يتجاور منزل الحمار في جزئه الشمالي مع معبد فينوس، والذي يشترك في جابه الغربي مع حمامات المنزل بقسمها الساخن، واللافت للنظر أنّ الجدار الفاصل بينهما مبني بصف واحد وليس مزدوج، وتذكر "بلنشار لومي" Blanchard-Lemée نقلا عن "إيفون

¹ VITRUVÉ, Op.Cit ,8.17.

آلي" إلى أن القوانين التي كانت تسيّر الحياة الاجتماعية والدينية، والتي أولت أهمية للمباني الدينية لم تحترم في وقت لاحق عند بناء الجزء المضاف لمنزل الحمار، وهنا إشارة إلى أن الحمامات أضيفت في وقت لاحق وأنها بنيت بعد المعبد¹.

في نفس المدينة نجد أن معبد *frugifer*، كان مهدمًا حين بناء البازيليكا المدنية في مكانه ما بين 364 و367م، كذلك الشأن لمعبد *tellus* حيث وجدت بقايا حجارة تحمل إهداء له، أعيد استعمالها في بناء الكنيسة الشمالية .

وفي المنازل الريفية والفيلات يشرح "فيتروفيوس" أن موقع كل غرفة يتم اختياره بشكل يسمح باستعمالها وفق وظيفتها، وأن لا تؤثر كل واحدة منها على التي تجاورها؛ مثلاً لا يجب أن يتجاور كل من المطبخ أو الحمامات مع الإسطبلات، إذ قد تؤثر درجة الحرارة العالية على جلد الحيوانات المعدة أساساً للجر أو الحمل، كما أن إنشاء المعالف في مكان مكشوف يسمح للحيوانات من اكتساب جلدا ناعماً، كما تستفيد من أشعة الشمس الصباحية².

بالمقابل يمكن أن يتجاور المطبخ والحمامات مع معاصر الزيت، فهذه الأخيرة قد تتطلب كمية معتبرة من الماء الساخن وبالتالي تشترك في الأفران، فتارة لتسخين المياه لعصر الزيت بفصل القشرة عن حبة الزيتون، وتارة أخرى للاستحمام خاصة بعد أعمال العصر أو غير ذلك.

6-2 تزويد الحمامات الخاصة بالمياه

بين إشكالية، العام يقيد الخاص ، ومبدأ الضرورة تفرض الانقياد.

إنّ البحث في هذا الجانب يطول ويتشعب، لكننا لسنا بصدد رصد كل ما قيل حوله، إنّما سنعرض بعض الخصوصيات التي من شأنها إعطائنا فكرة حول كيفية تزويد الحمامات الخاصة بالمياه، ومكانة ذلك بين ما تفرضه السلطة سواء الإمبراطورية أو المحلية من قوانين وتعليمات تسيّر هذا الفعل، الذي يعتبر اجتماعي بدرجة أولى، واقتصادي سياسي من وجهة تغليب المصلحة العامة على مصلحة الأفراد، وما يطلبه هؤلاء في حياتهم اليومية .

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul), C. N. R. S, Paris, 1975, p46.

² VITRUVÉ, Livre 6, Chapitre.6.

فلتزويد المنازل بالمياه هناك طرق عدّة، أكثرها شيوعا عن طريق قنوات النقل من أماكن التجميع أو المنابع، وهو المبدأ العام، إذ أولى الرومان أهمية كبيرة لإنشائها، على الرغم من أنّ عدد النفقشات التي تحمل إشارات لتزويد المدن بالمياه محدودة، مقارنة بالعدد الهائل الذي خلّفته الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا، فقد اكتشف منها 11 في مقاطعة البروقنصلية، 3 في مقاطعة الطرابلسية، 12 في نوميديا، 4 في موريطانيا القيصرية¹، ونجد من حيث تمويل المشاريع المتعلقة بها نوعان :

1. مشاريع ممولة بأموال عمومية²، حيث تبنى القنوات من ميزانية الإدارة، ولا يتوقّف دورها على الجانب المالي، بل وتسخر موظفا يعرف بالقيم على المياه *curator aquae*، وعلى الرغم من قلّة التّصوص التي تذكر هذه الوظيفة، إلا أنّه في إيطاليا أحصت "كوربي" Corbier ، 12 موظفا بهذه الصّفة، مهمتهم إنشاء مشاريع لجلب المياه والحرص على صيانة قنوات نقلها³، وحين الحديث عن الأموال العمومية، فهي في الأخير أموال الشعب اقتطعت كضرائب مباشرة أو غير مباشرة⁴.

ونظرا لأهمية قنوات المياه، فإنّ الخزينة لا تتوانى في صرف أموال باهظة من أجل انجازها أو ترميمها وصيانتها، إذ تقدّر بملايين السيستارسات مثل *aqua marcia* التي بلغت تكلفة انجازها 180 مليون سيسترس⁵.

2. مشاريع ممولة بهبات الخواص *privata pecunia*، هي في الأساس مقابل مالي يفرض على من يرغب في تقلّد المناصب السّامية والألقاب التّشريفية والدينية، يعرف باسم القيمة الشّرفية⁶ *summa honoraria*، التي تختلف قيمتها الشّرعية *legitima* بحسب العمل المنجز أو المقرّر انجازه من مدينة إلى أخرى، وقد يضيف البعض قيمة فوق تلك المفروضة خدمة للصالح العام⁷، ومن أمثلة هؤلاء

¹ BEL FAIDA (A.), *les aqueducs de l'Afrique romaine « le dossier épigraphique »*, contrôle et distribution de l'eau dans le Maghreb antique et médiéval , E.F.R, 426, 2009, p 123.

² في هذا الموضوع نجد العديد من الأمثلة منها :

Saldae, *CIL*, VIII, 2728 = 18122 / AE, 1941, 117 / AE, 1942-43, 93/ AE, 1996, 1802 / AE, 1999, 80 .

Thugga, *CIL*, VIII, 1480 = 26534 / AE, 1966, 511 / AE, 1991, 1665 / AE, 2000, 1726 .

³ CORBIER (M.), *De Volsinii à Sestinum : cura aquae et évergétisme municipal de l'eau en Italie*, Revue d'Études Latines, 1984 , p. 260-262.

⁴ للمزيد من التوضيح والتعمّق في الموضوع يرجى تصفح : شنيّتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012، ص ص 165-189.

⁵ ADAM (J. P.) , *La construction romaine .. Op.Cit*, p 271.

⁶ FEVRIER (P. A.), *Approches du Maghreb Romain*, EDISUD, Aix en Provence, 1989, pp 200-201

⁷ IBBA (A.), TRAINA (G.), *l'Afrique romaine de l'Atlantique à la tripolitaine (69 -439 ap. j-c)*, imprimerie France Quercy , France, 2006, p 113 .

الواهبين نجد كوينتوس بازيلئوس فلاكيانوس *quintus basilius flaccianus* في مدينة كالما¹،
وديكيوس ألبينوس يونيور، *caecina decius albinus iunior* بكيرتا² وبنفس المدينة يوليوس
قارقيليانوس³ *C. Iulius gargilianus*، وبلمايزيس لوكيوس سيليكوس روفوس *curante lucio*
*silicio rufo*⁴ وكلها تؤرخ بالقرن الرابع ميلادي، وبمدينة تاموقادي نجد انجاز خزان ماء *lacus* أو
حورية ماء؟ من طرف بوبليوس يوليوس *publius iulius* بقيمة 32300 سيسترس مهدى لشعب
المدينة وبأمر من المجلس البلدي⁵.

ولنا أمثلة منتشرة في المقاطعات الرومانية بشمال إفريقيا، عن ما ذكر حول تمويل المشاريع
المتعلقة بقنوات نقل المياه، سواء الممولة بأموال عمومية أو بأموال الخواص، ويعطي الجدول الموالي
أمثلة عن ما وجد في هذه المقاطعات:

¹ CIL, VIII-1, 5335 = *ILAlg*, I, n°256 .

² CIL, VIII, 7034 = *ILAlg*, I, n° 619 .

³ CORBIER (M.), *L'évergétisme de l'eau en Afrique: Gargilianus et l'aqueduc de Cirta in africa romana*, atti del3. Convegno di studio, 13-15 décembre 1985, Sassari (Italia). Edizioni Gallizzi, 1986, p281.

⁴ CIL, VIII, 18328 .

⁵ BALLU (A.), Les ruines de Timgad antique *Thamugadi* « nouvelles découvertes »II, Ernest Leroux éditeur, Paris,1903, p76.

الرقم	الموقع	المرجع	الواهب أو الممول أو المشرف على الانجاز	طبيعة الأشغال	القيمة المالية	التأريخ
(مقاطعة الطرابلسية)						
1	لبدة الكبرى	CIL, VIII ,11 AE,1977.848	<i>q. servilius candidus</i>	انجاز قناة نقل المياه	؟	ما بين 1 جانفي و 9ديسمبر 119 م
2	صبراتة	AE ,1925, 103	<i>caius flavius pudens</i>	صيانة وترميم قناة نقل المياه	100 ألف سيسترس	نهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي
(مقاطعة البروقنصلية)						
1	دوقا	AE, 1966 , 511	أنجزت بأموال عمومية من <i>civitas aurelia thugga</i>	انجاز قناة كوموديانا	////	185-184 م
2		AE, 1966, 512	<i>lucius terentius romanus</i>	جلب المياه من مكان التجميع	////	بعد سنة 205 م
3		AE, 1904,122 CIL, VIII, 26568	<i>lucius naptius felix antonianus</i>	ترميم قناة نقل المياه وبناء حورية	////	379-383م 376-377م ¹

¹ LEPELLEY (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T1,..... Op. Cit, p308.

		ماء				
القرن الثاني ميلادي	////	إهداء إلى الإله نبتون والحوريات تذكيرا بانجاز قناة نقل المياه ونافورة	<i>cnaeus iunius</i>	CIL,VIII ,120 AE, 1934,170	قفصة	4
منتصف القرن الثالث ميلادي	////	انجاز قناة نقل المياه	تحت مسؤولية <i>annius rufinus</i>	CIL. VIII ,51 ILS, 5777	تيسدروس	5
324 . 321 م	////	تهيئة مشاريع مائية	<i>[...lius[florrentius</i>	AE ,1949, 49	هنشير الفت	6
393 م	////	ترميم قنوات نقل المياه	<i>aemelius florus paternus – erus fanus gemenianus</i>	CIL, VIII ,15204	تقنيكا . عين تونقة	7
	قيمة مضافة فوق القيمة الشرعية	تزيين رواق معمد وانجاز قناة نقل المياه	<i>modia quintia</i>	CIL, VIII ,12317	سيدي بوعرارة	8
ما بين 160 و 180م	////	انجاز قناة نقل المياه	<i>caius postumius africanus</i>	AE.1988, 1119	حيدرة	9

10	سيدي أحمد الهاشمي	CIL,VIII ,27818	<i>donatus (curateur rei publicae</i>	إعادة بناء قناة نقل المياه	////	القرن الرابع ميلادي
11	كالما	CIL,VIII5335 ILAlg, 1, 256	<i>fl(amen) p(er)p(etuus) q. basilius flaccianus</i>	ترميم القناة المزودة لحوض الحمامات	////	365.-364م
12	أبير مايوس	Inédite ¹	<i>quintus geminius faustus</i>	انجاز قناة نقل المياه	إضافة 12000 سيسترس على القيمة الأساسية	؟
(مقاطعة نوميديا)						
1	ثاموقادي	CIL,VIII 17869	بأموال عمومية وبأمر من المجلس البلدي	انجاز قناة عين موري	////	174م
2		AE.1985, 875	أنجزت من طرف القائد كايوس براستينا ميسالينوس وبأموال عمومية	الانتهاء من انجاز أشغال الري	////	146 - 145 م

¹ BEL FAIDA (A) , Op.Cit, p 136

184-182 م	////	الانتهاء من أشغال تنظيف حوض التجميع بالقرب من منبع عين موري	<i>m.valerius maximianus</i> بأموال عمومية وبقرار من المجلس البلدي	AE.1934, 40 LESCHI ,BCTH,1935, p157		3
378-367 م ¹ 392-388 م ¹ أو 367 - 368 م ² 392 - 383 م ²	////	إصلاح قناة نقل المياه	؟؟	AE.1899, 216	ماسكولا	4
235- 222 م	////	جلب المياه إلى المدينة وانجاز قناة الكسندريانا	بأمر من الامبراطور <i>marcus</i> <i>aerellius severus alexander</i> ويتنفيذ الديومفير <i>laetus</i>	CIL,VIII 2659 CIL,VIII 2662		5
293-290 م	////	ترميم قناة تيتولنسييس	تحت اشراف الحاكم <i>aurelius</i> <i>maximus</i> ومحافظ الفيلق الثالث الأغسطي <i>calaudius</i> <i>honoratus</i> ومسؤولا التنفيذ الكوراتور <i>aemilius lucinus</i>	CIL,VIII 2572 CIL, VIII 2660	لمبايزيس	6

¹ VARS (CH.), R.S.A.C., n°32, 1898, p375.

² LEPELLEY (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T1,..... Op. Cit, p 435.

			والقائد <i>iulius aurelius</i>			
282-276	////	ترميم كلي لقناة تيتولنسييس	تحت إشراف الكوراتور والكاهن <i>aelius refus</i> الدائم	CIL. VIII 2661		7
383-379 م	////	ترميم قناة المياه الممونة للنافورات العمومية	الكوراتور <i>Lucius silicius rufus</i>	CIL, VIII 18328		8
226 م	////	انجاز قناة مياه على مسافة 25 ألف قدم، من المنبع إلى حورية المدينة	بأمر من الامبراطور <i>marcus</i> <i>aerilius alexandre</i> وبتنفيذ من الفيلق الثالث الأغسطي	CIL, VIII 2658		9
164-160 م	////	جلب المياه إلى البلدة	أنجزت بأموال عمومية	CIL, VIII 4205 – 18495	فيريكوندا	10
392 – 383 م	////	تهيئة قناة نقل المياه، والتي يعتقد "لوبولي" أنها	الحاكم <i>caecina dicius albinus</i> وتحت مسؤولية الكاهن <i>Caicelius</i> <i>gromatus aedicius</i>	CIL, VIII 7034	كيرتا	11

		المسؤولة عن تموين مدينة سيرتا ¹				
222-235 م	////	إهداء للاله جوبتير من طرف القائد لوكيوس أبرونيوس بيوس بمناسبة إنهاء انجاز قناة للمياه	الفيلق الثالث الأغسطي بإشراف من المهندس الفني لأشغال الري <i>Claudius septimus</i>	AE1942-1943 , 93 AE1973, 646	عين شرشار	12
305-306 م	////	ترميم قناة نقل المياه وخزان	تحت حكم <i>Val(erius) ant(oninus)</i>	CIL, VIII 4766 – 18700	ماكوماداس	13
مقاطعة موريطانيا						
379-383 م	////	ترميم القناة المزودة للحمامات بالمياه	تحت رعاية القائد العسكري <i>Flavius felix gentilis</i>	CIL, VIII 20266 ,8393	ساتافيس (موريطانيا السطافية)	1
؟	////	انجاز قناة نقل المياه	<i>Terentius cutteus</i>	CIL, VIII 21671 AE 1890,37	ألبولاي (موريطانيا القيصرية)	2

¹ LEPELLEY (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T1,..... Op. Cit, pp 383 -388

من خلال قراءتنا للجدول، خاصّة المدن التي تدخل في مجال الدراسة وعددها 11، يتضح أنّ المشاريع الكبرى للري كانت تمّول وتتجزّ بدرجة أولى بأموال عمومية من المجلس التنفيذي للمدينة، على اختلاف مراتبها الإدارية، وإن كانت في مثالنا هذا أغلبها حائزة لمرتبة المستعمرة، والنسبة الكبيرة نجدها في مدينة ثاموقادي تؤرخ بالقرن الثاني ميلادي، وإن كان البعض منها ولأهميته الكبيرة تتدخل فيه السّلطة المركزية، بأمر من الإمبراطور وبموجب قرار تنفيذي، على غرار ما قام به سيفير الكسندر لإنجاز قناة ألكسندريانا بلمبايزيس، كما نسجّل بعض الكتابات التي تشير إلى أنّ الجيش الروماني ممثلاً في الفيلق الثالث الأغسطي، من اهتماماته الاستراتيجية إنجاز قنوات نقل المياه أو إعادة الاعتبار لتلك المهذّمة أو المعيبة، ولنا أمثلة في كل من لامبايزيس وعين شرشار وساتافيس، وهي تؤرخ بالقرنين الثالث والرابع الميلاديين، النوع الثالث من المشاريع المموّلة من طرف الخواص مثل إنجاز قناة ألبولاي (عين تموشنت) من طرف تيرنتيوس كوتيسوس وزوجته مايا مونولا وأبنائهما .

ولا يمكننا بأي حال أن ننسى قنوات الخواص خارج التّجمعات السّكانية، إذ لا تلتزم الإدارة المسؤولة ممثلة في القيّم عليها بتحمّل أعباء إنجازها، مما يدفع بالأفراد إلى المبادرة حتّى وإن طالّت المسافة بين المنبع والحمّامات أو الخزانات ومهما بلغت تكلفة الانجاز .

وقد تتنوّع أصناف القنوات بحسب طوبوغرافية المناطق، إذ قد تكون مبنية فوق قناطر مثل قناة سيزاري وهيبوريحيوس وكيرتا، أو مبنية تحت الأرض على هيئة نفق مثل قناة صالداي¹ أو مهياة في الصخر مثل تلك الموجودة على الضفة اليمنى لوادي تكوت عند مدخل مغارة تيغنمين² .

من جهة أخرى تخضع مياه الوديان إلى التّصفية قبل وصولها إلى المدينة، وتوزيعها على المرافق العمومية والخاصّة، وتتمّ العملية بدءاً من حوض التّجميع، حيث تترسّب الشوائب قبل وصولها إلى القناة، وعلى امتداد هذه الأخيرة نجد عادة أماكن منخفضة عن مسارها على هيئة بئر، تتمّ من خلالها تنقية المياه ثم تعاود مسارها، وتتكّرر العملية حتّى تصل إلى مكان التّجميع والتّوزيع داخل المدن أو التّجمعات السّكانية، وتشير النّقيشة المؤرخة بـ182-184م، المكتشفة قرب حوض التّجميع على مقربة من عين موري بثاموقادي، والتي تحتوي 14 سطر، طرقت الأربعة الأولى منها، في حين

¹ LEVEAU (Ph.), Transferts de technologie hydraulique dans l'afrique romaine, In : Ben Hassen, Eau et peuplement au Maghreb durant l'Antiquité et le Moyen Age, Université de Tunis, 2009, p119.

² Ibid, p 128.

أعيد كتابة السّطرين الموالين، وتحمل هذه النقيشة عبارة *aqua paludensis* والتي تعني المياه الموحلة أو الضحلة¹، والنّص يشير إلى أعمال التّنظيف وإزالة الأتربة والأوحال التي ترسّبت بالحوض.

بعد الانتهاء من تشييد القنوات تأتي مرحلة التّجميع داخل المدن والتّجمعات السّكانية لتوزيعها بشكل منتظم وفق قاعدة ثابتة، وهي أنّ الجزء الأكبر يوزّع للحمّامات العمومية، ثمّ النافورات أو الحوريات الموجودة في نقاط مختلفة بالمدينة، والتي يستسقى منها عامة الشّعب، أو اللجوء إلى الينابيع والمياه خارج التّجمعات السّكانية، والطبقة المرموقة لها الأفضلية في التّزود بمياه القنوات²، والنسبة المتبقية تكون من نصيب منازل العامة، لكن في بعض المدن قد تتدخّل السّلطة العليا لفرض أوامر تفضّل العام على حساب الخاص، هذا ما نجده في بعض القرارات الإمبراطورية، مثل ذلك الذي صدر سنة 440م من طرف تيودوس وفالنتينيانوس، والذي جاء فيه :

"...بأمر من الامبراطورين ثيودوسيوس وفالنتينيانوس، يعتبر أي استغلال لقناة أدريانوس سواء لتوصيل مياهها إلى المنازل الرّيفية أو الضّيعات أو الحمّامات الخاصّة، تمّ الحصول عليه بموجب قرار امبراطوري سابق أو عن طريق الاحتيال ملغى، والهدف منه حجز مياه القناة حصريا لتزويد الحمّامات العامّة أو الحوريات، لذلك ندعو حاكم المقاطعة لتشكيل خلايا المراقبة والمتابعة، على مستوى منازل المدن والمنازل الرّيفية والحمّامات، لمنع أي خداع أو تحويل أو حيلة، تحول دون تزويد المرافق العمومية بالمياه..."³

لكن هذا لا يستثني وجود تشريعات في صالح الخواص، منها ذلك القرار الإمبراطوري الذي يؤرخ بمنتصف القرن الخامس ميلادي، والموجه إلى حاكم الشرق، إذ ينصّ على أنّ منازل القسطنطينية تستفيد من التزود بالمياه من القنوات الناقلة دون دفع أي ثمن⁴.

¹ LESCHI (L.), *Commentaire d'une Inscriptions de Timgad*, in B.C.T.H, n°35, 1934,p157—159.

² ECK (W.), *Die Wasserversorgung im römischen Reich: sozio-politische Bedingungen, Recht und Administration*, dans *Die Wasserversorgung antiker Städte*, II, Herausgeber: Frontinus-Gesellschaft e. V. (Mainz) 1988, pp 83-84.

³ RONIN(M.), *La gestion commune de l'eau dans le droit romain. L'exemple de l'Afrique romaine et de l'Hispanie (Ier siècle avant – Ve siècle après J.-C.)*, thèse doctorat en Histoire, Université Laval, Québec, Canada, 2015, p 188.

⁴ DESSALES (H.), « Le prix de l'eau dans l'habitat Romain: une étude des modes de gestion à Pompéi, « ver une gestion intégrée de l'eau dans l'empire », actes du colloque international, université Laval, octobre 2006, n°18, p58.

قبل هذا كان التشريع المعمول به في القسطنطينية، قائم على أساس توزيع المياه وفق الحالة الاجتماعية للأشخاص ومن ثم طبيعة منازلهم، هذا التقسيم وفق ما يعرف بالنسبة الملائمة *ratio dignitatis*، بحيث الكمية الممنوحة ما بين واحد إلى تسعة حسب السلم الاجتماعي للملاك، والمنازل ذات الأولوية والأهمية في هذا التقسيم هي تلك التي تحتوي حمامات داخلها، لكن الكمية لا تفوق 2 أوقية (section de 4,92 cm) وفي بعض الحالات 3 أوقيات (section de 7,38 cm)، أما المنازل المتوسطة المكانة فهي لا تستفيد إلا من أوقية ونصف (section de 3,69 cm) وما تبقى للمنازل الأقل شساعة أو العادية ولا تستفيد بأكثر من نصف أوقية (section de 1,23 cm).

مع هذا لا يستثنى أن توزيع المياه بهذه الطريقة مرتبط بمدى توفرها في المدينة، إذ البعض منها يعاني عجزا كبيرا خاصة الصالحة للشرب، الأمر الذي أدّى إلى ظهور تجارة المياه¹ من طرف ما يعرف بـ (السقاة) *aquaris*² مهمتهم جلب وتوفير مياه ينابيع للخواص، ويعملون على تخير العذبة منها حتى تستمر الخدمة بينهم وبين المستهلكين .

من جهة أخرى البحث عن مصدر آخر للمياه، ليس فقط بالاعتماد على ما توفره إدارة المدن، لكن باجتهد الخواص في الحصول على كمية من المياه، تسمح لهم باستغلالها في حياتهم اليومية، وإن كانت بالقدر الكافي فإنّها تتيح لهم إقامة حمامات داخل منازلهم، على الرغم من أن الأولوية للمنشآت العمومية، وما زاد عن ذلك يوجّه إلى العامة، هذه القاعدة تطبق على الخواص، فالأولوية للمياه المستغلة في الشرب والطهي مادامت الحمامات العمومية متاحة لكل أفراد المجتمع سواء بمقابل أو دون دفع ثمن، حسب ما أشارت إليه بعض النصوص القديمة، وإن كان باستطاعتهم توفير الأكثر، ممّا يسمح لهم خلق جو خاص للاستحمام يجمع بين عنصر النظافة وعنصر التباهي بما لا يملكه العامة .

¹ DESSALES (H.), Op.Cit. p58.

² Dictionarium Latinogallicum... Op.Cit, p 344 .

6-3 حجم المياه مقارنة بعدد السكان

هناك علاقة طردية بين كمية المياه المتوفرة وعدد السكان، هذه المعادلة دون شك تضمن استمرارية تزويد المدن بالمياه، وفي حالة العجز أو ضعف المنظومة التموينية وجب البحث عن مصادر أخرى، من شأنها توفير ما يحتاجه الفرد في حياته اليومية، ورغم أنّ الدراسات في هذا المجال تعتمد على المنهجين الإحصائي والمقارن، إلا أنّها تفتقر إلى دليل مادي يحدّد حقيقة الكتلة السكانية، ويبقى تقدير ما كانت تزود به المدن من مياه مرتبط بحساب قدرة استيعاب الخزانات، ومعرفة ما تضمنه القنوات يوميا وفق معدّل التدفق وسرعته.

وحين إجراء مقارنة بسيطة بين مدينتي كويكول وثاموقادي، سواء من حيث تقدير عدد السكان في سنوات أوج عطائهما، أو من حيث كمية المياه التي تضمنها المدينتين، فحسب تقدير المؤرخين بالنسبة للمدن الرومانية في الشمال الإفريقي، يقدر معدّل عدد سكانها ما بين 14000 و 17000 نسمة بما في ذلك الأطفال والعبيد¹، وهو ما يذهب إليه " كورتوا" Courtois حيث يقدر على سبيل المثال عدد سكان مدينة تيبازة بـ 15250 نسمة وكيرتا بـ 10000 نسمة وهيوريغيوس بـ 10000 نسمة، وفي أبحاث حديثة قد يصل العدد إلى 30000 نسمة² وبالنسبة للمدن التي لا تفوق مساحتها 20 هكتار فإنّ معدّل سكانها 5000 نسمة³.

وبلغ عدد سكان مدينة كويكول ما بين 10000 و 12000 نسمة، هذا العدد يتطلب كمية كبيرة من المياه، إذا حاولنا معرفة حجمها وجب التعرف على جميع المنشآت المائية المتوفرة بها، والمتمثلة في الحمامات العمومية، النافورات والمراحيض، بالإضافة إلى المنازل التي تحتوي أحواض في أفنييتها وكذا حمامات خاصّة...الخ، يضاف إليها ما يهدر من المياه بسبب جريانها الدائم داخل المدينة، خاصّة عند النافورات والمراحيض، هذا ما يتطلب على الأقل من 5000 إلى 10000م³ من المياه يوميا. في حين مدينة ثاموقادي قدر عدد سكانها بـ 15000 نسمة، لكن مقوماتها من معالم مائية تفوق كثيرا ما وجد في كويكول⁴، فالحمامات وحدها تعدادها 29 حمّاما بين العام والخاص بالإضافة إلى النافورات والأحواض....، هذه الخاصية دفعت بالهيئة العمومية وكذا الخواص إلى البحث عن مصدر

¹ BÉNABOU (M.), La résistance Africaine à la Romanisation, Edition la découverte, Paris, 2005, p 387

² DELESTRE(X.), Hippone, EDISUD/INAS, Aix en Provence, France, 2005, p167.

³ COURTOIS (C.), Les Vandales et l'Afrique, Art et Métiers Graphiques, Paris, 1955, pp 108-109.

⁴ AMMARI (A.), REMINI (B.), L'eau Dans Les Villes Romaines-Quelques Cas Algériens, Larhyss Journal , Université Mohamed Khider de Biskra ,n°37, Mars 2019, p135.

يضمن لها كمية كبيرة، حيث حفرت الآبار في أماكن عديدة من المدينة، بالإضافة إلى بناء قناة مياه تربطها بمنبع عين موري الذي يبعد 2 كلم جنوب شرق المدينة.

هذا الإشكال لا يطرح بالنسبة للضيعات أو المنازل الريفية أو المبنية خارج التجمعات السكانية، فالقاعدة تفرض اختيار مكان بالقرب من مصدر المياه، وهي حقا نفس القاعدة بالنسبة للمدن، ولكن النمو الديموغرافي الغير متحكم فيه هو الذي يؤدي إلى تدهور العلاقة بين العرض والطلب، هذه العلاقة غير مطروحة أيضا في المنازل سابقة الذكر، حيث لا يزاحم أفرادها أي شخص آخر، وبالتالي كمية المياه متوفرة بشكل يسمح لأصحابها إنشاء ما يرغبون فيه من منشآت حموية وكذا الخزانات، بالإضافة إلى تعدد الأحواض (أحواض الحمامات، أحواض الأفنية و أحواض شرب الحيوانات...)، ولنا في حمامات بومبيانوس المثال على استهلاك كمية كبيرة من المياه، حيث الحوض البارد النصف دائري لوحده يتطلب ما يقارب 50م³، وهي كمية قد لا نجدها متوفرة حتى في أحواض الحمامات العمومية.

وان كانت الحاجة لمياه الينابيع، فلا يدخر ملاك المنازل الريفية جهدا في انجاز قناة ولو بعدت مئات الأمتار، على غرار قناة منزل قصر فاطمة على مسافة 697م، من منبع عين الساقومة الذي يرتفع بـ 70 م عن مستوى الخزان الملحق بالمنشأة الحموية¹.

من جانب آخر قد يكون لتوفير المياه من عدمها تأثيرا على ساكني المدن، إذ في حالة انقطاع تزويدهم بالمياه أو تدهور التّموين قد يرحلون إلى المناطق الريفية، حيث تتوفر المياه، مثلا في مدينة ليون خلال القرن الثالث ميلادي، وهي الفترة التي عرفت فيها المدينة انقطاع في التّزود بالمياه، مما أدى إلى نقص عدد سكانها نتيجة رحيلهم إلى الريف، في حين يسجل القرن الرابع ميلادي إنشاء عدد معتبر من الفيلات والمستثمرات الفلاحية والعقارات².

¹ Projet carte archéologique de l'Est Algérien 2003-2007 , compte-rendu des trois premières campagnes 2003-2004-2005 , A.N.A.P.S.M.H (Algérie), et l'université des études de Trento (Italie) p9.

² LANTIER (R.), Les Eaux et leur culte en Gaule. In: J. Sav. n° 3, 1962, p 230.

خلاصة الفصل

كان هذا الفصل بمثابة مدخل عام لدراسة الحمامات الخاصة بالشرق الجزائري، انطلق من تحديد مجال الدراسة حتى لا نحيد عنه، وكذا المؤهلات التي يحتويها الشرق من وفرة المياه سواء كانت مياه الينابيع أو الوديان، هذا ما تم استغلاله حقيقة بتشبيد مختلف أنواع قنوات نقلها والمنشآت المرتبطة بها داخل المدن وخارجها، ثم قدم بحثا في مختلف المصطلحات التي تواجهنا عند دراسة الحمامات، حتى لا يحدث خلط في إسنادها إلى ما سيتم معاینته ميدانيا من بقايا الحمامات الخاصة، كما أشار إلى جملة من المرتكزات، تكون حاضرة للتعرف على طبيعتها، ليس فقط بقايا نظام التسخين، ولكن العناصر المترابطة فيما بينها، التي تنتج مركبا عاما اسمه الحمامات، مكونا من مجموعة من الأجزاء، موزعة توزيعا يسمح للمستحمين الانتقال بحرية داخلها، والاستفادة من التناوب على قاعاتها وأحواضها، كما تطرق هذا الفصل إلى تعريج نظري على القوانين المسيرة للمدن وفي جزئية منها تلك المتعلقة بتوفير المياه ومراقبة استهلاكها، وعلاقة هذه الأخيرة بالمنازل والحمامات، وفي نفس السياق علاقة المباني بما يجاورها من منشآت عمومية أو مدنية خاصة .

الفصل الثاني

الدراسة الوصفية والتقنية
للحمّامات الخاصة بالشرق
الجزائري

الفصل الثاني: الدراسة الوصفية والتقنية للحمامات الخاصة بالشرق الجزائري

خصّص هذا الفصل لدراسة عيّنة من الحمامات الخاصة المنتشرة في بعض ولايات الشرق الجزائري، وهي تمسّ حمامات المدن وأخرى ملحقة بالمنازل الريفية، وكخطوة أولى عند كلّ واحدة منها لوضعها في مجالها العمراني هو تحديد موقعها داخل المدينة، أو موقعها الجغرافي إن كانت خارج التجمعات السكانية من جهة، من جهة ثانية موقعها داخل المنزل وحدود مجاورتها، فمن خلال دلائل مرتبطة بهذا المجال وأدوات التأريخ التي تمكّنا من وضعها في إطارها الزمني، سواء كبناء أصلي أو مضاف في فترة لاحقة، أو من خلال الديكور المتمثّل أساسا في الأرضيات الفسيفسائية مختلفة المشاهد وتقنيات التركيب، والتي اعتمدت عليها الأبحاث الحديثة في التأريخ، أو حتّى دراسة المستوى الطبقي الذي بنيت عليه الحمامات، ولا تدرس هذه الأخيرة معزولة عن عنصر الماء ومدى توقّره بها، إذ لا اشتغال بدونه، وعند كل واحدة منها وجب تتبّع مسار المياه حتّى الوصول إلى أحواضها، ثمّ تصريفها منها؛ ولا تغدو الدراسة مكتملة إلّا إذا عرفت حدودها وهندستها ومقاسات قاعاتها، وتوافق عناصرها من أحواض وجدران ومداخل، بما في ذلك نظام تسخينها، فإن كان للحمامات الخاصة مخطّطات سابقة، وجب علينا وضع مخطّطات جديدة لمعرفة مدى التوافق أو الاختلاف، وتدقيق ما قد يصادفنا من خلل، وهي في الأساس مخطّطات هندسية لمعرفة تقسيماتها، بالإضافة إلى معرفة مختلف تقنيات البناء والتّلبّيس، معزّزين ذلك بتوثيق فوتوغرافي يحاكي حالها وقت دراستنا .

ولتسهيل قراءة المخطّطات نعتد على تعريفها بأحرف لاتينية كما هو مبين أدناه

الحرف أو الرمز	القاعة أو جزء من الحمامات
F	القاعة الباردة
C	القاعة الساخنة
T	القاعة الدافئة
L	قاعة التّعريق
A	قاعة نزع الملابس
$b_1 - b_2 \dots$	الأحواض الباردة
$a_1 - a_2 \dots$	الأحواض الساخنة
t	الأحواض الدافئة إن وجدت
N	رواق الخدمات
foy	الموقد

1- الحفّات الخاصة بمدينة تاموقادي

1-1 كرونولوجية الأبحاث وتحديد المواقع

توالت على مدينة تاموقادي العديد من الأبحاث والاكتشافات منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، كانت الأولى في شكل استكشافات دون إقامة حفريات منتظمة، والأخرى أكثر منها منهجية وتنظيماً، متخذة القواعد والسلوك العلمي سبيلاً للكشف عن تاريخ هذه المدينة، وما بقي منها من عمران يحاكي عراققتها ونبيلها المعماري الأصيل، وسندرج هذه الأبحاث في شكل تسلسل زمني متصاعد.

في سنة 1765 أكتشف الموقع من طرف "بروز" Bruse، لم تكن تظهر منه سوى قمم بقايا بعض المرافق على غرار الكابتول وقوس تراجان وبعض الأعمدة، أي ما ظهر آنذاك كان يرتفع عن الأرضية الحالية بأكثر من 6 أمتار .

1851 رسمت بعض بقايا العمائر التاموقادية من طرف "روني" Renier، وكانت مصحوبة برفع أثري، بالإضافة إلى إعادة نسخ العديد من النقوشات اللاتينية.

1880 نظمت أول حفرة مبرمجة ومنتظمة تحت إشراف "برنار" Bernard .

1883 أكتشف الفوروم والمسرح من طرف "بارنار" وفريقه.

1885 أقيمت عمليات التنقيب من طرف "ميلفوي" Milvoy.

1894-1926 حفريات "بالو" Ballu والتي كشفت عن الكثير من المعالم، خاصة منازل النواة الأولى وحفّاماتها، سجّلت نتائج أبحاثه في التقارير التي نشرت أغلبها في BCTH

1927 - 1936 حفريات "كريستوفل" Christofe

1938 حفريات "كريستوفل و ليسكي" Leschi و "قودي" Godet على مستوى القلعة البيزنطية .

1951-1956 حفريات "تورنك" Torrenc ثم رافقه سنة 1956 "بونال" Bonnal

1932 اكتشاف قنوات نقل المياه بالإضافة إلى خزانين بالمدينة.

1954 اكتشاف خزان كبير جنوب شرق المدينة من طرف "قودي"

1959 حفريات "تورنك" اكتشف خلالها ساحة مبلطة شمال القلعة البيزنطية، بالإضافة إلى نقيشة إهدائية للإله الحامي للمعسكر¹.

¹ TORRENC (S.), La dédicace du temple du génie de la colonie à Timgad, in Ant. Af., n°21, 1968, pp 197-198.

على امتداد هذه السنوات من البحث والتّقيب والتّرميم، برزت مدينة ثاموقادي لتحاكي الإبداع في التّخطيط وأرقى أساليب التّهيئة العمرانية في تلك الفترة من زمن الإمبراطورية الرّومانية، دون شك الحّمّات بنوعيتها العمومية والخاصّة كانت ضمن هذه الاكتشافات، أهمّا حفريات "بالو"، وإجمالاً عددها حسب ما اكتشف إلى غاية اليوم هو 29 منها 13 حمّاماً خاصاً¹، أغلبها موزعة على منازل مدينة تراجان (l'ancien noyau)، والباقي منتشر في حدودها الخارجية، اللافت للنظر أنّ الحّمّات الخاصّة تقريبا جميعها واقعة في الجهة الغربية للكاردو الكبير، عدا حمّامات منزل الوحدة 17 ومنزل انتصار فينوس الواقعين بمحاذاة الشّارع السّابق الذكر مباشرة في طرفه الشرقي.

1-2 المؤهلات الهيدروليكية لمدينة ثاموقادي

إنّ الانتشار الواسع للحّمّات عامّة كانت أو خاصّة بمدينة ثاموقادي إنّما ينبئ عن توفّر كميات معتبرة من المياه ضمنّت هذا الانتشار، وسهّل على السّكان بناء حمّامات داخل منازلهم، فالحاجة إلى المياه لم تكن عائقا يحول دون ذلك، ومن هذه المؤهلات ما هو مرتبط بالمصادر والمنابع المائية ومنها ما هو مرتبط بالآبار المحفورة داخلها.

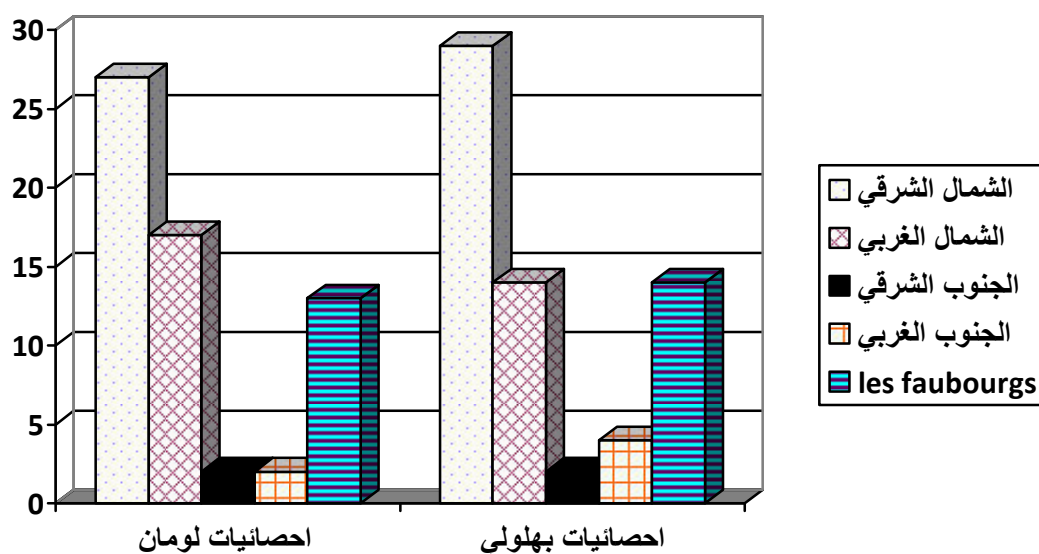
أهم منبع زوّدت المدينة بمياهه هو منبع عين موري، يقع على بعد 2 كلم جنوب شرق المدينة، بالقرب منه وجد حوض مقاساته (5.4×10.4)م، ويعمق 2.9م، جُعل لتجميع وتصفية مياه المنبع، أمّا عن القناة المسؤولة عن نقل مياهه إلى المدينة فتتفرّع إلى وجهتين، الأولى باتجاه الحي الشرقي والثّانية ناحية المسرح والسّاحة العامّة، تصبّ مياه هذين القناتين في أحواض التّجميع والتّوزيع بالمدينة²، هذه الأخيرة تختلف بين تلك المحفورة في الحجارة وأخرى مصنوعة من الرّصاص، لتسهيل وصولها إلى الأحواض سواء كانت تابعة للحّمّات أو أفنية منازل الطّبقّة الرّاقية، إلى جانب تموين الحّمّات الكبرى والنافورات والمراحيض العمومية... الخ، وقد لا تكفي مياه هذا المنبع لوحدها في ظل الطّلب الذي تزايد مع النمو الديموغرافي بالمدينة مع نهاية القرن الثّاني، وخلال القرنين الثّالث والرّابع ميلادي استعانت المدينة بمياه الأودية، وتشير النّقيشة المكتشفة سنة 1934 إلى ذكر العبارة *aqua paludensis* التي تعني المياه الضّحلة، هذه الأخيرة تصفّى وتنقل إلى المدينة لاستعمالها في متطلبات الحياة اليومية.

¹ تذكر التّقارير وجود حمّامين خاصّين لم نتطرق إليها بالدراسة، الأولى في الوحدة 22 ومن خلال تنقّلنا إلى الموقع لم نجد أثر لها، الثّانية بالجهة الغربية لمنزل غرب حمّامات فيلادلف، هذا الأخير من خلال معاينة ما بقي منه دخلنا الشّك أنه ليس حمّاماً، ويحتمل أن يكون جزء من المنزل استعمل فيه نظام التّسخين شبيه بذلك المعتمد في الحّمّات ولكن عناصره غير مكتملة.

² BAHLOULI GUERBABI (F.Z) ; FARHI (A.), Op.Cit, p264.

إلى جانب المياه التي جلبت عبر قنوات النقل، وجد بمدينة ثاموقادي العديد من الآبار محفورة داخل المنازل على غرار منزل الوحدة 17، الوحدة 38، منزل يانوياريوس، منزل سارتيوس، المنزل غرب سوق سارتيوس، منزل ورشة الفخار... الخ، وفي عملية إحصائية لتعداد الآبار فهي مبينة وفق الجدول الآتي :

موقع الآبار في المدينة	عددها حسب لومان Lohmann ¹	عددها حسب دراسة بهلولي قرباني ²
الشمال الشرقي	27	29
الشمال الغربي	17	14
الجنوب الشرقي	02	02
الجنوب الغربي	02	04
خارج حدود المدينة التراجانية (les faubourgs)	13	14
المجموع	61	63



شكل رقم 04: تمثيل بياني لتوزيع الآبار بمدينة ثاموقادي (انجاز الطالب بناء على معطيات الجدول)

¹ LOHMANN, (H.), Beobachtungen zum Stadtplan von Timgad, in Wohnungsbau im Altertum. Bericht über ein Kolloquium in Berlin vom 21.11. bis 23.11.1978, pp167-187.

² BAHLOULI GUERBABI (F.Z) ; FARHI (A.), Op.Cit ، (انطلاقاً من مخطط توزيع المنشآت المائية والحمامات بمدينة تيمقاد ، ص263).

صورة رقم 05: توزيع الحمامات الخاصة بمدينة تاموقادي (صورة ساتليئية عن

google earth بتصرف الطالب)



1	حمامات منزل الوحدة 17	4	حمامات منزل انتصار فينوس	7	حمامات منزل سارتيوس	10	حمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس
2	حمامات منزل باتواريوس	5	حمامات منزل الوحدة 69	8	حمامات منزل هيرمافروديت	11	حمامات المنزل غرب حمامات فيلادلف
3	حمامات منزل الوحدة 38	6	حمامات منزل الحوض	9	حمامات منزل ورشة صناعة الفخار	12	حمامات المنزل شمال الكابيتول
						13	حمامات منزل رأس ميدوزا(جنوب باب لمباز)

3-1 حمّامات منزل الوحدة 17

1-3-1 موقع الحمّامات وتاريخها

يقع منزل الوحدة 17 في الجهة الشرّقية للكارندو الكبير، يفتح عليه بمدخل يطلّ على رواقه المعمّد الشرقي، يحدّه من الشرق والجنوب وحدتين سكنيتين ومن الشمال الحمّامات الصّغرى الشماليّة، يحتلّ المنزل كامل الوحدة السّكنية محققاً بذلك مساحة تقدر بـ400م²، في حين تحتلّ الحمّامات موقعا في جهته الشماليّة، بمساحة تقدر بـ137م²، أي ما يعادل 34% من مساحته الإجمالية، غير بعيد عنه في الجهة الشماليّة الغربيّة توجد الحمّامات الكبرى.

اكتشفت الحمّامات سنة 1904، أمّا عن تاريخها فهناك تداخل كبير في المعطيات المتعلّقة ببنائه الأصلي وما حدث له من زيادات وتغيير في وظائف بعض أجزائه، ففي الجهة الشماليّة تشكّل القاعة السّاخنة وجزء من الباردة والدّافئة امتداد إلى الشّارع الثّانوي شرق/غرب بمسافة 2.80م، والأصل في حدود المنزل ينتهي مع الجدار الشمالي للقاعة السّاخنة الجنوبيّة، حينها لم تكن الحمّامات قد بنيت بعد، إذ تظهر تقنيّة البناء بالآجر في كل من الحوض البارد والقاعة السّاخنة سابقة الذّكر والجدارين الشمالي والغربي للقاعة السّاخنة الشماليّة، أنّها بنيت في وقت واحد، حيث يشير الآجر إلى نفس المصدر وأنه صنع في ورشة واحدة وبمقاسات تقريبا متساوية وشوي في فرن واحد، لكن في نفس الوقت لم تكن معاصرة للبازيليك المسيحيّة المهيّأة مكان القاعة الباردة بحنية في طرفها الجنوبي مزينة بعمودين من الطراز الكورنثي و تحويل الحوض البارد إلى حوض تعميم¹.

ويلاحظ على تبليط هذه القاعة مستويين، الأصلي ينخفض عن المضاف بـ0.20م، بهذا نكون أمام فترتي استغلال للحمّامات، الأولى قبل البازيليكا وبعد البناء الأصلي، ويمكن إرجاعها إلى نهاية القرن الثّالث كأقلّ تقدير بناء على ما شهدته هذه الفترة من تعدي على أجزاء من الشّوارع، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن تصعد إلى القرن الخامس، أي بعد استحداث البازيليكا والتي يمكن تأريخها بالقرن الرابع إذا ما قورنت مع البازيليكا الموجودة بالمونستير الغربي بمدينة ثاموقادي، المؤرّخة حسب "مونسو" Monceaux قورنت بنفس الفترة بناءً على عناصرها الإنشائية، ومنها الأعمدة الكورنثيّة² ليس في أصلها ولكن في طريقة

¹ BALLU (A.), Rapport sur les travaux de fouilles opérés en 1904, in B.C.T.H 1905, p88.

- THEBERT (Y), Op Cit , p 243.

² MONCEAUX (P.), TIMGAD chrétien. In: École pratique des hautes études, Section des sciences religieuses. Rapport sommaire sur les conférences de l'exercice 1910-1911 et le programme des conférences pour l'exercice 1911-1912, 1910, p 30.

-حاجي ياسين رابح ، البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا، أطروحة دكتوراه في علم الآثار ،جامعة الجزائر ، 2008-2009 ، ص259

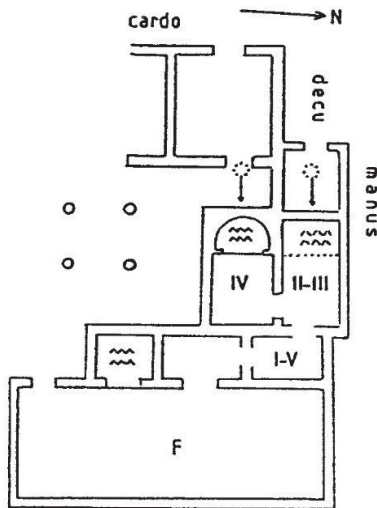
تزيينها، وهو ما يشبه العمودين اللذين يتقدمان حنية بازيليك الوحدة 17، كما يمكن تأريخها بالفترة الوندالية إذا ما قورنت مع بازيليك يانوياريوس في أرضية استقرارها الأولى¹، بحكم تشابههما في استغلال جزء من الشارع. ويذكر "بالو" أنه عثر أثناء حفرياته بالقسم الشرقي للمنزل على نقيشة، نصها²:

DEO MAGNO Æ
TERNO
FL. DONATVS ET
TERTVLLA V(xor)
VOT

بمعنى : تقدّم فلافيوس دوناتوس وزوجته تيرتولا بهذا النذر إلى الإله الخالد المعظم.

1-3-2 أقسام حمامات منزل الوحدة 17

تستند دراسة أقسام الحمامات بناء على متغيرين مرتبطين بزوال أجزاء منها وظهور أخرى، وسنوضح ذلك التغير في المخططات، إذ ذاك الذي نشره "تيبّار" Thebert³ لا يظهر الكثير من خصائص حمامات هذا المنزل، بما في ذلك الحوض المهيأ في القاعة الدافئة، والمداخل الحقيقية بين كل جزء منها، وإنما اعتمد في رسم مخطّطه على المسار النظري للمستحمين، وهو المرور بالقسم البارد فالدافئ ثم الساخن عند الدخول والعكس عند الخروج.



مخطّط رقم 03: مخطّط "تيبّار"

لحمامات منزل الوحدة 17⁴



صورة رقم 06: صورة عامة لحمامات منزل الوحدة 17

(تصوير الطالب)

¹ حاجي ياسين راجح، البازيليكا المسيحية المرجع السابق، ص 251.

² BALLU (A.), Les ruines de Timgad III... Op.Cit, p80.

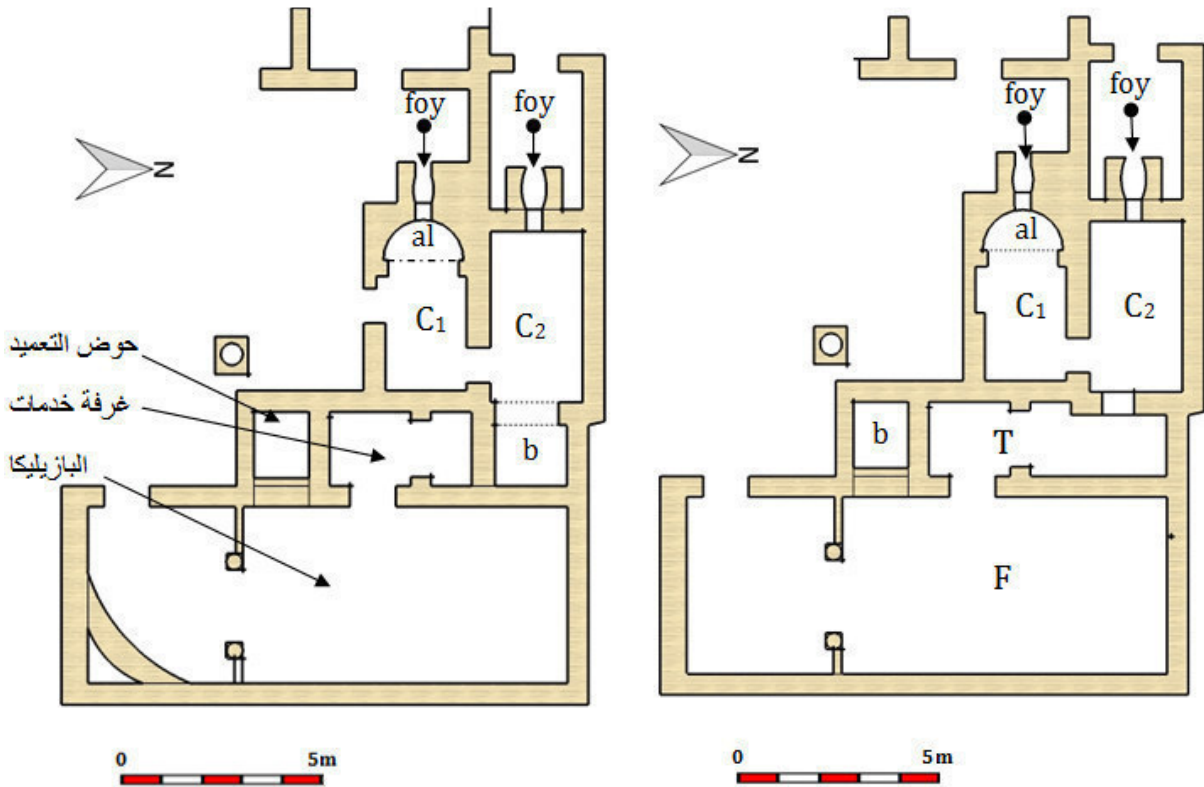
³ THEBERT (Y.), Op.Cit, pl CVIII, n°3.

⁴ Ibid, pl.108/3, échelle 1/250.

1-2-3-1 القسم الساخن للحمامات

قبل أن يتغير مخطط الحمامات، كان قسمها الساخن يضم ثلاث قاعات، هي القاعة الساخنة الجنوبية بحوض نصف دائري، القاعة الساخنة الشمالية بحوض مستطيل، والقاعة الدافئة الممثلة برواق ضيق.

القاعة الساخنة الجنوبية: مقاساتها (1.98×2.81)م، تنتهي في جهتها الغربية بحنية نصف دائرية، نصف قطرها 1م، يتم تسخينها بصفة مباشرة من الموقد المهيأ في جدارها الغربي، عرض فتحته 0.40م، وتنتشر الحرارة تحت أرضيتها المحمولة فوق أعمدة من الآجر. تتصل هذه القاعة مع الشمالية عبر فتحة هيئت في جدارها الشمالي، حالياً مغلقة، وتسمح هذه الفتحة بمرور الحرارة بينهما، كما هيئ مدخل يربطهما عرضه 0.85م.



مخطط رقم 05: حمامات منزل الوحدة 17 بعد استحداث البازيليكا المسيحية (انجاز الطالب)

مخطط رقم 04: حمامات منزل الوحدة 17 قبل استحداث البازيليكا المسيحية (انجاز الطالب)

أما القاعة الساخنة الشمالية فهي مستطيلة مقاساتها (2.28×4.20)م، مسخنة بطريقتين: تحت الأرضية وعبر التجاويف الجدارية، ومصدر حرارتها الموقد في جدارها الغربي، فبهذه الخاصية حرارتها مرتفعة إذا ما قورنت مع سابقتها .



صورة رقم 08: جزء من القاعة الساخنة الشماليّة يظهر بقايا التسخين الجداري (تصوير الطالب)



صورة رقم 07: القاعة الساخنة الجنوبيّة (تصوير الطالب)

بنيت جدران القاعتين الساخنتين بتقنيتين مختلفتين:

الأولى هي البناء بالآجر، خاصّة على مستوى الحوض النّصف دائري وفي الجدارين الشمالي والغربي للقاعة الساخنة الشماليّة.

والثّانية تقنية البناء المختلط (حجارة صغيرة وآجر)، في الجدارين الشرقي والشمالي للقاعة الساخنة الجنوبيّة، تتخللها دعائم عمودية من الحجارة الكبيرة. وتقنية البناء بالحجارة الكبيرة على مستوى الجدار الجنوبي لغرفة الخدمات للموقد الشمالي.

أمّا أرضيتها فبلّطت بالفسيفساء المشكّلة من قطع آجورية، معدل مقاساتها 0.025م.

القاعة الدّافئة: عبارة عن رواق طولي مقاساته (1.83×5.85)م، مفتوح في الأصل على القاعة الباردة من الجهة الشرقيّة بمدخل عرضه 1.13م، وفي ركنه الشمالي الغربي على القاعة الساخنة الشماليّة، التي تبعث بحرارتها عبر الأرضيّة. بعد استحداث البازيليكا المسيحيّة، تمّ تقليص القاعة الدّافئة، حيث استغلّ جزء منها كغرفة خدمات تابعة للبازيليكا المذكورة، وهيئ في جزئها الشمالي حوض تابع للقسم الساخن، هذا الأخير غير مسخّن من الأرضيّة ولا عبر التجويفات الجداريّة، إذ الفتحة المهيأة تحت أرضيّة القاعة الساخنة الشماليّة، والتي كانت تربطها بالقاعة الدّافئة أغلقت، وبالتالي الحرارة لا تمتد إلى هذا الحوض إلّا من خلال هواء القاعة الساخنة، ومن جهة أخرى حتى لا تتسرب الحرارة ولا الرطوبة إلى البازيليكا.



صورة رقم 09: الحوض الدافئ المستحدث بعد
إنشاء البازيليكا (تصوير الطالب)

1-3-2 نظام التسخين المعتمد بحمامات منزل الوحدة 17

اعتمد في هذه الحمامات على موقدين مقاساتهما تقريبا متماثلة، كلاهما يسمح بتسخين القاعة المسند في جدارها بطريقة مباشرة، ويرسل حرارته عبر أرضيتهما وصولا إلى القاعة الدافئة في مرحلة الاستغلال الأولى للمبنى، بالإضافة إلى ذلك زوّدت القاعة الساخنة الشمالية بنظام التسخين العمودي عبر التجويفات التي لا يزال جزء منها قائما.



صورة رقم 11: الموقد الشمالي
(تصوير الطالب)



صورة رقم 10: الموقد الجنوبي
(تصوير الطالب)



صورة رقم 12: الأعمدة الحاملة لأرضية القاعة الساخنة الشمالية (تصوير الطالب)

1-3-2-3 القسم البارد للحمّامات

في مرحلة الاستغلال الأولى كانت الحمّامات تضم جميع القاعات، الباردة والسّاخنة بأحواضها وعناصرها المختلفة، فمن جهة القسم البارد كان يضمّ قاعة مستطيلة مساحتها تصل إلى 50م²، قبل أن يحدث التّغيير في وظيفتها وتحوّل إلى بازيليكاً مسيحية، وبالتالي يدرس القسم البارد على مرحلتين:

قبل إنشاء البازيليكا، يضمّ قاعة باردة يتمّ الدّخول إليها عبر مدخل في ركنها الجنوبي الغربي عرضه 1.13م، في جانبها الغربي هيئ حوض مستطيل، مقاساته (1.83×1.35)م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكون من درجين، وفي نفس الجهة فتح مدخل عرضه 1.13م، يؤدي إلى القاعة الدّافئة. بنيت جدران هذه القاعة بالتّقنية الإفريقية، وبلّطت أرضيتها ببلاطات حجرية يرتفع مستواها بـ 0.20م في قسمها الشّمالي بعد استحداث البازيليكا سابقة الذكر.

أما الحوض فقد بني بالآجر ولبّست جدرانه بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، بقيت آثاره في ركنه الشّمالي الغربي.



صورة رقم 13: القاعة الباردة (تصوير الطّالب) صورة رقم 14: الحوض البارد الذي حوّل إلى

حوض تعميد (تصوير الطّالب)

بعد إنشاء البازيليكا، تم الاستغناء عن القسم البارد، وجزء من القاعة الدّافئة ليتحوّل إلى غرفة خدمات تابعة لها، لكن هذا لم يمنع من إنشاء حوض آخر، يتمّ الدّخول إليه من القاعة السّاخنة الشّمالية، هذا التّغيير أدى حتماً إلى تغيير مدخل الحمّامات، ليكون أقرب إليه في الجدار الجنوبي للقاعة السّاخنة الجنوبية، وهو ما أثّر على المسار الحموي، والحوض الذي استحدث غير مسخّن من الأرضية إنما حرارته من حرارة القاعة السّاخنة المجاورة له، ويمكن القول عنه حوض دافئ وليس بارد بأنّ المعنى.

1-4 حمّامات منزل يانوياريوس

1-4-1 سبب التسمية وتأريخ الحمّامات

يرجع تسمية المنزل نسبة إلى لوكيوس يوليوس يانوياريوس *L. iulius ianuarius*، وقد وجد اسمه منقوشاً على قاعدتين حجريتين تحملان نصّان إهدائيان للإلهين اسكولابيوس¹ وهيغيا، كلاهما مهدي من طرف زوج ابنته الملقّب بـ لوكيوس أكيليوس قرنيانوس *L. acilius granianus*؛ مع العلم أنّ كلامهما لم يسجل في الألبوم البلدي الثاموقادي لسنة 363م، يبقى فقط الشكّ حول الكنية² *ianuarius* دون لقب، وغياب هذين الاسمين من الألبوم يطرح بدوره إشكالا حول مكانتهما مقارنة بباقي الأسماء التي دونت فيه، أم أنّ زمانهما غير زمان تحرير الألبوم البلدي؟

وحول تأريخ حمّامات منزل يانوياريوس، ليس هناك تاريخ مضبوط، لكن يمكن إعطاء تأريخ تقريبي من خلال النقاط الآتية:

- من خلال النقشيتين سابقتي الذكر،
- من خلال المحيط العمراني الذي بني فيه المنزل وعلاقة الحمّامات مع باقي أجزائه،
- من خلال تقنيات بناء الحمّامات،

ويذكر "فارس" Vars³ عند دراسته للنقشيات المكتشفة في ثاموقادي، أنّ النصّان يعودان إلى النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي، ويستند في ذلك إلى الطّريقة التي كتبت بها الحروف التي يتوسّط ارتفاعها 0.04 و0.05 م.

النقطة الثانية تدور حول مكان بناء الحمّامات والمنزل ككل، إذ بنيت في الوحدة السّكنية 37، وجزء من المنزل بني فوق الشّارع الثاني غرب الكاردو، وهذا النوع من الإضافات السّكنية خارج الحدود الأصلية

¹ CIL, VIII, n°2340.

² وللتعرّف أكثر على الأسماء الحاملة لهاته الكنية في مدينة ثاموقادي يرجى تصفح رسالة الماجستير لـ: بخوش زهير، دراسة تحليلية لأسماء أفراد مجتمع ثاموقادي، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2006-2007 (صفحات متفرقة نقلا عن المراجع المذكورة أدناه). نجد بالنسبة لأسماء الذكور:

L. Aedius Ianuarius (AE 1948, 112 = AE 1982, 958) / *L. Curtilius Ianuarius* (CIL VIII, 2420) / *Flavius Ianuarius* (CIL VIII, 17903 = AE 1978,891 / *L. Iulius Ianuarius* (GSELL (S.), B.C.T.H., 1946-49, p.315; CIL 08, 2340) / *Varius Ianuarius* (CIL VIII, 17903 = AE 1978,891).

وأسماء الإناث نجد :

Antonia Ianuaria (LESCHI (L.), B.C.T.H., 1946-49, P.233) / *Iulia Ianuaria* (D'ESCURAC-DOISY (H.), *Inscriptions funéraires de Timgad*, in *Libyca*, IV, 1, 1956, p.122, n° 35).

الكنيات المشتقة من الكنية الأصلية نجد :

Antonius Ianuarianus (C.I.L.VIII, 2388= AE 2002, 1657).

Sessius Ianuarianus (CIL VIII, 17903 = AE 1978,891).

³ VARS, (Ch.), *Inscriptions découvertes à Timgad*Op.Cit, pp 248-249.

عرف بشكل واضح في فترة الفوضى التي شابت نهاية النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي، بهذا الطرح فاحتمالية بناء المبنى قبل سنة 235م واردة وعرف توسعة وإضافات بعد هذا التاريخ.

النقطة الثالثة المرتبطة بتقنيات بناء الحمامات، وعلى الرغم من مساحتها الصغيرة مقارنة بمساحة المنزل، إلا أن هندستها سمحت بتوزيع جيد ومتناسق لجميع قاعاتها وأحواضها، أيضا العناية التي بنيت بها الجدران، تسمح لنا بالقول أنها تعود إلى فترة عرفت فيها هندسة البناء في الشمال الإفريقي أوج عطائها، دون شك تشكّل الفترة السيفيرية ميزة بارزة في ظهور المدن وازدهار العمران فيها، بهذا يمكن وضع الحمامات في زمن محصور بين نهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي.

1-4-2 موقع حمامات يانوياريوس

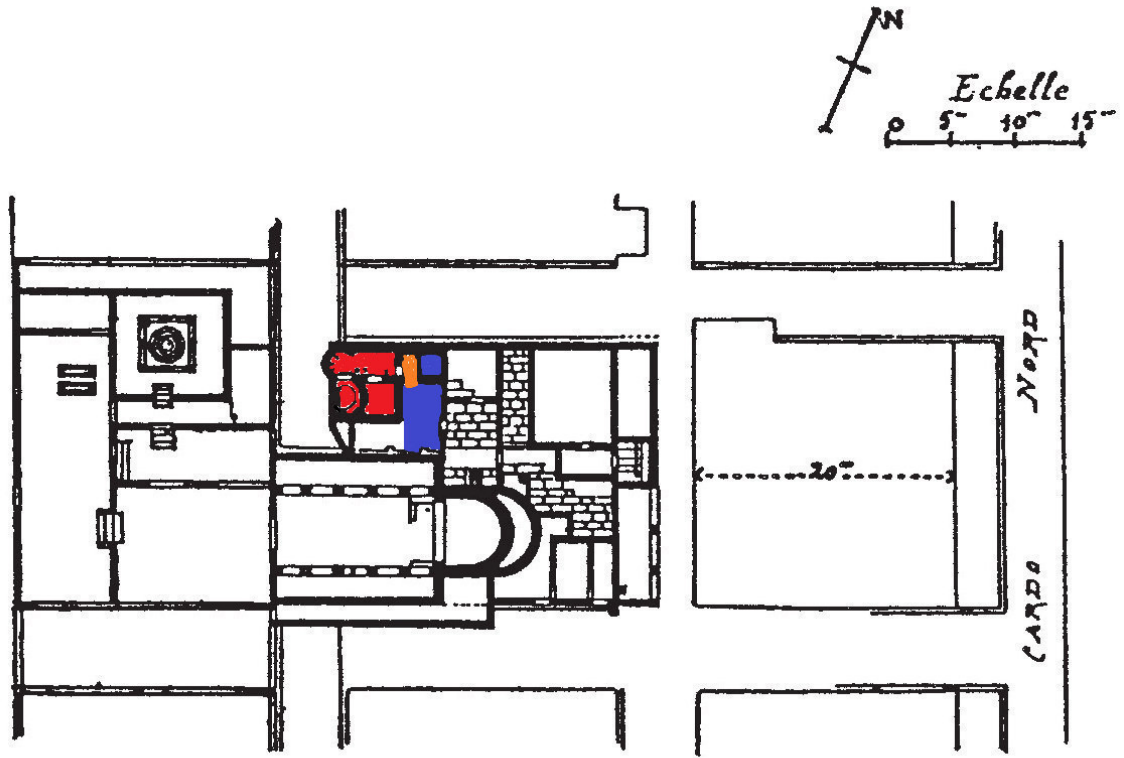
تقع حمامات منزل يانوياريوس في الشمال الغربي لمدينة ثاموقادي، داخل النواة الأولى التراجانية، وهي جزء يتوسط المنزل في شقّه الشمالي محتلة مساحة 71.50م²، يذكر "تتيار"¹ استنادا على دراسة "فارس" أن مساحتها تصل إلى 100م²، وتشكّل الوحدة السكنية رقم 37 مكان تواجدها، يمكن التعرف على بقايا الحمامات الخاصة ومخططها بصفة سهلة نوعا ما مقارنة بمخطط المنزل، الذي طغى عليه بناء البازيليكا المسيحية فوق الوجدتين 36 و 37، وعرف مخططها تغييرين متعاقبين خاصة على مستوى الحنية².

يحدّها من الشرق الشارع الأول غرب الكاردو الكبير أو ما يعرف بشارع دار البلدية، ومن الجنوب الشارع الثاني الموازي للديكيومانوس الكبير، وغير بعيد عن المنزل توجد السكولا schola في الجهة الجنوبية الشرقية منه، أمّا عن المنشآت العمومية فليس هناك ما يجاوره، فقط المنازل محيطة به من كل الجهات أهمّا منزل كورفيديوس corfidius الذي يقابله من الجهة الشمالية ومنزل الوحدة 38 من الجهة الشرقية.

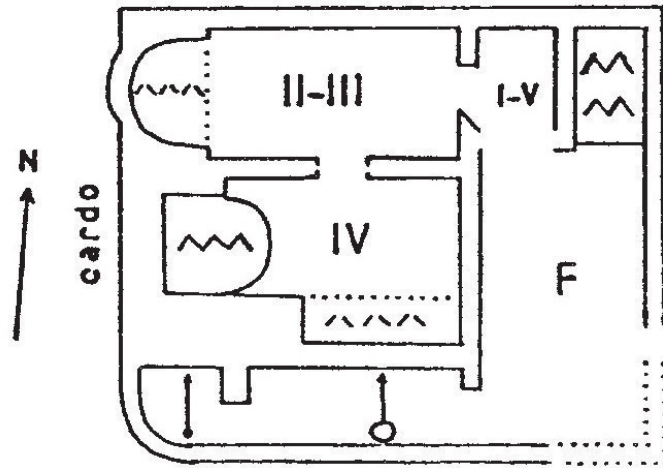
¹ THEBERT (Y.), Op.Cit. p 244.

² حاجي ياسين رابح، البازيليكا المسيحية.....المرجع السابق، ص ص 249-250.

-GUI (I), Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, (I) inventaire de l'Algérie –texte, institut d'études Augustiniennes, Paris, 1992, p 269.



مخطط رقم 06: منزل يانوياريوس¹



مخطط رقم 07: حمامات يانوياريوس حسب "تيباز"²

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad II ,..... Op.Cit , pl.VII, p26.

² THEBERT (Y.), Op.Cit , pl.108.

1-4-3 حركة المياه داخل الحمامات

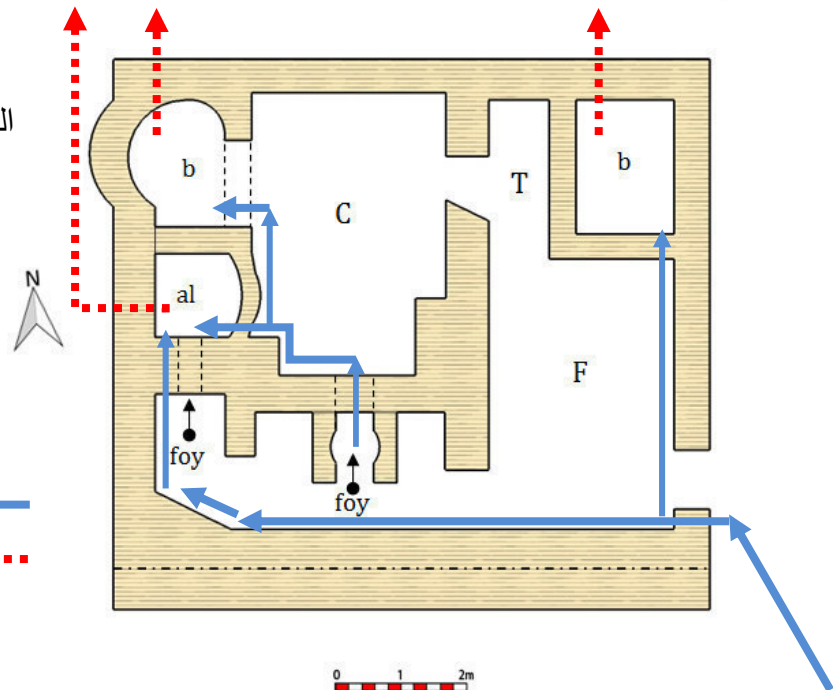
إنَّ أقرب خزانٍ لمنزل يانوياريوس يقع بالقرب من الفوروم في جهته الشرقيّة، وهو مكان تتمركز فيه عديد المنشآت التي تتطلّب توفّر عنصر الماء، على غرار السّوق الشرقيّ والحمامات الصغرى الشرقيّة، تبلغ مساحته حوالي 50 م²، ومن خلال ارتفاعه الذي يقارب 2م، فإنّ سعته تصل إلى 100 م³، وهي كمّية معتبرة من المياه تكفي لتزويد الحمامات والمنازل وغيرها من المباني. ويبقى هذا مجرد استدلال منطقي، حيث أنّ الدلائل الماديّة تغيب، ليس فقط في ثاموقادي بل في كثير من المدن القديمة، وهذا كون قنوات التوزيع صعبة التّعيين لأنّ معظمها تحت التّبليط وأسفل الشّوارع والطّرق، أو مصنوعة من الرّصاص تم نهبها أو استعمالها في مناطق بعيدة عن مكانها الأصلي .

وحيث الحديث عن حركة المياه داخل الحمامات هي الأخرى ليست بالأمر الهين، فإذا سلّمنا بأنّ الخزان سابق الذكر هو الممّول الرئيسيّ للمنزل والحمامات، وحين إجراء قراءة هندسية لمخطّط هذه الأخيرة حيث الموقدين المسؤولين عن تسخين أرضية القسم الساخن، الموجودين في الجهة الجنوبية للحمامات، وأنّ الجهة الجنوبية للمنزل مرتفعة مقارنة بالشّمالية فإنّ الماء حتما يدخل الأحواض من الجهة الجنوبية ثم يوجّه في اتجاهين: الأول نحو القسم الساخن والثاني في اتجاه الحوض البارد .

أمّا عن تصريف المياه المستعملة فهي في اتجاه الشّارع الثّانوي شرق/غرب، حيث تلتقي مع مجاري المراحيض شرق الحمامات، لتأخذ مسارها في اتجاه الكاردو الكبير وتصريفها في الأخير خارج المدينة في جهتها الشّمالية.

مخطّط رقم 08: نظام تزويد
الحمامات بالمياه وتصريفها منها
(انجاز الطّالب)

نظام التّزويد بالمياه
نظام تصريف المياه



1-4-4 أقسام حمامات يانوياريوس

تحتوي حمامات منزل يانوياريوس على قسمين ساخن وبارد ورواق للخدمات جنوبا.

1-4-4-1 القسم الساخن لحمامات يانوياريوس

يحتل القسم الساخن الجهة الغربية للحمامات وهو مشكّل من قاعتين: الأولى ساخنة مزودة بحوضين، مقاساتها (2.90 × 4.22)م، في حين يذكر "تّيبار" أنّ القاعة الساخنة كانت مقسمة إلى قسمين، الجزء الجنوبي يحتوي على حوض مسند على الجدار الجنوبي يزود بالحرارة مباشرة من الموقد¹، وهو ما يظهره مخطّطه، ولكن عمليا في المكان المحدّد للحوض لا يسمح باستيعاب المستحمين إذ لا يتعدى عرضه 0,50م، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحوض الصغير في الجهة الغربية يحتل مساحة لا تتوافق مع ما يعتقده "تّيبار". هذه القاعة مفتوحة في الجهة الشرقية على قاعة صغيرة بمدخل عرضه 0.65م من الداخل و 0.96م من الخارج، يتم تسخينها مباشرة من الموقد الأول في الجهة الجنوبية وفق نظام التسخين تحت أرضي والمشكّل من أعمدة ارتفاعها 0.70م، مبنية بالآجر المربع مقاساته (0.20×0.20)م، تعلوها بلاطات هي الأخرى من الآجر مربعة الشكل و معدل مقاساتها (0.60×0.60)م.



صورة رقم 15: جزء من القاعة
الساخنة لحمامات يانوياريوس يظهر
جزء من نظام التسخين
(تصوير الطالب)

هذه القاعة مزودة بحوضين: الأول في الركن الشمالي، شكله نصف دائري طوله 1.96م وعرضه عند منتصف الحنية 1.43م، يتم تسخينه بطريقة غير مباشرة من الموقد الثاني، المتموضع جنوب غرب الحمامات، إذ تمر الحرارة تحت أرضية الحوض الثاني.

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit . p 245.

والحوض الثّاني في الرّكن الجنوبي الغربي للقاعة، شكله مستطيل وينتهي بحنية، طوله إلى غاية منتصفها 1.30م وعرضه 1.25م؛ الملاحظ على هذا الحوض أنّ حنيته موجّه إلى الداخل (عند مدخله وليس العكس)، وهو ما لم نجده في أحواض الحمّامات التي تم معاينة مخطّطاتها والتي يزيد عددها عن 350 حمّاما بين العام والخاص منتشرة في إيطاليا وفرنسا ومدن الشّمال الإفريقي وسوريا، إذ الغالب منها أنّ الحنية تكون في الجزء المقابل للدخول إلى الحوض وليس العكس. ولكن بالمقابل عدد قليل يشبه حوض منزل يانوياريوس، سابق الذكر، على غرار:

- الحمّامات الشّتوية بتوبوريو مايوس¹ *thuburbo maius*
- حمّامات الكابتول بثاموقادي في أحد الأحواض السّاخنة بالجهة الغربية
- الحمّامات الكبرى الجنوبية بثاموقادي في أحد الأحواض السّاخنة في الجهة الشّمالية
- في أحد الأحواض السّاخنة في الشّمال الشرقي لفيللا موسكابو Muscapeu بمدينة Tourves التابعة لمقاطعة Var الفرنسية²

أمّا عن حرارة الحوض فتصله مباشرة من الموقد، الذي يرسلها تحت أرضيته، وعبر التّجويفات المهيّأة في جدرانه، وبطريقة غير مباشرة من الموقد الأول، وبالتالي حرارته مرتفعة مقارنة بالأول. بنبت جدران هذه القاعة بالآجر في جداريها الشرقي والجنوبي والتّقنية الإفريقية في الجدار الشّمالي، في حين الجدار الغربي مشغول بالحوضين السّابقين، جدرانها مبنية بالآجر، وملبسة بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر.



صورة رقم 17: الحوض السّاخن مستطيل الشّكل المنتهي بحنية (تصوير الطّالب)

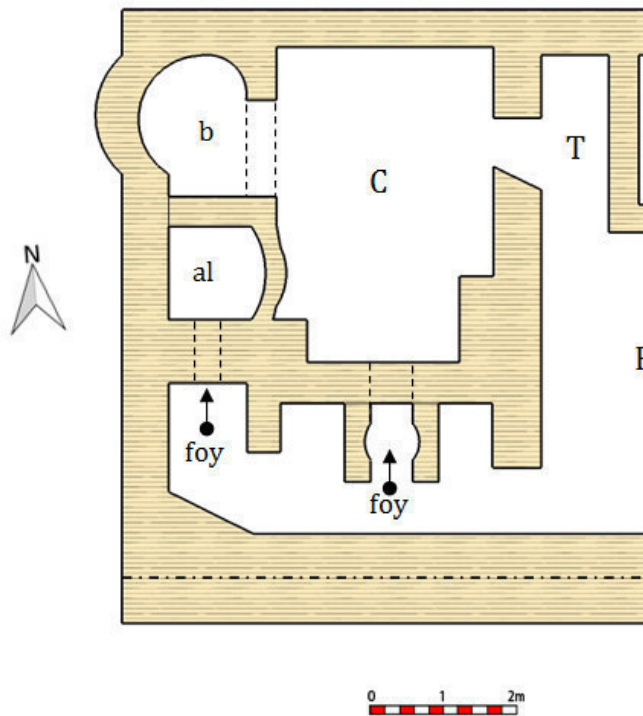


صورة رقم 16: الحوض السّاخن النّصف دائري (تصوير الطّالب)

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, pl. 61, p611.

² BOUET (A.), Thermes Privés et PublicsOp.Cit, pp318-319.

يذكر كل من "دي باشتار" ¹ De Pachtere و"سوزان جرمان" ² Germain أنّ أرضية القاعة الساخنة بلّطت بفسيفساء هندسية ، تمثّل حصيرة على شكل سلّة متداخلة الخطوط. أمّا القاعة الدافئة، التي في الأصل عبارة عن رواق ضيق، يمثّل الحد الفاصل بين القسمين البارد والساخن وليست قاعة بآتم المعنى، فمقاساتها الصّغيرة (1×2.32م)، تسمح فقط بمرور المستحمين من قسمين مختلفين في درجة الحرارة، تفتح على القاعة الساخنة من جهتها الغربية، وعلى الباردة من الجنوب عبر مدخل عرضه 0.91م، بنيت جدرانها بالتقنية الإفريقية، يتمّ تسخينها عبر أرضيتها بطريقة غير مباشرة من أرضية القاعة الساخنة.



مخطط رقم 09 :
القسم الساخن لحمامات يانوياريوس
(انجاز الطالب)

1-4-2 نظام التسخين في حمامات يانوياريوس

تبرز حمامات يانوياريوس نظام تسخين محكم الإنشاء، بقيت آثاره قائمة، سيما الموقدين في جهتها الجنوبية، والأرضية المحمولة فوق أعمدة الآجر، و بقايا الفتحات المهيأة في جدران الحوض الساخن الصّغير، وبلاطات تغطية الأرضية، كل هذه العناصر والتي في الأساس مشكّلة لنظام الهيبوكوست المثالي، تسمح بتوليد حرارة مناسبة للقسم الساخن وتوزيعها وفق ما يتطلبه كل جزء منه.

¹ DE PACHTERE (F.G), Inventaire des mosaïques de l'Afrique romaine III, Proconsulaire, Numidie, Mauritanie, Paris, 1911, p130.

² GERMAIN (S.). Les mosaïques de Timgad..... Op.Cit, Ilots 36-37, n°12, p16.



صورة رقم 19: أرضية القاعة الساخنة
(تصوير الطالب)



صورة رقم 18: التسخين الجداري للحوض
الصغير (تصوير الطالب)



صورة رقم 21: الموقد الثاني في الجهة الجنوبية
الغربية (تصوير الطالب)



صورة رقم 20: الموقد الأول في الجهة الجنوبية
الشرقية (تصوير الطالب)

1-4-4-3 القسم البارد لحمامات يانوياريوس

القسم البارد تشكّله القاعة الباردة وهي مستطيلة موجهة من الجنوب إلى الشمال، مقاساتها (2.86×4.10)م، يتم الدّخول إليها من الجهة الجنوبية الشرقية عبر مدخل عرضه 0.86م، ومن خلالها يتم الدّخول إلى رواق الخدمات حيث الموقنين سابقى الذّكر، عبر مدخل في ركنها الجنوبي الغربي، ومدخل آخر في جهتها الشماليّة الغربيّة يؤدي إلى القاعة الدّافئة.

زوّدت هذه القاعة بحوض مستطيل في ركنها الشمالي الشرقي، مقاساته (1.47×2)م، يتم التّزول إليه عبر سلّم مكوّن من ثلاث درجات باحتساب عتبة المدخل التي ترتفع بـ 0.35م عن مستوى القاعة الباردة.

بنيت جدرانها بالتقنية الإفريقية، كذلك الأمر في بناء الحوض خاصّة جداره الشرقي، إلى جانب بنائه بالآجر في جداريه الشمالي والغربي، ولبس من الداخل بالملاط الممزوج بكسر الآجر سمكه 0.05م ، وينخفض بـ 1.20م عن مستوى القاعة.

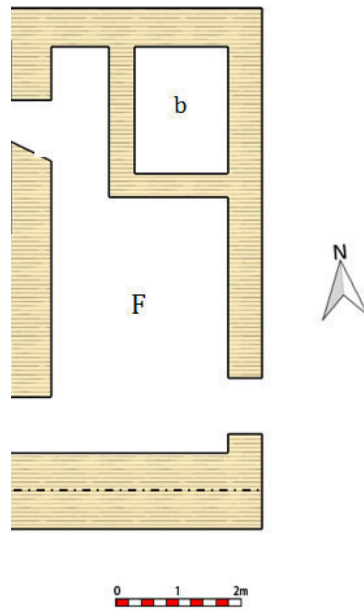


صورة رقم 23: الحوض البارد
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 22: القاعة الباردة
(تصوير الطّالب)

مخطّط رقم 10: القسم البارد لحمامات
يانوياريوس (انجاز الطّالب)



1-4-5 مواد وتقنيات بناء حمامات يانوياريوس

بنيت حمامات منزل يانويارس بعدة مواد وتقنيات مختلفة، ويعتبر الآجر الأكثر استعمالاً، خاصّة في الأحواض وعلى مستوى الموقدين، وفي واجهتها الخارجية الممتلئة بالجدارين الشمالي والغربي، في حين الجدران المشكّلة للمساحات المفتوحة بنيت بالتقنية الإفريقية والتي تتخلّلها أحياناً حجارة رباعية

الشكل كبيرة الحجم، وهي نفس التقنية التي بني بها مقدّم البازيليكا (قيودم البازيليكا¹ avant corps)، هذه الأخيرة بنيت بالتقنية الإفريقية خاصة على مستوى الحنية .

1-4-6 المسار الحموي داخل حمامات يانوياريوس

إنّ التوزيع البسيط لقاعات وأحواض حمامات يانوياريوس، يجعل التعرف على المسار المتبع من المستحمين سهلاً، فالدخول إلى الحمامات من جهة واحدة هو الآخر يجعلنا نتعرف على بداية هذا المسار، وهو القاعة الباردة والحوض التابع لها ثم القاعة الدافئة، ومن ثم الولوج إلى الساخنة، من هنا للمستحم الاختيار، إمّا الاستحمام بالماء الساخن ذو درجة حرارة عالية، وهي مهمة الحوض الساخن الصغير في الركن الجنوبي الغربي للقاعة الساخنة، أو الاستحمام بماء ساخن أقلّ حدة من سابقه، وهذا في الحوض النصف دائري، ومسار العودة نفسه، بهذا نكون أمام مسار شبه دائري تراجعي عكسي .

1-5-5 حمامات منزل الوحدة 38

1-5-1 موقع الحمامات وتأريخها

يحدّها من الشمال والجنوب شارعين ثانويين، ومن الشرق الكاردو الكبير، ومن الغرب منزل يانوياريوس يفصل بينهما شارع ثانوي، تحتل مساحة 80م²، تتكون من قسمين بارد وساخن. وبخصوص مداخل المنزل فالظاهر منها أربعة، مهيأة في الجهة الشرقية:

- المدخل الرئيسي، عرضه 1.83م يؤدي إلى فناء المنزل،
- المدخل الثانوي الأول في الركن الشمالي الشرقي، عرضه 1.51م،
- المدخل الثانوي الثاني جنوب المدخل الرئيسي، عرضه 1.38م،
- المدخل الثانوي الثالث في الركن الجنوبي الشرقي، عرضه 1.53م،

ويتم الدخول إلى الحمامات من الشمال عبر مدخل عرضه 2.55م، يؤدي إلى بهو الدخول حيث هيئ الموقد، في حين أقسام الحمامات يتم الولوج إليها من الجنوب عبر مدخل عرضه 1.74م، زين بعمودين مدمجين في الجدار.

أمّا فيما تعلق بمحاولة وضع الحمامات في إطارها التاريخي، يشترك هذا المنزل مع منزل يانوياريوس المجاور له غرباً، في استغلال جزء من أجزاء الشوارع الثانوية، إذ تتقدم حماماته إلى الشارع الثانوي شرق/غرب مسافة 1.80م، مما يدلّ على أنّها بنيت في فترة لاحقة لبناء المنزل، وأنّ المكان

¹ حاجي ياسين رابح، البازيليكا المسيحية، المرجع السابق، ص 250.

المشغول بالحمّامات في الأصل كان يمثل غرف أو أجزاء من المنزل وظيفتها غير حموية، ويظهر المدخل الشّمالي حدود المنزل الأصلية قبل تهيئة الحمّامات، وهذه الظّاهرة التي عرفتتها مدينة ثاموقادي وهي التعدي على الشّوارع خاصّة داخل حدودها الأولى (مدينة تراجان أو النواة الأولى)، إنما ترجع إلى منتصف القرن الثالث، ومن هذا الإطار، فالمرجّح أنّ المنزل بني قبل هذه الفترة في حين الحمّامات تؤرخ بنهاية القرن الثالث أو بداية الرابع ميلادي.



صورة رقم: 24
منظر عام لحمّامات
منزل الوحدة 38
(تصوير الطّالب)

1-5-2 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها

يتمّ تزويد الحوضين الساخن والبارد من الجهة الجنوبية عبر فناء المنزل المزود ببئر في الوسط، والواضح أنّ قناة تموينهما بالمياه لم تكن مبنية أو محفورة في الصخر، وإنما هي مصنوعة من الفخّار أو أنابيب من الرّصاص، تعبر القاعة الباردة في اتجاه الحوضين، أمّا تصريف المياه فيكون إلى الشّمال لتصب مباشرة في قناة الصرف أسفل الشارع الثانوي شرق /غرب.

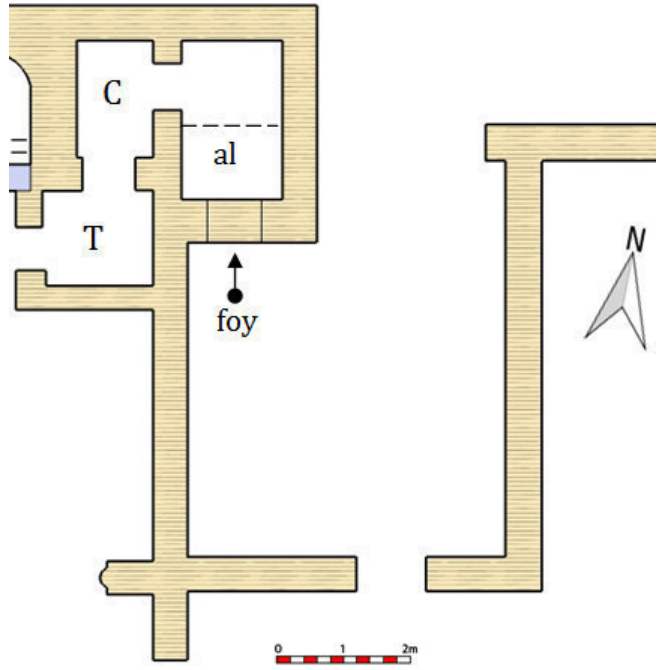
1-5-3 أقسام حمّامات منزل الوحدة 38

كما ذكرنا سابقاً تظمّ الحمّامات قسمين، إحداها بارد والآخر ساخن ، كلاهما مزوّد بحوض.

1-5-3-1 القسم الساخن للحمّامات

يتكون من قاعتين صغيرتين، دون شك إحداها دافئة والثّانية ساخنة تنتهي في جهتها الشرّقية بحوض مستطيل.

مخطّط رقم 11: القسم السّاخن لحمّامات
منزل الوحدة 38
(انجاز الطّالب)



أمّا القاعة السّاخنة فمقاساتها (1.15×1.77)م، تستمد حرارتها بطريقة غير مباشرة من الموقد الذي يقوم بتسخين الحوض مباشرة، ويظهر في الموقع بقايا نظام التّسخين خاصّة تحت الحوض، بنيت جدران هذه القاعة في جهتيها الشّمالية والغربية بالحجارة الكبيرة، في حين الجهة الشّرقية مشغولة بالمدخل المؤدي إلى الحوض، عرضه 0.70م، والجهة الجنوبية مشغولة بالقاعة الدّافئة عبر مدخل عرضه 0.80م، أمّا الحوض السّاخن مستطيل الشّكل، مقاساته (1.52×2.40)م، بنيت جدرانه بالتّقنية المختلطة (حجارة متوسطة وأجر) ولبست جدرانه الدّاخلية بتقنية الملاط المزوج بكسر الأجر، يتم تسخينه من الأرضية مباشرة ومن جدرانه وفق تقنية التّسخين الجداري .



صورة رقم 26: الحوض السّاخن (تصوير الطّالب)



صورة رقم 25: القاعة السّاخنة (تصوير الطّالب)

هيئ الموقد في الجدار الجنوبي للحوض الساخن، عرضه 0.82م وارتفاعه 1.33م ، بنيت حوافه بالآجر، وهو مفتوح على قاعة أو فناء الخدمات مساحته 30م² .



صورة رقم 27: موقد الحمامات (تصوير الطالب) صورة رقم 28: آثار التسخين الجداري والتلبيس (تصوير الطالب)

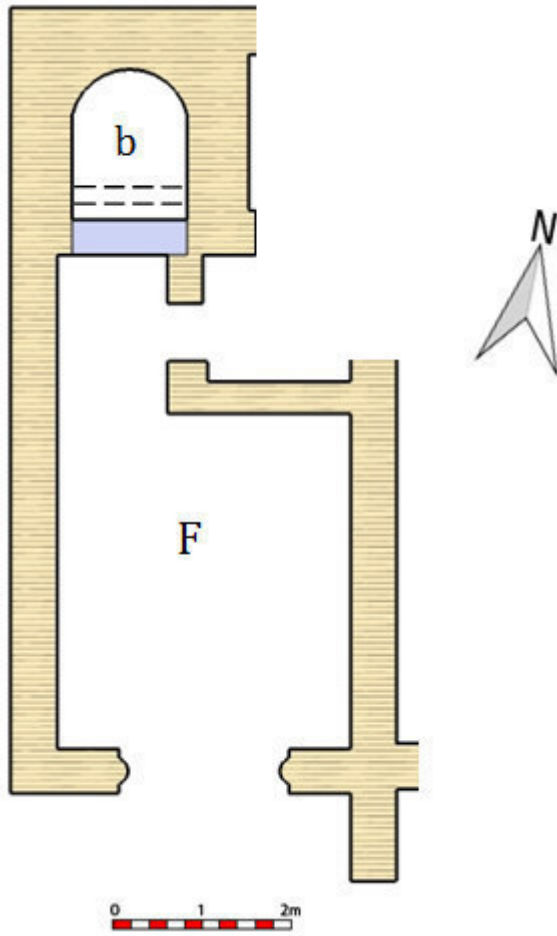
القاعة الدافئة هي الأخرى عبارة عن فضاء صغير لا تتعدى مساحته 2.5م²، مفتوح على القاعة الساخنة شمالا وجزء من الباردة غربا عبر مدخل عرضه 0.65م، يتم تسخينها بطريقة غير مباشرة من أرضية القاعة الساخنة، بنيت جدرانها هي الأخرى بالتقنية المختلطة.



صورة رقم 29: القاعة الدافئة (تصوير الطالب)

1-5-3-2 القسم البارد للحمامات

يشغل في مجمله مساحة 20م^2 ، يتكوّن من قاعة باردة تقريبا مستطيلة مقاساتها $(3.80 \times 3.32)\text{م}$ ، مفتوحة على فناء المنزل بمدخل في جهتها الجنوبية، عرضه 1.74م ، وتمتد في ركنها الشمالي الغربي برواق طوله 2م وعرضه 1.16م ، بلّطت أرضيتها ببلاطات حجرية معدّل مقاساتها $(0.90 \times 0.70)\text{م}$ ، وينفتح عليها حوض بارد هو الآخر مستطيل مقاساته $(1.70 \times 1.30)\text{م}$ ، ينتهي بحنية نصف قطرها 0.53م ، الحوض البارد موجه إلى الشمال وينخفض بـ 1م عن مستوى القاعة، يذكر "بالو"¹ أنّ ارتفاعه 1.20م ، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكوّن من 3 درجات باحتساب العتبة، التي ترتفع بـ 0.50م عن أرضية القاعة الباردة.



مخطّط رقم 12: القاعة الباردة

لحمامات منزل الوحدة 38

(انجاز الطّالب)

بنيت جدران القاعة الباردة بالتّقنية الإفريقية، في حين بني الحوض بالتّقنية المختلطة ولبّست جدرانه بـ الملاط الممزوج بكسر الآجر .

¹ BALLU (A.), *Fouilles archéologiques d'Algérie en 1905*, in B.C.T.H. 1906, p196.

- BALLU (A.), *Les ruines de Timgad III*,..... Op.Cit, p78.



صورة رقم 31: الحوض البارد
(تصوير الطالب)



صورة رقم 30: القاعة الباردة
(تصوير الطالب)

1-5-4 المسار الحموي داخل حمّامات منزل الوحدة 38

لا يشكّل المسار الحموي لهذه الحمّامات إشكالا أو تعقيدا، كون المبنى صغير نسبيا والمسار واضح، إذ يتم دخول المستحمين الذين لا يتعدى عددهم اثنان، من فناء المنزل إلى القاعة الباردة ثم الدّافئة ثم السّاخنة وصولا إلى الحوض السّاخن، فالمسار إذا تراجعي عكسي بشكل مستمر ينتهي بالحوض البارد عند الرجوع.

1-6-6 حمّامات منزل انتصار فينوس

1-6-1 موقع الحمّامات وتاريخها

يقع منزل انتصار فينوس في النواة الأولى لمدينة ثاموقادي، عند تقاطع الكاردو الكبير مع الديكيमानوس الكبير، يفصله هذا الأخير عن الفوروم، في حين يفصله شارع ثانوي عن مكتبة ثاموقادي في جهته الشماليّة، ومن الجهة الغربيّة شارع ثانوي شمال/جنوب، ومن الشرق الكاردو ومن الجنوب الديكيमानوس، ولا يبتعد كثيرا عن الحمّامات الصّغرى الشرقيّة، فموقعه يسمح له بالحصول على امتيازات وسهولة في التزوّد بالمياه من جهة، ومن جهة أخرى تصريف مياهه في اتجاه قناة الصّرف الرّئيسية أسفل أرضية الكاردو. يتمّ الدّخول إلى المنزل عبر أربعة مداخل، اثنان منها على الكاردو الكبير، الثالث في جهته الشماليّة، عرضه 1.70م، والرّابع يطلّ على الشّارع الثّانوي الأول شرق الكاردو الكبير. سمّي المنزل بهذا الاسم نسبة إلى الفسيفساء المكتشفة بغرفة مجاورة للأثريوم، والمشهد عبارة عن الإلهة فينوس ممّطية ظهر سونتور بحري.

أما الحمامات فهي في الجهة الشمالية الغربية للمنزل، يتم الدّخول إليها عبر فناءه، و حسب "بالو"¹ و"جارمان"² هي معزولة عن الشّارع من الجهة الغربية، الّتي خصّصت لدكاكين مفتوحة على الكاردو الكبير.



صورة رقم 32 :

منظر عام لحمامات

منزل انتصار فينوس

(تصوير الطّالب)

تقدر مساحة الحمامات بـ 107م²، أي ما يعادل 20.18% من المساحة الإجمالية للمنزل، المقدّرة حسب "بالو"³ بـ 530 م² ، (20.30×26.10) م.

أمّا عن تأريخ الحمامات فلا توجد معطيات كافية لذلك، فقط ينبغي الإشارة إلى الفسيفساء المكتشفة بالمنزل، والّتي من خلالها يمكن وضعه في حيّز زمني تقريبي، ومن ثم الحد الأدنى لتأريخ الحمامات، فحسب "جارمان" فسيفساء انتصار فينوس يمكن أن ترجع إلى النّصف الأول من القرن الثاني⁴، ويمكن ربط هذا التّأريخ بموقع المنزل عند تقاطع الكاردو الكبير مع الديكيमानوس الكبير، وهي تقريبا نقطة الانطلاق لتخطيط شوارع المدينة، من هذا المنظور يمكن إرجاعه إلى بداية القرن الثاني بعد وضع اللبنة الأولى للمدينة.

ومن جهة أخرى فإنّ فسيفساء "إكليل من الضّفائر النباتية"، الّتي وجدت بالقاعة الكبرى عند المدخل الشّمالي للمنزل، تؤرخ بالقرن الرابع ميلادي، وهي إشارة إلى أنّ المنزل بقي مأهولا بساكنيه مدة طويلة⁵.

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad, III,..... Op.Cit, p84.

² GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad.....Op.Cit, p25.

³ BALLU (A.), Rapport sur les fouilles archéologiques à Timgad en 1903, in B.C.T.H.1904, p167.

⁴ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad.....Op.Cit, p29.

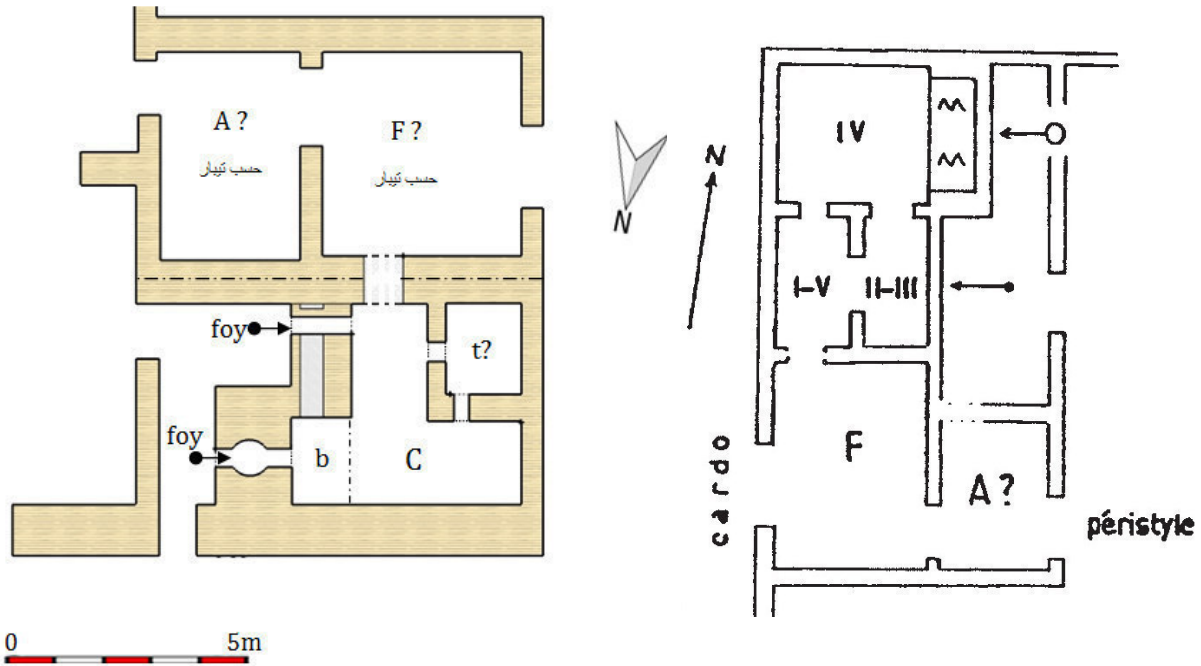
⁵ Idem.

1-6-2 أقسام حمامات منزل انتصار فينوس

حسب "بالو" الحمامات مكوّنة من رواق للخدمات مزوّد بموقدين وقاعة وحوض ساخنين، ولا يضيف شيئاً حول قسمها البارد¹، وفي الواقع أنه من الصعب حقيقة التّعرف على مكوناتها الأصلية وكذا وظيفة كل جزء منه، فالواضح للعيان للموقدين في جهتها الشرقية، حتى المداخل المهيّأة في الحمامات في جداريها الشمالي والشرقي، لا ندري إن كانت متزامنة مع الحمامات أو أنها هيئت لاحقاً، فمن وجهة النظر الوظيفية أنّ المدخل الشمالي أنسب ليكون ممراً لرواق الخدمات، خاصّة أنّه يطلّ على شارع ثانوي وبالتالي يسهل عملية تزويدها بمستلزمات التسخين.

1-2-6-1 القسم الساخن للحمامات

حسب المخطّط الذي وضعه "تيبّار"، فإنّ هذا القسم مشكّل من ثلاث قاعات، إحداها زوّدت بحوض مسند على جدارها الشرقي، لكن مقاسات هذه القاعات صغيرة، تذكّرنا بما وجدناه في حمامات الوحدة 38 بنفس المدينة .



مخطّط رقم 14: حمامات منزل انتصار فينوس
(انجاز الطالب)

مخطّط رقم 13: حمامات منزل انتصار
فينوس حسب "تيبّار"²

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad, III, p 84 / BALLU (A.), Rapport 1902 , p CCXV/ BALLU (A.), Rapport 1903, in B.C.T.H 1904 p167.

² THEBERT (Y.), Op.Cit, pl.CIX n°1.

وبالعودة إلى واقع الحال، فالحمامات تتكوّن من قاعتين متّصلتين مع بعضهما، الأولى في الجهة الجنوبية، حرارتها تأتيها من الموقد المهيأ في جدارها الشرقي، والثانية شمالية موقدها في نفس جهة السابقة، لكن هذه الأخيرة زوّدت بحوض مستطيل مقاساته (1.37×2.00)م، يتمّ تسخينه مباشرة من الموقد، والملاحظ في القاعة الجنوبية هو تهيئة جزء منها في جهتها الغربية، يبقى مبهم الوظيفة، وهو الجزء المشار إليه في مخطّط "تيبار" بالرمز (I-V) ويربطه بالقاعة الباردة بمدخل في جداره الجنوبي، والحقيقة أنّ عرضه فقط 1.74م وطوله 2.10م، ما يشكل مساحة صغيرة تختزل في فضاء القاعة، فالإشارة الوحيدة هو وجود منفذ للهواء الساخن في جهتيها الشرقية والشمالية.



صورة رقم 34: الحوض الدافئ المحتمل
(تصوير الطالب)



صورة رقم 33: القاعة الساخنة للحمامات
(تصوير الطالب)

وبالرجوع إلى مدخل الحمامات، نجد فقط مدخلين يؤديان إلى رواق أو غرفة الخدمات، الأول في الجهة الشرقية عرضه 1.27م، والثاني في الجدار الشمالي عرضه 0.86م، لكن هذا الأخير يبدو أنه هيئ في وقت لاحق، فالمدخل الأول يرتبط مع القاعة الكبيرة ذات منفذ مطل على الشارع الذي يفصلها عن المكتبة. ولكن السؤال يدور حول مداخل القاعات الحموية وأحواضها، فالجهة التي أشار إليها "تيبار"، غير ممكنة التوقع للأسباب التالية :

1- الجدار وعلوه عن مستوى القاعة المجاورة لها جنوبا، خاصّة في جهته الغربية أين يرتفع بأكثر من 0.50م (للإشارة أنّ جدار القاعة مزدوج، فالجهة الداخلية مبنية بالآجر والذي لا تظهر عليه إعادة البناء أو الترميم، والجهة الخارجية مبنية بالتقنية الإفريقية، ولكنها تظهر أنها معادة البناء أثناء الترميمات)، في حين جهة الجدار الشرقية (البناء بالآجر) تقريبا في نفس مستوى القاعة المجاورة مما يمكن من تهيئة مدخل في هذه الجهة.

2- ما الغرض من إنشاء مدخل يؤدي إلى مكان يشبه بهو الدخول للمنازل، ثم يتفرّع إلى جهتين؟
من هذه المعطيات يمكن إعطاء قراءة جديدة لمخطّط حمّامات منزل انتصار فينوس، وتوزيع أجزائه وفق ما توفّر من دلائل مادية .

فلاحتمال كبير أنّ هذه الحمّامات لم تحتوي على قسم بارد، بدليل عدم وجود أي أثر لحوض أو ما شابه، وهنا نكون أمام حمّامات تقتصر على قسمها الساخن مثل ما يعرف بالحمّامات الشتوية، تضم قاعتين الأولى ساخنة والثانية دافئة، كلاهما مزود بحوض، أمّا الأول حرارته عالية تأتيه من الموقد عبر الأرضية المحمولة، بالإضافة إلى حرارة المياه الساخنة، والحوض الدافئ حرارته غير مباشرة، تختزل حدّتها ببعده عن الموقد، وهذا الحوض حرارته معتدلة تأتيه من الأسفل فقط، وهو بذلك يعوّض الحوض البارد كما في الحمّامات مكتملة المنظومة الحموية .

ومن وجهة نظر هندسية، التّقنيات التي بنيت بها جدران الحمّامات، الآجر من الدّاخل والتّقنية الإفريقية من الخارج، خاصة الجدارين الجنوبي والشمالي بعرض إجمالي يقدر بـ1.10م، تجعلها تختزن حرارتها بالداخل ولا تؤثر على باقي أجزاء المنزل.



صورة رقم 36: الموقد الجنوبي
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 35: الموقد الشمالي
(تصوير الطّالب)

1-2-6-2 القسم البارد للحمّامات حسب "تيبار"

يتشكّل من قاعتين، الأولى باردة مفتوحة على الكارديو الكبير بمدخل عرضه 1.90م، مقاساتها (4.70×4.57)م، ترتبط مع قاعة في جهتها الشرقية، يعيّنها " تيبار " مع بعض التّحفّظ على أنّها قاعة نزع الملابس، مقاساتها (4.80×3.30)م، مفتوحة على فناء المنزل بمدخل عرضه 1.20م.

1-6-3 فسيفساء منزل انتصار فينوس

على الرغم من أن الحمامات لم يعثر بها على آثار لأرضيات فسيفسائية، إلا أنه وجد بالمنزل لوحات غنية بالأشكال الهندسية و المشاهد الميثولوجية على حد سواء، وأبرزها مشهد انتصار فينوس، الذي يصور هذه الأخيرة ممتطية ظهر سونتور بحري (Centaure) ماسكا بيده اليمنى وشاحا ذو لون وردي، يمر خلف الإلهة لتمسك بدورها طرفه الآخر بيدها اليسرى، وباليمنى تاج من أوراق وأزهار النباتات متموضعا خلف رأس السونتور، وعلى جانبها الأيسر سونتور شاب غير ملتحي، يحيط برأسها هالة مشعة و يلف رجلها الأيسر وشاح آخر أحمر اللون، ويبرز تحت قدمي السونتور الملتحي دلفين محوّر¹،، هذا عن المشهد المركزي، في حين الحاشية مشكلة من أوراق الأكانتس.

هذه الفسيفساء أنجزت وفق تقنية *opus vermiculatum* ، معدّل حجم مكعباتها من 0.002 إلى 0.003م³، معدّل كافتها في 1دم³ هو 330 مكعب²



فسيفساء انتصار فينوس⁴



صورة رقم 37 : فسيفساء انتصار فينوس³

إلى جانب هذا التبليط وجد آخر بالقاعة الكبرى في الجهة الشمالية الشرقية، وهو عبارة عن مشهد لصفائير من أوراق وأزهار مختلفة، تشكّل بتقاطعها أربعة أكاليل يتوسط كل واحد منها أشكال دائرية، بداخلها زهرة مشكلة من أربعة بتلات. ⁵pétales

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad,Op.Cit, pp27-29.

² Ibid, p 28.

³ BALLU(A.), les ruines de Timgad III ,.... Op.Cit , p. sans numéro (entre84 et85).

⁴ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad,Op.Cit, pl. XI.

⁵ Ibid , p25-27.

صورة رقم 38: فسيفساء القاعة
الكبرى بمنزل انتصار فينوس
(تصوير الطّالب)



7-1 حمّامات منزل الوحدة 69

1-7-1 موقع الحمّامات

يقع المنزل بالوحدة 69، يحده من الشرق الشارع الذي يفصله عن دار البلدية، ومن الجنوب الشارع الثانوي الأول جنوب الديكيमानوس الكبير الذي يحده من الشمال، تفتح عليه مجموع من الدكاكين، ومن الغرب الكاردو الكبير في امتداداه الجنوبي، والذي يوصل إلى منزلي سارتيوس وهيرمافروديت. للمنزل عدة مداخل: الأول في الجهة الشمالية الشرقية عرضه 1.32 م. والثاني في الجهة الجنوبية عرضه 1.55م، ومنه يتم النزول إلى بهو بسلم مكون من 5 درجات، يرتفع عن مستوى أرضيته بـ 1 م. والثالث في الجهة الشرقية، عرضه 1.42 م يؤدي إلى غرفة أو رواق الخدمات الخاص بالحمّامات . أما ما يظهر من مداخل في جهات المنزل الشمالية والغربية، فهي في الغالب خاصة بالدكاكين المفتوحة على الشوارع.

المساحة الإجمالية للمنزل حسب "بالو"¹ 506.35 م² (24.70×20.50م)، في حين مساحة الحمامات لا تتعدى 65م² (باحتمساب بهو الدّخول ممثلاً للقسم البارد مثلما يعتقد "تيبّار"، أمّا دونه فالمساحة لا تتعدى 45 م²، هذه الأخيرة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمنزل .

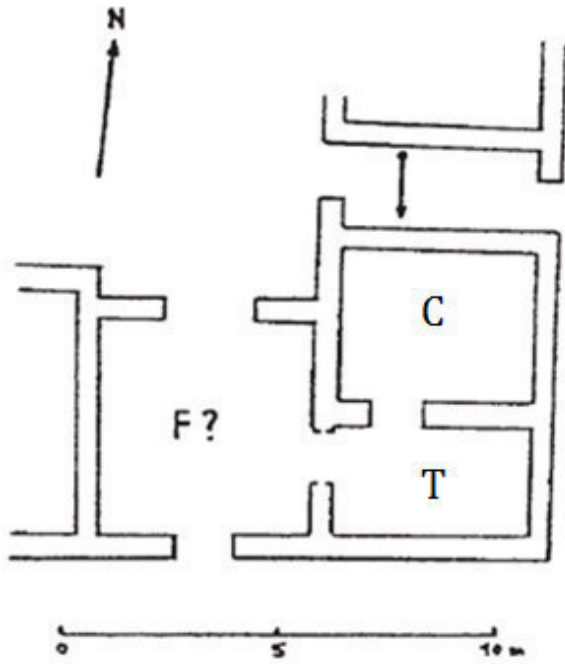


صورة رقم 39:
منظر عام لمنزل
الوحدة 69
(تصوير الطّالب)

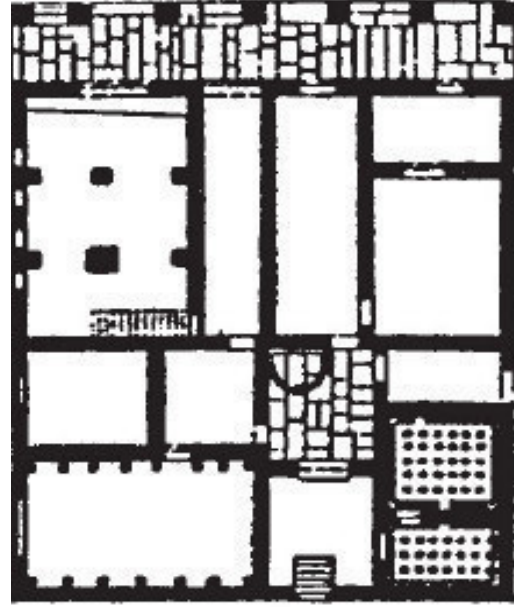
1-7-2 أقسام حمامات منزل الوحدة 69

ما يظهر من بقايا الحمامات قاعتين مشكّلتين للقسم السّاخن، الأولى ساخنة حرارتها تأتيها مباشرة من الموقد المهيأ في جدارها الشّمالي، والثّانية دافئة في جهتها الجنوبية، مسخّنة بطريقة غير مباشرة انطلاقاً من أرضية الأولى.

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad II,..... Op.Cit, p 101.



مخطط رقم 16: حمامات منزل الوحدة 69²



مخطط رقم 15: منزل الوحدة 69¹

1-2-7-1 القسم الساخن للحمامات

يضم قاعتين، الأولى ساخنة والثانية دافئة.

القاعة الساخنة: مقاساتها (3.75×4.72)م، يتم تسخينها بواسطة الموقد في جهتها الشمالية، عرضه 0.60م وارتفاعه 0.65م، لا تزال بقايا الأعمدة الحاملة لأرضيتها والمشكلة من بلاطات آجورية، معدل مقاساتها 0.20م، جدرانها مبنية بالآجر، ترتبط مع القاعة الدافئة عبر مدخل عرضه 1.16م. لا يوجد أثر إذا ما زوّدت بحوض أو لا، وإن كان كذلك فمكانه المتوقع هو ركنها الشمالي الغربي عند فتحة الموقد مباشرة.

القاعة الدافئة: مقاساتها (2.51×4.72)م، تشبه سابقتها في طريقة البناء وفي نظام تسخينها، الذي يتم من خلال فتحة مهيأة في الجدار الفاصل بينها وبين الساخنة، عرضها 0.36م وارتفاعها 0.52م، تسمح للهواء الساخن المرور إلى أرضيتها المحمولة فوق أعمدة من الآجر. يتم الدخول إلى هذه القاعة عبر مدخل في جهتها الغربية، عرضه 1.14م، الذي يربطها مع بهو الدخول، هذا الأخير يعينه "تبيار" في مخطّطه مع الشك على أنّه قاعة باردة³.

¹ BOESWILLWALD (E.), CAGNAT(R.) et BALLU (A.), Timgad une cité africaine sous l'empire romain, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1905, p337.

² THEBERT (Y.), Op. Cit, pl. CIX.

³ Ibid, pl.CIX.



صورة رقم 40: القاعة الساخنة (تصوير الطالب) صورة رقم 41: القاعة الدافئة (تصوير الطالب)

أما تقنية بناء الحمّامات فنجد التقنية الإفريقية المشكّلة من حجارة كبيرة عمودية وحجارة متوسطة للمستويات الأفقية، أمّا المستوى السفلي للجدران الداخلية فهو مبني بالآجر، ليتوافق مع درجات الحرارة المنبعثة من الموقد، والواضح أنّ البناء بالآجر أصلي، في حين ما بني في المستويات الأعلى هو إعادة بناء أثناء الترميم.



صورة رقم 43: عينة من البلاطات الآجورية
لأعمدة الهيبيوكوست (تصوير الطالب)

صورة رقم 42: موقد القسم الساخن للحمّامات
(تصوير الطالب)

1-7-2-2 القسم البارد للحمّامات

لا يمكن الجزم أنّ القاعة الباردة هي ذلك البهو الذي يلي المدخل الجنوبي للمنزل، والذي يفتح على القاعة الدافئة في جهته الشرقية، وعلى قاعة أخرى شمالاً، هذا البهو أو القاعة بلطت أرضيته ببلاطات حجرية كبيرة لا تقل مقاساتها عن (0.60×0.90) م، ولا يوجد أي دليل أو إشارة أنها زوّدت بحوض، فقول "تيبار" أنها قاعة باردة إنما هو البحث عن التوافق بين قسمي الحمّامات (الساخن والبارد)،

وبهذه المكونات للحمّامات نجد :

- قاعتان ساخنتان،
- غياب أي إشارة لوجود الماء (القنوات والأحواض)،
- إبهام كبير في قسمها البارد

هذا ما يدخل الشك أنّ هذا الجزء من المنزل ما هو إلا قاعتان ساخنتان وظيفتهما غير حموية ؟ يصعب تأكيد ذلك في ظل ما توفر من معلومات.



صورة رقم 45: سلّم المدخل الجنوبي
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 44: أرضية بهو الدّخول الجنوبي
(القاعة الباردة؟) (تصوير الطّالب)

1-8 حمّامات منزل الحوض

1-8-1 موقع الحمّامات

سمّي المنزل بهذا الاسم نظرا للحوض الذي وجد في فناءه، والمزين بتسعة أعمدة تعلو جدرانها المشكّلة ببلاطات حجرية كبيرة، ويحتل المنزل الودعتين 67 و 75، ولكن "بالو" يعتقد أنّ في الأصل كانت الودعتان منفصلتان بينهما شارع ثانوي¹ ويشبّهه بمنزل بانسا Pansa بمدينة بومبي².

يقع جنوب شرق قوس النصر، في حين تقع الحمّامات في جهته الشرّقية، بمساحة تقارب 90م²، محقّقة نسبة 9 % من المساحة الإجمالية للمنزل (1040 م² حسب "بالو"³)، وبخصوص مداخل المنزل ومن ثم الحمّامات وفي ظل التّعديلات التي طرأت على المنزل يصعب إعطاء قراءة حقيقية، فما

¹ BALLU (A), Les ruines de Timgad antique *Thamugadi* « nouvelles découvertes »I, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1897, p228.

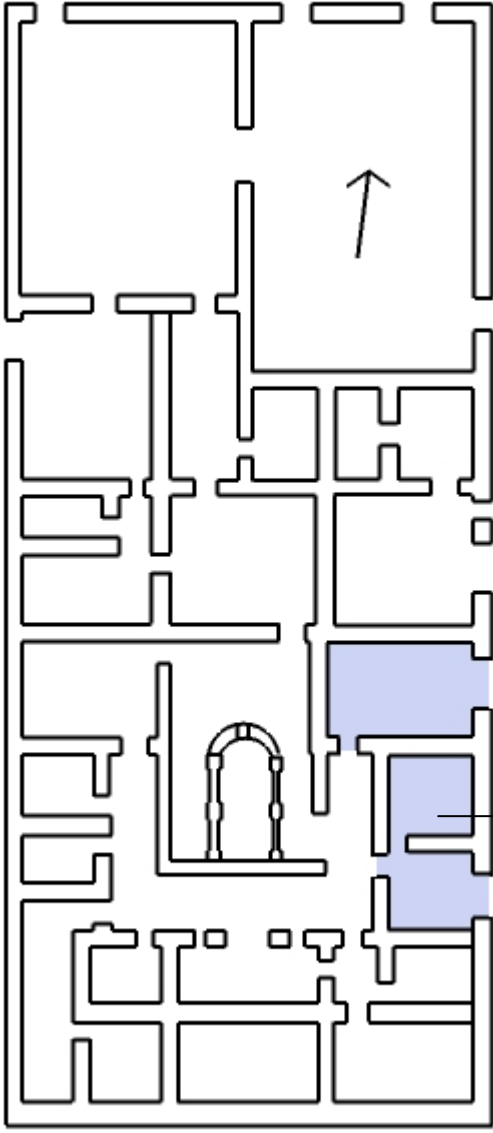
² BALLU (A.), *Les fouilles de TIMGAD*, in Bulletin Monumental, Tome65, 1901, p420.

³ BALLU (A.), *Les ruines de TIMGAD II*,..... Op.Cit, p102.

يظهر حاليا أنّ مدخل المنزل في الجهة الغربية يؤدي إلى بهو الدخول ثم إلى رواق ضيق نسبيا، والمدخل الثاني يؤدي إلى قاعة وجدت بها بقايا الموقد، بالإضافة إلى مدخل ثالث في نفس الجهة يؤدي إلى قاعة مجاورة للسّاخنة من الجهة الجنوبية؛ والواضح من خلال عرض هذه المداخل وتعدّها أنّها هيئت في وقت لاحق وتغيّر الدور الحقيقي لها .



صورة رقم 46: حوض المنزل
(تصوير الطّالب)



صورة رقم : 47. حمامات منزل الحوض
(تصوير الطالب)

مخطط رقم 17: منزل الحوض¹
(بتصرف الطالب)

1-8-2 أقسام حمامات منزل الحوض

لا تبرز حمامات منزل الحوض الكثير من بقاياها، التي من خلالها نستطيع تحديد أجزائها وأقسامها بدقة، رغم هذا سنعرض ما تمّ معاینته.

1-2-8-1 القسم الساخن للحمامات

يتكوّن في الأساس من قاعتين، مرتبطتين فيما بينها بفتحة تتيح للهواء الساخن المرور بينهما، لا تسمح بقاياها بالتعرف أكثر على هيئتها الأصلية، ولا مكان الحوض الساخن إن وجد.

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad.... Op.Cit, p42.

القاعة الأولى في الجهة الشمالية مقاساتها (3.46×4.30)م ، هيئ في جدارها الشرقي مدخل عرضه 2.35م، لكنه حتما لم يكن وقت اشتغال الحّمّات، وهو نفس ما ذهب إليه "تيبار"¹، بنيت جدرانها بالثّقنية الإفريقية، دعّاماتها العمودية بالحجارة الكبيرة والمستويات الأفقية بالحجارة متوسطة الحجم، ولكن الاحتمال كبير أنّ هذه الطريقة في بناء الحّمّات ترجع إلى فترة متأخرة عن فترة اشتغال الحّمّات، وهذا التغيّر في تقنيات البناء شهدته عديد المباني في مدينة ثاموقادي، ويرجعها "بالو" إلى الفترة التي تلت تهديم المدينة من طرف الموريين².

ويلاحظ حاليا غياب المدخل الذي يربطها بالقاعة المجاورة لها جنوبيا. بهذه المعطيات يكون الموقد في الجهة الغربية للقاعة الساخنة، دون شك كان الولوج إليه من الجهة الشمالية عبر الشارع الثانوي شرق/غرب، وهذا قبل ضم الوجدتين السّكنيتين، أمّا بعد ضمّهما معا، أصبح الدّخول إليه من الرّواق المحاذي لفناء الحوض الكبير.

القاعة الثانية، حرارتها تأتيها بطريقة غير مباشرة عبر أرضية القاعة الأولى، وبالتالي لا تكون مرتفعه مما يجعل منها قاعة دافئة، وهي مربعة الشّكل طول ضلعها 3.60م، تفتح في ركنها الجنوبي الغربي على القاعة الباردة بمدخل عرضه 0.94م.



صورة رقم 48: القاعة الساخنة (تصوير الطّالب)

¹ THEBERT (Y.), Op .Cit, p246

² BALLU (A.), Les ruines de TIMGAD I , Op.Cit,, p230

1-8-2-2 القسم البارد للحمامات

تشكله قاعة واحدة ويغيب عنها الحوض، مما يجعلنا نقف أمام ثلاث فرضيات:

الأولى: وجود قاعة باردة جنوب الدافئة، لكن لا توجد دلائل أثرية تشير إلا أنها كانت مزودة بحوض أم لا؟ وبالتالي نكون أمام وضعية القاعة الباردة التي تؤدي دور قاعة نزع الملابس (تقريبا مثل ما صادفنا عند دراسة حمامات منزل هيرمافروديت)

والفرضية الثانية: والتي ذهب إليها "تيباز"¹، مفادها ضمّ الحوض الكبير وسط المنزل ليلعب دور الحوض البارد، ولكن هذا مستبعد بالنظر إلى عدة اعتبارات، فمن حيث البناء، يرتفع مستوى جدران هذا الحوض بـ 1م، ولا توجد خلاله آثار تهيئة سلّم للنزول إليه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يذكر "فارس"، أنه أثناء الحفريات التي جرت بالموقع، وجدت آثار فتحات يعتقد أنها كانت لتربية الأسماك في الحوض².

الفرضية الثالثة: والتي تحتاج إلى مرتكز حقيقي، للحكم على طبيعة هذا الجزء من المبنى، إن كان حماما أو مجرد قاعات ساخنة ذات وظيفة أخرى، ولكن تغيّر وظيفة القاعات في وقت من الأوقات لم يتح التعرف على أصلها .



صورة رقم 49: القاعة الباردة (تصوير الطالب)

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit , p246.

² BOESWILLWALD (E.), CAGNAT(R.) et BALLU (A.), Op.Cit, p333.

1-9 حمّامات منزل سارتيوس

1-9-1 موقع حمّامات سارتيوس ومحيطها العمراني

تقع هذه الحمّامات ضمن منزل سارتيوس، هذا الأخير يحتل مساحة معتبرة تقارب 3000 م²، ورغم الدّراسات والأبحاث المختلفة التي أشارت إليه، إلا أنّ التّفاوت كبير فيما بينها في تحديد المساحة الإجمالية له، وهو ما نلخصه في هذا الجدول :

المرجع	سنة الأبحاث أو الدّراسة	المساحة (م ²)	الرقم
VARIS, (Ch.), Inscriptions découvertes à Timgad pendant l'année 1901	1901	2040	1
BALLU (A.), Guide illustré de Timgad	1903	2263	2
GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad.	1969	3600	3
SONIA HEWITT, The urban domestic baths of roman Africa.	2000	3600	4
THEBERT (Y.), Thermes romains de l'Afrique du nord...	2003	2300	5
طواهري حكيمة ، منازل ذات الفنائين بإقليم نوميديا	2006 - 2005	2740	6
LASSERE (J.M), Africa quasi Roma,	2015	2500	7
بورحلي ابراهيم، مستعمرة مادوروس وإقليمها الترابي	2010	2735	8

يقع منزل سارتيوس ضمن الحدود الجنوبية لمدينة تراجان، يضم محيطه العمراني الحمّامات الجنوبية الذي يفصلها عنه شارع ثانوي، وغير بعيد عنه من الجهة الغربية يوجد الكابتول، ومن الشّمال الشرقي المسرح ، مدخله الرئيسي في الجهة الشرّقية يفتح على الكاردو الكبير.

تبلغ مساحة الحمّامات 189.02م² (محققة نسبة 9% من المساحة الإجمالية للمنزل) دون احتساب بهو الدّخول في الرّكن الشّمالي الشرقي والقاعة المجاورة له، واللّتان ربّما تكونان قاعة نزع الملابس وقاعة التّمارين الرياضية البسيطة (التّحمية وحركة العضلات) إذا كانتا حقا جزء من الحمّامات¹، وهنا يطرح السؤال، لماذا قاعة لنزع الملابس على مقربة من المدخل الخارجي للمنزل والحمّامات

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, p 247.

مخصّصة لأصحابه، والولوج إليها من الداخل أكثر منه من الخارج؟ وما وظيفة المداخل الثانوية والتي يعدّها "تيّبار" إلى 6 مداخل¹ ؟ وهل هذه الحمّامات تفتح كذلك للأشخاص الأجانب عن المنزل، وربّما أصحاب العائلة والمقربين؟ . هذا الجزء المشكّل من (بهو الدخول والقاعة سالفة الذكر) تقدر مساحته بـ 75.32 م²، وهو مرتبط بالحمّامات في الجدار الشرقي للقاعة الباردة، والحمّامات بدورها تتّخذ من الرّكن الشمالي الشرقي للمنزل موقعا لها؛ يحدها من الشرق الكاردو الكبير ومن الجهات الأخرى شوارع ثانوية، بما في ذلك الشّارع الذي يفصلها جنوبا عن الحمّامات الكبرى الجنوبية.



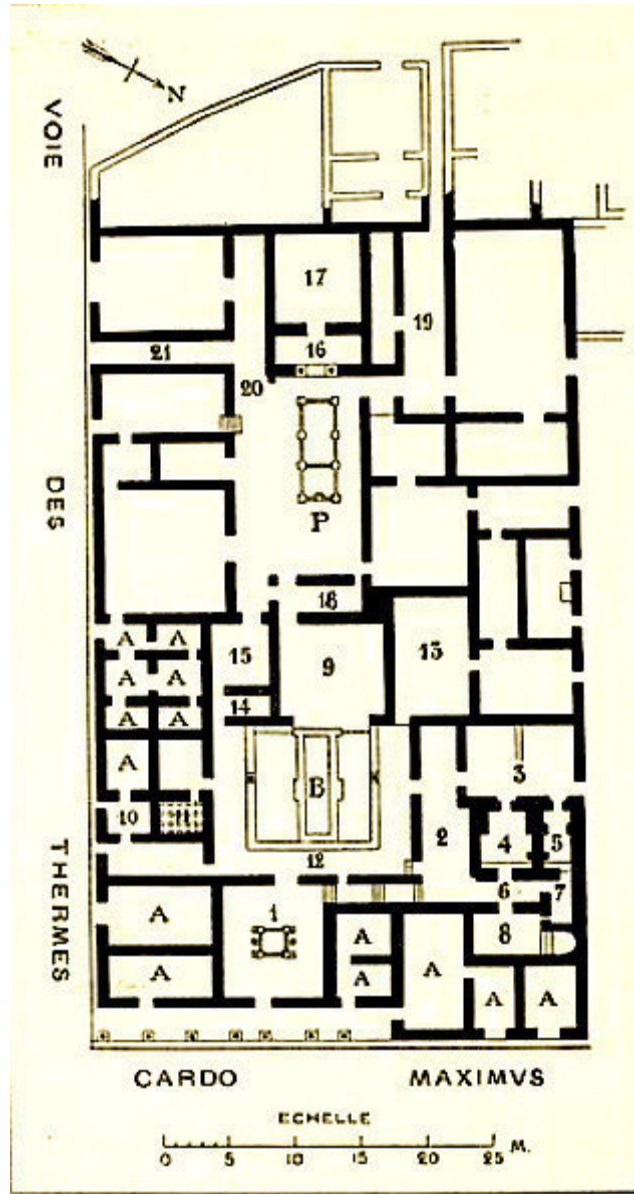
صورة رقم 50: حمّامات

منزل سارتيوس

(تصوير الطّالب)

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, p 247.

مخطط رقم 18: منزل سارتيوس¹



1-9-2 تاريخ الحمامات

من حيث المساحة والتنوع في توزيع عناصرها، تعتبر واحدة من أهم الحمامات الخاصة بالمدينة، أما عن تاريخ بنائها فهو غير معلوم بوجه الدقة، لكن تبقى المادة الأثرية المادية (العناصر المعمارية) والنقوش اللاتينية السبيل المتاح للتعرف على زمن بنائها، هذه الأخيرة تعطينا جملة من المؤشرات في مقدمتها تسمية الحمامات *sertius*، وهو اسم لعائلة مرموقة سكنت مدينة ثاموقادي أواخر القرن الثاني وبداية الثالث الميلاديين، لكن النصوص اللاتينية التي تذكر هذه الشخصية ليست كثيرة،

¹ BOESWILLWALD (E), CAGNAT (R.) et BALLU (A), Op.Cit, p326.

منها التي تذكر أن السوق والساحة الملحقة به، اللذان أهديا إلى سكان ثاموقادي من طرف سارتيوس، والتي اكتشفت من طرف "بالو" سنة 1894¹

Sertii macellum et aream eius patriae suae fecerunt

وهنا الاسم بصيغة الجمع، المقصود منه العائلة السرتيوسية، وهي عائلة عريقة بدليل عديد التماثيل التي أنجزت لأفراد منها وعلى شرفهم .

وحيث تتبع اسم سارتيوس نجده في عدة نقوشات²، منها تلك التي تؤرخ بالقرن الثالث ميلادي *M. plotius faustus sertius* ، والتي تذكر سارتيوس وجملة من المناصب التشريعية والدينية التي شغلها وهي: انتمائه إلى طبقة الفرسان، كاهن دائم ، رجل دين محلي، قائد جناح بالجيش الروماني ، قائد أول لسرية عسكرية، قائد أول لفرقة عسكرية من الجيش الروماني.

الاسم الثاني مؤنث لسيدة نبيلة *valentina tucciana sertia Cornelia*³ وهي كاهنة دائمة.

على الرغم من المناصب العديدة التي تقلّداها، إلا أنّ اسميهما لم يرد في الألبوم البلدي لثاموقادي⁴ المؤرخ ب 363م، ولا في قائمة أعضاء المجلس البلدي لنفس المدينة المؤرخة بين 4 فيفري 211 و 11 فيفري 212.

وقد ساهم هذا الثنائي بشكل كبير في العديد من المشاريع الخيرية لمدينة ثاموقادي، منها تهيئة معبد الكابتول، وهو ما تبيّنه النقوشة اللاتينية التي تؤرخ بنهاية القرن الثاني ميلادي، وتبرعاتهما استمرت حتى بدايات القرن الثالث أين أنجز السوق الذي يحمل اسميهما⁵.

من خلال النقوشات اللاتينية المذكورة في مجمع الكتابات اللاتينية خاصة رقم 2396، 2397، والتي تحمل اللفظ *a militiis* ، وهو لقب حمله سارتيوس ومعناه إنهاء الخدمة العسكرية، وهذا اللقب يعود إلى نهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي⁶.

¹ CAGNAT (R.), *Chronique d'épigraphie Africaine*, in B.C.T.H, 1894, p 361, n°74.

² CIL. VIII, n°2394, n°2395, n°2397, n°2399, n°17903, n°17904, n°17905.

AE, 1889,11 – AE, 1978 , 891.

³ CIL. VIII, n°2396, n°2397, n°2398.

AE, 1978, 891.

⁴ LESCHI (L.), *l'Album municipal de Timgad et l'« ordo salutationis » du consulaire Ulpius Maricianus*, in revue des études anciennes, T50, 1948, pp 71-100.

⁵ PAVIS D'ESCURAC (H.), *Flaminat et société dans la colonie de Timgad*, in Ant Afr., T15, 1980, p190

⁶ LADJIMI SEBAI (L.), *La femme en Afrique à l'époque Romaine*, Institut National du Patrimoine, Tunis, 2011, pp 94-95.

أيضا من خلال النص الذي وجد بالقرب من حمامات المنزل، وهو إهداء للإلهة هيجيا من طرف الزوجين، يؤرخ بالقرن الثالث، كذلك الحال بالنسبة للنص المهدى للإله اسكولابيوس.

1-9-3 مصدر المياه وحركيتها داخل الحمامات

يجب أن نُميِّز هنا بين نوعين من المياه (الساخنة والباردة)، وهذه الأخيرة وجب تتبع مسارها منذ دخولها إلى المنزل حتى تصريفها منه، وفي أي اتجاه تصرّف المستعملة منها، كذلك معرفة الخزّان المسؤول عن توفير كمية مناسبة من المياه، وهو بذلك المكتشف عام 1904 من طرف "بالو"¹ جنوب المدينة غير بعيد عن الحمامات الكبرى الجنوبية، بني هذا الخزّان بالحجارة الصّغيرة الممسوكة بالملاط، ولبست جدرانه الداخليّة بعناية بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، حتى لا تسمح للمياه المخزّنة بالنفاذ خارجه، وهو ما يعطيه فعالية واستمرارية أكثر، أمّا عن سعة تخزينه فإنّ حالته لا تعطينا قراءة حقيقية، إذ لا يتعدّى ارتفاع ما بقي من جدرانه 0.60م، ومن خلال ملاحظة الجوانب المحيطة به ومساحته الإجمالية يمكن استنتاج قراءة تقريبية لارتفاعه الحقيقي الذي قد يصل إلى 2م أو يفوق ذلك بقليل، ويذكر "بالو" أنّ مقاساته الداخلية (9×9.80)م وسمك جدرانه 1.10 م وارتفاعه يصل إلى 1 م حين اكتشافه².

فالحمامات إذا تأتتيا المياه من الجهة الجنوبية الشرّقية، عابرة بذلك القاعة الباردة وصولا إلى الحوض، وفي القسم الساخن عبر فناء المنزل وصولا إلى الحوض الأول ثم الثّاني شمالا.

ويخصوص تصريف مياهها، فهي لا تطرح إشكالا عكس ما وجد في حمامات أخرى، فمستوى الحمامات بأحواضها الثّلاث (البارد والحوضين الساخنين) المرتفعة عن مستوى الكاردو شرقا والشارع الثّانوي (شرق/غرب) شمالا توحى أنّ مياهها تصرّف إلى القناة الرئيسية تحت الكاردو الكبير، فالفتحتين المهيأتين في الجدار الشرقي للقاعة الباردة والحوض تبين اتجاه تصريف مياههما (مياه الحوض المستعملة، ومياه القاعة الباردة سواء وقت المطر أو أثناء التنظيف).

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad III,.... Op.Cit, p19.

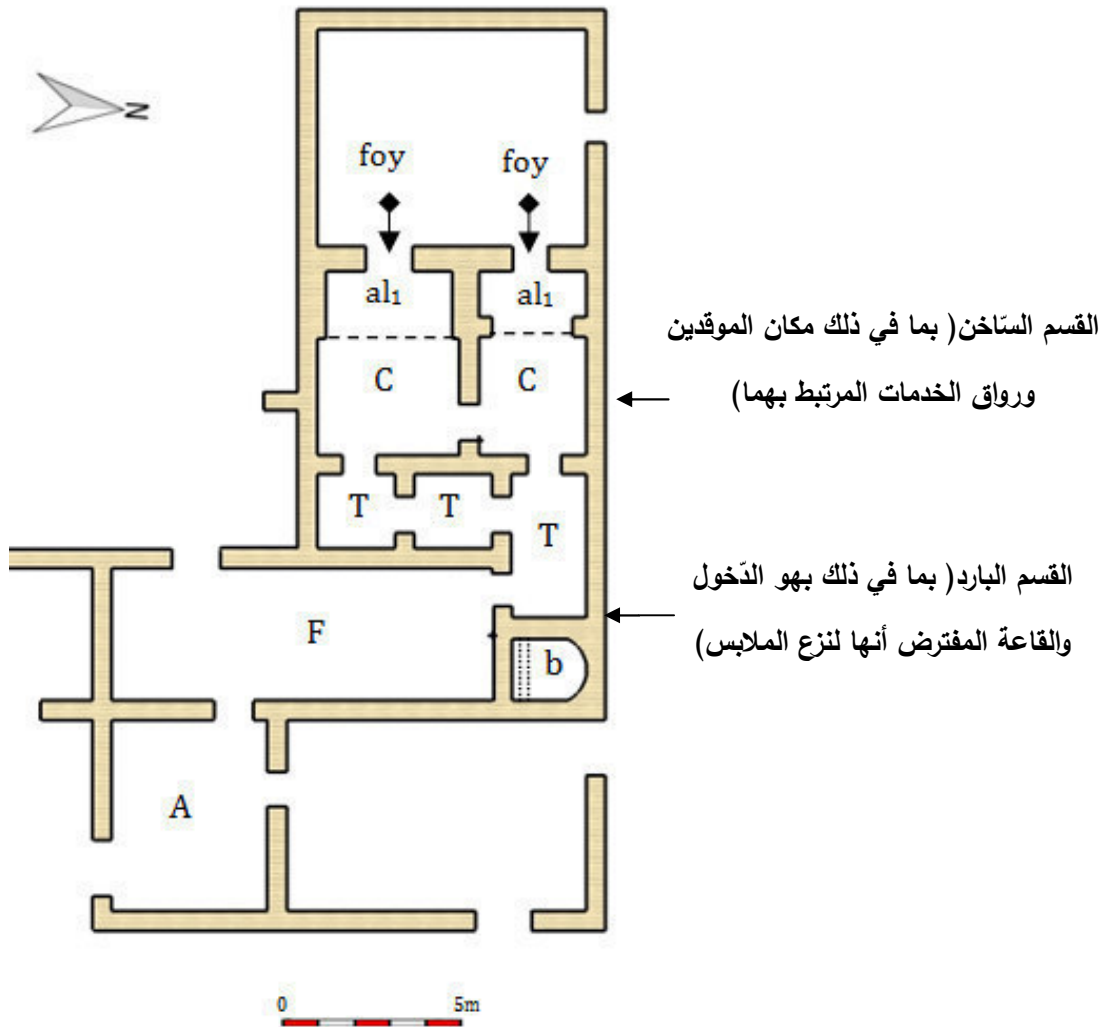
² BALLU (A.), Rapport 1903, in B.C.T.H 1904, p 165.



صورة رقم 51: فتحة تصريف مياه القاعة الباردة (تصوير الطالب)
صورة رقم 52: فتحة تصريف مياه الحوض البارد (تصوير الطالب)

1-9-4 أقسام حمامات منزل سارتيوس

تحتوي حمامات سارتيوس على قسمين بارد وساخن، مساحتهما تقريبا متماثلة.



مخطط رقم 19: مخطط حمامات سارتيوس (انجاز الطالب)

1-4-9-1 القسم الساخن للحمامات

يتصل هذا القسم مع البارد عبر مدخل ضيق نسبياً، إذ لا يتعدى 0.73م، ومن آثار الحرّ على جانبيه يتّضح أنّه كان يغلق لعزل القسمين عن بعضهما، يقود إلى القاعة الدافئة مستطيلة الشكل والتي يتقدمها في جهتها الشمالية الشرقية بهو صغير، يحجب مشاهدة القسم الساخن من القاعة الباردة، كما ترتبط بالقاعتين الساخنتين بمدخلين عرضهما مماثل يقدر بـ 0.80م، وهو السبيل الوحيد لتزويد هذه القاعة بالحرارة، إذ لا أثر لامتداد أعمدة التسخين التّحت أرضي إليها.

-القاعتان الساخنتان للحمامات

يقعان في الجهة الغربية للحمامات، مسخّنتان بصفة مباشرة بالموقدين اللّذين يظهر من ارتفاع فتحتهما المقدّر بـ 1.60م حتى العقد، أنّهما يوفّران كمية كبيرة من الحرارة ، وعلى الرغم من أنّ بقايا أحواض هذين الغرفتين لم يعد لهما أثر سوى ما يتقدم الجداران الشرقي والغربي لهما، فاسحا المجال لتهيئة مدخلي الحوضين .

ومن خلال قراءة ما بقي في الجدار الفاصل بينهما، يظهر أنّهما كانتا متصلتان فيما بينهما بمدخل عرضه 0.97م، على الرغم من ارتباطهما بالقاعة الدافئة بمدخلين منفصلين، وهي إشارة إلى أنّ الحمامات -خاصة قسمها الساخن- استعملت من أكثر من شخص في نفس الوقت، وبقراءة ثانية لمخططها أمكننا استنتاج النقاط التالية :

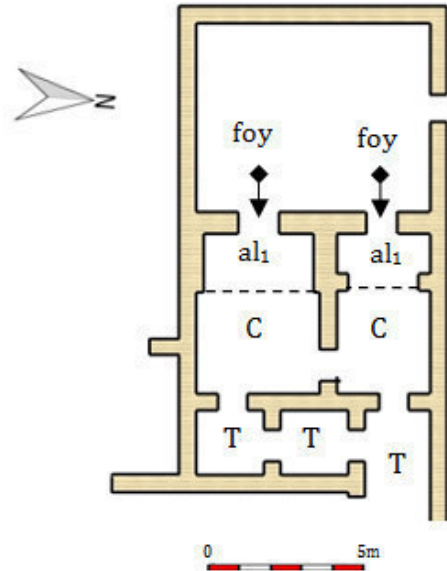
- الاختلاف المتباين في درجات الحرارة بين القاعة الدافئة والقاعتين الساخنتين .
- الحوضان الساخنان متواجدان في الجهة الغربية للحمامات على اتصال مباشر بالموقدين، مما يتيح لهما التزوّد بصفة مباشرة ومستمرة بالحرارة العالية.
- عزل القسم البارد عن الساخن بمدخل صغير، ضف إلى ذلك إمكانية غلقه، ليحافظ كلا القسمين عن خصوصية حرارتها.

وحين الحديث عن التّقنيات التي بني بها القسم الساخن، فهي اثنتان :

البناء بالآجر خاصّة القاعتان الساخنتان، في مستواهما السّفلي حتى الأرضية المحمولة فوق أعمدة الهيبيكوست أو فوقها بقليل، في حين القسم العلوي بني بالتّقنية المختلطة (حجارة صغيرة وآجر).

مخطط رقم 20 : القسم الساخن لحمامات

سارتيوس (انجاز الطالب)



صورة رقم 54: الجزء الخارجي لموقدي حمامات

سارتيوس (تصوير الطالب)



صورة رقم 53 : القاعتان الساخنتان لحمامات

سارتيوس (تصوير الطالب)

1-9-4-2 القسم البارد للحمامات

يمكن الوصول إلى القسم البارد عبر مداخل عدة، فإلى جانب المدخل الرئيسي للمنزل، والذي يؤدي إلى الفناء المركزي، يمكن الولوج كذلك إلى الحمامات عبر مداخل ثانوية في الجدارين الشمالي والشرقي والتي توصل إلى قاعة مستطيلة مساحتها 41م²، وإما عن طريق الفناء الأول للمنزل الذي يوصل في طرفه الشمالي الشرقي إلى القاعة الباردة، هذه الأخيرة على شاكلة معظم الحمامات الخاصة والعامة تحتل مساحة معتبرة مقارنة بباقي الأجزاء، حيث تبلغ 33.25 م²، يتم الدّخول إليها عبر مدخلين:

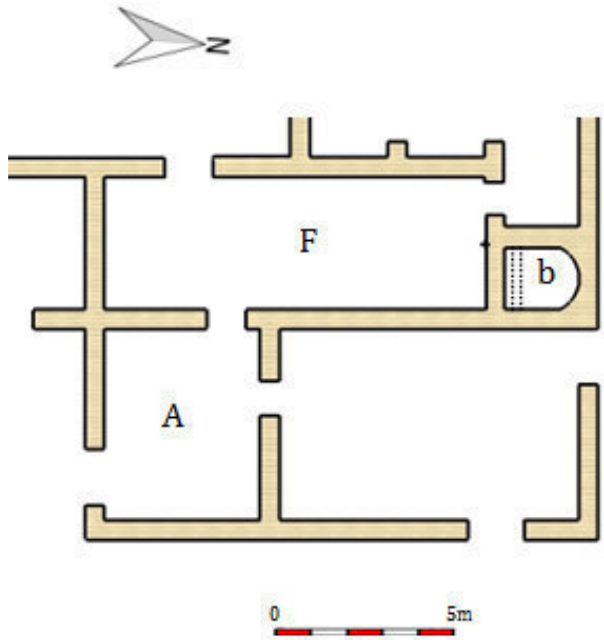
- شرقي يربطها بقاعة نزع الملابس حسب اعتقاد "تيبار".

- غربي يربطها بفناء المنزل .

في طرفها الشمالي الشرقي حوض بارد موجه إلى الشمال مباشرة، مقاساته (2×1.57)م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مشكّل من 3 درجات، تجتمع لتحقيق ارتفاعا يصل إلى 0.85م.

وبخصوص مواد وتقنيات بناء الحوض والقاعة الباردة، فهذه الأخيرة بنيت بتقنيتين:

- التّقنية الإفريقية في الجدارين الشرقي والجنوبي.
- تقنية البناء بالآجر في الجدار الغربي، في حين الجدار الشمالي مشغول بالحوض البارد وجزء من القاعة الدافئة.
- أمّا الحوض فبني بالآجر، في حين لبّست جدرانه الداخلية بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، سمكه 0.04م، وأرضيته مبلّطة بفسيفساء هندسية، بمكعبات معدل حجمها 0.015م³.



مخطّط رقم 21 : القسم البارد لحمامات
سارتيوس (انجاز الطّالب)



صورة رقم 56: فسيفساء الحوض البارد
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 55: الحوض البارد لحمامات سارتيوس
(تصوير الطّالب)

1-9-5 المسار الحموي داخل حمامات سارتيوس

إنّ المسار الحموي داخل حمامات سارتيوس واضح وبسيط، فهو مسار تراجعي عكسي، يتم وفق ما يلي:

الدخول إلى القاعة الباردة، سواء تم نزع الملابس في القاعة المجاورة لها شرقاً أو من داخل المنزل عبر إحدى القاعات الموجودة جنوب غرب الحمامات (وان كان هذا الأخير مستبعد)، ثم المرور إلى القاعة الدافئة ومنها إلى إحدى الساخنيتين، وفي الرجوع المسار العكسي .

1-9-6 فسيفساء حمامات منزل سارتيوس

-فسيفساء القاعة الباردة

تغطي مساحة 18م² دون احتساب الحوض، وهي عبارة عن فسيفساء هندسية، معدل حجم مكعباتها 0.01 م³، حاشيتها مشكّلة بمكعبات سوداء وصفراء وبيضاء، وهي عبارة عن مثلثات أضلاعها الجانبية محدبة، وتنتهي في مقدمتها بمثلثات سوداء اللون، يعرف هذا النوع من الديكور بـ¹ « Ogive(triangle à deux côtés convexes et un côté droit) »

¹ BALMELLE (C.) et Al. , Le décor géométrique de la mosaïque Romaine II, édition A. et J. Picard, Paris , 2002, p35.

صورة رقم 57: جزء من
فسيفساء القاعة الباردة (صورة
من الأرشيف)¹



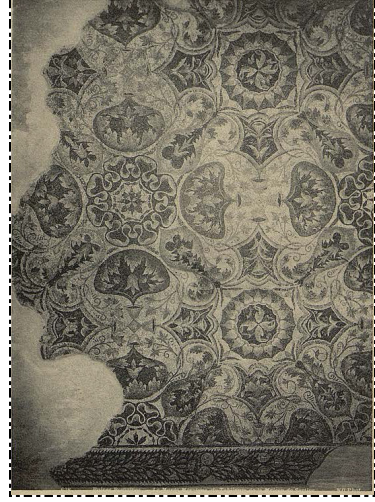
فسيفساء الحوض البارد، وهي فسيفساء هندسية منجزة على خلفية سوداء، وهو عبارة عن مربع كبير تتوسطه معينات صغيرة، بداخل كل واحد منها أوراق نباتات متموضعة بشكل صليب.



صورة رقم 58: فسيفساء الحوض البارد
(صورة من الأرشيف)²

¹ GERMAIN (S.). Les mosaïques de Timgad.....Op.Cit. pl. 26.

² Ibid, p 60 , pl XXVI.



صورة رقم 59: فسيفساء التابلينيوم لمنزل سارتيوس (تصوير الطالب)

وبعيدا عن هذا الجزء الساخن وفي الجهة الجنوبية للمنزل توجد بقايا أعمدة الهيبيوكوست، لكن عمليا ليس هناك ارتباط بين هذه القاعة والقاعات سابقة الذكر، والاختلاف وارد حول طبيعة هذا الجزء الساخن من المنزل، وهنا تبرز ثلاث فرضيات:

1- هو جزء مخصص لخدم المنزل.

2- هو إضافة متأخرة للمبنى تعوض القسم الموجود في الشمال الشرقي¹

3- هو قاعة أو غرفة غير مخصصة للاستحمام، قد تكون غرف نوم أو ما شابه...الخ.

10-1 حمامات منزل هيرمافروديت

1-10-1 موقع حمامات هيرمافروديت ومحيطها

يقع منزل هيرمافروديت في القسم الجنوبي للمدينة، يحده من الشمال شارع ثانوي بعد أن كان سور المدينة مشيدا في القرنين الأولين للميلاد مكانه، ومن الغرب الكاردو الكبير الذي يفصله عن منزل سارتيوس، ومن الجنوب شارع يفصله عن الحمامات الكبرى الجنوبية، ومن الشرق هياآت سكنية، ومحيطه العمراني لا يبعده كثيرا عن المسرح المشيد في الجهة الشمالية الشرقية له.

أما الحمامات فهي في الجهة الشمالية للمنزل، غير مرتبطة بغرفه، تحتل مساحة تقارب 100م²، ممثلة بذلك نسبة 5% من المساحة الإجمالية للمنزل والمقدرة بـ 2000م² (حسب مخطط "بالو")

¹ BOESWILLWALD (E), CAGNAT (R.) et BALLU (A), Op.Cit, p 330.

وبخصوص الولوج إلى الحمّامات يكون من الجهة الجنوبية عبر مدخل عرضه 1.28م، مفتوح على فناء بلّطت أرضيته بفسيفساء هندسية ذات مكعبات كبيرة، ملوّنة بالأبيض والأسود والأحمر¹.



صورة رقم 60:
منظر عام لحمّامات
هيرمأفروديت
(تصوير الطّالب)

1-10-2 تاريخ الحمّامات

لا يعرف على وجه الدقّة التاريخ الذي بنيت فيه حمّامات منزل هيرمأفروديت، ولا حتى أصحابها، إذ أخذ المنزل تسميته من الشّخصية الرّئيسية في المشهد الفسيفسائي الذي وجد بالمنزل، والذي يمثل استحمام هيرمأفروديت، فمن خلال الدّراسات على هذه الفسيفساء أمكن حصره زمنيا بنهاية القرن الثالث ميلادي²، ويذهب كل من "بالو" و"كانيّا" الى تأريخ المنزل بنفس الفترة ومن خلال نفس المشهد، وهذا بعد إجراء مقارنة مع مشهد مماثل وجد بمدينة بومبي³، وبالتالي لا يبتعد هذا المنزل زمنيا عن منزل سارتيوس المجاور له غربا، وب نفس الخصائص من حيث التّهيئة العمرانية على الحدود الجنوبية لمدينة تراجان أو النّواة الأولى للمدينة، ويرتبط كذلك تاريخ المنزل بالسور الأولي للمدينة، والذي تهدّم مع نهاية القرن الثّاني ميلادي⁴، وبداية تعمير المدينة خارج حدود النّواة الأولى، ويعتبر منزل هيرمأفروديت من

¹ BOESWILLWALD (E.), CAGNAT (R.) et BALLU (A.), Op.Cit , p.322.

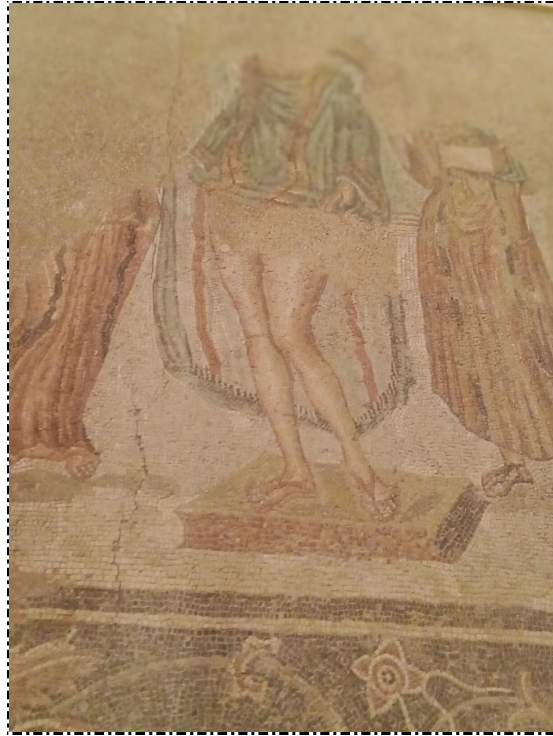
² GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, pp67-68.

³ BALLU (A.), CAGNAT (R.), Musée de Timgad, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1903, p37.

⁴ FEVRIER (P.A.), Le fait urbain dans le Maghreb du III^e siècle- Les signes d'une crise-, in E.F.R, n°225, 1996. pp. 824.

المنازل الأولى التي بنيت في ظل هذا الامتداد العمراني، وبالتالي حدودها الزمنية لا تبتعد كثيرا عن نهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي.

وبالنظر إلى مساحة المنزل الواسعة والتي تمتد لتشمل جزءا من الشارع، بما في ذلك الحمامات في جزئه الشمالي، فإن السؤال يطرح حول معاصرة الحمامات لباقي أجزاء المنزل أم هي إضافات لاحقة؟ فمن خلال ربطها مع الفناء الواسع شرقا و بهو الدخول والغرف المجاورة له من الجنوب، فإن الحمامات لا تخرج عن حدود امتداد هذه الأجزاء، حتى وان كانت غير متصلة بها مباشرة عبر جدرانها.



صورة رقم 61:
فسيفساء هيرمافروديت
(تصوير الطالب)

10-3 حركة المياه داخل الحمامات

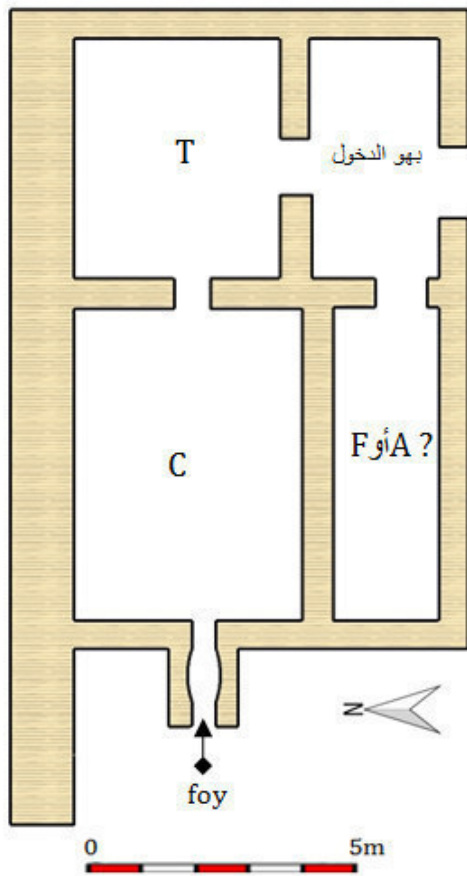
إنّ موقع المنزل بالقرب من الحمامات الكبرى الجنوبية ومن ثمّ الخزّان وقنوات المياه، التي تضمن استمرار وصول الماء إليه، من شأنه أن يوفر كمية من المياه لهذا المنزل، والذي يظهر على أنّ ملاكه ذو مكانة مرموقة في مدينة ثاموقادي، بالإضافة إلى ما يتطلّبه هذا الأخير من كميات معتبرة بحكم الأحواض الموجودة في أفنيته، والحمامات بهذه المساحة المتواضعة نسبيا مقارنة مع مساحة المنزل الإجمالية، فالماء لا يشكل عبئاً على أصحابها لضمان اشتغالها، ويتتبع مسارها المحتمل والقريب إلى الواقع فهي تعبر الفناء الموجود جنوباً ثم القاعة الباردة وصولاً إلى القاعة الساخنة ومكان يوجد الموقد.

أما عن تصريف مياه الحمامات، دون شك في الجهة الشمالية الغربية، لتجتمع مع مياه المنزل وتصب في القناة الرئيسية أسفل الكارديو الكبير.

1-10-4 أقسام حمامات منزل هيرمأفروديت

من خلال ما بقي من آثار لحمامات هيرمأفروديت وعلى الرغم من ترميم جدرانها وفق طريقة لا تعكس أصالتها، إلا أنّ أجزائه تشير إلى قسمين متصلين بشكل مباشر، وقبل الحكم على كونه حماما في ظل غياب تام للأحواض الساخنة والباردة مع وجود آثار لعناصر نظام التسخين، يدخل الشك في اليقين، لذا وجب تعزيز حكمنا بمرتكزات من شأنها إعطاء صورة واضحة لطبيعة المبنى، ومن هذه المرتكزات:

- البحث عن دلائل لوصول عنصر الماء إليها وتصريفه منها،
- علاقة القاعات بباقي أجزاء المنزل، وعلاقتها فيما بينها، وفي هذه النقطة كما ذكرنا الحمامات منفصلة عن باقي غرف المنزل، فإن كان الغرض من إنشاء نظام التسخين غير حموي فما يمنع من مجاورتها لغرف النوم أو الاستقبال وحتى المطبخ ...، ثم إنّ نقطة أخرى تثار، هو مستوى القاعتين الساخنيتين، منخفضة عن مستوى القاعتين الجنوبيتين، بمعنى هذه الأخيرة غير مسخنة وبعيدة أيضا عن الموقد، فإن كان المبنى غير حمام فإن نظام التسخين يمتد ليشمل القاعتان السابقتان.



مخطط رقم 22: حمامات هيرمأفروديت
(انجاز الطالب)

1-4-10-1 القسم الساخن للحمامات

يضم قاعتان مستطيلتان، الأولى ساخنة متصلة مباشرة مع الموقد في جدارها الغربي، مقاساتها (4.10×5.59)م، والثانية دافئة مقاساتها (3.70×4.30)م، هذه الأخيرة مرتبطة مع القسم الجنوبي عبر مدخل عرضه 1م، كانت القاعتان مسخنتان بواسطة نظام التسخين الذي بقيت أجزاء من عناصره، سيما الموقد الموجود في جهتها الغربية، عرض فتحته 0.55م، بالإضافة إلى بقايا الآجر المستعمل في أعمدة الهيبيكوس، والواضح أنّ هذه الأعمدة على نوعين :

- القائمة على بلاطات آجورية مربعة الشكل طول كل ضلع 0.20م

- أعمدة حجرية ارتفاعها 0.60م.

وتنتقل الحرارة من القاعة الأولى إلى الثانية عبر فتحة عرضها 0.40م، أمّا عن مواد وتقنيات بناء القسم الساخن، فإنّه لا يقدّم الكثير من المعطيات، فالمنزل تعرّض للتّرميم بمواد غير أصيلة حتى تقنية البناء لا يمكن بأي حال انتسابها لأيّ تقنية معروفة في العالم القديم، سيما الجدار الشمالي، في حين تظهر بقايا الأساسات التّقنية الإفريقية في معظم جدرانه، والبناء بالآجر عند الموقد.



صورة رقم 63: عمود حجري لحمل أرضية نظام التسخين (تصوير الطالب)



صورة رقم 62: بلاطات آجورية لأعمدة نظام التسخين (تصوير الطالب)

1-4-10-2 القسم البارد للحمامات

ما يمكن قوله حول هذا الجزء، هو ضمان خروج صحّي وسليم من الحمامات، وفي ظل ما بقي منه لا يظهر إن كان زوّد بحوض أم لا، والرّاجح أنّه غير ذلك، فمن خلال معاينة عديد الحمامات، عمومية كانت أو خاصّة، فالأحواض غالباً تبقى آثارها محفوظة، خاصّة الباردة، عكس الساخنة التي

تتهدم بمجرد انهيار أرضيتها. من هذا المنطلق فحمّامات هيرمأفروديت يمكن القول عنها حمّامات شتوية أو بالأحرى حمّامات ساخنة، لكن هذا لا يمنع استغلال الأحواض الساخنة بمياه باردة.

على كل، هذا القسم تقدر مساحته بـ27.5م²، وهو مشكّل من قاعتين الأولى بمثابة بهو الدّخول، والثّتي من خلالها يمكن الولوج إلى القسم السّاخن أو الدّخول إلى الغرفة الثّتي تجاورها من الغرب، وهذه الأخيرة قد تلعب دور قاعة نزع الملابس كما القاعة الباردة دون حوض، مقاساتها (2.14×5.60)م² وبخصوص تقنيات بناء جدرانها فيسقط عليها ما قيل عن القسم السّاخن.



صورة رقم 64: القسم
البارد لحمّامات
هيرمأفروديت
(تصوير الطّالب)

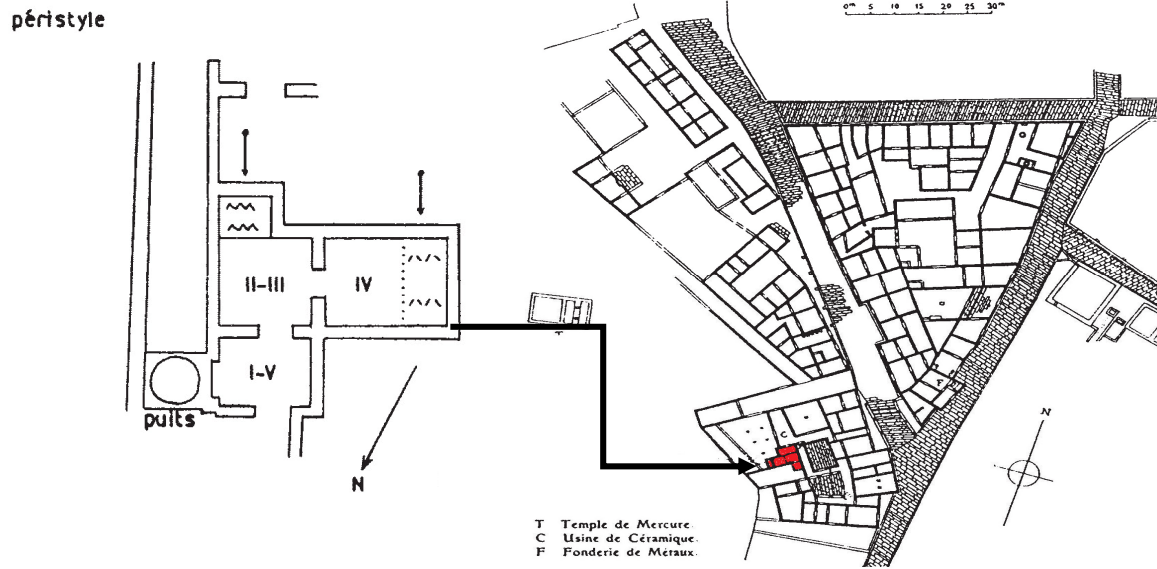
11-1 حمّامات منزل ورشة صناعة الفخّار

1-11-1 موقع الحمّامات وإطارها التّاريخي

على الرّغم من الاختلاف حول تحديد المكان الّذي وجدت به الحمّامات إن كانت تابعا لورشة صناعة الفخّار، وأنّها تخصّ العاملين بها¹، أم أنّها خاصة بمنزل صاحب الورشة، وفي كلتا الحالتين دون دون شك هي حمّامات خاصّة، وظيفتها توفير جو للاستحمام لأصحاب المنزل أو العمال على حد سواء. ويقع المنزل أو الورشة عند التقاء امتداد الكاردو الكبير (*cardo extra-muros*) مع الطريق القادم شرق الكابتول (*trivium*)، هذا الأخير يبعد عنه مسافة تقدر بـ100م، في حين يبعد عن الحمّامات الكبرى الجنوبية في جهته الشّمالية الشرّقية مسافة تقدر بـ70م، ويحده من الجهة الشّمالية الغربية هيئة سكنية، في حين الجهتين الجنوبية والغربية، لا يعرف طبيعة المعالم الثّتي لم ينقّب عنها بعد.

¹ BALLU (A.), *Rapport sur les travaux de fouilles exécutés en 1906*, in B.C.T.H, 1907, p. 271.

وبالنسبة للحمامات التي تتمركز وسط المنزل بين فناءه في الجهة الجنوبية الشرقية والورشة في الشمال الغربي، يتمّ الدخول إليها من ثلاث جهات، من الشمال وصولاً إلى القاعة الدائفة، ومن الجهة الشرقية عبر ممر طويل يؤدي هو الآخر إلى الحمامات، ومن الجنوب الشرقي عبر فناء المنزل والذي يؤدي إلى رواق الخدمات.



مخطط رقم 23: موقع حمامات ورشة الفخار داخل

مخطط رقم 24: حمامات ورشة صناعة

الفخار حسب "تيبار"²

حي الحرفيين والصّناع بثاموقادي¹
تحتل هذه الحمامات مساحة 30م²، (باحتساب فقط القاعات التي تحتوي أحواض في حين القسم البارد غير معلوم الحدود)، وهي مساحة صغيرة مقارنة مع مساحة المنزل والورشة، والتي تصل إلى حدود 900م².

أما عن تأريخها، فهو غير واضح، لكن هناك مؤشرات يمكن من خلالها وضعها في قالبها التاريخي: أولى هذه المؤشرات هو المكان الذي بنيت فيه الحمامات خارج حدود النواة الأولى لمدينة ثاموقادي، والمؤشر الثاني مرتبط بالمكتشفات التي تم العثور عليها بالورشة، وتتمثل في مصابيح زيتية وعددها 75 جميعها تؤرخ بالفترة المسيحية³.

من هذا المنطلق فالحمامات والتي تعتبر جزء من هذه الورشة، يمكن تأريخها بالفترة المسيحية -بداية القرن الرابع ميلادي-، إذا كان معيار التأريخ ما اكتشف في مجالها المكاني.

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad III,...Op.Cit, p 22.

² THEBERT (Y.), Op. Cit, pl. 116-4, p 666.

³ BALLU (A.), Rapport 1906, in B.C.T.H 1907, p270.

- MONCEAUX (P.), Op.Cit, p 44 .

1-11-2 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

إنّ الأحواض الثلاث بالحمامات رغم صغر مساحتها، إلا أنّها تتطلب كمية لا بأس بها من المياه، هذه الأخيرة دون شك متوفرة، تحتاجها الورشة كذلك في صناعة الفخّار، ولعل البئر الموجود في الجهة الشرّقية للحمامات كان له دور في توفير المياه، ليس فقط للحمامات وإنّما لباقي أجزاء المنزل والورشة، فهو يتخذ موقعا وسطا بينها، ويشير "بالو" أنّ عمقه عند اكتشافه وصل إلى 25 م، حينها لا يزال يحتفظ بمائه¹، كما يشير أنّ قنوات تصريف المياه التي وجدت بالموقع مصنوعة من الرصاص، أمّا عن تصريف مياه الحمامات، دون شك يتم تصريف أحواضها الثلاث إلى الجهة الشرّقية، ومن ثمّ إلى خارج المنزل وصولا إلى الشارع الذي يشكّل امتدادا للكاربدو الكبير .



صورة رقم 65 البئر المحاذية لحمامات
ورشة الفخّار (تصوير الطالب)

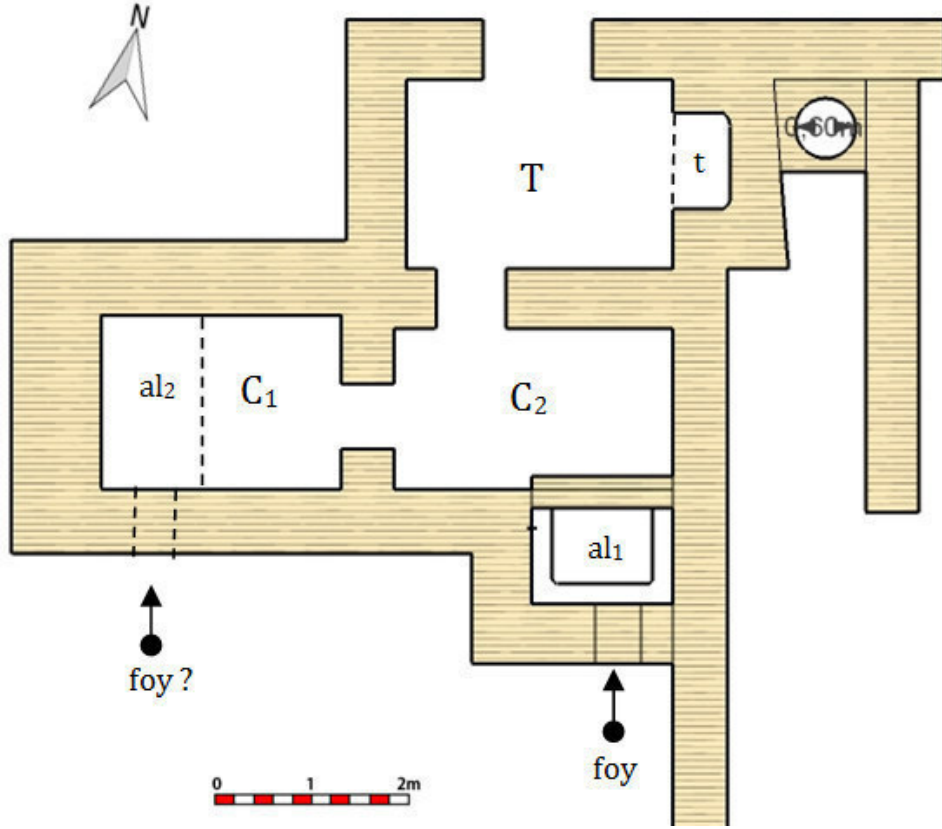
1-11-3 أقسام حمامات منزل ورشة صناعة الفخّار

من خلال دراسة ما بقي من الحمامات، الظاهر منها يبرز طغيان القسم الساخن، الذي يستدل عليه من خلال نظام التسخين الذي يجمع بين التسخين الأرضي والجداري، هذا الأخير وجدت بقاياها في جدران القاعات وأحواضها، لكن القسم البارد غير معلوم الحدود، أو أنّه غير موجود أصلا، فالجهة الشماليّة يشغلها فناء يؤدي إلى الحمامات .

1-11-3-1 القسم الساخن للحمامات

يضمّ في مجمله ثلاث قاعات مزوّدة بأحواض تختلف مساحتها وطريقة تسخينها، هذه القاعات تمثّل قاعتين ساخنتين وقاعة دافئة، أمّا الساخنتان فيتم تسخينهما مباشرة من الموقدين في الجهة الجنوبية للحمامات.

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad I, Op Cit, p 271.



مخطط رقم 25: حمامات ورشة صناعة الفخار (انجاز الطالب)

-القاعة الساخنة الأولى مقاساتها (2.40 × 1.75)م، على الأرجح زوّدت بحوض مسند على جدارها الغربي، وعلى الرغم من أنّ حالتها لا تسمح بالتعرّف حقيقة على مكان الموقد، لكن بالنظر إلى الموقد الثاني في جهتها الجنوبية الشرقية، يحتمل أن يكون جنوب القاعة، ليفتح كلا الموقدين على جهة واحدة مثل ما وجد في حمامات منزل سارتيوس، وحمامات منزل يانوياريوس وحمامات منزل الوحدة 17 بنفس المدينة.

يتم تسخين القاعة مباشرة من الموقد عبر الأرضية المحمولة فوق أعمدة من الآجر، متوسط مقاسات هذا الاخير (0.19×0.18)م، كما تمّ تسخينها عبر التجاويف الجدارية عرضها 0.23م، ممّا يخلق حرارة عالية للقاعة والحوض على حد سواء.

-القاعة الساخنة الثانية في الجهة الشرقية مقاساتها (2.79×1.61)م، هي الأخرى مزوّدة بحوض تقريبا مربع الشكل، تقدر مقاساته بـ(0.92×0.75)م، وهو بذلك حوض صغير يكفي لاستيعاب شخص واحد، لبس من الداخل بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، يرتفع عن مستوى أرضية القاعة إذ يصعد إليه عبر سلّم مكون من درجين، تفتح هذه القاعة عبر مدخلين الأول على الساخنة سابقة الذكر، عرضه 0.66م والثاني على قاعة دافئة عرضه 0.70م.

يتم تسخين هذه القاعة بواسطة الموقد المهيأ في الجهة الجنوبية لها، عرضه 0.46م، هذا الأخير يقوم بتسخين الحوض مباشرة ويرسل حرارته إلى القاعة الدافئة عبر أرضيتها وجدرانها.



صورة رقم 67: القاعة الساخنة والحوض التابع لها (تصوير الطالب)



صورة رقم 66: القاعة الساخنة الأولى (تصوير الطالب)

بنيت جدران القاعتين الساخنتين بتقنيتي البناء بالآجر والتقنية الإفريقية .

-القاعة الدافئة: هي قاعة مستطيلة مقاساتها (1.90×2.67)م، تنتهي في طرفها الشرقي بحوض رباعي الشكل، بقي جزئه الشرقي وأجزاء من جهتيه الشمالية والجنوبية، في حين الجهة الغربية غير موجودة مما لا يتيح معرفة طوله الحقيقي، أما عرضه فهو 0.97م. هذه القاعة ما زالت تحتفظ ببعض عناصر التسخين سيما التجويف الجداري، الذي يسمح لها باكتساب حرارة بطريقة غير مباشرة من القاعتين الساخنتين؛ بنيت جدرانها بالتقنية الإفريقية ولبست بالواح من الآجر معدل مقاساتها (0.35×0.35) م، والمشكلة للتجويفات سابقة الذكر بعرض 0.23م، هذه الألواح ممسوكة بملاك مشكل من قطع من الفخار والجير المائي، في حين لبس الحوض من الداخل بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، سمكه 0.04 م .



صورة رقم 69: حوض القاعة الدافئة
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 68: القاعة الدافئة
(تصوير الطّالب)

1-11-3-2 القسم البارد للحمامات

لا يمكن الجزم بأنّ المبنى كان يحتوي قسماً بارداً أم لا ، فمن الجهة الجنوبية غير ممكن فهو مشغول بفناء المنزل في الجنوب الشرقي، ومن الشرق رواق طويل يحتوي بئراً في طرفه الشمالي، ومن الجهة الغربية، يوجد جزء من رواق الخدمات وغرفة مرتفعة عن مستوى الحمامات، تبقى فقط الإشارة إلى الجهة الشمالية والتي في الأساس جزء من ورشة صناعة الفخار¹، وهو ما يذهب إليه "تيبار" في اعتقاده أنّ القسم البارد في الجهة الشمالية للقسم الساخن²، لكنه لا يضيف أيّ مرتكز من شأنه تعزيز هذا الاعتقاد.

وعلى الرغم من أن تقارير الحفريات لا تشير إلى وجود أي حوض في هذه الجهة، عدا بقايا الأحواض cuves الخاصة بصناعة الفخار، فمن وجهة نظرنا، أنّ هذه الحمامات اكتفت بالقسم الساخن دون البارد، فالغاية من إنشائها ليست حموية بآتم معنى الكلمة، وبالتالي لا تستدعي التناوب على القاعات وأحواضها، وإنّما هي وظيفية لغرض تنظيف الجسم بعد عناء العمل اليومي في الورشة، وبالتالي اكتفت بالقسم الساخن، ويعوّض الحوض الدافئ ذلك البارد الذي نجده عادة في الحمامات مكتملة العناصر والأجزاء.

¹ BALLU (A.), *Rapport 1906*, in B.C.T.H 1907, p271.

² THEBERT (Y.), *Op Cit*, p252.

1-12 حمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس

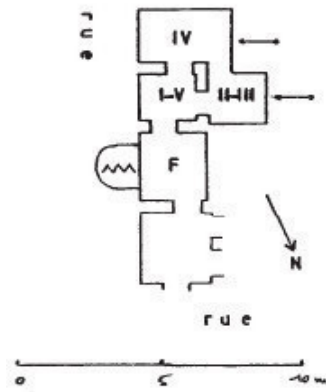
1-12-1 موقع الحمامات وتأريخها

تقع الحمامات في المنزل الواقع غرب النواة الأولى لمدينة ثاموقادي، غرب الحمامات المحاذية لسوق سارتيوس وسوق بيع الملابس *Forum Vestiarium*، يفصله عن هذه الأخيرة شارع ثانوي شمال/جنوب، الأول غربا بعد شارع الكابتول، ومن الشمال شارع ثانوي يفصله عن هيئة سكنية، كذلك الأمر من الغرب والجنوب.

بني جزء كبير من الحمامات فوق الشارع في جهتها الغربية، ليقص من عرضه فيصل إلى 2.80م بعد أن كان عند تقاطعه مع الديكيومانوس الكبير في امتداداه الغربي نحو 4.80م، و عند حدود المنزل الذي يحتوي الحمامات كان في حدود 7.30م حسب ما أورده "بالو"¹. أمّا عن مساحتها فهي تقارب 75 م².

يتم الدخول إليها من الجهتين الشمالية والشرقية عبر بهو أو دهليز مساحته 20 م²، يحتوي على بئر.

لا تبرز هذه الحمامات وحتى المنزل العديد من الخصائص، فالواضح أنه عرف مدة كبيرة من الاستغلال في كلّ مرحلة تستعمل مواد أجزاء منه في بناء أخرى، هذا التداخل في المواد يصعب تأريخها، ويبقى المؤشر الممكن اعتماده هو الفسيفساء التي وجدت بالقاعة الباردة، والتي يمكن من خلالها إرجاعها إلى النصف الأول من القرن الثالث، ويستبعد أن تكون قبل هذا التاريخ، وهو ما ذهب إليه "تيبّار" حين قوله أنها لا ترجع إلى الفترة ما قبل السيفيرية²



مخطط رقم 26: الحمامات حسب تيبّار³



صورة رقم 70 : منظر عام لحمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس (تصوير الطالب)

¹ BALLU (A.), Les ruines de Timgad III Op.Cit, p 97.

² THEBERT (Y.), Op.Cit, p 250.

³ Ibid, Pl. CXIII, n°1, p663.

1-12-2 أقسام حمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس

تتكوّن الحمامات من قسمين، البارد يضم قاعة واحدة مزوّدة بحوض إذا استبعدنا احتساب بهو الدخول على أنه تابع لهذا القسم، والجزء الساخن يضم ثلاث قاعات ورابعة مخصّصة للخدمات حيث الموقدين؛ في حين "بالو"¹ في تقريره يذكر أنّ الحمامات مكوّنة من 6 قاعات:

1- قاعة صغيرة (2.60×2.5) م، يحتمل أن تكون مخصّصة للتّحمية؛

2- قاعة باردة مربعة (2.20×2.20) م مبلّطة بالفسيفساء، مرتبطة مع القاعة السابقة، وتحتوي على حوض نصف دائري مهياً على حافة الشارع؛

3- قاعة مخصّصة للخدمات مجهزة بموقدين؛

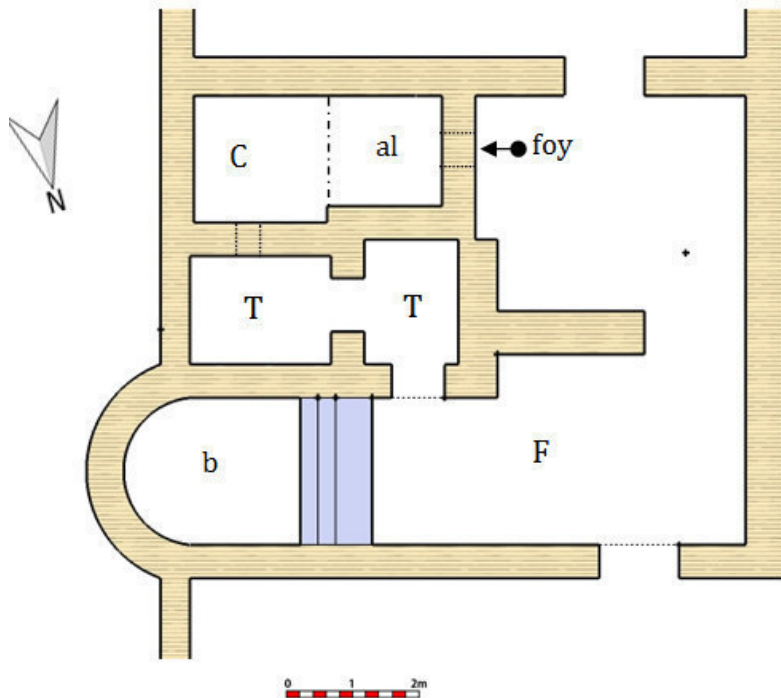
4- قاعة ساخنة في الجهة الجنوبية الشرقية للحمامات، عرضها من جهة الشارع 1.85 م؛

5- قاعة دافئة في نفس جهة الأولى مقاساتها (1.60×2) م، مبلّطة بمكعبات الطين المشوي؛

6- قاعة ساخنة صغيرة متموضعة بين القاعة الساخنة الشمالية وقاعة الخدمات المزوّدة بالموقدين سابقين الذكر.

ويضيف "بالو"² لاحقاً قاعة مخصّصة لنزع الملابس مقاساتها (2.30×3.30) م، ورواق يؤدي إلى

قاعة الخدمات حيث الموقدين.



مخطط رقم 27: حمامات
المنزل غرب حمامات سوق
سارتيوس (انجاز الطالب)

¹ BALLU (A.), *Rapport sur les fouilles exécutées en 1909*, in B.C.T.H 1910, p115.

² BALLU (A.), *Les ruines de Timgad III.....Op.Cit*, p 97.

1-2-12-1 القسم الساخن للحمامات

ما قدّمه "بالو" لا يختلف كثيراً عن ما تم معاينته ميدانياً بحمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس. فهذا الجزء مشكّل من ثلاث قاعات صغيرة، إن لم نقل قاعتين، فالقاعة الدافئة في الجهة الشماليّة مقسّمة إلى قسمين، الأول مقاساته (1.50×1.70) م، أرضيته مبلّطة بفسيفساء هندسية، بقي جزء منها في ركنها الشمالي الغربي، والثاني مقاساته (1.62×2.12) م، يفصل بينهما مدخل عرضه 0.80 م، تأتيتها الحرارة من الموقد الأول في الجهة الشماليّة لقاعة الخدمات والمهيأ في جدارها الغربي. أمّا القاعة الساخنة فهي في الجهة الجنوبيّة الشرقيّة للحمامات، هي تقريباً مربعة تنتهي في طرفها الغربي بحوض مسند على الجدار مقاساتها (1.90×2.00) م، أمّا الحوض فمقاساته (1.37×1.65) م، يتم تسخينه مباشرة من الموقد المهيأ في جدارها الغربي.

يربط بين القاعتين الدافئة والساخنة منفذ للهواء الساخن، عرضه 0.40 م وارتفاعه 0.50 م بنيت جدران القسم الساخن في مستوياته الدنيا بالآجر وفي المستويات العليا بالتقنية الإفريقية.



صورة رقم 71: القاعة الدافئة (تصوير الطالب) صورة رقم 72: القاعة الساخنة (تصوير الطالب)

1-2-12-2 القسم البارد للحمامات

يتكون من قاعة باردة مقاساتها (2.20×5.60) م، أرضيتها مبلّطة بألواح حجرية كبيرة متوسط مقاساتها (1.20×1.60) م، فوق هذه الأرضية وجدت فسيفساء هندسية مقاساتها (2×2.40) م، ترتبط القاعة مع بهو الدخول الشمالي بمدخل عرضه 1.20 م، وفي جهتها الشرقيّة حوض مستطيل مقاساته (1.66×2.20) م، ينتهي بحنية نصف دائرية، نصف قطرها 1.00 م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكوّن من درجين دون احتساب العتبة، وبنيت جدرانه بالآجر في حين لبست بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر بسمك 0.04 م.



صورة رقم 74: الحوض البارد
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 73: القاعة الباردة
(تصوير الطّالب)

1-12-3 المسار الحموي لحمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس

يذكر "تيجار" أنه من الصعب تحديد المسار الحموي داخل هذه الحمامات، والأمر مختلف عن ذلك فهي لا تشكل تعقيدا ولا تعددا في القاعات والأحواض، وإن كانت القاعات متموضعة بشكل مستقيم على محور واحد من الشمال إلى الجنوب، فالمسار المتبع يكون هو الآخر مستقيم بشكل تراجع عكسي، يبدأ من القاعة الباردة في الشمال، فالدائرة مع انحراف بسيط إلى الشرق ثم الساخنة بحوضها، ومسار الانتهاء من الاستحمام يكون تراجع لينتهي بالحوض البارد.

1-12-4 فسيفساء حمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس

على الرغم من المساحة الصغيرة لهذه الحمامات، إلا أنّ أرضيتها بلّطت بفسيفساء متعددة الأشكال والألوان، على غرار القاعة الباردة التي زوّدت بفسيفساء هندسية، أنجزت على خلفية بيضاء، حاشيتها مشكّلة من خطوط متعرجة، وفي وسط الحقل صفائر بشكل دوائر متداخلة منجزة داخل دائرة حاشيتها سوداء، عند التقاء الصفائر في الوسط يبرز شكل سداسي الجوانب، بداخله ميدالية مكتوب عليها *b(onis) b(ene) | qui dixit | ridet qui | negabat | victus | est.*

زيّنت الزوايا الأربعة لهذه الفسيفساء بأجزاء نباتية، (pelte à volutes) يتفرّع منها خطوط مزينة على شكل ورقة البيك¹ (Tige à hederà)

إلى جانب الكتابة السابقة، وجدت أخرى متفرقة على أربعة نقاط منها، تحمل العبارة التالية:

..... | — baline[] avat | invid [] | ...molant |

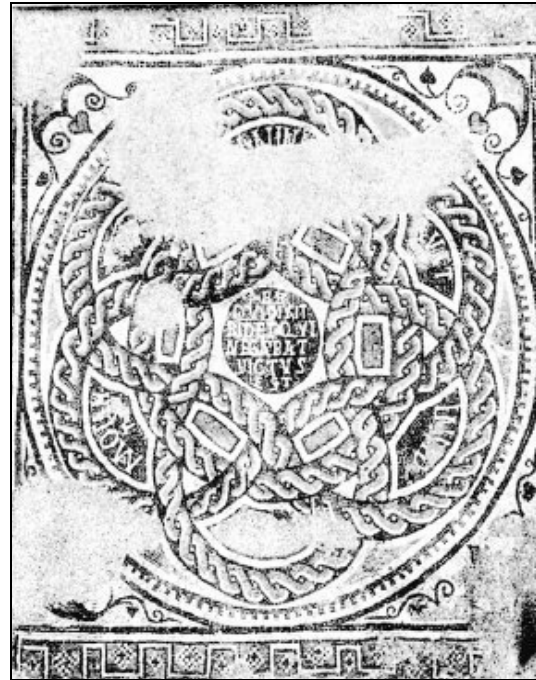
¹ BALMELLE (C.) et Al., Op.Cit ,p46.

تشير "جارمان" إلى أنّ هذه الكتابة جعلت لدرء سوء الحظ والوقاية من العين والحسد¹، ومن أمثلة ما يشبهه يشبه ذلك تلك المكتشفة بحمامات تيسدروس(الجم)، ومدخل قاعة التّعريق بحمامات توبوريو مايوس، وعتبة القاعة الباردة بحمامات السّدرية بالكنايس (تونس)².

إلى جانب فسيفساء القاعة الباردة وجدت أخرى بالدّافئة ولكن لم يبق منها سوى جزء بسيط، تظهر فيها الألوان (الأبيض والأسود والبني والأصفر والأحمر والرمادي)، متوسط حجم مكعباتها 0,01م³



صورة رقم 76: فسيفساء القاعة الدّافئة
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 75: فسيفساء القاعة الباردة³

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad Op.Cit, p 96.

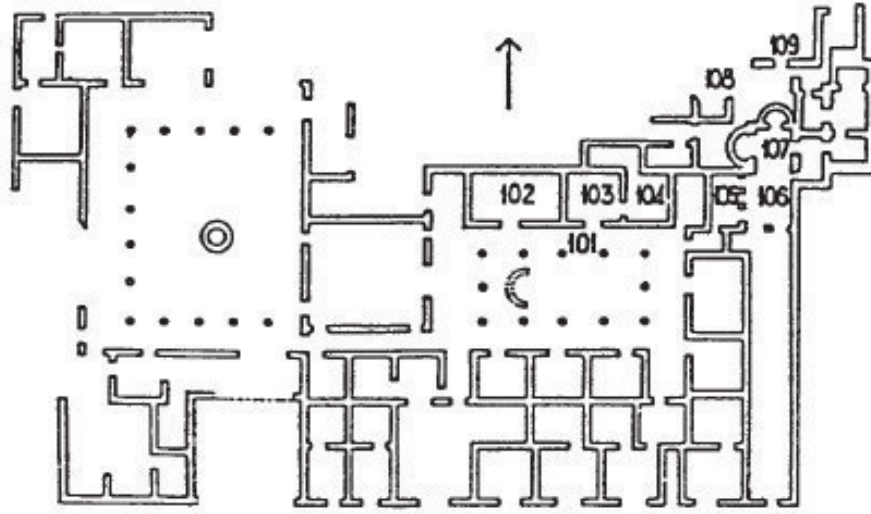
² CAGNAT (R.), Rapport sur les fouilles exécutées en 1927 à ES-SEDRIA, in B.C.T.H, 1928-1929, pp44-45.

³ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad....Op.Cit, pl. XLIII.

1-13 حمامات المنزل غرب حمامات فيلادالف

1-13-1 موقع الحمامات وتأريخها

يقع المنزل غرب حمامات فيلادالف في الجهة الشمالية الغربية لثاموقادي خارج حدود النواة الأولى للمدينة، من جهته الشمالية لا توجد أي هيئة سكنية أو منشأة، أمّا من الجهة الجنوبية يفتح على شارع شرق/غرب أكتشف سنة 1919، ومن الجهة الغربية لا يوجد أي أثر لامتداد المدينة، وهو عبارة عن منزل كبير مساحته 2464م²، به فناءين تفتح عليهما مختلف أجزائه بما في ذلك الحمامات¹، في حين "جرمان"² تقدرها بـ 2500م².



مخطط رقم 28:
المنزل غرب حمامات
فيلادالف³

أمّا الحمامات فهي في الجهة الشمالية الشرقية للمنزل، يتم الدّخول إليها عبر فناءه الشرقي، تقدّر مساحتها بـ 80 م²، في حين رواق الخدمات الخاص بها في جهته الشمالية الشرقية. وبخصوص تأريخ هذه الحمامات، تعتمد "جارمان" على الفسيفساء المكتشفة في القاعة الباردة، وترجعها إلى الفترة السيفيرية (نهاية القرن الثاني بداية الثالث ميلادي)، ومن خلال المشهد الذي يبرز أشكال هندسية ونباتية تربطها مع تلك المكتشفة بحمامات فيلادالف المجاورة لها، والتي ترجعها إلى القرن الثالث ميلادي، من جهة أخرى فإنّ المنزل عرف عديد التّدخلات في فترات مختلفة بما في ذلك الفترة المسيحية، حيث اكتشف "بالو" في الجهة الجنوبية للمنزل قبور لأطفال تؤرخ بتلك الفترة⁴.

¹ CAGNAT (R.), Rapport 1923, in B.C.T.H 1924 , p.LXXXI.

² GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, p 81.

³ Idem.

- THEBERT (Y.), Op. Cit., pl.CXII n°1.

⁴ BALLU (A.), Travaux de fouilles et de consolidations effectuées en 1920, in R.S.A.C, 1922-1923, p53

- GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, p 85.

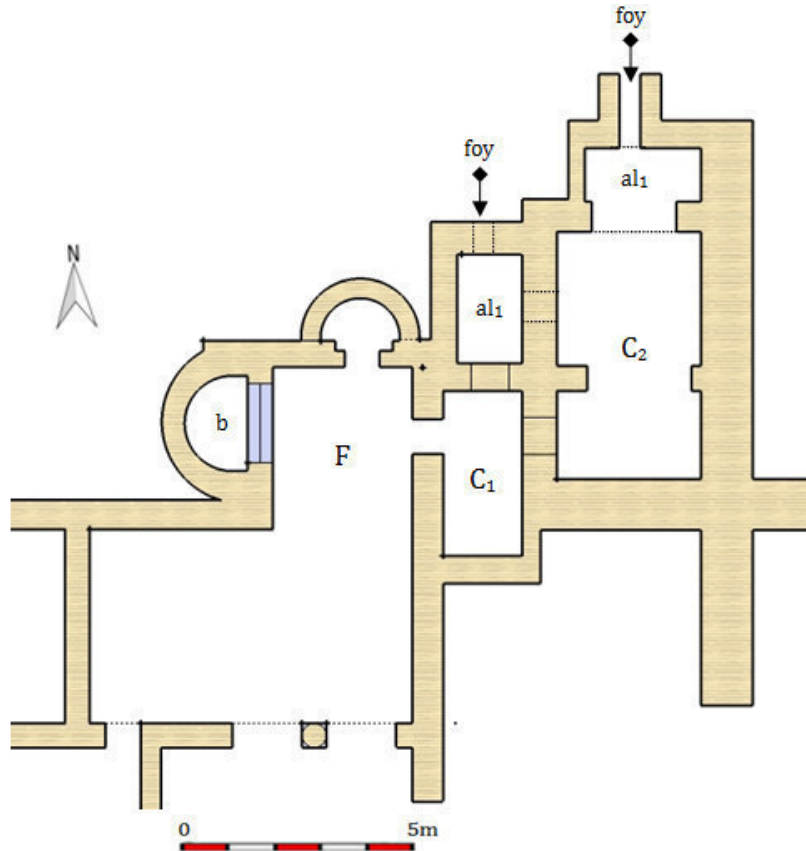
من جهته "تيبار" يعتمد على هندسة وتخطيط المنزل، ويشير إلى أنه ناتج عن إدماج مسكنين في فترة لاحقة لبنائه الأصلي، وهو ما يدعوه إلى الاعتقاد بوجود حمامين الأول شرقي والثاني غربي¹.



صورة رقم 77: منظر
عامل لحمامات المنزل
غرب حمامات
فيلادلف
(تصوير الطالب)

1-13-2 أقسام حمامات المنزل غرب حمامات فيلادلف

يتكوّن المنزل من قسمين : الساخن في جهتها الشرقية والبارد في الجهة الغربية.



مخطط رقم 29: حمامات
المنزل غرب حمامات
فيلادلف (انجاز الطالب)

¹ THEBERT (Y.), Op. Cit., p248.

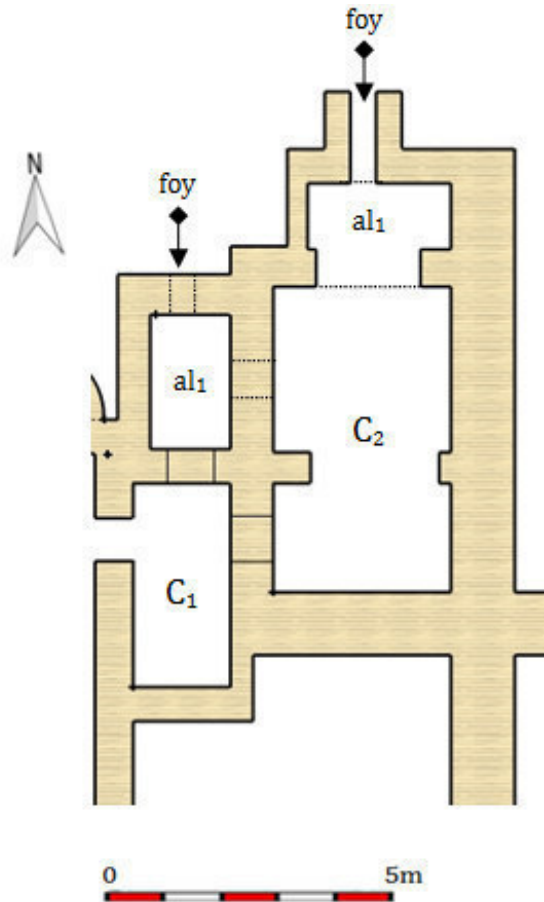
1-2-13-1 القسم السّاخن للحمّامات

في ظلّ شح المعطيات حول أحواض القسم السّاخن وطريقة عمله، تبقى المعاينة الميدانية لما تم العثور عليه تشير إلى أنّ هذا الجزء من الحمّامات مرّ على مرحلتين:

المرحلة الأولى، تضم قاعتين ساخنتين، الأولى مجاورة للقاعة الباردة، مزوّدة بحوض في جهتها الشماليّة، تأتيها الحرارة مباشرة من الموقد المهيأ في جدارها الشمالي أو عن طريق أرضية القاعة الساخنة الثانيّة، هذه الأخيرة هي الأخرى زوّدت بحوض مستطيل مسخّن مباشرة من الموقد المهيأ في جدارها الشمالي، ومن حيث المساحة هي أكبر من سابقتها، مقاساتها (3.20×7.15) م ، في حين مقاسات الحوض (1.16×2.60)م، بنيت جدرانها بالآجر، وأرضيتها محمولة فوق أعمدة من الآجر بقيت آثارها في جدارها الغربي؛ يرتبط كلا القاعتين بمدخل عرضه حوالي 0.75 م، لكن جانبه الشمالي عرف تدخّل لاحق بسبب إنشاء حوض خارج حدوده الأصلية.

وبالعودة إلى القاعة الساخنة الشرقيّة فهي تفتح على القاعة الباردة بمدخل عرضه 0.73 م، مقاساتها (1.70 × 3.55)م، والحوض السّاخن التابع لها مقاساته (1.40×2.35)م، بنيت جدرانها هي الأخرى بالآجر.

مخطّط رقم 30: القسم السّاخن لحمّامات المنزل
غرب حمّامات فيلادالف (انجاز الطّالب)



المرحلة الثانية، عرفت تقليص في مساحة الحمامات، فالحوض المهيأ مباشرة مع المدخل الرابط بين القاعتين السابقتين، يجعل القاعة الساخنة الشرقية بمعزل عن الحمامات، ولا ندري حقيقة سبب هذا التحوّل في تخطيط المبنى، ربما هو راجع إلى محدودية توفير مستلزمات التسخين أو لسبب آخر؟ وفي هذه المرحلة قلّصت أيضا حدود القاعة الساخنة الغربية، إذ بني جدار من الحجارة الصغيرة عند مدخل الحوض السابق.



صورة رقم 79: جزء من الحوض الساخن المهيأ في المرحلة الثانية (تصوير الطالب)



صورة رقم 78: القاعة الساخنة الغربية (تصوير الطالب)

وهناك احتمال آخر أنّ أصحاب المنزل استغنوا كليا عن القسم الساخن، فالحوض المهيأ في القاعة الساخنة إنما هو حوض بارد، لكن هذا الاحتمال يبقى ضعيف، بسبب مستوى أرضيته التي تأخذ نفس مستوى أرضية القاعة الباردة، على الرغم من وجود أحواض مماثلة مثل ما وجد في حمامات يانوياريوس.

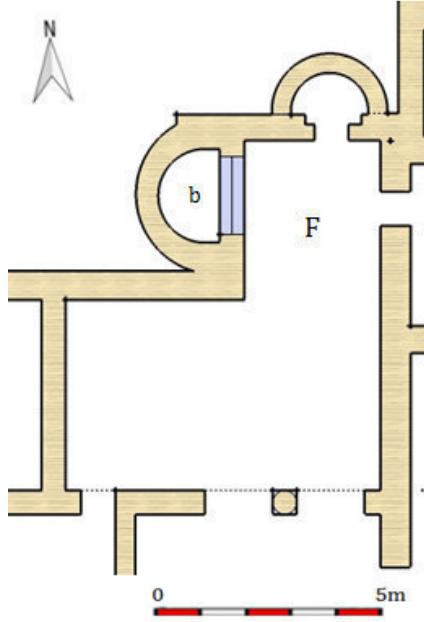


صورة رقم 80: القاعة الساخنة الشرقية (تصوير الطالب)

1-13-2-2 القسم البارد للحمامات

يتشكّل من قاعة تقريبا مربعة مقاساتها (3.75×3.50م)، مزودة بحوض نصف دائري في جهتها الغربية نصف قطره 1.36 م، ترتفع عتبته بـ0.40م و يتم النزول إليه عبر سلّم مكون من درجين؛

تفتح هذه القاعة على القسم الساخن بمدخل عرضه 0.75م، ومن الجهة الشمالية هيئت كوة نصف دائرية، نصف قطرها 1.14م، تذكر "جارمان"¹ أنها خصّصت لنزع الملابس، والواضح أنها لم تكن حين البناء الأول للحمامات بدليل جدارها الخارجي، الذي لم يدمج بشكل كلي مع جدار القاعة الباردة الشمالي، هذه الأخيرة بنيت جدرانها بالآجر في حين الحوض بني بالتقنية المختلطة (حجارة صغيرة وآجر) ولبس جداره الداخلي بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، سمكه 0.02م، أمّا الكوة فبنيت بدبش الحجارة الصغيرة .



مخطّط رقم 31 : القسم البارد لحمامات المنزل
غرب حمامات فيلادلف (انجاز الطّالب)

صورة رقم 81: القاعة الباردة (تصوير الطّالب)



صورة رقم 83: الكوة المهيأة بالقسم البارد
للحمامات (تصوير الطّالب)



صورة رقم 82: الحوض البارد (تصوير الطّالب)

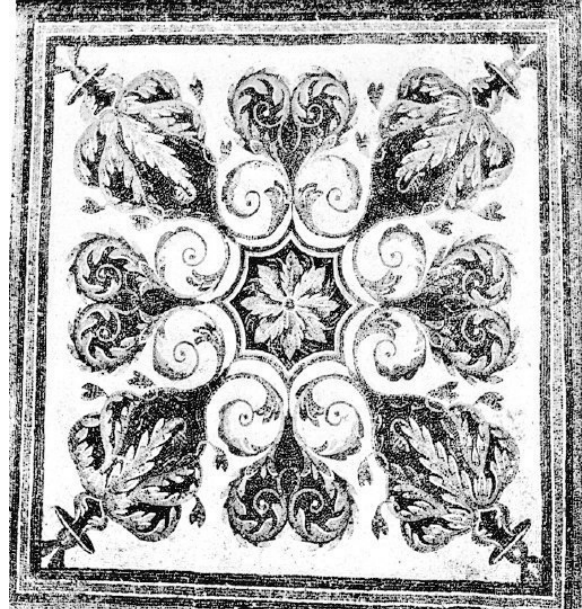
¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, p 85.

1-13-3 فسيفساء حمامات المنزل غرب حمامات فيلادلف

الفسيفساء المكتشفة بالمنزل والحمامات ذات مشاهد نباتية، تعتقد "جرمان" بشأنها وجود ورشة للفسيفساء بالمدينة، بدليل عديد المباني التي تحتوي مشاهد مشابهة وبنفس التقنيات¹، على غرار أرضية القاعة الساخنة لحمامات فيلادلف²

- فسيفساء القاعة الباردة³: هي فسيفساء مربعة مقاساتها (2.20×2.20)م، ذات خلفية بيضاء، يظهر حولها أربعة مزهريات ذات أعناق ضيقة، تخرج منها أنصاف ورق الأكانتس بشكل حلزوني، مشكّلة نجمية تتوسطها زهرة ذات 8 بتلات، ويتوسط المزهريات أربعة قلوب من أوراق الأكانتس ذات خلفية حمراء. أما الحاشية فهي عبارة أشرطة بسيطة تحيط بكامل اللوح .

استعملت في هذه الفسيفساء مكعبات معدّل كثافتها 200 مكعب في 1م²، ألوانها (الأبيض، الأسود، الأحمر، الأصفر والأخضر)



صورة رقم 85: فسيفساء القاعة الباردة معروضة

صورة رقم 84: فسيفساء القاعة الباردة⁴

بمتحف تيمقاد (تصوير الطالب)

الحنية النصف دائرية⁵: هي فسيفساء بشكل مروحة ينطلق من منتصفها نصف نجمية، تتوسطها أشكال تشبه القلوب، تليها أنصاف دوائر أفقية تتقاطع مع أشكال مثلثية تلامس رؤوسها الحاشية، عند تقاطعها

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, p 82.

² Ibid, p85.

³ Ibid, p84.

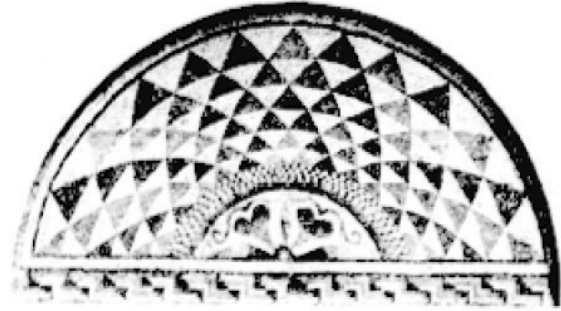
⁴ Ibid, .pl.XXXVIII et pl.LXXXVII.

⁵ Ibid, p85.

تظهر مثلثات صغيرة تتدرّج فيها الألوان (أحمر، وردي، أبيض) ثم (أخضر، أصفر، أبيض) ثم (أخضر، رمادي، أبيض).



صورة رقم 87: الحنية نصف دائرية معروضة
بمتحف تيمقاد (تصوير الطالب)



صورة رقم 86: الحنية نصف دائرية للقسم البارد
بالحمّامات¹

14-1 حمّامات المنزل شمال الكابتول

1-14-1 موقع الحمّامات وإطارها التاريخي

تقع في الجزء الشمالي لمنزل واسع يضم العديد من الغرف والقاعات مختلفة المساحة، موزعة على ثلاث أفنية، لكل منها مدخل يطل على الشارع الشرقي، يمكن الوصول إليها عبر الفناء الشمالي للمنزل، إذ يفصلهما رواق ضيق يجعل الحمّامات معزولة نسبيا عن باقي أجزائه، ممّا يدعم رأي "جرمان" أنها معدّة للاستغلال الجماعي أو الاستخدام العام²، وتختلف بذلك عن "بالو" الذي اعتبرها في تقريره حمّامات عمومية³.

أمّا عن حدودها، فمن الجهة الشرقية شارع موازي للشارع الصاعد إلى الكابتول، ومن الشمال شارع ثانوي يفصلها عن هيئة سكنية، ومن الجنوب فناء المنزل، ومن الجهة الغربية الظاهر أنها لم تنقب بعد. وحين محاولة تأريخ حمّامات المنزل شمال الكابتول، فإنّه لا توجد حقيقة معطيات كافية لاعتماد تأريخ مضبوط، لكن يمكن وضعها في مجال زمني قريب من تاريخ بنائها وفق المعايير التالية:
- المكان الذي بنيت فيه خارج حدود النواة الأولى للمدينة.

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, PL.II.

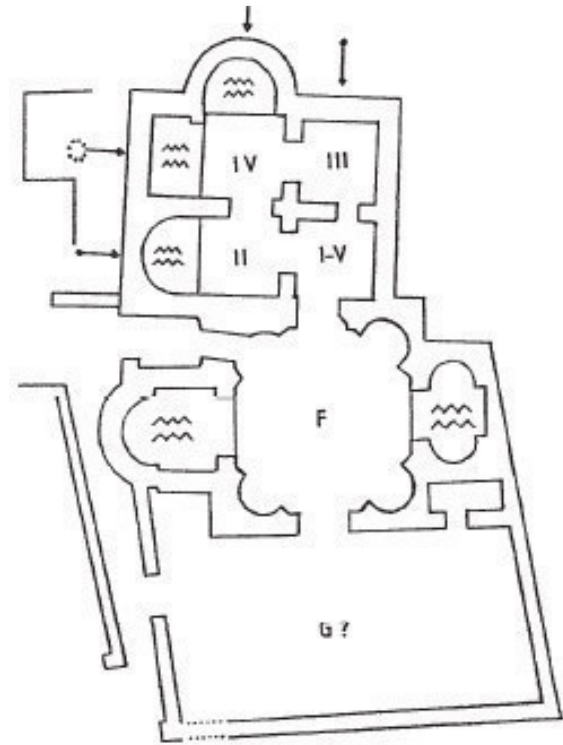
² Ibid, p 119.

³ BALLU (A.), Rapport sur les fouilles exécutées en 1915, in B.C.T.H.1916 , p240

-BALLU (A.) Rapport sur les fouilles exécutées en 1916 , in B.C.T.H. 1917 , p294

- من خلال دراسة هندسة البناء وتوزيع أجزائه، في هذه الجزئية تشكّل القاعة الباردة استثناء على ما وجد بالمدينة، لكن ما يشبهها قد يؤرخ بالقرن الرابع ميلادي، على غرار الحمامات شمال غرب المسرح ببولا ريجيا¹.

- من خلال الفسيفساء، خاصّة تلك التي تصوّر نعال الاستحمام، إذ يوجد ما يشبهها في عدّة مدن، مثل ما وجد بحمامات المسرح بمدينة صبراتة الليبية، والتي تؤرخ بالقرن الثاني ميلادي، في نفس السياق تقترح "جرمان" تأريخ المبنى انطلاقاً من دراسة الفسيفساء التي وجدت به، وترجعها إلى القرن الثالث أو الرابع ميلادي². من هذه المعطيات فإن التاريخ الأقرب للحمامات هو نهاية القرن الثالث وبداية الرابع ميلادي.



مخطّط رقم 32 : حمامات المنزل شمال
الكابتول حسب "تيبار"³

1-14-2 نظام تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

على الرغم من عدم وجود آثار لقنوات أو أنابيب تزويد هذه الحمامات بالمياه، إلا أنّه من خلال دراسة موقعها في المدينة، فإنّ الاحتمال الأقرب لوصول المياه إلى أحواضها هو من الجهة الجنوبية عبر فناء المنزل، فمستوى الحمامات الذي ينخفض جزئياً عن مستوى المنزل يسمح بتهيئة قنوات توصيل المياه إليها بسهولة، على الأرجح هذه القنوات إمّا مصنوعة من أنابيب آجورية أو رصاصية.

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, p134.

² GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, p106.

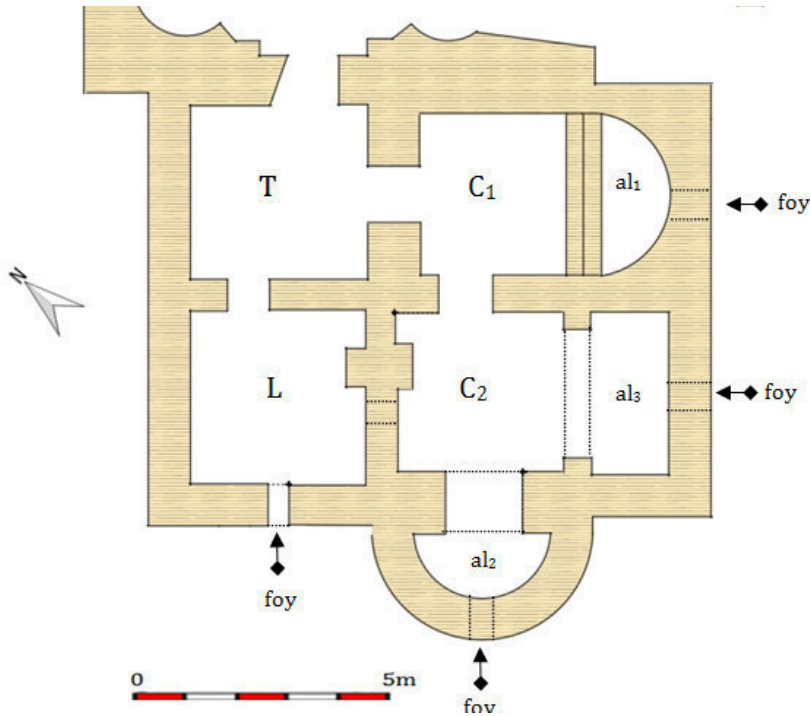
³ THEBERT (Y.), Op.Cit, pL.CXII n°3.

أمّا تصريف المياه من الأحواض، فقد عثرنا من خلال المعاينة الميدانية على فتحتين في اتجاه واحد، الأولى خاصة بالحوض البارد الجنوبي، عرضها 0.17م في اتجاه الشمال الغربي، والثانية بالحوض الساخن الشرقي في نفس الاتجاه. والملاحظ أنّ تصريف المياه الباردة بحكم مستوى الحوض الذي ينخفض عن مستوى القاعة الباردة والحمامات ككل، يكون أسفلها ولا يستفاد منه في تنظيفها، في حين مياه الأحواض الساخنة تصرّف مياهها إلى أرضية القاعة، لاستعمالها في تنظيفها ومن ثم تصريفها خارج المبنى، هذه المياه المستعملة دون شك تتخذ اتجاهها إلى قناة الصرف الموجودة أسفل الشارع الشرقي للحمامات ومن ثمّ باتجاه قناة الصرف الرئيسية أسفل الشارع الكبير (الديكي مانوس) .

1-14-3 أقسام حمامات المنزل شمال الكابتول

1-14-3-1 القسم الساخن للحمامات

يتكوّن من أربعة قاعات متساوية المساحة تقريبا، الأولى دافئة تتّصل مع الباردة بمدخل عرضه 0.95م من جهتها و1.25م من جهة الدافئة، كما تتّصل مع القاعة الساخنة الشرقية بمدخل عرضه 1م، وقاعة التّعريق من جهتها الغربية بمدخل عرضه 0.80م، لا يظهر حاليا أنّها كانت مسخّنة من الأرضية أو عبر الجدران، فمن جهة قاعة التّعريق لا يمتد نظام التسخين التّحت أرضي إليها، ومن جهتها الجنوبية لا يمكن التّكهّن أنّها تستمد حرارتها من الساخنة، على الرغم من أنّ "بالو" يشير إلى أنّ نظام الهيبوكوست يمتد إليها¹. مقاسات هذه القاعة (3.40×3.45)م، بنيت جدرانها بالآجر وبلّطت أرضيتها بالفسيفساء.



مخطّط رقم 33: القسم الساخن
لحمامات المنزل شمال
الكابتول
(انجاز الطّالب)

¹ BALLU (A.), Rapport 1915, in B.C.T.H 1916, p 240.

قاعة التّعريق، تظهر هذه القاعة نظام التّسخين بشكل واضح، فالأعمدة الحاملة لأرضيتها وكذا فتحات التّسخين العمودي تشير إلى أنّها قاعة ذات حرارة عالية، بالإضافة إلى الموقد المهيأ في جدارها الغربي، لا تحتوي هذه القاعة على حوض، إذ لا يوجد أي دليل يشير إلى ذلك، ترتبط في جدارها الجنوبي مع القاعة الساخنة الغربية بمدخل لا يمكن معرفة عرضه بسبب تهدم جانبيه، كما هيئت أسفله فتحة تسمح بمرور الحرارة بينهما. بنيت جدران هذه القاعة بالآجر.



صورة رقم 88: قاعة التّعريق
(تصوير الطّالب)

القاعتان الساخنتان الشرّقية والغربية، هذان القاعتان في الجهة الجنوبية للقسم الساخن، أمّا الأولى فهي مزودة بحوض نصف دائري، نصف قطره 1.35م، يتمّ الصعود إليه عبر سلّم يرتفع عن مستوى القاعة بـ 0.52م، يظهر منه حالياً درجين؛ كل من القاعة والحوض مسخّنين من الأرضية وعبر جدرانها بفتحات تسمح بالحصول على حرارة عالية، تأتيتها من الموقد المهيأ في جدارها الجنوبي؛ بنيت جدرانها كسابقيها بالآجر ولبّست بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، على جهتها الغربية قاعة ساخنة ثانية مرتبطة بها بمدخل عرضه 0.80م، هذه الأخيرة مزوّدة بحوضين الأول غربي شكله نصف دائري، ونصف قطره 1.24م، والثاني مستطيل في جهتها الجنوبية مقاساته (1.48×3.09)م، هذان الحوضان مسخّنان مباشرة من الموقدين كلّ في جهته.



صورة رقم 90: القاعة السّاخنة الغربية
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 89: القاعة السّاخنة الشّرقية
(تصوير الطّالب)

1-14-3-2 نظام التّسخين في حمّامات المنزل شمال الكابتول

يشكّل نظام التّسخين بالقسم السّاخن لهذه الحمّامات كلّ متكامل يضمن حرارة متفاوتة الحدّة لجميع أجزائه، وإن كان هذا القسم مكون من أربعة قاعات، إلا أنّ طريقة تسخينها تختلف من واحدة إلى أخرى بل في القاعة نفسها.

أ- **المواقد**، الظاهر في هذه الحمّامات ثلاث مواقف، بقيت آثارها قائمة، اثنان منها في الجهة الجنوبية، خاصّة ذلك الموجود في الجدار الجنوبي للقاعة السّاخنة الشّرقية، والثالث في الجدار الغربي لقاعة التّعريق، مع احتمال موقد رابع في الجدار الغربي للقاعة السّاخنة الغربية.

يفتح الموقدان الجنوبيان على رواق للخدمات، مدخله من الجهة الشّرقية عرضه 1.13م، في حين تقدّر مساحته بـ: 20م²؛ وعرض فتحة الموقد الجنوبي الشّرقى 0.40 م وارتفاعه حتى العقد 1.53 م أما الموقدان الغربيان فلا توجد آثار الحدود الغربية لرواق الخدمات الخاص بهما، لكن هي الأخرى يتمّ الولوج إليها عبر الرواق الأول بمدخل عرضه 1.10م.



صورة رقم 92 موقد قاعة التّعريق
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 91: الموقد الجنوبي الشّرقى
(تصوير الطّالب)

ب-التسخين التّحت أرضي، تظهر قاعة التّعريق بقايا الأعمدة المشكّلة من بلاطات آجورية، مقاساتها (0.18×0.19)م، يبتعد كل عمود عن الآخر مسافة 0.43م، في حين ارتفاعها يصل الى 0.62م، تعلوها بلاطات آجورية معدل مقاساتها (0.46×0.54)م وسمكها 0.06م، فوقها طبقة من الملاط سمكها 0.15م.

أمّا القاعة السّاخنة الشّرقية فبقيت محافظة على أرضيتها المحمولة هي الأخرى فوق أعمدة مشكّلة من الآجر، تظهر بوضوح من جهة الموقد الجنوبي، في حين القاعة السّاخنة الغربية لم يبق من أعمدتها شيء، أمّا القاعة الدّافئة فحرارتها كانت فقط من المدخلين المرتبطين مع قاعة التّعريق والقاعة السّاخنة الشّرقية، ولا يوجد امتداد لنظام التسخين التّحت أرضي إليها.



صورة رقم 94: الأرضية المحمولة فوق أعمدة آجورية لقاعة التّعريق (تصوير الطّالب)



صورة رقم 93: الأعمدة الحاملة لأرضية القاعة السّاخنة الشّرقية (تصوير الطّالب)

ج-التسخين العمودي(الجداري)، كل من القاعتين السّاخنة الشّرقية وقاعة التّعريق، زوّدتا بنظام التسخين العمودي عبر فتحات تسمح للحرارة الانسياب عبرها لتسخينهما من جهات عدة، هذه الفتحات مشكّلة من بلاطات آجورية معدل مقاساتها (0.30×0.45)م، أمّا عرض الفتحات فيختلف من جهة إلى أخرى ، ففي الجدار الشّمالي لقاعة التّعريق 0.18م والجنوبي منها 0.13م، في حين القاعة السّاخنة الشّرقية في جدارها الشّرقى تقدر بـ 0.17م، والشّمالي 0.14م، ولا تمتد هذه الفتحات إلى جدارها الغربي، وفي الجهة الجنوبية حيث الحوض النصف دائري هو الآخر زوّد بها لضمان حرارة متعددة الجوانب (من الأسفل وعلى أطرافها).



صورة رقم 96 فتحات التسخين العمودي لقاعة
التعريق (تصوير الطالب)



صورة رقم 95: فتحات التسخين العمودي للقاعة
الساخنة الشرقية (تصوير الطالب)

1-14-3-3 القسم البارد للحمامات

يتكون هذا القسم من جزئين، الأول عبارة عن مجال واسع مساحته 110م²، مفتوح على الشارع الشرقي بمدخل عرضه 1.10م، وعلى رواق يفصله عن فناء المنزل من الجهة الجنوبية؛ يعتقد "تبيار" أن هذا المجال مخصص للتمارين الرياضية والتحمية¹، في حين يرجع "بالو" وظيفتها على أنها للجلوس والمحادثة².

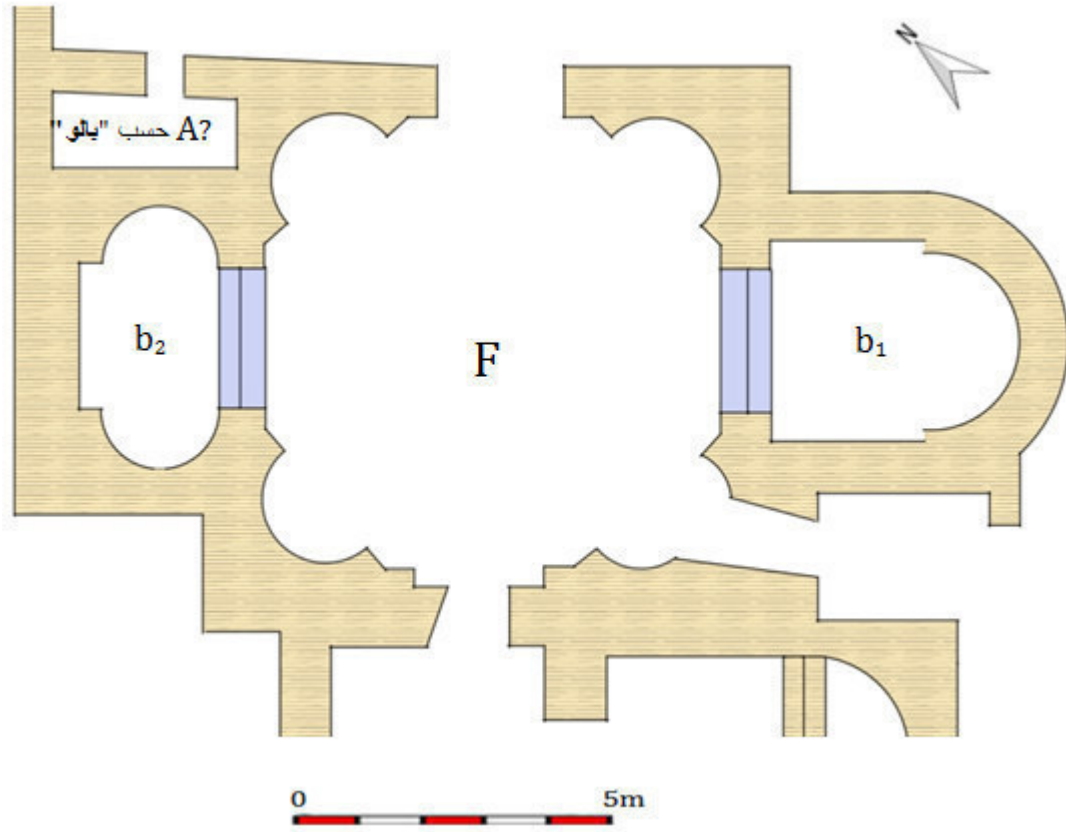
بأطت أرضيته بمكعبات من الطين المشوي، بقيت أجزاء منها في جهتها الجنوبية الغربية. في ركنها الشمالي الغربي غرفة صغيرة مقاساتها (1.15×3.20)م، يتم الدخول إليها عبر مدخل عرضه 0.60م، توحى مساحتها الصغيرة وموقعها بالحمامات أنها غرفة خدمات لتخزين مستلزمات الاستحمام، في حين يعتقد "بالو" أنها مخصصة لنزع الملابس³.

الجزء الثاني لهذا القسم تشكّله القاعة الباردة وحوضيها الجنوبي والشمالي، أما القاعة الباردة مربعة الشكل مساحتها 50م²، زينت أركانها الأربع بكوات نصف دائرية (نصف قطر كل منها في حدود 1م)، وهي أنصاف دوائر مكتملة عدا الكوة الجنوبية الغربية، التي هيئ في منتصفها مدخل يؤدي إلى رواق عرضه 2.02م، ومن ثم إلى فناء المنزل أو إلى رواق الخدمات حيث مواعد القسم الساخن.

¹ THEBERT(Y), Op.Cit, p 251.

² BALLU (A.), Rapport 1915, in B.C.T.H 1916, p240 (ورد تحديدها بالخطأ من طرف "بالو" على أنها في الركن الجنوبي الغربي) بالإضافة إلى خلط في تحديد اتجاه الحوضين الباردتين الشمالي والجنوبي وليس الشرقي والغربي، كذلك الأمر في تعيين أحواض القسم الساخن، والظاهر أن اتجاهات "بالو" حين وصفه لهذه الحمامات مقلوبة بـ 90 درجة ناحية الشرق)

³ BALLU (A.), Rapport 1915, in B.C.T.H 1916, pp 240-241.



مخطط رقم 34: القاعة الباردة وحوضيها (انجاز الطالب)

زوّدت هذه القاعة بحوضين مختلفين في الشكل، فأما الأول جنوبي شكله مستطيل ينتهي بحنية نصف دائرية، مقاساته (3.80×3.20)م، ونصف قطر حنيته 1.50م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكوّن من درجين، وارتفاعها الإجمالي يصل إلى 2.20م ؛ بنيت جدرانها بالآجر و لبّست بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر.

على ارتفاع 1.22م هيّئ في جداريها الجنوبي والشرقي فتحتان للتهوية والإنارة، الأولى مقاساتها (0.36×0.23)م والثانية (0.23×0.16)م.

الحوض الثاني شكله بيضوي، مقاساته (4.16×2.20)م، يتمّ النزول إليه هو الآخر عبر سلّم مكوّن من درجين باحتساب العتبة التي ترتفع عن مستوى القاعة الباردة بـ 0.25م. بنيت جدرانها ولبّست بنفس تقنية الحوض الأول، أمّا سمك التّلبّيس فهو 0.03م.



صورة رقم 98: الحوض الشمالي للقاعة الباردة
(تصوير الطالب)



صورة رقم 97: الحوض الجنوبي للقاعة الباردة
(تصوير الطالب)

1-14-4 المسار الحموي لحمامات المنزل شمال الكابتول

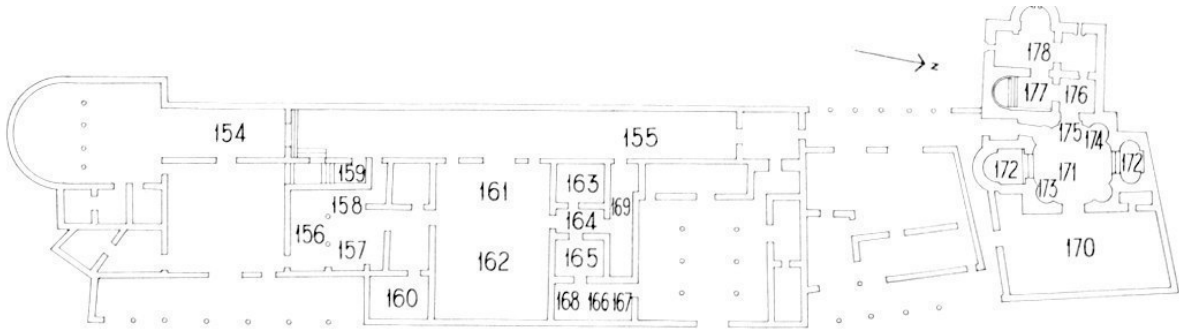
على الرغم من تعدد قاعات هذه الحمامات وكذا الأحواض والمداخل، إلا أنّ المسار المتبع من طرف المستحمين سهل التعرف عليه، وهو وفق المنحى التالي :

الدخول على الغالب من الجهة الجنوبية إذا كان المستحمون من نزلاء المنزل، أو من الجهة الشرقية إذا كانوا من خارجه، والمرور على القاعة الباردة حتمية لا بد منها، ثم الانتقال إلى القاعة الدافئة ومن ثم المسار اختياري وفق أحد المسارين:

-المسار الدائري بالمرور على جميع القاعات دون استثناء.

- المسار التراجعي العكسي، ينتهي عند القاعة الساخنة الشرقية ثم يعاود الرجوع عكسيا دون المرور على قاعة التّعريق.

1-14-5 فسيفساء حمامات المنزل شمال الكابتول



مخطط رقم 35: توزيع الفسيفساء على قاعات وغرف المنزل شمال الكابتول¹

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit , p106.

من خلال دراسة الفسيفساء من طرف "جرمان" وتوزيعها على مختلف أجزاء الحمّامات، يتضح أنّ كلا القسمين الساخن والبارد بلّطت أرضيتها بـ10 تبليطات مختلفة التقنيات والمشاهد والألوان، بالإضافة إلى الفسيفساء المكتشفة بباقي أجزاء المنزل وعددها 16، وسنقتصر في هذا الجزء بدراسة فسيفساء الحمّامات، وفق الأرقام الموضوعة من طرف "جرمان"¹.

• فسيفساء الفضاء (170) والذي ذكر آنفا من طرف "تيبّار" على أنه جيمنازيوم، وهي عبارة عن مكعبات من الطين المشوي معدل حجمها 0.02م³

• فسيفساء القاعة الباردة (171): هي عبارة عن نسيج مشكّل من مربعات متداخلة، أمّا الحاشية فهي عبارة شريطين أصفر وأبيض بينهما خيط أسود، ورباط الوصل مشكّل من سلسلة من الحلقات المترابطة فيما بينها. استعملت في هذه الفسيفساء الألوان (الأبيض، الأسود، الأصفر، الأحمر، الرمادي). أمّا فسيفساء أحواض هذه القاعة فهي عبارة عن مكعبات من الطين المشوي.

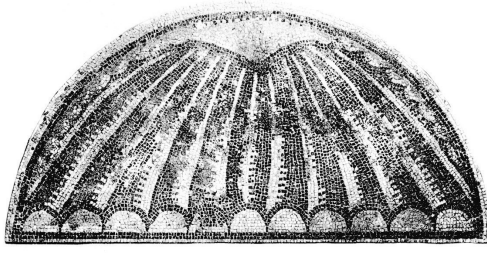
• فسيفساء كوّات القاعة الباردة (173) و(174): تأخذ شكل مروحة، تنطلق من منتصفها المحدّب خيوط موزعة بانتظام في اتجاه خطّها المستقيم، مشكّلة أنصاف دوائر هي الأخرى متماثلة.

• فسيفساء العتبة الفاصلة بين القاعتين الباردة والدّافئة (175): هي فسيفساء مستطيلة ذات خلفية بيضاء، حاشيتها عبارة عن أشرطة تعدّدت فيها الألوان (الأبيض، الأسود، الرمادي، الأصفر والأحمر)، في الوسط يظهر زوجان من أحذية الاستحمام، متموضعان في وضعيتين متخالفتين، الأولى باتجاه القاعة الباردة والثانية باتجاه الدّافئة، تصاحبهما كتابة لاتينية، الأولى تقرأ *bene lava* أمّا الثانية غير واضحة، *[saluu(m) lav]isse* (انظر الصفحة 58).

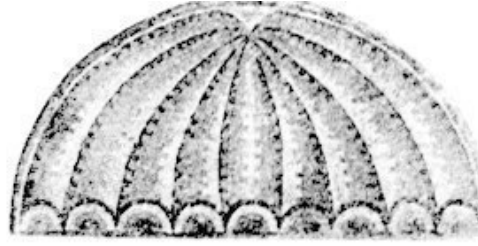
• فسيفساء القاعة الدّافئة (176): هي فسيفساء هندسية ذات خلفية بيضاء، يظهر حقلها معينات على جانبيها متوازيات الأضلاع، استعملت فيها ألوان متعدّدة (الأبيض، الأسود، الرمادي، الأصفر والأحمر)، أمّا حاشيتها مشكّلة من سلسلة من المثلّثات البيضاء.

• فسيفساء القاعة الساخنة الغربية (178): هي فسيفساء هندسية مشكّلة من مكعبات كثافتها 75 مكعب في 1دم²، أنجزت على خلفية بيضاء، وهي عبارة عن تزيينات حمراء وصفراء متقابلة، مشكّلة أشكال بيضوية، أمّا الحاشية فهي عبارة عن خطوط بيضاء وسوداء.

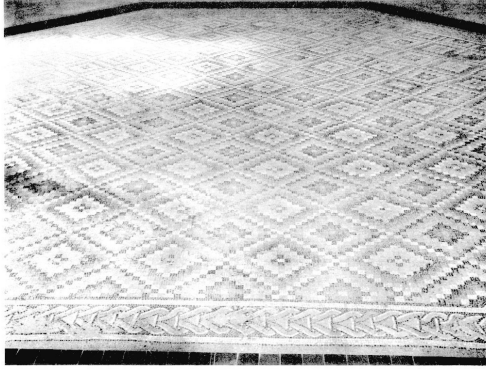
¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, pp115-117.



الكوة الشمالية الغربية¹



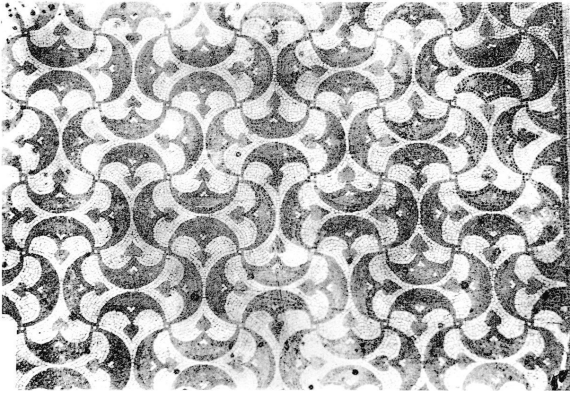
الكوة الجنوبية الشرقية²



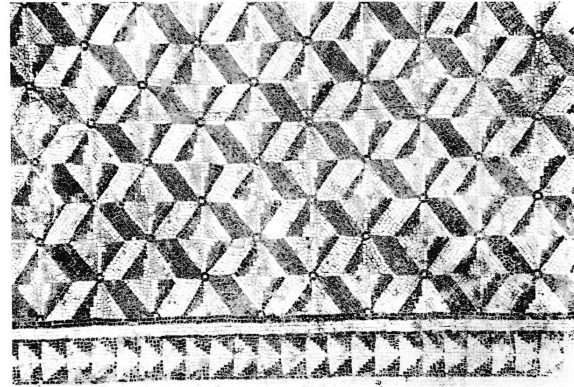
فسيفساء القاعة الباردة³



عتبة المدخل الذي يربط القاعة الباردة بالدافئة⁴



فسيفساء القاعة الساخنة الغربية⁵



فسيفساء القاعة الدافئة⁶

صورة رقم 99 : لوحة مشكّلة لفسيّفاء حمامات المنزل شمال الكابتول

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de TimgadOp.Cit, pl.LVIII (n°174).

² Ibid, pl.II (n°173).

³ Ibid, pl.LVII(171).

⁴ CAGNAT (R.), BALLU (A.),in B.C.T.H, 1916, p CLXVII.

⁵ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad, Op Cit ,pl.LIX (n°178).

⁶ Ibid, pl.LIX(n°176).

15-1 حمامات منزل رأس ميدوزا

1-15-1 موقع الحمامات

يحدّ المنزل من الشرق الحمامات الشماليّة الغربيّة والمقبرة المسيحية، ومن الشمال الديكيمانوس الكبير في امتداده الغربي وباب لمباز الذي يبعد عنه مسافة 8م، ومن الجهة الغربية لا يوجد بعد امتدادا للأبحاث والتتقيقات ونفس الأمر في الجهة الجنوبيّة.

ويعتبر الجزء الشماليّ أول ما اكتشف سنة 1905، حينها وصفه "بالو" بالمستودع الكبير أو المنشأة التجاريّة، وتشير إلى ذلك آثار عجلات العربات أثناء تفريغ حمولتها¹ عند بابه الرئيسي في جهته جهته الشماليّة، وبخصوص الفناء الكبير يعتقد أنّه خصّص للبيع بالمزايدة للمواد التي كانت تعرض بالأروقة². لكن بعد اكتشاف الحمامات لاحقا والتي لم يشر إليها "بالو" في أي من تقاريره، إلى جانب غرف وقاعات ذات وظيفة منزلية غير تجارية، حوّل الاعتقاد إلى أنّ المبنى منزل كبير مزوّد بمستودع لصاحبه لممارسة نشاطاته التجاريّة.

ارتأينا تسمية الحمامات بهذا الاسم نظرا للفسيفاء المكتشفة بالحنية النصف دائرية في جهتها الجنوبيّة، وفي دراسات سابقة سمّي بالمنزل جنوب باب لمباز³.



مخطّط رقم 36: منزل رأس ميدوزا "جنوب باب لمباز"⁴



صورة رقم 100: منظر عام لحمامات منزل رأس ميدوزا (تصوير الطالب)

¹ BALLU (A.), *Fouilles archéologiques d'Algérie en 1905*, in B.C.T.H 1906, p 201.

² Ibid, p204.

³ THEBERT (Y.), Op Cit, p249 / GERMAIN (S.), *Les mosaïques de Timgad*, Op Cit, p88.

⁴ Idem.

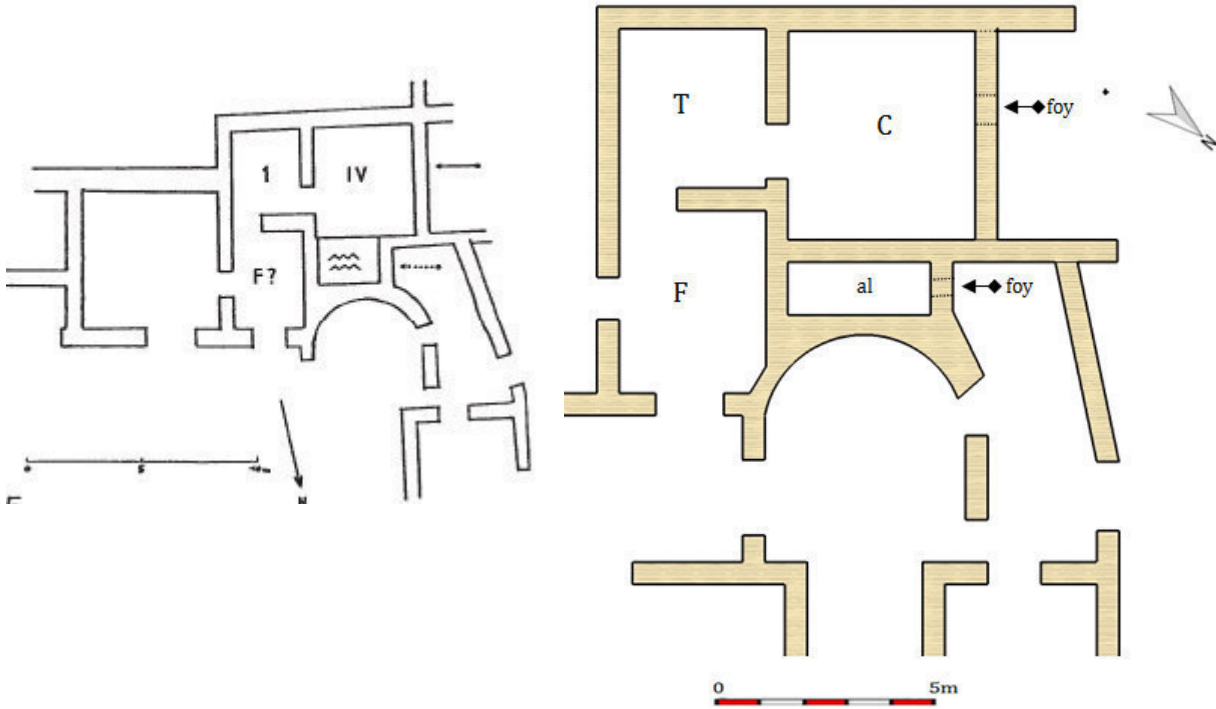
1-15-2 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

أثناء التنقيبات الأولى لـ"بالو"¹ سنة 1905، عثر في الجهة الجنوبية الشرقية للمنزل على قناة تموين الحوض المهيأ في الفناء الجنوبي، مقاساته (4.45×8.60)م، وحين تتبّع مسارها الجنوبي، تشترك مع قنوات الحمامات الشمالية الغربية في المصدر، وحمامات المنزل هي الأخرى مياهها تأتيتها من الجهة الجنوبية، وعند ذكر البئر الموجود في الجهة الشمالية الغربية للفناء المذكور، وكذا القناة المسؤولة عن تموينه، والتي تخترق الفناء سابق الذكر من الشمال إلى الجنوب، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ كمية المياه التي كانت تصل المنزل كبيرة، للحمامات نصيب منها.

أمّا عن تصريف مياهها فالجهة الأنسب لذلك هي الشمالية الغربية في اتجاه الديكي مانوس الكبير شمالاً.

1-15-3 أقسام حمامات منزل رأس ميدوزا

من خلال آثار الموقدين في جهتها الغربية يتّضح القسم الساخن المشكّل من قاعتين وحوض على الأقل، أمّا البارد فهو غير واضح المعالم.



مخطط رقم 38: مخطط "تيبار" للحمامات²

2

مخطط رقم 37: حمامات منزل رأس ميدوزا

(انجاز الطالب)

¹ BALLU (A.), *Rapport 1905*, in B.C.T.H 1906, p 204.

² THEBERT (Y.), *Op Cit*, pl CXII N°5, p 662.

1-3-15-1 القسم الساخن للحمامات

يضمّ قاعتان¹، الأولى ساخنة مزوّدة بحوض مستطيل، والثانية دافئة في جهته الشرّقية، أمّا الساخنة فمقاساتها (4.20×4.70)م، يتمّ تسخينها مباشرة من الموقد المهيأ في جهتها الغربية، عرضه 0.30م، بقيت آثاره في جدارها الغربي، والحوض في ركنها الشمالي الشرقي مقاساته (1.20×3.21)م، يستمد حرارته مباشرة من الموقد الثاني المهيأ في جداره الغربي.

القاعة الدافئة في الجهة الشرّقية مرتبطة بالساخنة بمدخل عرضه 1.23م، أمّا مقاساتها (3.30×3.38)م، تستمد حرارتها بطريقة غير مباشرة من القاعة الساخنة عبر الأرضية المحمولة فوق أعمدة من الآجر، يمكن مشاهدتها عند المدخل سابق الذكر، كما تفتح على القاعة الباردة بمدخل عرضه 1.30م. بنيت جدران القسم الساخن بالتقنية الإفريقية عدا الجدار الشمالي للحوض بني بالتقنية المختلطة (حجارة صغيرة وآجر).



صورة رقم 102: القاعة الدافئة (تصوير الطّالب)



صورة رقم 101: القاعة الساخنة (تصوير الطّالب)

1-3-15-2 القسم البارد للحمامات

في ظل نقص المعطيات حول هذه الحمامات لا يمكن معرفة القسم البارد وحدوده، فالأقرب أن تكون القاعة شمال الدافئة هي الباردة، على الرّغم من وجود احتمال أن تكون تلك المرتبطة بها ناحية الشرق بمدخل عرضه 0.95م أيضا تابعة لهذا القسم²، لكن يبقى الاحتمال ضعيف.

¹ كريستوفل يشير إلى وجود أربعة قاعات ساخنة، ولكن المعاينة الميدانية لا تظهر امتداد الهيبيوكوست خارج القاعتين المذكورتين.

² THEBERT (Y.), Op Cit , pp 249-250.

وبالعودة إلى القاعة الباردة المحتملة بمقاساتها (3.17×4.30)م، مفتوحة على ثلاث جهات بمداخل، الأول في جدارها الجنوبي عرضه 1.30م، والثاني في جدارها الشرقي عرضه 0.95م، والثالث في جدارها الشمالي عرضه 1.53م، أما بخصوص الحوض البارد فلا يوجد ما يثبت أنه وجد أصلا بهذه الحمامات، مما يجعلنا نستنتج أن الحمامات اكتفت بالقسم الساخن دون البارد مثل ما وجدت في حمامات أخرى بذات المدينة على غرار حمامات منزل الوحدة 69 و حمامات منزل هيرمافروديت، ومنزل انتصار فينوس. بنيت جدرانها هي الأخرى بالتقنية الإفريقية.

صورة رقم 103: القاعة الباردة
(تصوير الطالب)



15-4-1 فسيفساء منزل رأس ميدوزا

لا توجد أيّ إشارة إلى اكتشاف فسيفساء خاصة بالحمامات، لكن الأقرب من محيطها فسيفساء رأس ميدوزا المكتشفة سنة 1927¹، وهي تبليط مقاساته (3.60×3.85)م، تنتهي في طرفها الجنوبي بنصف دائرة، الحاشية مشكّلة من خطوط مستنّة، في حين الحقل مشكّل من تناظر أنصاف حراشف سوداء مع أخرى بيضاء (demi écaille) وفي وسطه رصيعة (ميدالية) يتوسطها رأس ميدوزا، منجزة بإتقان وبمكعبات لا يتعدى حجمها 0.005م لتبرز ملامح الوجه بدقة. ولا توجد إثباتات أنّ الجزء المتعلّق برأس ميدوزا أنجز في مدينة ثاموقادي، فالرّصيعة التي أنجز عليها صغيرة بالإمكان جلبها من مكان آخر، خاصة إذا ارتبطت مع مكانة صاحب المنزل (رجل أعمال)²

¹ Chronique « l'archéologie algérienne en 1927 », in R.af, 1928 , p 155.

² GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad, Op Cit, p 90.



صورة رقم 104: فسيفساء رأس ميدوزا¹ معروضة بمتحف تيمقاد
(تصوير الطالب)

¹ GERMAIN (S.), Les mosaïques de Timgad, Op Cit, pl.XXXIX.

2- الحمامات الخاصة بمدينة كويكول

2-1 لمحة وجيزة حول الموقع

جميلة الاسم الحالي لمدينة كويكول، المستعمرة الرّومانية لقدماء المحاربين تقريبا معاصرة لمدينة ثاموقادي، تاريخ إنشائها يرجع إلى فترة حكم الإمبراطور نيرفا 96-98 م، بنيت فوق هضبة يبلغ ارتفاعها 850 م فوق سطح البحر، وتحتل قسما في أقصى غرب مقاطعة نوميديا، يحيط بالمدينة وادين هامين هما وادي قرقور ووادي بيطام، عرفت المدينة خلال القرن الثالث ميلادي كثافة سكانية بلغت حدود 12 ألف نسمة، لكن هذا العدد بدأ يتضاءل شيئا فشيئا، ومع الزلزال الذي هزّ المدينة في 21 جويلية 365 قلّ العدد، وعلى حد تعبير "ألبرتيني" Albertini في النصف الثاني من القرن الرابع كان الحي المحيط بمعبد العائلة السيفيرية مكتظا بآثار المباني المهتمة¹، وبدأ التّخلي عنها بعد القرن الخامس ميلادي.

ولدراسة منشآت المدينة وتاريخها فإنها تقسّم إلى مستويين، المدينة القديمة أو النواة الأولى، وتحتل مساحة قدرها 8000 م² في القسم الشّمالي، وفيها عديد المباني العمومية إلى جانب المنشآت المدنية ومنها منزل أمفتريت، أوروبا ومنزل الحمار وكاستوريوس...الخ.

المستوى الثاني يحتل القسم الجنوبي للمدينة، يضمّ هو الآخر عدد معتبر من المباني ذات الأهمية على غرار الساحة السيفيرية، قوس كراكلا، الحمامات الكبرى الجنوبية...الخ، ومن المنازل الفاخرة منزل هيلاس ومنزل باخوس.

¹ ALBERTINI (E.), Une nouvelle basilique civile à Cuicul (Djemila). In C.R.A.I, 87^e année, n° 3, 1943. p386.

صورة رقم 105.: توزيع الحمامات الخاصة بمدينة كويكول (صورة ساتليّة عن

google earth بتصرف الطالب)



- | | | | |
|---|-----------------------|---|-------------------|
| 1 | حمامات منزل كاستوريوس | 4 | حمامات منزل الجص |
| 2 | حمامات منزل الحمار | 5 | حمامات منزل باخوس |
| 3 | حمامات منزل أوروبا | | |

2-2 مصادر المياه الموجهة للحمامات الخاصة بمدينة كويكول

تشير الدلائل الأثرية إلى مصادر المياه من خلال بقايا قناة نقلها إلى مدينة كويكول، وكذا الحقائق الجغرافية، إذ وجد نص يشير إلى ترميمها في عهد ديوكليسيان ، جاء فيه:

[Cl]ementissimis temporibus dddd(ominorum) nnnn(ostrorum) Diocletiani et Maximiani Augg(ustorum) et | [Co]nstanti [[et Ma[x]i[mia]ni]] nobb(ilissimorum) Caess(arum) Valerius Concordius v(ir) p(erfectissimus) p(raeses) p(rovinciae) N(umidia) aquam ex fontibus | [vetus]tate conlabsis(!) ad novam faciem restituit curante opus omne M(arco) Rutilio Felice Feli[c]i[ia]no eq(uite) R(omano) pontifice curatore rei p(ublicae)¹

"في الأوقات السعيدة لسادتنا الأربعة ديوكليتيانوس وماكسميانوس الأغسطسين وقسطنطينوس وماكسميانوس القيصرية النبلاء، قام حاكم مقاطعة نوميديا فاليريوس كونكورديوس المثالي، بتجديد قناة جلب المياه إلى النافورة، التي دمرت من طرف ماركوس روتيليوس فيليكس فليكيانوس، الفارس الروماني والراهب و مسؤول المداخل السنوية للمدينة".

ويعتبر وادي قرقور مصدر هام في الخريطة الهيدروغرافية القديمة، إذ من خلال الشّباب التي تصبّ فيه، تشكّل حاجزا مائيا في مكان مرتفع، سهل الاستغلال من طرف سكان المدينة ويبعد عنها مسافة تقارب 3 كلم، يذكر "قزال" أنّ القناة التي تضمن تزويد المدينة بالمياه كانت مدعّمة بالحجارة المصقولة، يصل طول الواحدة منها 0.75م، والتي تضمن لها حماية دائمة من انزلاق التربة، ويذكر أيضا أنّه بالقرب من منبع عين العناصر وجدت بقايا سد أنشئ أسفل الوادي، جزئه العلوي تهدّم، وقاعدته السفلى بقيت صامدة على مرّ السنين رغم الثّيار الدائم للمياه²، عند وصول القناة إلى المدينة تتفرّع منها قنوات ثانوية في اتجاهات عدّة، متّبعة انحدار مستويات الطّرق والمنشآت المختلفة، وإن كانت هذه الخاصية تسهّل وصول المياه بانسيابية، إلا أنّها قد تشكّل خطرا على تماسك قطع القناة، الأمر الذي استدعى تطوير نظام للحدّ من التّدقّ العالي، عن طريق أحواض أو آبار تتخفّض مستوياتها عن مستوى القناة، والدّور الرئيسي المنوط بها هو تنظيف المياه، إذ تترسّب الكتل والأتربة فاسحة المجال للمياه بالمرور في مستويات أعلى .

دون شك المياه المجلوبة بواسطة القنوات تصب في خزانات بنيت في فترات متعاقبة، ويعتبر ذلك الذي بني في عهد كومود معاصرا للحمامات الكبرى الجنوبية واحد من أهمها .

¹ LEPELLEY (C)., Les cités de l'Afrique Romaine au Bas-Empire. Tome II, Notices d'histoire municipale, études augustéennes, 1981, p. 404.

- RONIN(M.), Op.Cit, 547.

² GSELL (S.), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques....., Op.Cit, p 41.

ولتمويل المنازل ومن ثم أحواضها المختلفة وجدت ثلاث أنواع من القنوات الثانوية: الأولى مبنية بالحجارة الصغيرة وجدرانها ملبّسة بالملاط الجيري، عرضها 0.27م وارتفاعها 0.30م في معظمه، أمّا النوع الثاني فهو من الرصاص، على غرار ذلك المكتشف بمنزل الجص، قطره يصل إلى 0.15م، في حين النوع الثالث مبنى بالآجر، مثل ما وجد في المنزل المحاذي للحمامات الكبرى من جهة الشمال.

2-3 حمامات منزل أوروبا

2-3-1 الموقع وأصل التسمية

يقع منزل أوروبا شمال مدينة كويكول في النواة الأولى، على مقربة من سوق كوزينوس، وبالتالي لا يبعد على الفوروم وعناصره، أمّا الحمامات فهي تحتل موقعا في الجهة الشرقية للمبنى، يحدها من الشمال هياآت سكنية، ومن الغرب الكاردو الكبير ومن الجهة الشرقية شارع ثانوي يفصلها عن حمامات الكابتول، ومن الجنوب هيئة سكنية. وهي مكونة من حمامات جنوبية والتي تعتبر الكبرى بالمنزل، وحمامات صغرى في الجهة الشمالية الغربية للأولى، هذه الأخيرة مساحتها صغيرة، مكونة من تجمع أحواض ساخنة وباردة في حيز ضيق نوعا ما .

2-3-1-1 مداخل حمامات منزل أوروبا

يتميز منزل أوروبا بتعدد الغرف والأروقة، وهذا التعدد شمل المداخل، إذ يحتوي على : أربعة مداخل على الجهة الغربية مفتوحة على الكاردو الكبير (شمال /جنوب)، منها مدخل رئيسي عرضه 3,20 م، يؤدي إلى فناء مقاساته (8,00 × 7,40)م، وثلاث مداخل ثانوية . على الجهة الشرقية هيئ مداخلان يخصصان حمامات المنزل. وفي الجهة الشمالية الشرقية مدخل آخر ثانوي .

أمّا فيما تعلق بالحمامات، فيتم الوصول إليها من أربعة جهات، ثلاث خارجية والجهة الرابعة من داخل المنزل، وهنا نطرح سؤالا حول سبب هذا التعدد في المداخل؟

فلا توجد دلائل جازمة حول وظيفة كل هذه المداخل التي لم تكن في جهة واحدة؛ وفي الجهة الغربية المدخل الجنوبي يقود إلى القسم البارد، و في الركن الجنوبي الشرقي مدخل إلى بهو الدخول ومن ثم إلى القاعة الباردة، في حين الشمالي الشرقي يؤدي إلى القسم الساخن للحمامات ومن ثم إلى الحمامات الصغرى، كل هذه المداخل مفتوحة على شوارع المدينة، ويمكن القول أنّ ما اتصل بالقسم الساخن هو لتسهيل عملية تزويد الحمامات بالمستلزمات الضرورية للمواقف مثل الحطب، كذلك لتسهيل عملية التنظيف وإزالة بقايا الحرق(الرماد). والمدخل الرابع للحمامات موجود في الجهة الشمالية لها، يؤدي هو الآخر إلى

[illegible]

2-1-3-2 أصل تسمية الحمامات

2-3-2 تأريخ الحمامات

183

ومن جهة أخرى هل حمّامات منزل أوروبا معاصرة لحمّامات الكابتول الموجودة في الجنوب الشرقي لها، أو على الأقل بنيت في فترة متقاربة؟ وإن كان الاختلاف حول تأريخ حمّامات الكابتول والتي يرتبط معيار الإسناد فيها على علاقتها بالكابتول والفوروم ككل، حيث تشير الدلائل إلى أنّها بنيت بعد الحمّامات، فمن وجهة نظر "فيفري" Février يؤرخ الكابتول بالنّصف الأول من القرن الثّاني وتذهب "إيفون آلي" إلى اعتبار نفس الفترة. لكن هل بنيت الحمّامات بمنزل أوروبا في نفس الفترة أم أنّها بعد ذلك، في حين تذهب "بلنشار لومي" إلى اعتبارها بنيت مع بداية القرن الرّابع ميلادي¹، من جهتها تركز "إيفون آلي" على التّغير الذي حدث للمنزل من خلال توسعته، وهو مرتبط باستحداث الحمّامات، وتضعها في قالب زمني من نهاية القرن الثّاني إلى بداية الثّالث ميلادي². مرتكز آخر يتعلّق بالفسيفساء التي اكتشفت بالمنزل، والتي ترتبط بموضوع اختطاف الأميرة أوروبا، الذي شاع منذ القرن الثّاني ميلادي سواء في التّبليطات الفسيفسائية أو الرسومات الجدارية في كثير من المنازل الرّومانية.

النقطة الثّانية المثارة حول حمّامات منزل أوروبا، يفرضها الفصل أو الوصل بين الحمّامين، وغرض إنشائهما، وإن كان "تيبّار" يذهب إلى القول أنّ الحمّامات الصّغرى الشّمالية ربما خصّصت للنساء³؛ ومن وجهة نظر عملية يستبعد هذا الطرح، كون الأصل في الحمّامات المنزلية هو تحقيق الخصوصية، ومن جهة أخرى مكان وجود أحواضها على مقربة من رواق الخدمات يستبعد بسبب ما يحدثه من اختلاط بين النّسوة والخدم، والرّاجح أنّ هذه الحمّامات بنيت للخدم للتّخفيف من العناء الذي يلحقهم جراء خدمة المنزل وصاحبه وأصحابهم إن عرضوا للاستحمام داخله. من جهة أخرى، كما ذكرنا سابقا أنّ المنزل قد تعرّض للتّغيير، هذا الأخير مَسّ المداخل التي تربط بين القاعات، والإضافات التي مسّت أجزاء منه، ولا يستبعد أن تكون الحمّامات الصّغرى لاحقة للكبرى في الجنوب، وهو محاولة من أصحاب المنزل خلق أحواض في حيز ضيق يجمع بين السّاخن والبارد، وهنا لم يراع التّوزيع الفضائي ولم تراعى النسب المنتجة من الحرارة .

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques Op.Cit, p151.

² ALLAIS (Y.), La maison d'Europe....Op.Cit, p41.

³ THEBERT (Y.), Op.Cit, p 202.



صورة رقم 106 : منظر عام
لحمامات منزل أورويا
(تصوير الطالب)

2-3-3 حركة المياه داخل المنزل ووصولها إلى الحمامات

لا شك أنّ منزل أورويا كان يستهلك كمية كبيرة من المياه، ليست موجهة كلها للحمامات، على الرغم من أنها كانت تستهلك كمية معتبرة بدليل الخزّانين الذين وجدا شمال غرب القاعة الباردة، وإنّما وجهت إلى كامل المبنى حيث تدلّ آثار بعض أقسامه على غرار أحواض الفناء الثالث، والتي تشكّل في مجملها مساحة تقارب 60 م²، بالإضافة إلى النافورة المقابلة للمدخل الرئيسي، وكلّها تعتمد على ديمومة التّزود بالمياه. أمّا عن مصدرها فهناك طريقتين اعتمدتا دون شك، الأولى مرتبطة بفصل التّساقط وما توفره مياه الأمطار والتّلوّج، والتي يتم تخزينها في الخزّانات المهيّأة بالمنزل وإن كان هذا إجراء احترازي.

أمّا الثّانية فتتمّ انطلاقاً من قنوات التّوزيع بالمدينة، خاصّة تلك الموجودة في الجهة الجنوبية الشرّقية، حيث توجد حمامات الكابتول، وحيث توجد الخزّانات التي تضمن وصول المياه إلى عديد المنشآت، ليس هذا فحسب، فالجهة الغربية هي الأخرى بإمكانها توفير المياه عن طريق القناة التي تسير مع الشّارع الكبير، هذا التّنوّع في مصادر المياه لمنزل أورويا جعله من بين المنازل التي تحتوي عديد العناصر المرتبطة مباشرة بالماء، على غرار الخزّانات، النافورة، أحواض الفناء، أحواض الحمامات، التي تضمن دوام اشتغالها لوقت طويل دون انقطاع.

2-3-4 تصريف المياه من منزل أوروبا

ينحصر منزل أوروبا بين شارعين كبيرين، الأول في الجهة الغربية (الكاردو الكبير) وهو في نفس مستوى المنزل تقريبا، أما الشارع الثاني في الجهة الشرقية فمستواه يرتفع عن أرضية المنزل ومن ثم الحمامات بما يزيد عن المتر، ومن خلال تتبع أحواض الحمامات سواء الكبرى أو الصغرى، فهي الأخرى تنخفض عن الشارع السابق بما يقارب 1.5م إلى 2م، هذه المعطيات دون شك لا تسمح بتهيئة قنوات الصرف إلى هذه الجهة، ويبقى الاتجاه الأنسب لخلق مستوى يسمح بتصريف المياه بانسيابية أكبر هو الجهة الغربية حيث توجد قنوات الصرف الرئيسية تحت الكاردو الكبير.

وإذا ما تتبعنا قنوات صرف مياه الحمامات داخل المنزل فهي تلتقي أسفل فناءه، سواء مياه الحوض البارد الكبير أو مياه القسم الساخن أو أحواض الحمامات الصغرى، ووجد في الجدار الغربي للحوض البارد الكبير وكذا الجهة الغربية للحوض الصغير أو الخزان الصغير ثقب تصريف المياه، في حين باقي الأحواض لا يمكن التأكد من فتحات التصريف الخاصة بها بسبب الردم الذي يغطي مستويات منها، لكن هذا لا يستبعد وجودها في نفس اتجاه السابق.



صورة رقم 107: ثقب
تصريف المياه في
الاتجاه الغربي
للحمامات
(تصوير الطالب)

2-3-5 أقسام حمامات منزل أوروبا

قبل البدء في الدراسة الوصفية والتقنية للحمامات، وجب التفرقة هنا بين الحمامات الجنوبية والتي تذكر في النص بالحمامات الكبرى، وبين الحمامات الصغرى أو الحمامات الشّمالية الغربية.

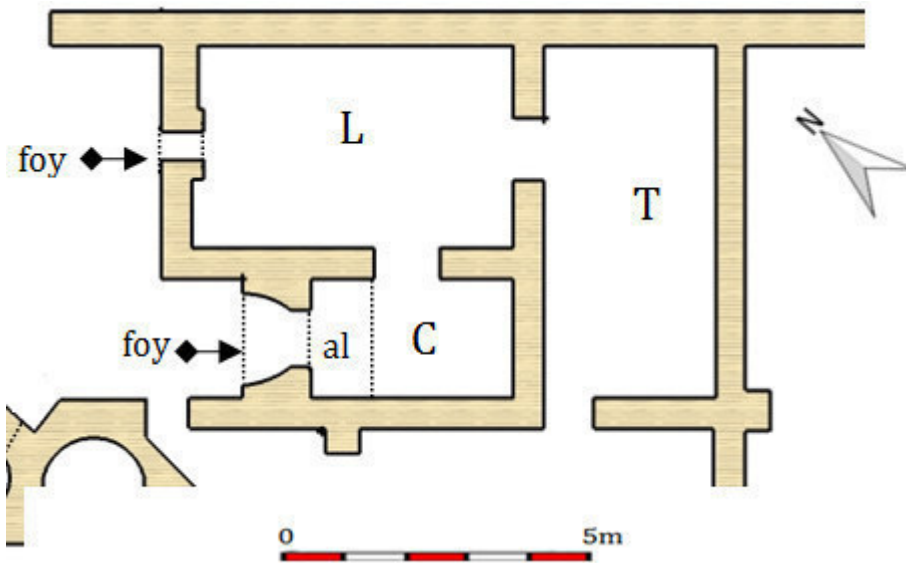
2-3-5-1 الحمامات الجنوبية بمنزل أوروبا

هي أكبر مساحة مقارنة مع الشمالية الغربية، إذ تبلغ مساحتها الإجمالية ما يقارب 120م²، إذا تم احتساب القاعة المجاورة للباردة على أنها قاعة نزع الملابس، وتتشكل هذه الحمامات من قسمين بارد وساخن.

أ- القسم الساخن للحمامات

يتشكل القسم الساخن للحمامات الكبرى لمنزل أوروبا من ثلاث قاعات مختلفة المساحة وموقدين -القاعة الدافئة: تتوسط هذه القاعة بين الباردة في جهتها الغربية وقاعتي التّعريق والساخنة في الجهة الشمالية، شكلها مستطيل ومقاساتها (2.81×5.66)م، تصل إليها الحرارة من قاعة التّعريق بطريقة غير مباشرة، إذ لا يوجد حالياً ما يشير إلى وجود عناصر نظام التّسخين، فالمؤشر الوحيد لكونها دافئة هو الديناميكية الحرارية التي تبعثها قاعة التّعريق بموقدها الذي يقابل الباب الرّابط بينهما . بنيت جدرانها بالتّقنية المختلطة (حجارة صغيرة وآجر)، لكن ما يلاحظ عليها أنّها تعرّضت لإعادة البناء خاصّة الجدار الجنوبي لها.

-قاعة التّعريق: مقاساتها (3.23×5.14)م وهي قاعة مسخّنة من الأرضية عبر الموقد المهيأ في جدارها الشمالي، تفتح على القاعة الدافئة من الجنوب ومن الغرب على القاعة الساخنة، بنيت جدرانها بتقنيتين: التّقنية المختلطة في جدرانها الشرّقية والشمالية والغربية، والتّقنية القائمة على صفوف من الآجر، في جدارها الجنوبي .



مخطّط رقم 40: القسم
الساخن للحمامات
الجنوبية بمنزل أوروبا
(انجاز الطّالب)

أما الموقد فهو مبني بالآجر، يتم تزويده بالحطب عبر رواق الخدمات المهيأ عند المدخل الثانوي الشرقي، كما يتم تزويد موقد الحمامات الصغرى من نفس الجهة.



صورة رقم 109: موقد قاعة التّعريق
(تصوير الطّالب)



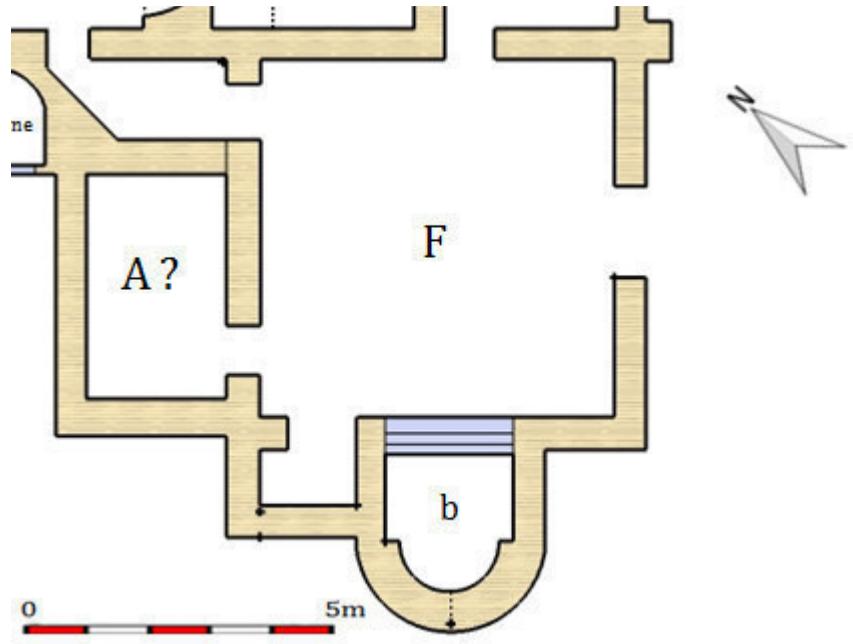
صورة رقم 108: قاعة التّعريق للحمامات الجنوبية
(تصوير الطّالب)

-**القاعة الساخنة:** مقاساتها (2×3.38)م، وهي صغيرة نسبياً مقارنة مع القاعتين السابقتين، يتم تسخينها بواسطة الموقد المهيأ في جدارها الشمالي، زوّدت هذه القاعة دون شك بحوض مسند على الجدار في نفس جهة الموقد، لكن لم يبق منه إلا القليل في ركنها الغربي. بنيت جدرانها هي الأخرى بتقنيتين: التقنية المختلطة والتقنية القائمة على صفوف من الآجر. حسب المخطط الذي وضعه "تيبار"، تفتح هذه القاعة على قاعة التّعريق في الجهة الشرقية والقاعة الدافئة من الجنوب.

ب- القسم البارد للحمامات

يتمّ الدخول إليه من جهتين، الشرقية عبر بهو الدّخول الذي يفتح على الشّارع الكبير الفاصل بينها وبين حمامات الكابتول، ومن الجهة الغربية عبر فناء هو الآخر مفتوح على الكاردو الكبير، كما يمكن أن نلج إليه من داخل المنزل شمال الحوض البارد، يتشكّل هذا القسم من القاعة الباردة، وهي مربعة الشكل، مساحتها 33.33م²، مزوّدة بحوض يأتيه الماء من الخزّان الموجود في جهته الغربية، وتفتح القاعة شرقاً على القسم الساخن للحمامات وجنوباً على قاعة كبيرة مرتبطة بالمدخل الشرقي لمنزل أوروبا والذي يفتح بدوره على الكاردو، وشمالاً على رواق ضيق يؤدي إلى مكان الموقد، كما تفتح على قاعة مجاورة في الشمال الغربي، يحتمل أن تكون قاعة نزع الملابس، لكن هذا الاحتمال تبقى حججه ضعيفة في ظل ما طرأ عليها من تغيير.

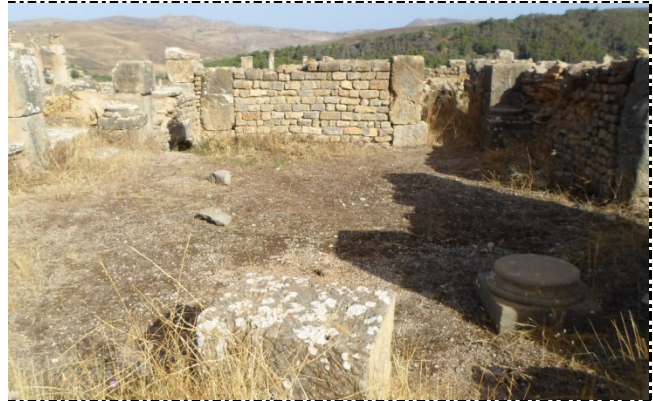
مخطّط رقم 41:
القسم البارد للحمّامات
الجنوبية بمنزل أوروبا (انجاز
الطّالب)



زيّنت الأركان الأربعة للقاعة الباردة بأعمدة ملاصقة للجدران بقيت قواعدها التي تشير إلى طرازها الكورنثي، ولعلّ الغرض من إقامتها ليس لتدعيم الجدران، لكن كدعامات لحمل سقف القاعة، فهي بارزة بشكل يوحي بأنّ العقد المستعمل لتغطيتها هو عقد ذو زوايا بارزة.



صورة رقم 111: الحوض البارد
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 110: القاعة الباردة (تصوير الطّالب)

بنيت جدران هذه القاعة بتقنيتين اثنتين:

- التقنية المختلطة (حجارة صغيرة وأجر ودعّمت المداخل بالحجارة الكبيرة) في الجدار الشرقي.

- تقنية البناء بالحجارة الصغيرة منتظمة الزوايا في الجدار الشمالي.

بالعودة إلى الحوض الآخر مربّع الشّكل ينتهي في جهته الغربية بحنية نصف دائرية، نصف قطرها 0.80م، وهي عادة هندسية وجدت في عدد لا بأس من أحواض الحمّامات، على الرّغم من أنّ العدد

الأكبر من الأحواض يأخذ شكلا رباعي (إمّا مستطيل أو مربع)¹؛ ويتمّ النزول إليه عبر سلّم مكوّن 3درجات، ليصل عمقه إلى 1.17 م، في حين الارتفاع الكلي للحوض يصل إلى 2م حسب ما تبقى منه، ويرتفع مدخله عن مستوى القاعة الباردة بـ 0.50م. بنيت جدرانه بالتقنية المختلطة، ولبّست بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر سمكه 0.04م.



صورة رقم 113: تلبّيس الحوض البارد (تصوير الطالب)



صورة رقم 112: تقنية بناء الحوض البارد (تصوير الطالب)

ج - المسار الحموي بالحمّامات الجنوبية لمنزل أوروبا

من خلال التّعرف على تموضع القاعات المشكّلة للحمّامات سواء الباردة أو الساخنة، يمكن استنتاج المسار المتّبع من طرف المستحمين وفق ما يلي:

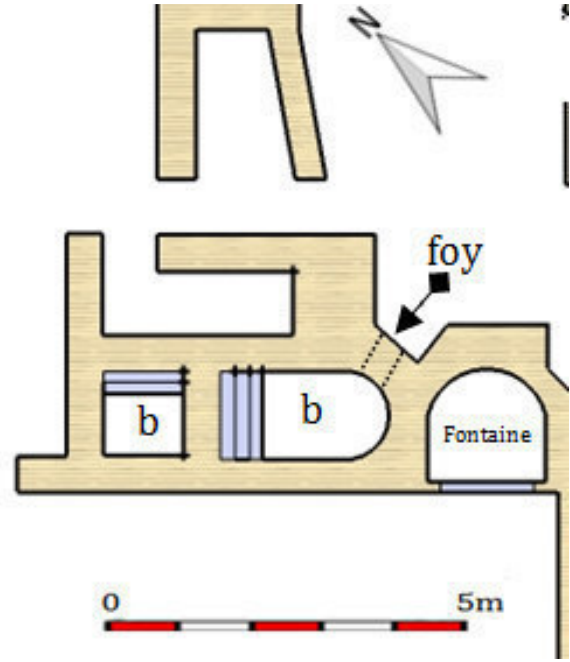
القاعة الباردة ثم الدّافئة فقاعة التّعريق إلى القاعة الساخنة بحوضها؛ ومسار العودة تراجعى، فهو بهذه الخاصيّة مسار شبه دائري تراجعى عكسي .

2-3-5 الحمّامات الصغرى

لا تشكّل هذه الأخيرة تعقيدا كبيرا، إذ تتكوّن من حوضين اثنين، إحداها بارد والآخر ساخن، يتمّ الدّخول إلى هذه الحمّامات من جهتها الشماليّة.

أمّا الحوض البارد، فهو مربّع الشكل، مساحته لا تتعدى 1.5م²، في حين الحوض الساخن مستطيل، مقاساته (1.65×1.22)م، ينتهي بحنية في جهته الجنوبيّة، نصف قطرها 0.70م، يتجاوز كلا الحوضين ويرتبطان مع بعضهما بمدخل لا يتعدى عرضه 0.90م.

¹ BOUET (A.), Thermes Privés et PublicsOp.Cit, p 29.



صورة رقم 114 : موقد الحوض الساخن للحمامات
الصغرى بمنزل أوروبا (تصوير الطالب)

مخطط رقم 42: الحمامات الصغرى بمنزل
أوروبا (انجاز الطالب)



صورة رقم 116 : الحوض الساخن للحمامات
الصغرى (تصوير الطالب)



صورة رقم 115: الحوض البارد للحمامات الصغرى
(تصوير الطالب)

2-4 حمامات منزل الحمار

2-4-1 المجال العمراني لحمامات منزل الحمار

يشكّل منزل الحمار مع منزل كاستوريوس وحدتين سكنيتين واسعتين، وهو ينحصر بين شارعين كبيرين، من الغرب الشارع الرئيسي شمال/جنوب، ومن الشرق الكاردو الكبير، أمّا من الجهة الشمالية معبد genitrix والذي يتخلّل المنزل فاصلا بين الحمامات وقاعة الجلوس.

و الحمامات هي جزء من منزل الحمار في جهته الشمالية الغربية، شمال الدهليز وغرب القاعة المركزية للمعبد سالف الذكر، تبلغ مساحتها 85 م²، مشكّلة نسبة قدرها 10,62% من المساحة الإجمالية للمنزل، هذه الأخيرة تبلغ دون احتساب الأروقة الخارجية 800 م².

تتكوّن من عدّة قاعات أهمّها الباردة والتي تمتد على خط طولي من الشرق إلى الغرب مساحتها دون احتساب الحوضين 40 م²، زينت أرضيتها بفسيفساء تحمل الكتابة *asinus nica* والتي تعني الحمار المنتصر، بالإضافة إلى 73 ميدالية تحمل صورا آدمية وحيوانية وأخرى ميثولوجية.

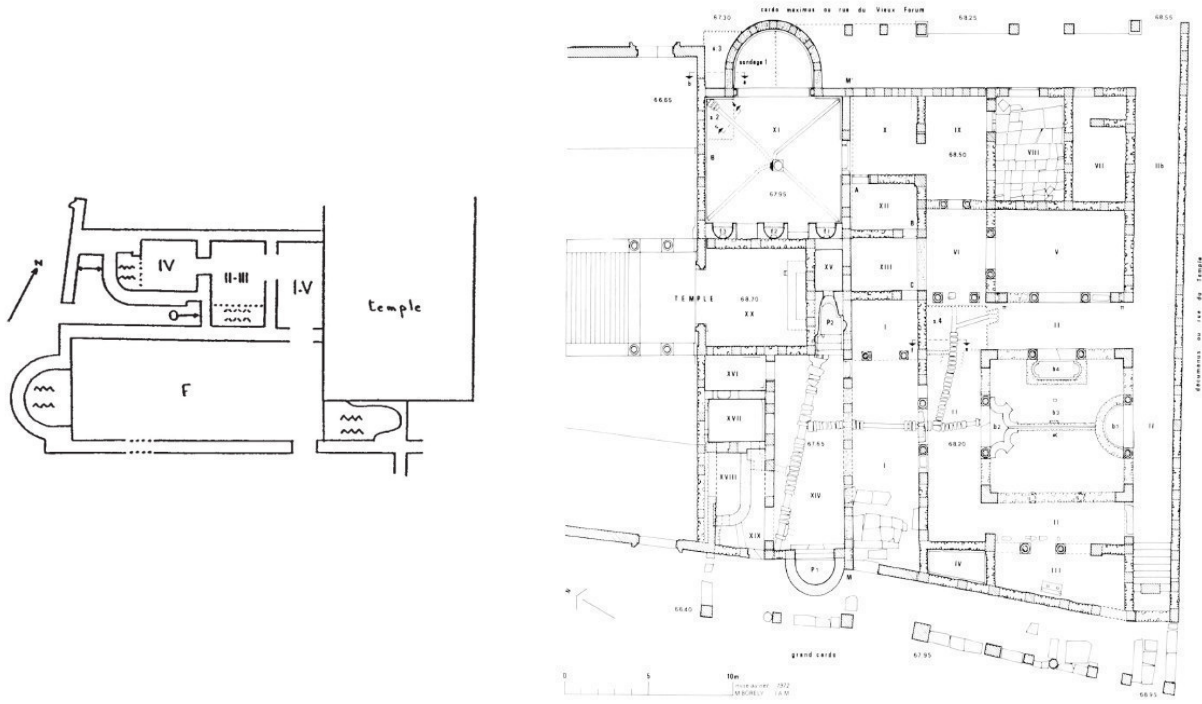
ويمكن الدّخول إليها عبر ثلاث مداخل، اثنان منها من داخل المنزل في الجهة الجنوبية للحمامات، تؤدّي إلى القاعة الباردة عرضهما على التوالي 1,30م و1,08م، في حين المدخل الثالث مفتوح على الشارع الرئيسي شمال /جنوب عرضه 1م، هذا الأخير يعتبر مدخل الخدمات، حيث يؤدي مباشرة إلى موقدي تسخين القسم الساخن. الملاحظ من خلال المخطّط الذي وضع للمنزل أنّ هناك باب رابط بين القاعة الباردة في ركنها الشمالي الغربي وبين قاعة الخدمات في القسم الساخن، لكن المعاينة الحالية لا تسمح بمعرفة حقيقة هل هيئ مدخل في المكان المذكور أم لا؟.

2-4-2 الإطار التاريخي لحمامات منزل الحمار

من الواضح أنّ أصحاب المنزل عند إضافتهم أجزاء له لم يلحقوا ضررا بالمعبد، إذ كانت القوانين تضمن حماية المباني الدينية، هذا عند انجاز المخطّط الأول الذي يتوقّف شمالا عند الجدار الجنوبي للحمامات، بشيء من التحليل والذي يشير إلى أنّ المنزل بني في فترة المسيحية الأولى بالمدينة، وفي الوقت الذي كان يسجل تعايشا دينيا بين المسيحية والوثنية وبالتالي حرية العبادة مضمونة من طرف مسؤولي المدينة، بدورها دور العبادة لها أولوية عن المنشآت الخاصة المختلفة، لكن هذه الخاصية لم تستمر حيث سجّل القرن الرابع ظهور مباني مكان بعض المعابد بالمدينة مثلا بين 363-367م بنيت البازيليكا المدنية مكان معبد *frugifer* كذلك الأمر بمعبد *tellus* والكابيتول¹

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïquesOp.Cit, p46.

أيضا من خلال تقنية بناء الحمامات توحى أنّ هذه الأخيرة مع قاعة الاستقبال في الجهة الشماليّة الشرقيّة للمنزل بنيا في نفس الفترة وبعد بناء باقي أجزاء المنزل، من هنا نكون أمام مرحلتين في البناء. على العموم حتى وإن كان أصحاب المنزل ذو نفوذ لإلحاق الحمامات وقاعة الاستقبال، التي احتلت دون شك جزء من المعبد، إلا أنّ قاعة الصلاة بالمعبد لم تمس وبقيت محافظة على بنيتها، كما أنّ جزء من تبليطه يمتد إلى أرضية الحمامات¹.



مخطط رقم 44: حمامات منزل

مخطط رقم 43: منزل الحمار بمدينة كويكول²

الحمار "مخطط تيباز"³

2-4-3 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

من الملاحظ عمليا أنّ منزل الحمار كان يستهلك كمية كبيرة من المياه، ليس فقط على مستوى الحمامات، لكن في الأحواض الموجودة في فناء المنزل وقاعة والاستقبال، مجموعها ستة أحواض، تبقى طريقة تزويدها بالمياه غير محدّدة بوجه الدقّة، فالجهة الغربية للحمامات غير بعيدة عن القناة الموجودة على طول الشارع الكبير شمال/جنوب، في حين الجهة الشرقيّة حيث توجد أحواض قاعة الاستقبال غير واضحة ما إذا كانت تزوّد بالقناة سالفة الذكر أم لا، فقط يمكن الإشارة إلى الخزان الذي يتوسّط الأحواض سابقة الذكر والحوض البارد الشرقي للحمامات، ممّا يجعله يوفّر الماء لكليهما.

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïquesOp.Cit, p 47.

² Ibid, p24, fig4.

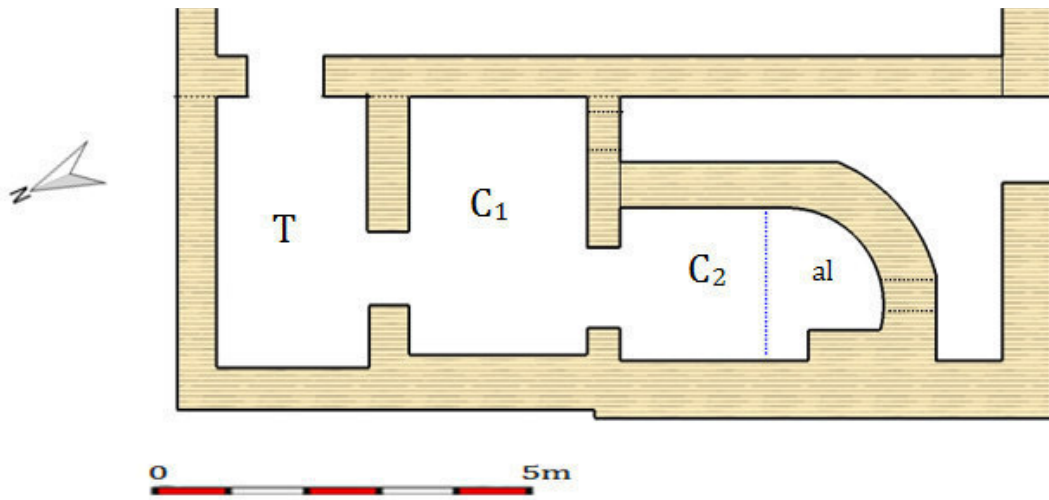
³ THEBERT (Y.), Op Cit, pl. LXXIX,n°4.

أما عن تصريف المياه، فتشترك مع أحواض الفناء في نظام الصّرف، حيث توجد قناة تمرّ تحت أرضية القاعة الباردة، لتلتقي مع المياه المصرفة من الحوض البارد الشرقي عند مجمّع بعمق 0.80م، ليتمّ بعد ذلك تصريف المياه إلى القناة الرئيسيّة الموجودة تحت أرضية الكاردو الكبير ناحية الغرب.

2-4-4 أقسام حمامات منزل الحمار

2-4-4-1 القسم الساخن للحمامات

يتشكّل القسم الساخن من ثلاث قاعات تقريباً متساوية المساحة، يمكن الدخول إليه عبر مدخلين الأول في الجهة الغربية يفتح على الشارع الكبير (شمال/جنوب)، وهو مدخل خاص بالخدمات يؤدي إلى الموقدين، المدخل الثاني يربطه بالقاعة الباردة في ركنها الشمالي الشرقي،



مخطّط رقم 45: القسم الساخن لحمامات منزل الحمار (انجاز الطّالب)

أما عن دور كل قاعة، فالأولى موجودة في الشمال الشرقي، يتدخّل الشّكّ في اعتبارها تابعة للقسم الساخن أم هي امتداد للبارد، فمن جهة يمكن أن تكون باردة، خاصّة بالنّظر إلى جانبي المدخل المزوّدين بنظام للغلق، وهي إشارة إلى عزلها عن القاعة الساخنة التي تجاورها من الغرب، وهذا الرّأي ذهب إليه "بلنشار لومي"¹ ويرتكز رأيها على ما يلي:

لا توجد أي دلائل تحت أرضية القاعة توحي بأنّها ساخنة، كما لا يوجد ربط بينها وبين القاعتين المجاورتين لها ناحية الغرب، بالإضافة إلى الفسيفساء التي وجدت بالقاعة والمتموضعة فوق طبقة من الحجارة لا يمكنها أن تتوافق مع نظام الهيوكوست، لكن هذا الرّأي لا يعزّز الحكم المطلق باعتبارها باردة، أو حتى قاعة مخصّصة لنزل الملابس².

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, pp 200-201.

² Ibid, p 201.

في حين احتمال كونها دافئة أقرب إلى الصّواب، حرارتها تأتيها من القاعة المجاورة لها لكن بنسبة قليلة، على الرغم من أنّ "بالو" يذهب إلى القول أنّها كانت مزوّدة بنظام التّسخين يمتد إلى المعبد المجاور لها من الشّرق، ويضيف في تقرير حفرياته سنة 1909 إلى أنّ هذه القاعة قد تكون دافئة حرارتها تأتي من تلك المجاورة لها مباشرة. أما عن مقاساتها فهي (2×3.54)م وجدرانها مبنية بالتّقنية الإفريقية ولبست بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، بقيت آثاره في الجدار الشّرقى وفي الزّاوية الجنوبية الغربية، وتذكر "بلنشار لومي" أنّ التّليبس أنجز بعد انجاز فسيفساء الأرضية¹.

أ- القاعة الساخنة الوسطى

هي قاعة يتمّ تسخينها مباشرة بواسطة الموقد في ركنها الجنوبي الغربي، دون شك أرضيتها كانت محمولة فوق أعمدة من الآجر، لكن لم يبق من آثارها شيء.

مقاسات هذه القاعة (2.33×3.54)م، بنيت جدرانها هي الأخرى بالتّقنية الإفريقية وفي الجدار الغربي بالتّقنية المختلطة حيث يتدخل الآجر الذي بني به الموقد، هذا الأخير كما ذكرنا هيّئ في الرّكن الجنوبي الغربي، عرضه 0.60م وارتفاعه الحالي 0.80م، بهذه المقاسات يوفّر حرارة عالية للقاعة، التي من شأنها أن تلعب دور قاعة التّعريق، أو ربما قاعة ساخنة زوّدت بحوض مسند على الجدار الجنوبي لها، يتمّ تسخينه بطريقة مباشرة من الموقد. لبست جدرانها بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، الذي بقيت آثاره حتى ارتفاع 1.80م.



صورة رقم 118: موقد القاعة



صورة رقم 117 : القاعة الساخنة الوسطى (تصوير الطّالب)

الساخنة الوسطى (تصوير الطّالب)

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, p 31.

ب- القاعة الساخنة الغربية

مساحتها دون احتساب الرّواق الذي يضم الموقدين، لا تتعدى 6م²، زوّدت بحوض في جهتها الغربية، يتم تسخينه مباشرة بواسطة الموقد الذي يتموضع في الجدار الغربي لها، هذا الأخير عرضه 0.40م، ما يظهر من ارتفاعه سوى 0.32م، وهو صغير نسبيا مقارنة بالسّابق، لكنه يوفّر حرارة مناسبة للحوض الصغير، ترتبط هذه القاعة مع الوسطى بواسطة مدخل عرضه 1.05م، أمّا شكلها فهو مستطيل مع بعض الانحناء في الرّكن الجنوبي الغربي، أين هيّئ حوض صغير طوله 1.47م وعرضه 0.94م. بنيت جدرانها بالتّقنية الإفريقية، في حين الجدار الجنوبي لا يبرز حقيقة نوع التّقنية المتبعة، إذ هو إعادة بناء حديثة.



صورة رقم 120: موقد القاعة الساخنة

(تصوير الطّالب)

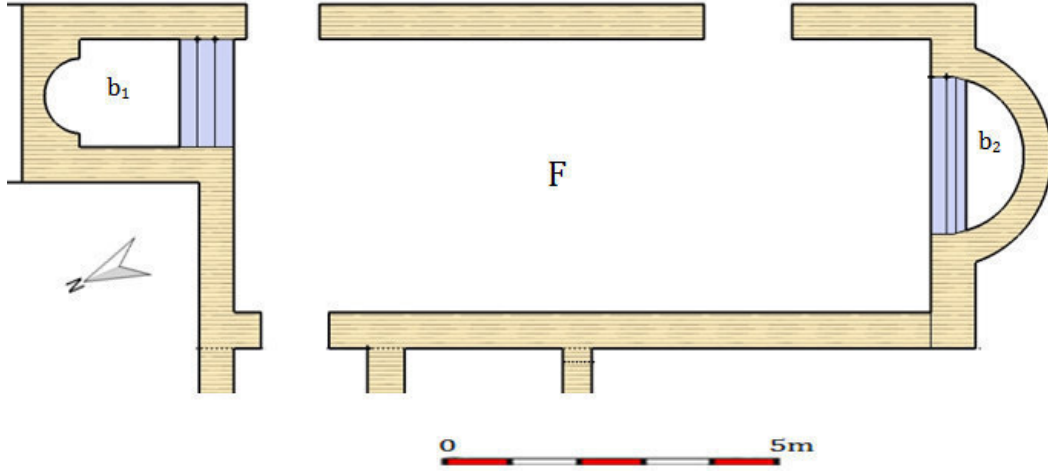


صورة رقم 119: القاعة الساخنة

(تصوير الطّالب)

2-4-4-2 القسم البارد للحمامات

يضمّ القسم البارد لحمامات منزل الحمار قاعة باردة مستطيلة مقاساتها (4.03×10.25)م، بنيت جدرانها بالتقنية الإفريقية، وأرضيتها بلّطت بفسيفساء غنية بالرّسومات والزخارف، تنفتح هذه القاعة جنوباً على فناء المنزل بمدخلين، وعلى القسم الساخن بمدخل واحد في ركنها الشمالي الشرقي، لم يبق من ارتفاع جدرانها إلا ما يقارب 1م، في جهتيها الشرقية والغربية يوجد حوضان مختلفان في طريقة البناء وفي جزئيات الشّكل وكذا المساحة والسعة، وهما متقابلان على طول المحور شرق/غرب.



مخطط رقم 46: القاعة الباردة والحوضين المتقابلين (انجاز الطالب)



صورة رقم 121: منظر عام للقاعة الباردة لحمامات صورة رقم 122: جزء من القاعة الباردة يبرز

البناء بالتقنية الإفريقية (تصوير الطالب)

منزل الحمار (تصوير الطالب)

أمّا الأول يقع في الجهة الشرقية للقاعة الباردة، وهو مستطيل ينتهي بحنية نصف دائرية لا تنطلق على كامل عرضه، لكنها تتوسط المحور (شرق/غرب)، مقاساته (1.59×2.82)م، في جزئه

العلوي و(1.59×2.08)م من القاعدة، هذه الأخيرة جعل لها شريط بسمك ب0.05م ناتئ على جدرانه وقاعدته، جعل لمنع تسرب المياه من حواف الحوض، في حين نصف قطره 0.60م، وعمقه 1.22م؛ يتم النزول إليه عبر سلّم مكون من ثلاث درجات، يتقدّم الحوض عند المدخل عتبة ترتفع عن مستوى القاعدة الباردة بـ 0.30م.

بني الحوض الشرقي بالتقنية المختلطة (حجارة صغيرة وآجر)، في حين لبست جدرانه بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، أمّا أرضيته فبلاطت بفسيفساء ما يظهر منها لا يشير إلى أي زخرفة، ومكعباتها كبيرة نوعاً ما، معدل مقاساتها ما بين 0.025 و 0.03 م³.

وجد في المستوى العلوي للحوض ثقبين، حسب "إيفون آلي" كانت مخصصة لقطع خشبية مثبتة بها لتسهيل نزول المستحمين إليه¹.



صورة رقم 124: فسيفساء الحوض الشرقي (تصوير الطالب)



صورة رقم 123: الحوض الشرقي (تصوير الطالب)

الحوض الثاني في الجهة الغربية للقاعة الباردة، شكله نصف دائري، نصف قطره 1.34م، يرتفع مدخله عن مستوى القاعدة الباردة بـ 0.35م، في حين ينخفض مستواه من الداخل بـ 1.30م، يتم النزول إليه عبر سلّم مكون من ثلاث درجات، بنيت جدرانه بالحجارة الدبشية، التي يتخللها أحياناً وبنسبة قليلة صف من الآجر، ولبست بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر، في حين أرضيتها وبسب الزّدم الموجود في الحوض لا يمكننا معرفة ما إن بلاطت بالفسيفساء كما الحوض السابق أو لا؟.

¹ BALLU (A.), Ruines de Djemila (antique Cuicul), in R.Af., n° 62, 1921, p 235.

صورة رقم 125: الحوض
الغربي (تصوير الطالب)



على العموم تتدرج القاعة الباردة ضمن نمط القاعة ذات حوضين نصف دائريين متقابلين، والحمّامات من هذا النوع قليلة جداً، لذلك قد تكون الأمثلة معدودة مثل حمّامات قسطنطين بآرل Arel's ومثال آخر بفيلا سان لو Saint Loup بمورناس Mornas وهي تؤرخ على التوالي بالقرنين الثالث والرابع ميلادي¹.

2-4-5 مواد البناء وتقنياته بحمّامات منزل الحمار

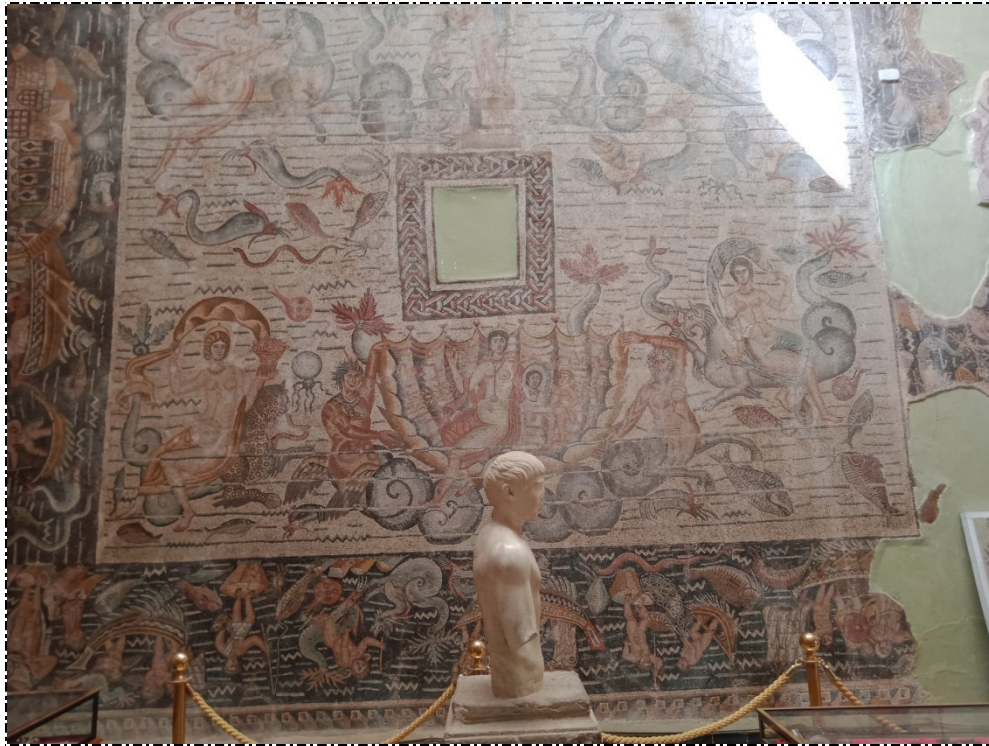
استعمل في حمّامات منزل الحمار نوعان رئيسيان من مواد البناء، خاصّة في الجدران وهي الحجر الجيري والآجر، كما تشير بعض بقايا التلبّيس إلى وجود الجير المائي في جدران الأحواض وهي خاصيّة نكاد نجدها في كامل المنشآت التي تشهد استعمالاً مكثفاً للمياه إلى جانب الملاط المخلوط بقطع الآجر، أمّا عن تقنيات البناء التي استعملت في الحمّامات نجد: التّقنية الإفريقية بشكل واسع إلى جانب تقنية البناء بالحجارة منتظمة الزوايا وأحياناً الغير منتظمة الزوايا، كما وجدت تقنية البناء بالآجر خاصّة في الأفران وما جاورها، وإن كانت طريقة البناء تتوافق في كامل أجزاء المبنى عدى الجدار الفاصل بين المنزل ومعبد فينوس جينيتريكس ناحية الشمال، إذ الطريقة التي بنيت بها توحى أنها أنجزت في وقت لاحق لبناء المعبد.

2-4-6 فسيفساء حمّامات منزل الحمار

تشكّل فسيفساء منزل الحمار إحدى أهم ما اكتشف في مدينة كوبيكول، من حيث المساحة وتنوع المشاهد والمواضيع، ونركز هنا على تلك المكتشفة في الحمّامات والتي أخذ المنزل تسميته من خلالها،

¹ BOUET (A.), Thermes Privés et PublicsOp.Cit, p 34.

إلى جانب فسيفساء قاعة الاستقبال، هذه الأخيرة تعرف بفسيفساء حمام فينوس، وهي من حيث التشكيل تقريبا مربعة طولها 6,90م وعرضها 6,40م مع حاشية بعرض 1,10م، تبرز فيها ألوان متعددة (الأبيض والأسود، الأحمر والرمادي)، أما من حيث المشاهد فهي ذات مواضيع ميثولوجية وأخرى واقعية، أما الأولى فترتكز على الإلهين فينوس ونيبتون و الحوريات البحرية والمخلوقات الميثولوجية، في حين يقدم مشهد الصيد بواقعية مبرز الصيادين وأنواعا مختلفة من الأسماك منها : الأبراميس و الهامور و سلطان ابراهيم و الباجو و الدلفين والأنقليس و قنديل البحر.. ، وعلى اليايسة برج يطل من نافذته رجل وامرأة¹.



صورة رقم 126: فسيفساء حمام فينوس لقاعة الاستقبال بمنزل الحمار بكويكول (تصوير الطالب)

أ- فسيفساء الحمار المنتصر

تشكل فسيفساء الحمار المنتصر لوحيتين منفصلتين، الأولى بالقاعة الباردة والثانية بالقاعة الدافئة، أما الأولى طولها 10م وعرضها 4م مع حاشية بعرض 0.33م. استعملت فيها ألوان متعددة منها الأبيض والأسود والرمادي والأحمر والبني والأصفر. ومن حيث المشاهد التي تعرضها هذه الفسيفساء فهي تتنوع بين الآدمية والميثولوجية والحيوانية والنباتية، تضم كتابة تحمل العبارة *asunus nica* مصاحبة لصورة الحمار، هذا الأخير في حالة حركة متجها إلى اليمين.

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, pp61-83.

زُيِّنَت الحاشية بزخرفة نباتية مستوحاة من ورق الأكانتس، أما الحقل فهو مشبّع بـ73 ميدالية مقسّمة طوليا إلى خمسة أسطر، تضمّ كلّ واحدة منها تصويرا آدمي وحيواني (طيور، حيوانات بريّة، حيوانات أليفة) ونباتي وميثولوجي، كلّ هذه الميداليات بما تحتويه من تصوير تخرج من إناعين متقابلين بشكل طولي.



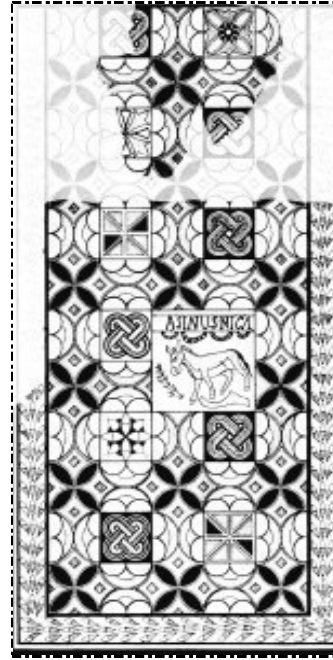
صورة رقم 127: فسيفساء القاعة الباردة
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 128: فسيفساء الحمار المنتصر *assinus nica* (تصوير الطّالب)

ب- فسيفساء القاعة الدافئة

هي الأخرى تبرز فيها صورة الحمار المنتصر، وفوقها كتابة *assinus nica*.



صورة رقم 129: إعادة تصوّر لفسيفساء القاعة صورة رقم 130: الصّورة الرّئيسية لفسيفساء القاعة

الدّافئة²

الدّافئة¹

ويظهر الحمار المنتصر في عديد المواضيع، ففي مدينة بومبي وجد على تصوير جداري، منتصرا على الأسد في مشهد غير محتشم، متوجاً من طرف la victoire، يؤرّخ بالقرن الأول ميلادي³. والعبرة من هذا المشهد تكمن في الدلالة التّصويرية التي أراد الفنان إبرازها، فالحمار والأسد حيوانان مختلفان تماماً عن بعضهما، في القوة أو في المكان الذي يعيشان فيه، فالأول كثير الظهور في شوارع المدينة، أمّا الثاني فتتمّ مشاهدته في المسارح المدرّجة، ويتمّ جلبه من المدن الإفريقية بدرجة أولى، وربّما هي دلالة لانتصار الفرد الرّوماني على أفراد المناطق الأخرى؛ وفي الفولكلور الإيطالي وحسب علماء الاثنوغرافيا، يبرز الحمار منتصرا على الأسد في واحدة من القصص الشّعبية، التي تحكي اتفاق كل منهما على طريقة لعبور النهر، بحمل كل واحد منهما للآخر بالدور، وهنا يستعمل الحمار الحيلة للتّخلص من الأسد قائلاً له " كل يستخدم الأسلحة التي يمتلكها"⁴

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, pl. XXIV.

² www.nessahra.net/le-musee-de-djemila-comme-vous-ne-l-avez-jamais-vu, consulter le 25/07/2021 à 14^h.20

³ VENDRIES (C.), L'Ane et le Lion sur une peinture murale de Pompéi (VII 6, 34-35) le triomphe de la virilité *asinienne*, Cahiers du Centre Gustave Glotz, vol. 20 (2009), pp59-60.

⁴ Ibid, p67.

2-5 حمّامات منزل كاستوريوس

2-5-1 حدود الحمّامات وموقعها داخل المنزل

يقع منزل كاستوريوس جنوب السّاحة العامّة وشمال السّاحة السّيفيرية، يحدّه من الجهتين الشرّقية والغربية شوارع رئيسية، أمّا عن مجاورته لمباني أخرى فقط من الشّمال معبد كرّس لإله مجهول، يفصل بينهما جدار سميك، وفي نفس الجهة يفصله شارع ثانوي عن منزل الحمار. وبخصوص حمّامات المنزل، فالأولى تقع في الجهة الجنوبية، تحتلّ تقريبا 12% من مساحة المنزل، أمّا الصّغرى فتقع في الجهة الشّمالية الشرّقية للمنزل، بنيت في فترة متأخرة، إذ توحى طريقة بناءها أنّها ليست متّصلة بالمنزل بشكل مباشر؛ يمكن الوصول من خلالها إلى الحمّامات الجنوبية عبر سلّم مكوّن من 10 درجات.

2-5-1-1 مدخل الحمّامات

قبل معرفة مدخل الحمّامات وجب أولا التّعريف على مداخل المنزل، فمن الجهة الغربية وجدت ثلاث مداخل، الرّئيسي يؤدّي إلى بهو الدّخول ذو المساحة التي تقارب 16م² وهو مفتوح على الهواء، والمدخل الثّاني في الزّاوية الجنوبية، والثّالث في الجهة الشّمالية الغربية، هذه المداخل الثّلاث في نفس مستوى الشّارع الكبير (شمال/جنوب)، أمّا من الجهة الشرّقية حيث يرتفع مستوى المنزل عن الكارديو الكبير، فتشير السّلام المهيّأة في الجنوب الشرّقي إلى أنّها السّبيل للدّخول إلى المنزل، وتبقى احتمالية وجود مدخل آخر في نفس الجهة، لكن لا يمكن تتبّع أثره بسبب ما تعرّض له المنزل من تغيير في المخطّط و استبدال أجزاء مكان أخرى.

وبخصوص الحمّامات وبسبب إعادة ترميمها، فقدت عديد العناصر بما في ذلك المداخل، يبقى فقط المدخل المؤدي إلى رواق الخدمات الخاص بالقسم السّاخن والذي يفتح على بهو الدّخول في الرّكن الجنوبي الغربي، عرضه 1.36م، كما تشير السّلام سالفة الذّكر إلى إمكانية الولوج إلى القسم البارد من الجهة الجنوبية الشرّقية، ونفس الإسقاط على الأبواب التي تربط كل قاعة بالأخرى، إذ لم يبق منها سوى الباب الرّابط بين القاعة السّاخنة بغرفة مثلّثة الشّكل يؤدّي إلى القاعة الدّافئة، عرضه 1.12م، وللاشارة أنّ "بالو" يذكر بأنّ القاعة مثلّثة الشّكل هيّئت كمراحيض، لكن لا يوجد أيّ أثر لها في الوقت الرّاهن، وطرحه مقبول بالنّظر إلى مكان تواجدها، حيث إمكانية توفير المياه كبيرة بالإضافة إلى موقعها فوق قنوات الصّرف الصّحي مباشرة.

2-1-5-2 أصل تسمية الحمامات

تأخذ الحمامات تسميتها من المنزل الذي احتوى كتابة فوق أرضية فسيفسائية وجدت بالزّواق المعمّد الشرقي، تذكر اسم صاحب المنزل *castorius*. اكتشفت من طرف "بالو" سنة 1911، والنّص كالآتي¹

VIRIBVS
E NOSTRIS FAC
TV ET QVOTCVM
QVE POTIMVR
VT DOMVS DICATVR
CASTORIVS
FECI

وهناك نص آخر²

HAEC DOMVS EST HINC ORTI IUVENES QVOS INCLV
ET FRATRES ET SOCIOS MAGNOS FABOR
MIRATVR EDIDISSE siMVL ET HONORE PERenni
ORNATI FAVSTIS LYBIAE TRIBVNalIBVS aDSVNT (sic)
FORTVNATO* QVI SIC mERVERE PARENTES
DE PER ORVM NOMINA V

بالإضافة إلى نص ثالث فقد الكثير من حروفه، إذ من الصّعوبة بمكان معرفة محتواه، وتذكر "بلنشار لومي" أنّ ما يمكن استخلاصه من النّص فقط الاسم *maximianus*³ ولعل هذا الكم من النّصوص التي وجدت على أرضية منزل كاستوريوس، إنّما توحى بأنّ هذه العائلة مرموقة الأصل والعرف، إذ هي إشارة منها إلى تخليد اسمها داخل مدينة كوبيكول .

2-5-2 تأريخ حمامات كاستوريوس

من الصّعوبة تحديد تأريخ لحمامات كاستوريوس ضمن منزل امتاز بعديد التّدخلات في فترات متعاقبة، وحين معرفتنا أنّ بذات المنزل حمامين الأول في الجنوب والثّاني في الجهة الشّمالية الشرّقية، تطرح عديد التّساؤلات حولهما فيما تعلّق بزمن بنائهما وهل هما مترامين ؟ أم هل يسبق

¹ BALLU (A.), *Rapport sur les fouilles exécutées en 1911*, in B.C.T.H, 1912, p 485.

² BALLU (A.), *Rapport sur les fouilles exécutées en 1912*, in B.C.T.H, 1913, p168.

³ BLANCHARD-LEMÉE (M.), *Maisons à mosaïques.....Op.Cit*, p168.

إحداهما الآخر؟، وما الغرض من إنشاءهما معا؟ وهل هناك تغيّر في مخطّط المنزل في فترة من الفترات؟.

تذكر "إيفون الي" أنّ مؤشر تأريخ المنزل مرتبط بسور المدينة الذي تهدّم مع بداية القرن الثالث، وبالتحديد مع فترة حكم كاركلا أين أنشأت السّاحة السيّفيرية، وأنّ حمّامات المنزل الشّمالية الشّرقية بنيت بعد الجنوبية، بدليل أنّها احتلت جزء من تبليط رصيف الكاردو الكبير¹، وأنّ الدّرج الذي كان يؤدي مباشرة من الشّارع إلى الحمّامات الجنوبية، أصبح يربط هذه الأخيرة بالحمّامات الشّمالية الشّرقية، الّتي من المرجّح أنّها خصّصت لخدم المنزل² بالنّظر إلى مقارنتها مع الأولى من حيث المساحة وطريقة البناء.

وبخصوص تأريخ باقي أجزاء المنزل، تشير الدّلائل المادية أنّ الغرف الموجودة في الجهة الجنوبية أين هيّئ الفناء ذو الثّمانيّة أعمدة بما في ذلك الحمّامات هي أقدم من تلك الموجودة في الشّمال، حيث تتغيّر هندسة البناء مع خلق مجالات واسعة نسبيا .

2-5-3 تزويد حمّامات منزل كاستوريوس بالمياه وتصريفها منها

باعتبار أنّ المنزل محصور بين شارعين كبيرين، الشّارع الرّئيسي شمال/ جنوب والكاردو الكبير، بالإضافة إلى أنّ مستواه من الجهة الغربية بنفس مستوى الشّارع الأول ومن الشّرق مرتفعا عن الكاردو الكبير، وبتتبّع مستوى انحدار المنزل، فإنّ عملية تزويده بالمياه دون شك من الجهة الغربية حيث توجد قناة تموين رئيسية، هذه الأخيرة تزود الحمّامات الجنوبية والحمّامات الشّمالية الشّرقية بالإضافة إلى أجزاء المنزل الّتي تتطلب كمية من المياه، وبالنسبة للحوض البارد فيتمّ تزويده بالمياه من الجهة الجنوبية الغربية، وبنفس القناة يزود القسم السّاخن، أمّا الأحواض الباردة للحمّامات الشّمالية الشّرقية فيتمّ تموينها بالمياه من وسط المنزل.

وبخصوص تصريف المياه، يذكر "بالو" وجود قناة لتصريف مياه الحمّامات الجنوبية الشّرقية تعبر القاعة السّاخنة في اتجاه الباردة لتصبّ في قناة التجميع ناحية الجنوب الشّرقى باتجاه الكاردو الكبير، وهو نفسه ما تمّ معاينته، إذ وجد في الرّكن الجنوبي الشّرقى للقاعة الباردة قناة التّصريف على

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, p157.

- THEBERT (Y.), Op.Cit, p199.

² CARUCCI (M.), *The Romano-African Domus* « Studies in Space, Decoration, and Function », in B.A.R, international series 1731, England, 2007, p 137.

مستويين، دون شك المستوى العلوي يخص الحمامات الجنوبية، ويشير النّقب الموجود في الجدار الشرقي للحوض البارد والذي يبرز كذلك حين مشاهدته من داخل القناة أنّه يصب فيها مباشرة، أمّا القناة السفلى فهي قناة تصريف المياه القادمة من الشارع الكبير غرب منزل كاستوريوس، وتلتقي معها قناة الصّرف القادمة من وسط المنزل وتعبر أسفل القاعة الباردة.

بالرجوع إلى قناة تصريف مياه الحمامات الجنوبية، فقد بنيت جدرانها بالآجر في حين القوس الذي يعلوها مبني بالحجارة متوسطة الحجم معدل طولها 0.45م. ويبلغ عرض هذه القناة 1.10م وارتفاعها 1.06م.

أمّا تصريف مياه الحمامات الشمالية الشرقية فتكون هي الأخرى ناحية الجنوب الشرقي لتلتقي من تلك القادمة من الحمامات الجنوبية، ويتم تجميع المياه المستعملة سواء من هذه الأخيرة أو تلك القادمة من أحواض الفناء الذي يتوسط المنزل، ومياه الحمامات الشمالية الشرقية وكذا المياه المتساقطة من الأسقف متخذة وجهة واحدة نحو مكان التّجميع جنوب شرق المنزل، ومن ثمّ إلى القناة الرئيسية تحت أرضية الكاردو الكبير، لتشق طريقها صوب الوادي في الشمال الشرقي لمدينة كويكول.



صورة رقم 132: صورة من الأرشيف لقناة
تصريف مياه الحمامات الجنوبية¹

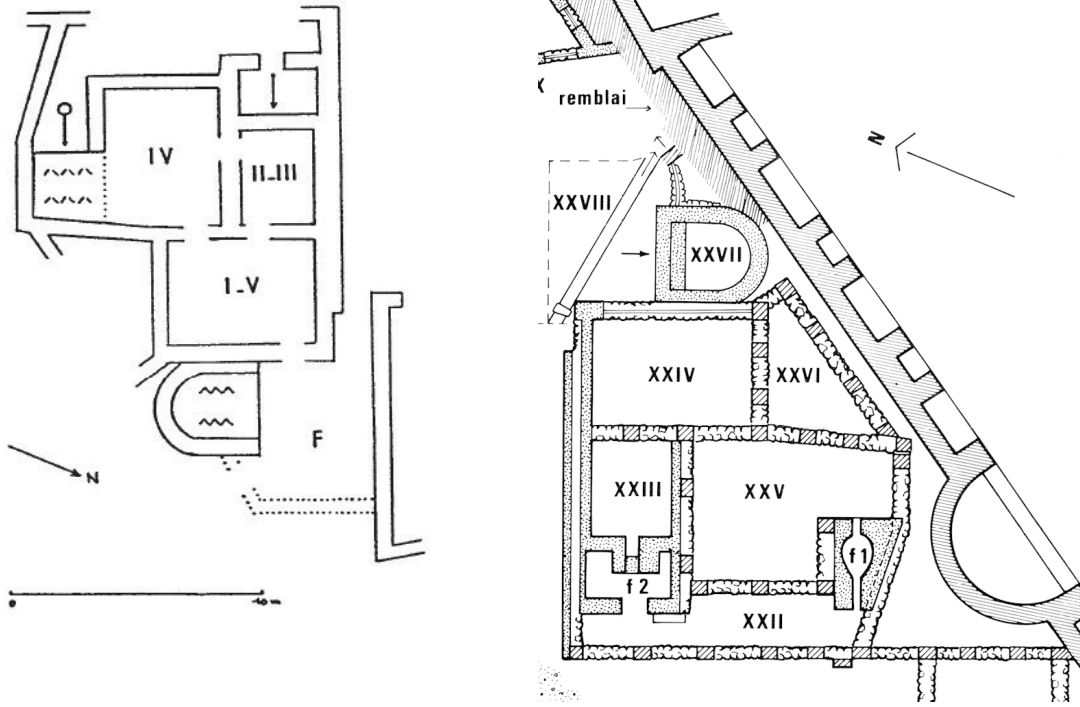


صورة رقم 131: قناة تصريف مياه الحمامات
الجنوبية وأسفلها قناة قادمة من الشارع الكبير
شمال/جنوب

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, Fig 71.

2-5-4 أقسام حمامات منزل كاستوريوس

2-5-4-1 الحمامات الجنوبية



مخطط رقم 47: الحمامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس¹ مخطط رقم 48: الحمامات الجنوبية حسب

تيبار²

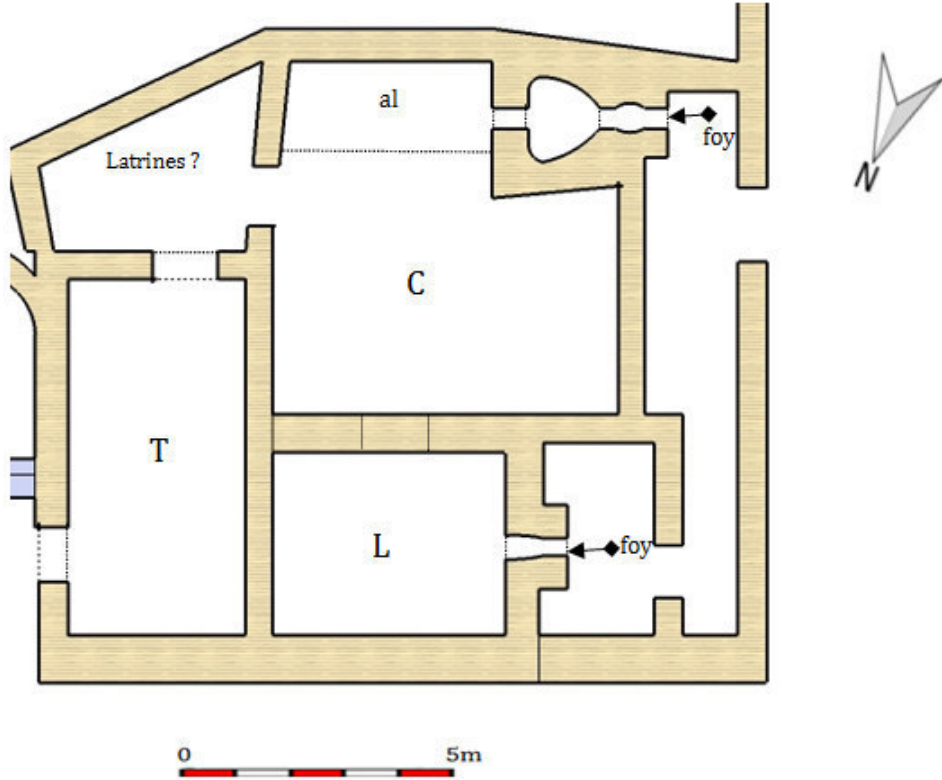
تقارب مساحة الحمامات الجنوبية 180م²، وهي بذلك تحتل نسبة 12% من المساحة الإجمالية للمنزل (1500م²)، شكلها تقريبا مثلث قائم عند الزاوية الغربية حيث يوجد الموقد الثاني، مع بعض الانحراف في الجزء الشمالي الشرقي حيث القاعة الباردة، القسم الساخن تقريبا ضعف البارد، إذ يتكون من ثلاث قاعات وموقدين.

أ- القسم الساخن للحمامات الجنوبية

يتشكل من قاعة دافئة وأخرى ساخنة وقاعة للتعريق، بالإضافة إلى موقدين مختلفين في الشكل، والمساحة وبالتالي في درجة الحرارة المنتجة .

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, p152, Fig. 62.

² THEBERT (Y.), Op.Cit, pl.178, n°2.



مخطّط رقم 49: القسم السّاخن للحمّامات الجنوبية بمنزل كاستوريوس (انجاز الطّالب)

-القاعة الدّافئة: تشير هذه القاعة جدّلا بين الباحثين ما إن كانت قاعة دافئة بحق أم هي قاعة باردة، ونحن نوافق الرّأي القائل أنّها قاعة دافئة لعدة اعتبارات:

مجاورتها مباشرة لقاعة التّعريق والقاعة السّاخنة، مما يتيح لها التزود بالحرارة بصفة غير مباشرة عن طريق الموقدين الشمالي والجنوبي. بالإضافة إلى خلقها مجالا تناوبي بين القسمين السّاخن والبارد.

ونفي أنّها قاعة باردة، إذ الملاحظ في عديد الحمّامات أنّ علاقة القاعة بالحوض مباشرة، في اتجاه سلاّم النّزول إليه، وهو ما لا نجده في هذه القاعة.



صورة رقم 133: القاعة الدافئة للحمّامات

الجنوبية (تصوير الطّالب)

مقاسات هذه القاعة (3.27×6.80)م، بنيت جدرانها بثلاث تقنيات مختلفة:

- التّقنية الإفريقية في الجدارين الغربي والجنوبي،
 - تقنية البناء بالآجر في الجدار الشمالي ،
 - تقنية البناء بالحجارة الصغيرة منتظمة الزّوايا في الجدار الشرقي، مقاساتها لا تتعدى 0.25م، ولا تقل عن 0.10م طولاً، وعرضها بين 0.08 و 0.10م.
- ويختلف سمك هذه الجدران، إذ في الشمالي و الغربي 0.52م والشرقي 0.73م.



صورة رقم 135: التّقنية الإفريقية بالحّمّامات الجنوبية (تصوير الطّالب)



صورة رقم 134: تقنية البناء بالآجر بالحّمّامات الجنوبية (تصوير الطّالب)



صورة رقم 136: تقنية البناء بالحجارة منتظمة الزّوايا بالحّمّامات الجنوبية (تصوير الطّالب)

-القاعة السّاخنة: تبلغ مساحتها دون احتساب الموقد حوالي 40م²، زوّدت بحوض مسند على الجدار¹، فقد هو الآخر عناصره مثل ما فقدت القاعة أرضيتها المحمولة فوق أعمدة، وفقد الموقد القوس عند مخرجه، وهي نفس الملاحظات التي أبدتها "بلنشار لومي" حين حديثها عن موقدي الحمّامات². بنيت جدرانها بالتّقنية الإفريقية، لكن الملاحظ أنّه ليس بناء أصلي وإنّما هي إعادة تركيب أثناء الحفريات التي أجريت بالموقع. يختلف سمك الجدران حيث يبلغ في الشّمالي 0.92م، وفي الشّرقي والغربي والجنوبي 0.52م.



صورة رقم 137: القاعة
السّاخنة والموقد الجنوبي
(تصوير الطّالب)

-قاعة التّعريق: بحكم موقعها المتّصل مباشرة مع الموقد الشّمالي، واتّصالها مع القاعة السّاخنة من جهة الجنوب والقاعة الدّافئة من الجهة الشّرقيّة، تسمح هذه القاعة للمستحمين بتعريق الجسم قبل المرور على الحوض السّاخن المسند على الجدار الجنوبي، أو المرور إلى القاعة الدّافئة ومن ثمّ الباردة بحوضها الواسع.

يتمّ تسخين هذه القاعة بواسطة الموقد عن طريق الأرضية التي لم يبق من عناصرها أي عمود حامل لها، لكن مستوى فوهته توحى أنّ مستوى الأرضية يرتفع عن المستوى الحالي بما يقارب 0.70م على الأقل.

¹ BALLU (A.), Rapport 1911, in B.C.T.H, 1912, p 484.

² BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, p161.



صورة رقم 138: الموقد الشمالي
(تصوير الطالب)

مقاساتها (3.36×4.27)م. بنيت جدرانها هي الأخرى بعدة تقنيات، إذ نجد في الجدارين الشرقي والجنوبي التقنية الإفريقية، وفي الجدار الشمالي تقنية البناء بالآجر والجدار الغربي بني بالتقنية المختلطة .

كما ذكرنا سابقاً أنّ القسم الساخن للحمامات تمّ تسخينه بواسطة موقدين يختلفان من حيث الشكل، فالجنوبي يأخذ شكل ورقة البيك pique يتقدّمها ناحية الغرب جزء طولي يزود منه الحطب المعدّ كوقود، هذا الموقد يوفر الحرارة المباشرة للقاعة الساخنة وبصفة غير مباشرة للقاعة الدافئة، في حين يتمّ تسخين قاعة التّعريق بواسطة الموقد الشمالي وهو مستطيل فوهته صغيرة نسبياً مقارنة بالأول، لكنه يوفر الحرارة بصفة مباشرة لهذه القاعة وبصفة غير مباشرة للقاعة الدافئة في قسمها الشمالي. كلا الموقدين ينفتحان على رواق الخدمات الغربي، الذي يرتبط بدوره ببهو الدخول الجنوبي.

ب- القسم البارد للحمامات الجنوبية

القاعة الباردة تقريبا مربعة فقدت الكثير من أجزائها، تنتهي في جهتها الجنوبية الشرقية بحوض مقاساته (2.48×2.60)م، نهايته نصف دائرية نصف قطره 1.10م، وهو موجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتمّ النزول إليه عبر سلم مكوّن من درجين¹، لكن الملاحظ أنّ مستوى أرضيته لا تنخفض عن باقي أجزاء الحمامات، عكس ما وجد في الحمامات الأخرى أين يكون مستوى الحوض منخفض عن أرضية المبنى ككل. بنيت جدرانها بالآجر، على شكلين: المستطيل معدّل مقاساته (0.04×0.12×0.30)م، والمثلث القائم 0.25م عند الضلعين المشكّلين للزاوية القائمة، استعمل هذا الأخير في الحافة العلوية للحوض، في حين لبست جدرانها الداخلية بتقنية الملاط الممزوج

¹ يذكر "بالو" أنّ سلم الحوض البارد مكوّن من ثلاث درجات. BALLU (A.), *Ruines de djemila.....*, Op.Cit, p 239.

بكسر الآجر، وبسمك لا يتعدى 0.04م. أما أرضيته فبُلّطت بالفسيفساء مكعباتها بالحجر الجيري، مقاساتها بين (0.01 و 0.02) م، ما بقي منها يشير إلى استعمال ثلاث ألوان الأبيض والأصفر والأسود.

يتمّ الدخول إلى الحوض عبر القاعة الباردة من جهة الشمال، هذه الأخيرة يمكن الوصول إليها من الجهة الغربية عبر الزّواق المعمّد لساحة المنزل، كما ترتبط مع القاعة الدّافئة في جهتها الغربية، هذه الأخيرة تخلق مجالا تناوبيا بين القسمين البارد والساخن للحمامات.



صورة رقم 139: الحوض البارد للحمامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس (تصوير الطّالب)



صورة رقم 141: آثار تلبيس الحوض البارد
بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر
(تصوير الطّالب)

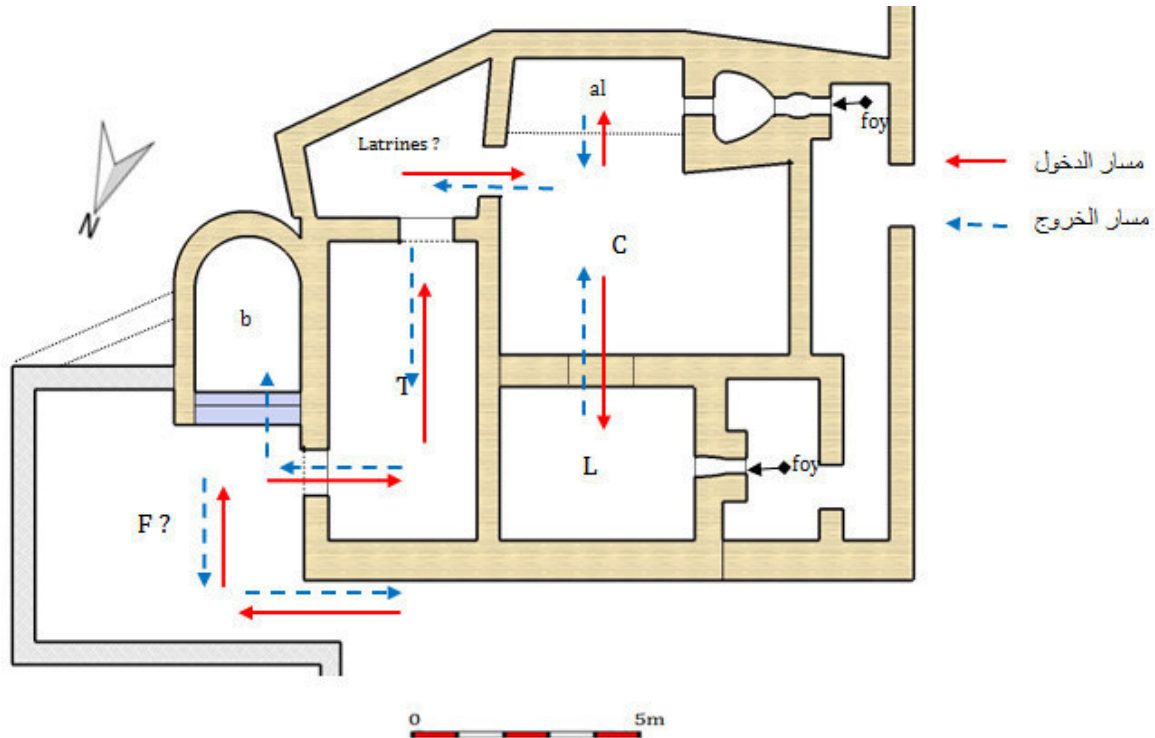
صورة رقم 140: تقنية بناء الحوض البارد بالآجر
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 142: فسيفساء الحوض البارد (تصوير الطالب)

ج - المسار الحموي داخل الحمامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس

من الواضح أنّ المسار الحموي في هذه الحمامات يبقى اختياري ويكون وفق أحد الأشكال التالية:
الدخول إلى الحمامات من الجهة الشماليّة الشرقيّة أين القاعة الباردة إلى الحوض البارد في حالة الاكتفاء بالحمام البارد، وبالتالي يكون المسار تراجمي عكسي بسيط .
أو القاعة الباردة ← التّعريق ← السّاخنة ← الدّافئة ← الحوض البارد ← القاعة الباردة،
وهنا المسار يكون شبه دائري.

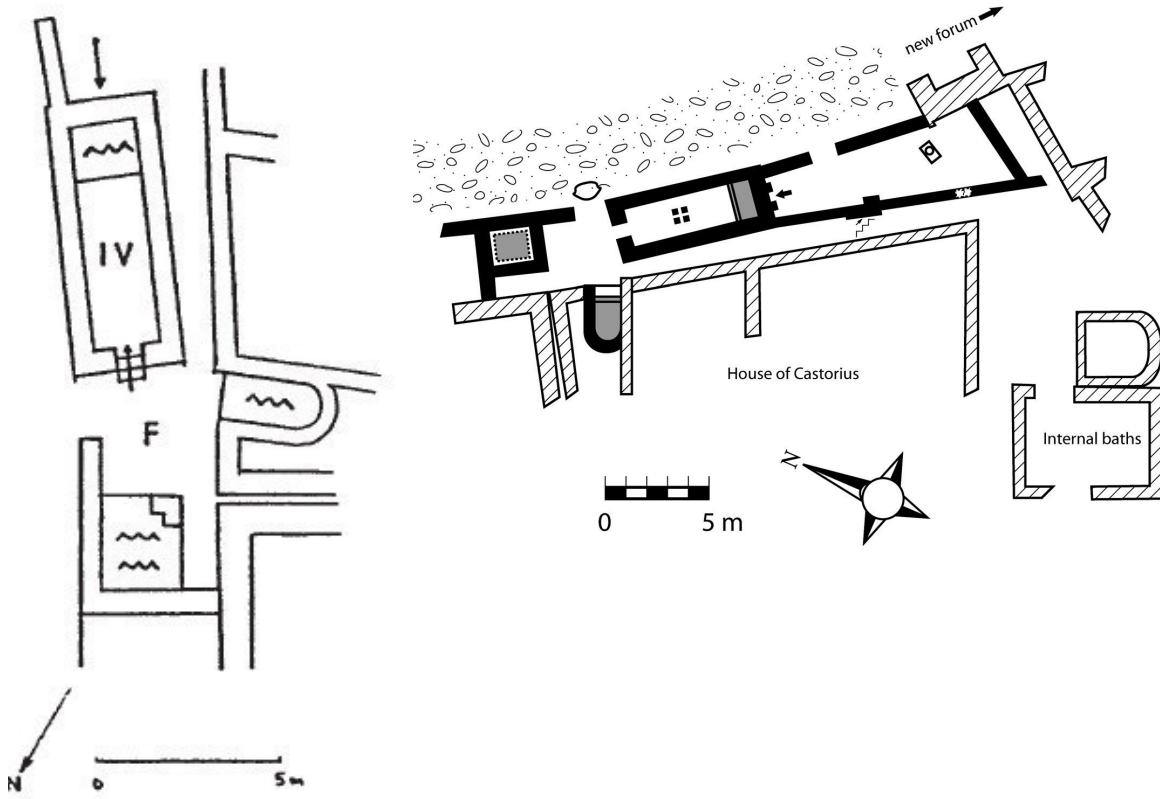


مخطّط رقم 50: المسار الشّبه دائري داخل الحمامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس (انجاز الطالب)

2-4-5-2 الحمامات الشمالية الشرقية

لا تتشكل الحمامات الشمالية الشرقية مخططاً معقداً، إذ تتخذ شكلاً مستطيلاً من الشمال إلى الجنوب، تقارب مساحتها 50م² دون احتساب رواق الخدمات في الجهة الجنوبية، يتم الدخول إليها من جهات عدة عبر مداخل، اثنان منها مفتوحة على الشارع الرئيسي شمال/ جنوب، الأول يؤدي إلى رواق الخدمات حيث يوجد الموقد، والمدخل الثاني يؤدي قاعات الحمامات، حيث الأحواض الثلاث، أما المدخل الثالث فهو مهياً في الجهة الجنوبية الغربية للحمامات، يؤدي هو الآخر إلى رواق الخدمات سالف الذكر، يسمح هذا المدخل بالولوج إلى الحمامات الجنوبية الشرقية وباقي أجزاء المنزل .

تحتوي هذه الحمامات على ثلاث قاعات، واحدة ساخنة واثنان باردتان



مخطط رقم 52: أحواض

الحمامات الشمالية الشرقية²

مخطط رقم 51: الحمامات الشمالية الشرقية لمنزل كاستوريوس¹

¹ MARÉCHAL (S.), Public and private bathing in late antique north Africa, changing habits in a changing society?, in T.R.A.C, 2015, p 131.

² THEBERT (Y.), Op, Cit, pl78, n°3.

أ- القسم الساخن للحمامات الشمالية الشرقية

يتمّ الولوج إلى القاعة الساخنة من الشمال ويصعد إليها عبر سلّم مكون من ثلاث درجات، ترتفع عن مستوى الأرض بـ 0,68م، تنتهي في الجهة الشرقية بحوض مستطيل مقاساته (1,80×1,50)م، ويثير "تيبّار" تحفّظه بشأن هذه القاعة وأنها لا تحتوي على حوض في المكان الذي ذكرته "بلنشار لومي" بل يمكن أن يكون في الجهة الجنوبية لذات القاعة¹، ومع ذلك يعيد نفس المخطّط الذي وضعه "مونيي" Meunier سنة 1937 وأكملته فيما بعد "بلنشار لومي".

ومن خلال المعاينة الميدانية وربطها بالموقد الذي يتوسّط الجدار الجنوبي لها، فإنّ الحوض يكون أقرب إليه على امتداد عرض القاعة من الجنوب، يتمّ تسخينها مباشرة من الموقد، هذا الأخير عرض فتحته 0.43م



صورة رقم 143: القاعة الساخنة للحمامات الشمالية الشرقية (تصوير الطّالب)
صورة رقم 144: موقد القاعة الساخنة للحمامات الشمالية الشرقية (تصوير الطّالب)

ب- القسم البارد للحمامات الشمالية الشرقية

نظرا للمساحة المحدودة لهذه الحمامات، فهي لا تحتوي على قاعة باردة بتمام العبارة، بل هي عبارة عن بهو الدخول إلى الحمامات والتّوجه سواء إلى الحوضين الباردتين أو القاعة الساخنة، ويكتفي القسم البارد بحوضين مختلفين في الشّكل، الأول مستطيل في جهتها الشمالية مقاساته (1,86×1,45)م، الثّاني في الجهة الغربية هو الآخر مستطيل لكنه ينتهي بحنية نصف دائرية، مقاساته (1,88×1,58)م ونصف قطر حنيته 0,70م، موجّه من الشّرق إلى الغرب، يرتفع مدخله عن

¹ THEBERT (Y.), Op, Cit, p 200.

أرضية الحمامات بـ 0.48م في حين من الدّاخل ينخفض بـ 1.40 م، يتمّ النّزول إليه عبر سلّم مكّون من ثلاث درجات.

بني الحوض بالحجارة منتظمة الزّوايا ولبّس من الدّاخل بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر سمكه 0.04م، في حين غطّيت أرضيته بفسيفساء تكعيبية معدّل حجم مكعباتها 0.02م³.



صورة رقم 146: بقايا فسيفساء الحوض
البارد الغربي (تصوير الطّالب)



صورة رقم 145: الحوض البارد الغربي
(تصوير الطّالب)

أمّا الحوض الشّمالي فمساحته 4م²، لا تسمح حالة حفظه بمعرفة مستوى انخفاضه، ومن خلال بقايا سلّم النّزول إليه فإنّ مدخله مفتوح على الجهة الجنوبية، مقابلًا بذلك مدخل القاعة السّاخنة.

2-6 حمامات منزل الجص

2-6-1 موقع حمامات منزل الجص

يقع منزل الجص بمحاذاة الكاردو الكبير، مقابل منزل كاستوريوس في الجهة الشّرقية، يحده من الغرب شارع ثانوي يفصله عن البازيليكا المسيحية، ومن الشّمال والجنوب هيّات سكنية، تبلغ مساحته 510م²، وتحلّ الحمامات مساحة تقارب 80م² (في ظلّ غياب تحديد دقيق لها بسبب إعادة استغلال أجزائها وتحويلها عن وظيفتها الأصلية)، محقّقة نسبة 13% من المساحة الإجمالية للمنزل، وهي موجودة في الطابق الأرضي، مدخلها عبر الفناء (L) في اتجاه القاعة الباردة بحوضها النّصف دائري.

تعرضت الحمامات إلى تغيّر وظيفتها، ربّما بعد الحريق الذي لحق بالمنزل، حيث تذكر "بلنشار لومي" أنّ آثاره بقيت على جدران قاعاتها السّاخنة¹، هذه الأخيرة حوّلت إلى قاعة الأكل

¹ BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques.....Op.Cit, p190.

والحوض البارد إلى غرفة مفتوحة على فناء المنزل، وتم استحداث سلّم يؤدي إلى الطابق الأول فوق الموقد .

هذا التغيّر لم يمس الحمّامات وحدها، ففي الجهة الشماليّة طال قاعة الاستقبال، حيث وجدت بقايا الجص متفحّمة ومختلطة بالحطام المحترق للملاط، الذي بقي محافظا على لونه الأحمر الفاتح، بالإضافة إلى آثار الحرق على الجدران التي لم تتعرّض لمحاولات الترميم منذ ذلك الوقت، رغم استغلال المنزل في فترات متأخرة لأجزائه التي لم تحافظ على وظيفتها الأصلية، بما في ذلك الفناء الذي حول إلى غرف المعيشة¹.



صورة رقم 147:
حمّامات منزل الجص
(تصوير الطّالب)

2-6-2 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها

عرف نظام تزويد المدينة بالمياه ترميما لقنواته سنة 295م، وهي الفترة التي عرفت إنشاء أو ترميم النافورة الموجودة عند حدود السّاحة السيّفيرية، هذه النافورة لعبت دور خزّان التّوزيع نحو منازل الحيّ القديم بما في ذلك المنازل الغربية، تمّ توصيل الماء إليها عبر قنوات عدّة ومنها تلك المتوجّهة إلى منزل الجص²، لتجد طريقها عبر حدود المنزل الغربية إلى الخزّان المهيأ شرق الحوض البارد ومن ثمّ إلى القسم السّاخن. أمّا عن تصريف مياه الحمّامات فيكون في الجانب الجنوبي الغربي، حيث تلتقي مع المياه المستعملة القادمة من اللاتريوم، لتصبّ في القناة الرّئيسية في الشّارع الكبير الغربي.

¹ ALLAIS (Y.), *Le quartier occidental de Djemila*Op.Cit, p108.

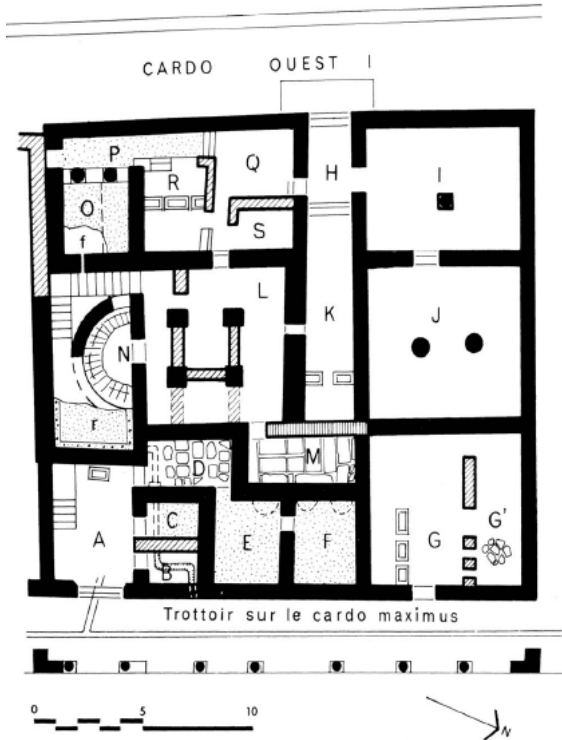
² Ibid, p 110.

2-6-3 أقسام حمامات منزل الجص

من وجهة نظر عملية لا تقدّم حمامات هذا المنزل الكثير من المعطيات، سيما أقسامها ونظام اشتغالها، لكن في حدود ما توفّر منها سنلقي نظرة عامة حولها.

أمّا الحوض البارد الذي بقي محافظاً على شكله النّصف دائري وعلى تقنية بناء جدرانه بالآجر، يوحي من خلال مساحته التي تتسع لأكثر من ثلاث أشخاص مجتمعين، ومقارنته مع المكان الذي شغله القسم الساخن، أنّ اهتمام أصحاب المنزل بالقسم البارد أكبر من الساخن. هذا الحوض مفتوحاً على فناء المنزل من الجهة الشمالية.

وعن القسم الساخن الذي يحتل الرّكن الجنوبي الغربي للمنزل، يتمّ الدّخول إليه من الجهة الغربية، ويقابل مدخل القاعة الساخنة - التي زوّدت بحوض على حد قول "بلنشار لومي" - موقد في جدارها الشرقي يتكفل بتسخين مياهه عن طريق أواني معدنية توضع فوقه مباشرة. وتذكر "إيفون آلي" أنّها سهلة التّعرف عليها انطلاقاً من الموقد و أعمدة الهيبيوكوست، التي بقيت أجزاء منها أسفل أرضيتها، وبقايا الملاط المائي الذي وجد بها¹. في حين القاعة الدّافئة وهي صغيرة المساحة تتقدم الساخنة لم يعثر بها على بقايا أعمدة الهيبيوكوست، فحرارتها غير مباشرة تأتيها من الموقد سابق الذكر.



مخطّط رقم 53: منزل الجص بكويكول² (الإشارات بكويكول²) (الإشارات بالحروف اللاتينية الموجودة في المخطّط الأصلي دون تغيير تختلف عن ما ذكرناه في مقدمة الفصل)

¹ ALLAIS (Y.), *Le quartier occidental de Djemila*Op.Cit, p113

² Ibid, p106.

2-7 حمّامات منزل باخوس

2-7-1 موقع حمّامات منزل باخوس

يقع منزل باخوس في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، يفتح في جهتها الشرقية على الكاردو الكبير ومن الشمال الحمّامات الكبرى الجنوبية ومن الجنوب هيئة سكنية ومن الغرب منطقة غير منقّبة. مساحته حسب "فيفري"¹ 7125 م²، أمّا حمّاماته الخاصّة فهي في الجهة الشماليّة الغربية، مساحتها حسب "بلنشار لومي"² 240 م²، محقّقة بذلك نسبة 3.37% من المساحة الإجمالية للمبنى.

اكتشفت الحمّامات أسفل أرضية القاعة ذات سبع حنيات، ونقّبت من طرف "مونيي" بين 1934 و 1937، ويرجع بناءها إلى فترة الاستغلال الأولى للمبنى، وحسب "يفون آلي" تنخفض بـ 2.50م عن مستوى الشارع الذي يفصلها عن الحمّامات الكبرى الجنوبية، وقد تنخفض أكثر من ذلك أو تعلوه بقليل.

2-7-2 تأريخ منزل باخوس

يرتبط تأريخ المنزل بمجاله المكاني داخل المدينة سيما جزئها الجنوبي حيث بنيت الحمّامات الكبرى الجنوبية، هذه الأخيرة تؤرخ بـ (183-184م)، حسب "بلنشار لومي" هي مقدمة لعمران الحي الجنوبي، خاصّة ما تعلّق بحديقة منزل باخوس المحاذية للحمّامات سابقة الذكر، في هذا الجزء بنيت الحمّامات الخاصّة، فهي بذلك لا تكون بعيدة عنها زمنياً، خاصّة عند مقارنة الفسيفساء المكتشفة بها (M42b) مع فسيفساء القاعة الباردة للحمّامات الكبرى الجنوبية، فهي تؤرخ بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي²، ومع النّصف الثاني من القرن الرابع بنيت القاعة ذات سبع حنيات على أنقاض الحمّامات³. من جهته "فيفري" يدرج فسيفساء باخوس التي على أساسها سمّي المبنى، إلى المرحلة الأولى لاستغلاله، وهي تؤرخ بالقرن الثاني ميلادي، وأنّ فسيفساء الحمّامات تؤرخ بنفس الفترة، لكنه يجهل كيف يربط العلاقة بينهما⁴.

¹ FEVRIER (P.A), « Etude archéologique », dans l'édifice appelé maison de *Bacchus* à Djemila, CNRS édition, Paris, 2019, p 24

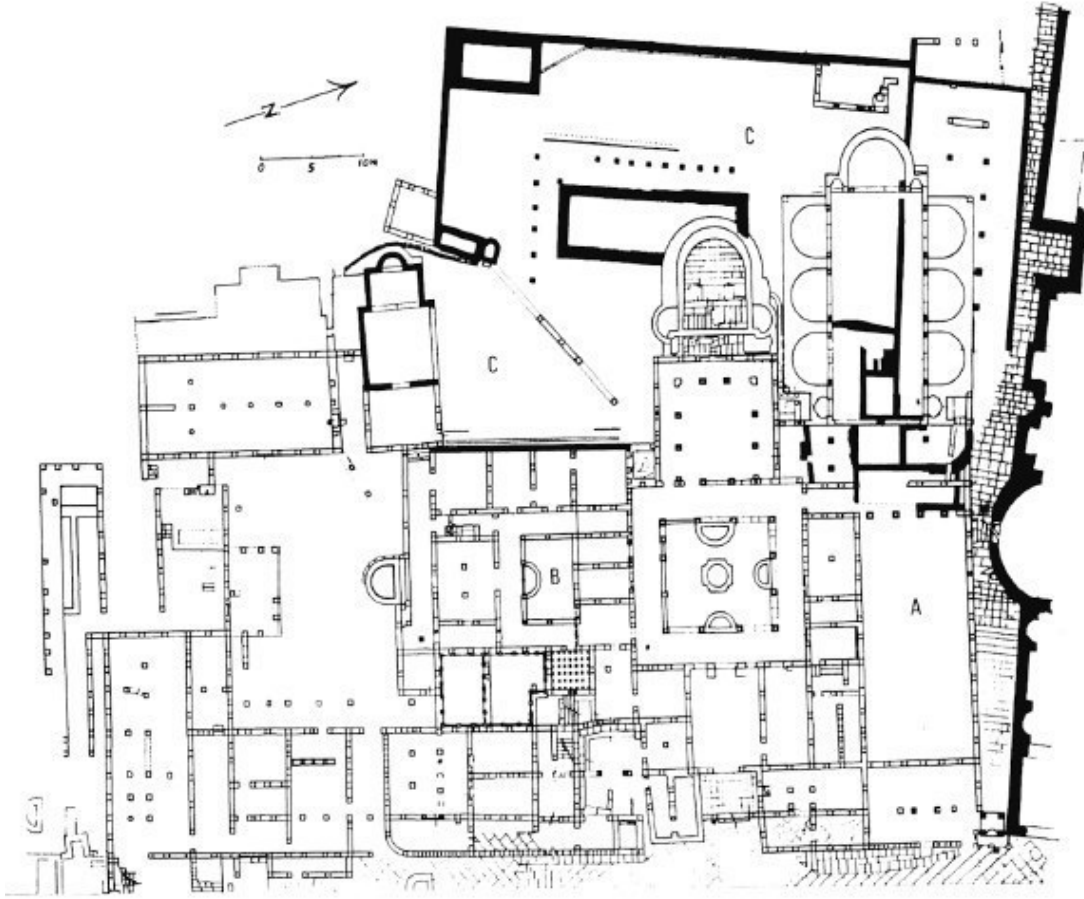
² BLANCHARD-LEMEE (M.), « Les mosaïques », dans l'édifice appelé maison de *Bacchus* à Djemila ... Op.Cit, p 201.

³ Ibid, p 206.

⁴ FEVRIER (P.A), Remarques sur les mosaïques de basse époque de Djemila, in B.S.N.A.F, 1965-1966, pp85-86

2-7-3 أقسام حمامات منزل باخوس

هذه الحمامات شأنها شأن حمامات منزل الجص، لا يمكننا معاينتها وحتى دراستها بدقة، إذ لا تبرز من أقسامها حاليا إلى القليل جدا، لذا ستمّ دراستها انطلاقا من التقارير التي أنجزت أثناء تنقيبها. أمّا عن مكوناتها تذكر "بلنشار لومي" باختصار أنها تتكوّن من قاعة ساخنة مزوّدة بحوض وقاعة دافئة وحوض نصف دائري إلى جانب قاعتين مبلّطتين بفسيفساء متعدّدة الألوان¹،



مخطّط رقم 54 : منزل باخوس بكويكول (A. Daunic, 1964; J. Meunier, 1937)²

أثناء حفريات "مونيي"، وجدت بقايا أعمدة الهيوكوست والألواح الآجورية التي غطّت أرضية القسم الشمالي للحمامات، ومنها القاعة الساخنة المنتهية بحنية نصف دائرية في جهتها الشمالية، وتمتد بقايا أعمدة الهيوكوست إلى الجهة الغربية مشكّلة قاعة مستطيلة، وبسبب تداخل البناء في مساحتها لا يمكن التعرف على حدودها الأصلية، هذه الأخيرة تفتح في جدارها الجنوبي على قاعة أخرى مستطيلة، لم تذكر التقارير أنها زوّدت بنظام التسخين، من جهتها تفتح على قاعة باردة في جدارها الشرقي.

¹ FEVRIER (P.A), *Remarques sur les mosaïques.....Op.Cit*, p 201.

² BLANCHARD-LEMEE (M.), *Dans les jardins de Djemila*. In: *Ant. Af.*, n°34, 1998, p191, Fig.6.

أما القسم البارد للحمّامات فهو يتشكّل من ثلاث قاعات أكبرها تلك الموجودة في الجنوب الشرقي مقاساتها (6.30×6.50) م، تفتح على الحديقة المجاورة لها مباشرة بمدخل في جدارها الجنوبي، تليها القاعة التي تتوسّط هذه الأخيرة والقاعة الساخنة المزوّدة بحوض، ومن خلال الفسيفساء التي وجدت بها، خاصّة تلك التي تبرز مشهدا هندسيا تشبه نظيرتها المكتشفة في القاعة الباردة للحمّامات الكبرى الجنوبية، فمن حيث التخطيط وحجم مكعباتها وطريقة تركيبها وألوانها تتشابه معها إلى حدّ التّطابق، هذا يوحي دون جزم قاطع أنّها هي الأخرى القاعة الباردة لحمّامات منزل باخوس، والقاعة الثّالثة الباردة مستطيلة ذات حواف منحنية ومزوّدة بحوض¹، حسب "بلنشار لومي" هي نافورة مرتبطة بقناة مزوّدة بسدّاد على شكل رأس آدمي².

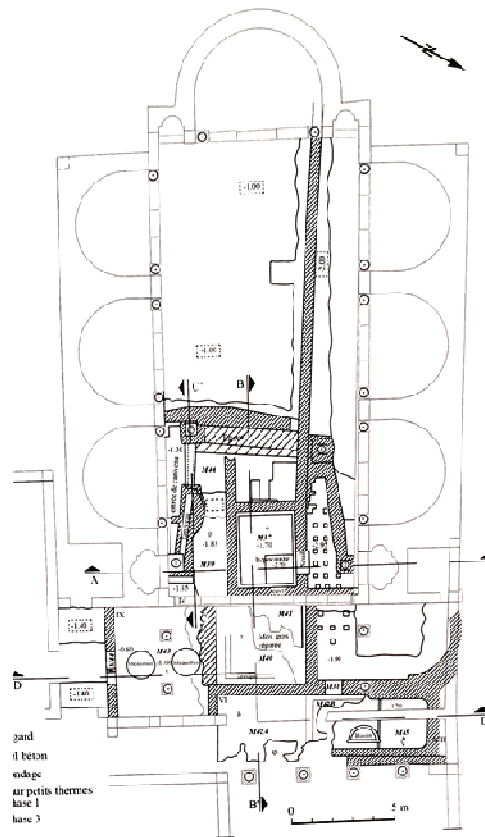


Fig. 74. Plan des Petite Thermes (J. Meunier, 1937; mise au net H. Kahwagi-Janhol).

صورة رقم 148: جزء من الحمّامات يظهر

الموقد والقاعة الساخنة

(حفريات "مونييه" سنة 1937)³

مخطط رقم 55: حمّامات منزل باخوس والقاعة

ذات سبع حنيات (كمعيار للتعرف على مكان

الحمّامات)⁴

¹ FEVRIER (P.A), Etude archéologique..... Op.Cit, p38.

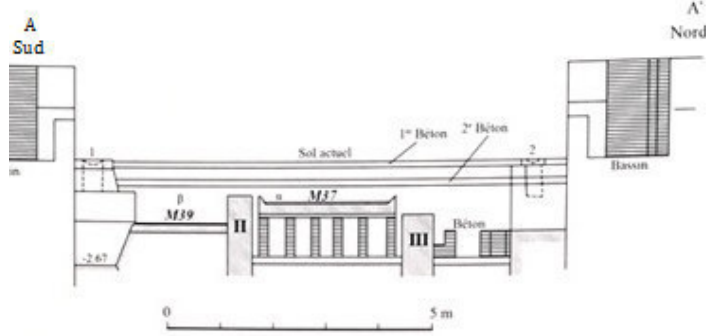
² BLANCHARD-LEMEÉ (M.), Les mosaïques..... Op.Cit, p110.

³ FEVRIER (P.A), Etude archéologique..... Op.Cit, p38 .

⁴ BLANCHARD-LEMEÉ (M.), Les mosaïques..... Op.Cit, p99.

2-7-4 الرّسم المقطعي لحمّامات منزل باخوس

أنجزت المقاطع من طرف "مونيي" سنة 1937 وأعيد تحديثها من طرف "قهواجي" Kahwaji لاستعمالها في المؤلف الجماعي *l'édifice appelé maison de Bacchus à Djemila*، تمكّنا هذه المقاطع من معرفة مستوى قاعات الحمّامات ومقارنتها مع مستوى الأرضية الحالية، وهو ما يوحي بالتّخلي عنها في فترة من الفترات لإنشاء مبنى آخر (القاعة ذات سبع حنيات)، في نظر أصحابها أكثر أهمية من الحمّامات.

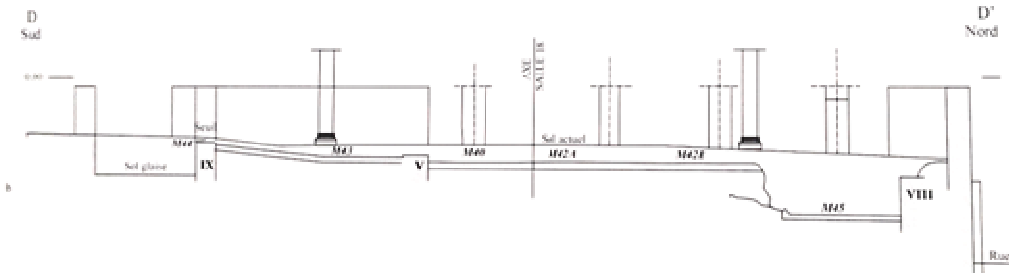
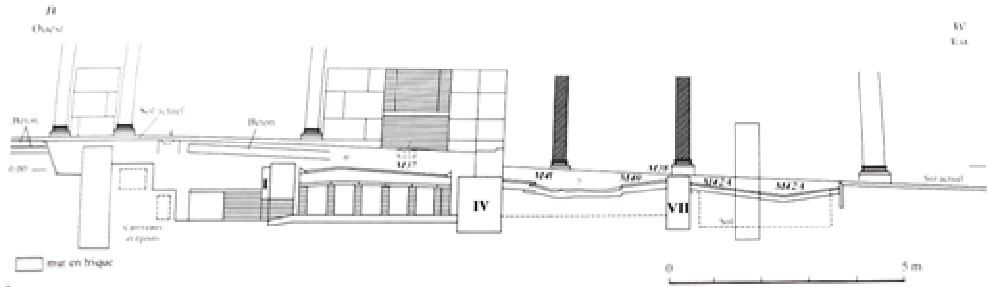
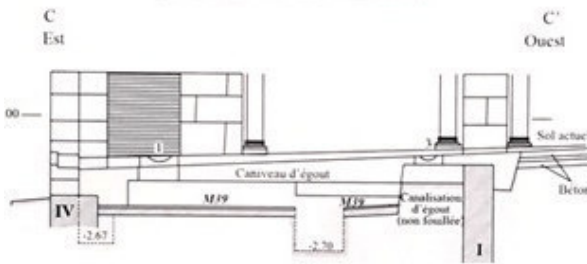


مخطّط رقم 56: مقطعين

على امتداد المحورين

(C/C') و (A/A')

لحمّامات منزل باخوس¹



مخطّط رقم 57: مقطعين على امتداد المحورين (B/B') و (D/D') لحمّامات منزل باخوس²

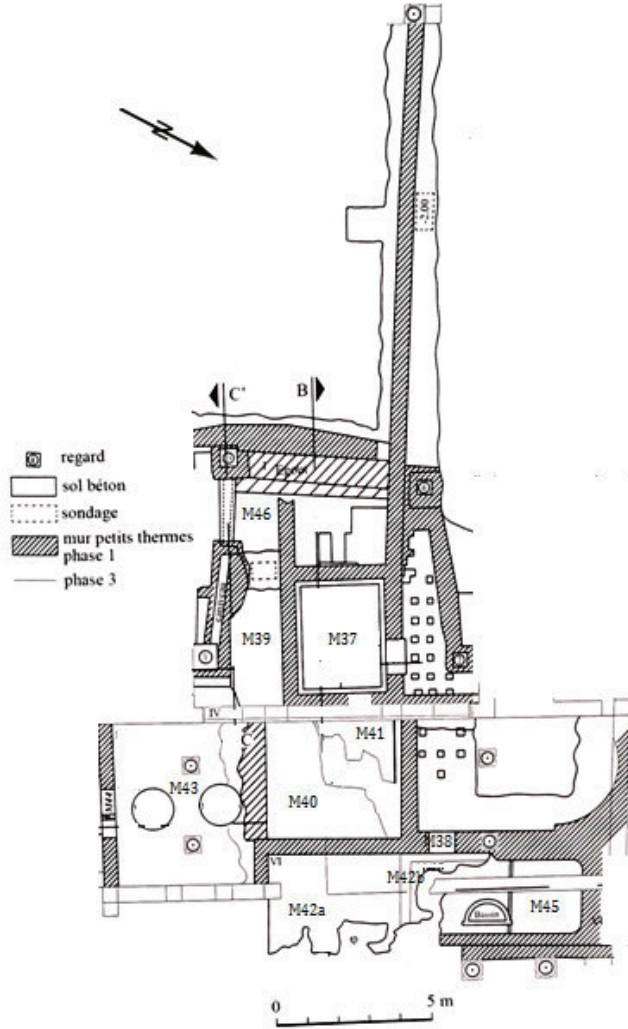
¹ BLANCHARD-LEMEE (M.), Les mosaïques..... Op.Cit, p100.

² Ibid , p101.

2-7-5 فسيفساء حمامات منزل باخوس¹

رغم مساحته الواسعة إلا أنّ منزل باخوس حضي بتبليط فسيفسائي تقريبا لجميع غرفه وقاعاته عبر مختلف مراحل استغلاله تقارب مساحته 5000م²، اختلفت مشاهدتها وطريقة وضعها وحجم مكعباتها وتاريخ انجازها، بما في ذلك الحمامات التي بلّطت أرضية قاعاتها بفسيفساء أغلبها هندسية، وهي موزّعة حسب المخطط التالي:

مخطط رقم 58: توزيع الفسيفساء على
أجزاء حمامات منزل باخوس
(عن "بلنشار لومي" بتصرف الطالب)



✓ الفسيفساء M37: فسيفساء سوداء، تتخفض ب 1.70م عن مستوى القاعة ذات سبع حنيات، مقاساتها (3.15×2.45)م.

✓ الفسيفساء M38: عتبة القاعة الساخنة، مقاساتها (0.65×0.81)م، حجم مكعباتها ما بين (0.008 و 0.01)م³ ومعدّل كثافتها 105 مكعب في 1 دسم².

¹ BLANCHARD-LEMEE (M.), Les mosaïques.....Op.Cit, pp 103-110.

✓ الفسيفساء M39: تنخفض عن مستوى الأرضية الحالية بـ 1.85 م، مقاساتها (1.60×6.80)م، أُنْتُف جزء كبير منها في الجهة الجنوبية الغربية بسبب قناة الصَّرف للقاعة ذات سبع حنيات.

✓ الفسيفساء M40: مقاساتها (3.80×3.90)م، هي فسيفساء ذات خيوط بيضاء بخلفية سوداء، محاطة بزخرفة هندسية مشبكة، معدل حجم مكعباتها ما بين (0.01 و 0.015)م³ ومعدل كثافتها ما بين 65 و 75 مكعب في 1 دسم².

✓ الفسيفساء M41: هي فسيفساء بمكعبات سوداء وحمراء وبيضاء، تنخفض عن عتبة القاعة ذات سبع حنيات بـ 0.50م.

✓ الفسيفساء M42: تقسم إلى مشهدين مختلفين، الأولى M42a مقاساتها (2.36×4.05)م، أُنْتُف الكثير من مكعباتها عند بناء أجزاء المرحلة الثانية لاستغلال المبنى، هذا التبليط عبارة عن فسيفساء هندسية تمثلها أشكال سداسية الأضلاع يتوسط كل واحدة منها زهرة مورقة، إلى جانب أشكال معينة، يفصل بين هذه الأشكال ضفائر مشكّلة نجمة سداسية تارة وخطوط منتهية بشكل حلزوني تارة أخرى، أما الحاشية فهي مشكّلة من خط منحنى بشكل تموجات. استعملت في هذه الفسيفساء مكعبات متعدّدة الألوان (أبيض، أحمر، وردي، أزرق مخضر، أصفر و رمادي) على خلفية بيضاء من الرّخام، متوسط حجمها (0.01)م³ في حين كثافتها ما بين 100 و 105 مكعب في 1 دسم².

المشهد الثاني M42b، لا يعرض الكثير من أجزائه، فالجهة الأفقية بقيت منها مساحة (0.65×2.80)م، أما العمودية فمساحتها (0.40×1.94)م، يظهر القليل من حقلها في الجهة الجنوبية والذي يشير إلى مشهد مائي يتملّ في خطوط مشكّلة لأمواج البحر إلى جانب جزء من سمكة ومؤخرة مخلوق ميثولوجي بحري، أما الحاشية فهي عبارة عن خطّان أبيض وأسود متوازيان في مسار متعرج. استعملت في هذه الفسيفساء الألوان (أبيض، أسود، أحمر، أزرق مخضر، أصفر، أخضر، رمادي).



صورة رقم 149: فسيفساء القاعة التي تتقدّم القاعة ذات سبع حنيات (M42a-M42b)¹

✓ الفسيفساء M43: تغطي مساحة تقارب 20م²، وهي عبارة عن فسيفساء هندسية تتخلّلها وريدات وأزهار نباتية، حقلها تتناوب فيه أشكال مربعة مع أخرى دائرية تتوسطها وريدات تخرج منها خيوط تتشابك مع بعضها، والكلّ داخل شكل ذو ثمانية أضلع تتحني إلى الدّاخل، أمّا الحاشية فهي مزينة بزخرفة نباتية. استعملت في هذه الفسيفساء مكعبات متعدّدة الألوان (أبيض، أسود، أحمر، رمادي فاتح، أصفر)، معدل حجمها ما بين (0.008 و 0.01)م³، ومعدّل كثافتها ما بين 140 و 150 مكعب في 1دسم².

¹ BLANCHARD-LEMEE (M.), Les mosaïques..... Op.Cit, pp104-105, Figs 80et81، الصّورة على اليمين صوّرت من طرف مونيي سنة 1937 بالموقع، والثّانية على اليسار موجودة بمتحف جميلة حسب بلنشار لومي



صورة رقم 150: أجزاء من الفسيفساء M43 بحمامات منزل باخوس¹

✓ الفسيفساء M44: هي فسيفساء عتبة القاعة الجنوبية الشرقية للحمامات والتي يحتمل أنها فتحت على حديقة المنزل، أتلقت بشكل كبير، إذ لم يبق منها سوى البعض من مكعباتها.

✓ الفسيفساء M45: وجدت بقاياها في مسافة 2.60م على طول المحور (شرق/غرب) و بين 4.25 و 2.50م (شمال/جنوب). وهي فسيفساء سوداء تتخفض بـ 0.60 م عن أخرى ذات مشهد بحري تعود إلى مرحلة لاحقة. من جهة أخرى احتوت القاعة التي وجدت هذه الفسيفساء على نافورة بحوض شبه اهليلجي مقاساته (0.50×0.85×1.35)م.

¹ BLANCHARD-LEMEE (M.), Les mosaïques..... Op.Cit, p108, Figs. 84 et 85.

3- الحمامات الرومانية الخاصة بمدينة هيبوريجيوس

حسب وصف "ماراك" (E.Marec) لمدينة هيبوريجيوس، "...هي قبل كل شيء مدينة للهو والمتعة *antiquis dilectus regibus*..."، فموقعها الذي تعاقبت عليه عديد الحضارات، وتتوّع منشآتها بطرز معمارية متعدّدة، ورقّي هندستها يوحي بذلك، إذ وجد بها عدد معتبر من المنازل الفاخرة، منها ما كان مزوّدا بطوابق - رغم قلتها - ومنها ما عرف بمساحتها الكبيرة ومنها ما احتوى العديد من الغرف والملاحق¹، من بين هذه المساكن منزل الصيد، منزل الإله فلوف *dieu fleuve*، منزل يوليانوس والمنزل ذو الطوابق أو ما يعرف بمنزل المكلف بتسيير شؤون المالية *procurateur*... الخ. وتشكّل منازل الواجهة البحرية تعاقبا حضاريا منذ الفترة البونية حتّى المرحلة البيزنطية، وتدلّ عليها مخلفاتهم المادية في طبقات الاستيطان البشري لكل مرحلة متعاقبة في الزّمن، استغلت الواحدة فوق الأخرى.

3-1 المؤهلات الهيدروليكية للمدينة

من خلال دراسة الخزّانات المنتشرة في المدينة، خاصّة تلك المعروفة بخزّانات أدريانوس *hadrianus* المؤرخة بالقرن الثاني ميلادي، التي تفوق قدرة استيعابها 12000م³، وبحكم موقعها في مكان مرتفع يسمح بوصول المياه إلى كامل منشآت المدينة ومختلف الخزّانات الأخرى، هذه الخزّانات كانت تزوّد بالمياه من مرتفعات الإيدوغ (منبع عين الفضة) على ارتفاع 1000م عن سطح البحر بواسطة قناة بوزيزي أو كما سمّاها السّكان المحليون بقناة الرّومان²، هذه الأخيرة محمولة فوق أقواس بقيت آثار منها عبر مسارها الذي يصل إلى 15 كلم، والخزّانات سابقة الذكر مشكّلة من ثلاث غرف رئيسية بطول يصل إلى 40.25م وعرض 17.40م وارتفاعها يصل إلى 10م، اكتشفت سنة 1883، ورُممت سنة 1895 لإعادة استعمالها في تزويد مدينة عنابة بالمياه³.

إلى جانب خزّانات أدريانوس، وجدت خزّانات أخرى بمقاسات مختلفة على غرار تلك المكتشفة سنة 1929 طولها 4 م وعرضها (0.60-0.75 م) وبارتفاع يصل إلى 1.40 م

¹ REBUFFAT (R.), *Maisons à péristyle d'Afrique du Nord. Répertoire de plans publiés (II)*. In M.E.F.R. Antiquité T. 86, N°1. 1974. p. 452.

² DERDOUR (H.), *Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes : menus appendices sur l'histoire générale du Grand Maghreb*, S.N.E.D, 1982, p 74.

³ SOULIE (F.), *les citernes d'Hippone ont été réparées*, pp 799-802, <https://www.annaba-patrimoine.com> /citernes-Hippone/. Publié 15 août 2016 · Mis à jour 29 avril 2018, consulter le 07 février 2021.

أيضا خزانات معلم *dii consentes* طولها 16 م وعرضها 5م، شرق الحمامات الكبرى الجنوبية. وخزانات الحي المسيحي طولها 4.20 م وعرضها 1.14 م وارتفاعها يصل إلى 4م. بالإضافة إلى الخزّانين المكتشفين سنة 1936 طول الواحدة منها 1.60م وعرضها 0.80م وارتفاعها 1.40م.

الخزّانات شمال شرق المنزل ذو الطوابق طولها 12.5م وعرضها 2.74م وارتفاعها 3.90م خزّان المنزل ذو الطوابق جنوب الحمامات إلى جانب خزّانين صغيرين غربها . الخزّانات الموجودة شمال غرب منازل الواجهة البحرية.

كل هذه الخزّانات كانت تضمن استمرارية توفّر عنصر المياه داخل المدينة ممّا يسمح بإنشاء حمامات مختلفة المساحة وبأحواض متعدّدة، سواء كانت عمومية على غرار الحمامات الكبرى الشمالية والأخرى الجنوبية، أو خاصّة داخل المنازل المنتشرة بالمدينة.



صورة رقم 151:

أشغال ترميم

خزّانات أدريانوس¹

¹ SOULIE (F.), Op.Cit.

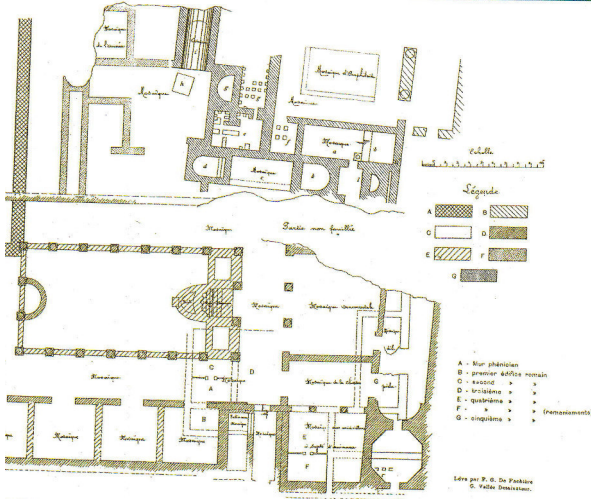
صورة رقم 152:: توزيع الحمّامات الخاصّة بمدينة هيبيوريجيوس (صورة ساتيليتية عن
google earth بتصرف الطّالب)



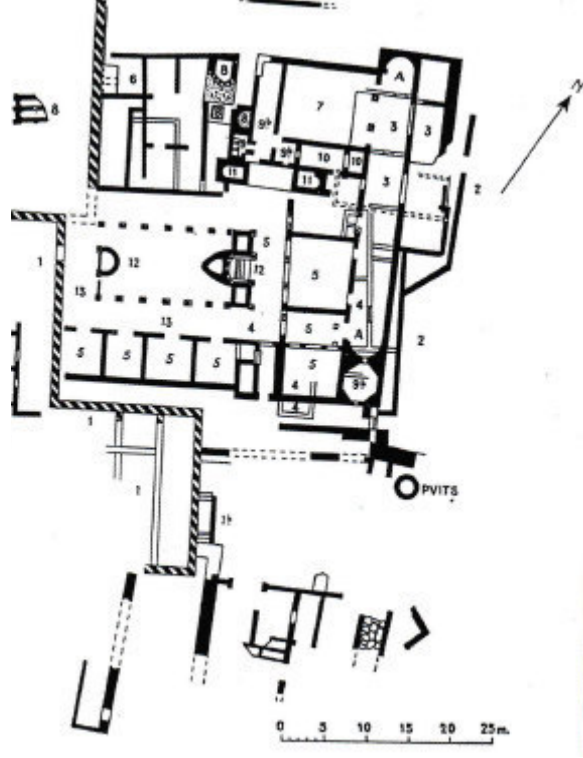
- | | | | |
|-----------------------------|---|--|---|
| حمامات منزل متاهة المينوتور | 3 | حمامات شمال غريب منازل الواجهة البحرية | 1 |
| حمامات المنزل ذو الطوابق | 2 | | |

-منازل الواجهة البحرية بمدينة هيبوريجيوس

في الجهة الشرقية من المدينة وجدت العديد من المنازل منها ما زود بحمامات خاصة، ومنها ما يطرح عديد الإشكالات حول حدودها ومكوناتها، إذ يصعب تحديد المساحة الحقيقية لكل منها بسبب تداخل الجدران، حيث بنيت على فترات متعاقبة، ويقترح كل من بحث في هذه المنازل عدّة معايير لتأريخها تنطلق من المستويات الطبقيّة وكل ما احتوته في طياتها، خاصّة طبقة الأرضية المبلّطة بالفسيّفاء التي تتنوّع بين الهندسية والميثولوجية والنباتيّة، تؤرخ من القرن الأوّل إلى الرّابع ميلادي على غرار تلك المدروسة من طرف "بيكار" Picard و"جارمان"، أو عن طريق السّبر الذي قام به "مورال" Morel سنة 1964، والذي يركّز على دراسة الفخّار المكتشف في طبقات متسلسلة في الزّمن¹، من جهة أخرى يصعب تحديد حدود كل منزل في ظلّ إعادة الاستغلال للموقع في فترات متعاقبة وكذا غياب تقارير تفصيلية للحفريات المنجزة منذ السّنوات الأولى من القرن العشرين.



مخطّط رقم 60: منازل الواجهة البحرية حسب
"دي باشتار"



مخطّط رقم 59: منازل الواجهة البحرية²

¹ DELESTRE (X.), Op.Cit, p 128.

² MAREC (E.), Hippone la royale « antique Hippo Regius » Alger, 1954, p 125.

3-2 حمامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية

تقع هذه الحمامات شمال حي الفيلات بالواجهة البحرية، تتشكّل من قسمين ساخن وآخر بارد، تقدّر مساحتها بحوالي 100م²، وهي مساحة تسمح بتوفّر القاعات الأساسية للحمامات، وخلق مجال تناوبي بين الساخنة والدافئة والباردة .



صورة رقم 153:

منظر عام للمنزل

والحمامات شمال غرب

منازل الواجهة البحرية

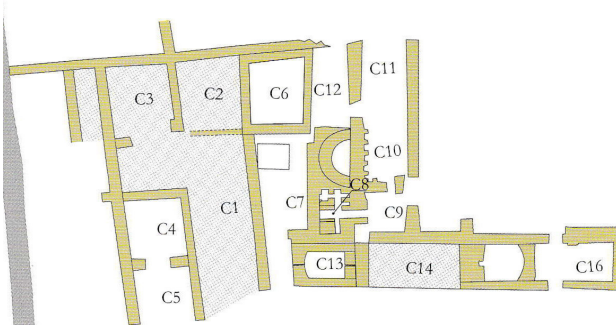
(تصوير الطالب)

3-2-1 تاريخ الحمامات

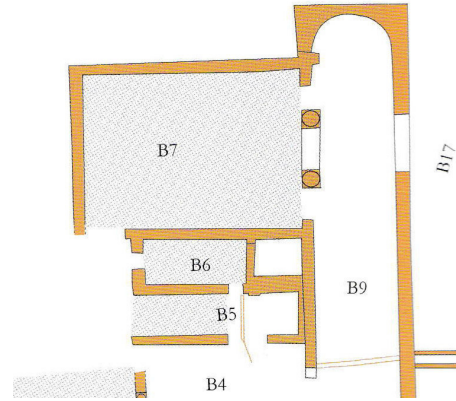
من خلال الدّراسات السّابقة لطبقية منازل الواجهة البحرية، والتي تشكّل في مجملها تعاقبا في الاستغلال منذ الفترة البونية ممثلة في الجدار الذي فصل الّبابسة عن البحر، وصولا إلى البيزنطية أو ما بعدها، والحمامات هي الأخرى عرفت عدّة تغييرات مست أجزاء منها، كلّ هذه التّغييرات تجعل تأريخها صعب المنال، وكل من بحث فيها اعتمد على عدّة معايير للتّأريخ، منها ما هو مرتبط بطبقات أرضيتها وهنا الاعتماد بناء على دراسة الأرضيات الفيسفائية وامتداد كل واحدة منها، وإذ كانت منازل الواجهة البحرية في الفترة الرّومانية تقسّم حسب "مارك"¹ إلى ستة مراحل متعاقبة، تؤرّخ بالقرن الأول إلى الخامس ميلادي، لكن هناك من يجعلها ثلاث مراحل فقط، استنادا إلى الدّراسة التّحليلية المبنية على توجيه مختلف الفضاءات وتقنيات البناء، والتي تبين التّغير الذي طرأ على وظيفة بعض الأجزاء خلال كل مرحلة استغلال، وريّما الاستغناء عن بعضها الآخر. انطلاقا من هذه الدّراسة فإنّ أقدم منازل

¹ MAREC (E.), Hippone la royale....., Op.Cit, p 45.

الواجهة البحرية لا يمكن أن تكون قبل القرن الثالث ميلادي¹، و الحمامات بهذا الطرح جزء منها يندرج ضمن المرحلة الثانية من الاستغلال ويتعلق الأمر بالقاعة الباردة وحوضها، والجزء الثاني يندرج ضمن المرحلة الثالثة والأخيرة ويتعلق الأمر بالقسم الساخن للحمامات.



مخطط رقم 62: مخطط المرحلة الثالثة³



مخطط رقم 61: جزء من المنزل في المرحلة الثانية للاستغلال²

لكن الإشكال الذي يطرح حول تأريخ الحمامات مكتملة بكامل أجزائها، فالقاعة الباردة يظهر أنها أسبق من القسم الساخن، فمستواها هي الأخرى ينخفض عن مستوى القاعة الساخنة، لكنه يتوافق مع مستوى القاعة المجاورة لها شرقا والتي بلطت أرضيتها بفسيفساء أمفريت.

والمعيار الثاني لتأريخ منازل الواجهة البحرية مرتبط بدراسة بقايا الفخار المكتشف عند كل سبر، ولكن ما وجد لا يمكن الارتكاز عليه من أجل تأريخ مطلق إذ الفوارق الزمنية تكون كبيرة أحيانا، واللافت للانتباه هو غياب الفخار Claire D فوق الفسيفساء، كذلك الأمر مع بقايا مصابيح الفترة المسيحية، مما يوحي بأنها بنيت في وقت سابق لها⁴.

من خلال هذه المعطيات فالحمامات تندرج في المرحلة الأخيرة للاستغلال وبالتالي فهي تؤرخ بالقرن الرابع وبداية الخامس ميلادي.

¹ DELESTRE (X.), Op.Cit, p 129.

² Ibid, p133.

³ Ibid, p137.

⁴ MOREL (J.P), Recherches stratigraphiques à Hippone, in B.A.A, III, 1968, p73.

3-2-2 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

يضمن الخزّان الموجود في الشّمال الغربي للحمامات تزويدها بالمياه وهو مستطيل مسقّف بقبة على شكل مهد، مقاساته (2×4.22)م وارتفاعه 1.20م، إلى جانب الخزّان الموجود جنوبه مباشرة والمهيأ على شكل بئر رباعي مقاساته (1.55×1.70)م، من جهة أخرى الحوض النصف دائري الموجود في نفس الجهة والمرتبط مع الموقد بواسطة قناة ، مع وجود قناة أخرى تربطه بالخزّان، ممّا يثير التساؤل حول القناة الأولى، ما إن كانت تضمن وصول المياه إلى الموقد لغرض تسخينها أم هي عكس ذلك لتزويد الحوض بالمياه الساخنة، والذي يعتقد أنّه كان تابعا للقسم الساخن ثم حوّل إلى خزّان أو بئر في وقت لاحق¹.

وهنا يطرح السؤال حول هذا التّعدّد في مكان ضيق ومحصور، فالأمر متعلّق بحاجة الموقع إلى كمية كبيرة من المياه، ربما هذا راجع إلى أنّه مرّ بفترة من الجفاف ممّا استدعى مخزون أكبر من المياه.



صورة رقم 155: الخزّان أو البئر رباعي الشكل
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 154: الخزّان مستطيل الشكل
(تصوير الطّالب)

أمّا بخصوص تصريف المياه من الحمامات، أثبتت حفريات "دي باشتار" عن وجود قناة تصريف المياه من القاعة الباردة، بمستوى البالوعة في ركنها الجنوبي الشرقي تتخفّض عن مستوى القاعة، ممّا يسمح الانحدار البسيط بوصول المياه المستعملة بسهولة²، وبدورها تضمن القناة تصريف المياه خارج الحمامات في اتجاه الشرق. وفي جهة القسم الساخن هناك قناة تربط الحوضين الساخنين،

¹ DELESTRE (X.), Op.Cit ,p 136.

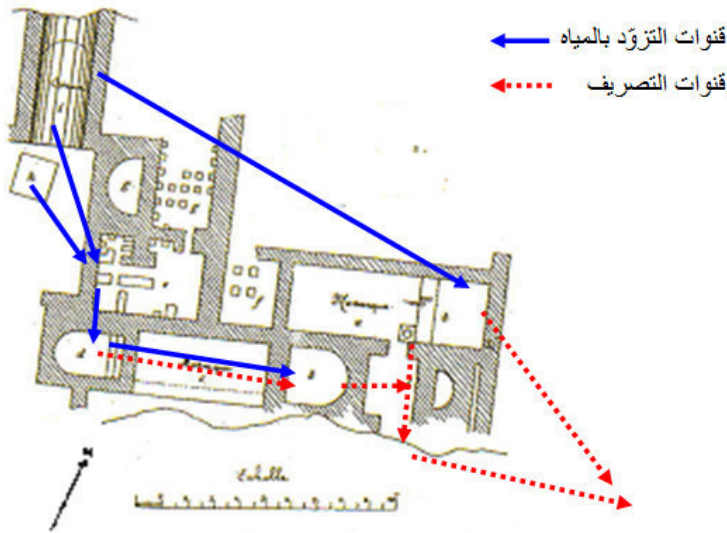
² DE PACHTERE (F. G.), Les nouvelles fouilles d'Hippone (pl. XIII-XXV). In M.A.H , tome 31, 1911, p345.

مزدوجة الوظيفة، فهي من جهة تزود الحوض الشرقي بالمياه الساخنة، ومن جهة أخرى هي نفس القناة المسؤولة عن تصريف مياه الحوض الغربي.



صورة رقم 157: قناة تصريف مياه الحوض الغربي الساخن (تصوير الطالب)

صورة رقم 156: قناة تصريف مياه القاعة الباردة (تصوير الطالب)



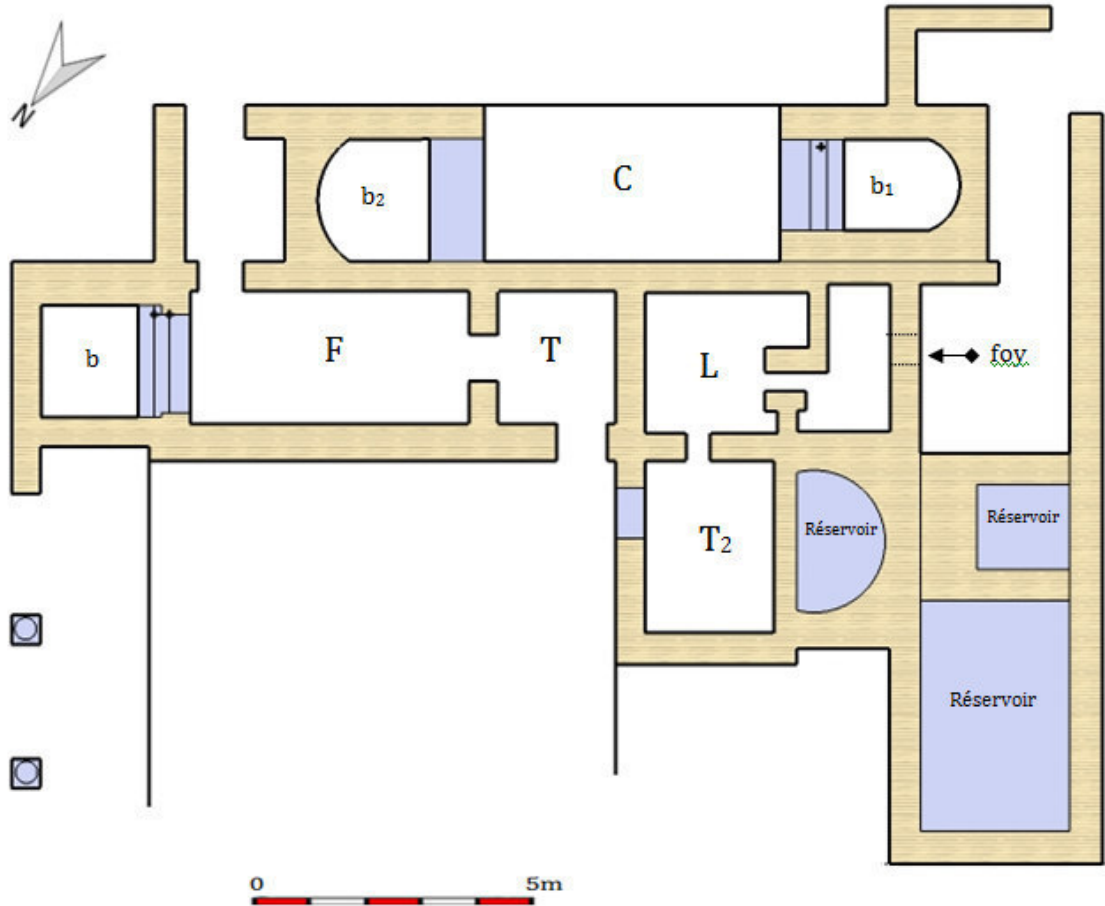
مخطط رقم 63: مسار المياه داخل الحمامات (بتصرف الطالب)

3-2-3 أقسام الحمامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية

تشكل هذه الحمامات قصورا بصريا بين ما نشاهده على المخططات، والذي يبدو فيها التعقيد بشكل مباشر، وبين ما نعاينه في أرض الواقع، فاختلاف المستويات بين أجزائها وعديد التدخلات لا تسمح بالقراءة الحقيقية لأقسامها وطريقة عملها، فغياب المداخل الرابطة بين قاعاتها هي الأخرى تجعل الرّبط بين قسميها الساخن والبارد معقداً، لدرجة أننا نجد أنفسنا في حيّز مغلق لا يعرف مدخله، ومن جهة أخرى آثار الاستغلال متباينة بين فترة اشتغالها وما بعدها.

3-2-3-1 القسم الساخن للحمامات

في المخططات المعدة من طرف "دي باشتار" سنة 1911 و"مارك" سنة 1954 لا يبدو الاختلاف في الشكل العام، في حين الجزئيات تبرز في مخطط "مارك"، ومنها المداخل الرابطة بين قاعاتها، ولا تشكّل القاعة الساخنة تعقيدا إذ هي مستطيلة الشكل مقاساتها (2.68×4.24)م، فقط جدارها الجنوبي غير واضح الحدود، إذ تمتد الفسيفساء التي بلّطت بها تقريبا إلى الحافة، وقد تستمر إلى الفضاء الذي شغله الرّواق الذي يرجع إلى مرحلة سابقة لاستغلال المبنى، زوّدت بحوضين الأول في جهتها الغربية يأخذ شكلا مستطيلا وينتهي بحنية نصف دائرية، مقاساته (1.65×1.75)م، ونصف قطر الحنية 0.70م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مشكّل من درجين دون احتساب العتبة، التي ترتفع عن مستوى القاعة بـ0.30م، بلّطت أرضيته بمكعبات متوسط حجمها 0.02م، وغطيت جدرانها بالأواح رخامية مقاساتها (0.40×0.40)م، يتمّ تزويده بالمياه المسخّنة فوق الموقد من جهته الشمالية الغربية، في حين تصرّف إلى الجهة الشرقية عبر قناة عرضها 0.30م وارتفاعها 0.40م.



مخطط رقم 64: أقسام الحمامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية (انجاز الطالب)

من جهة أخرى هيئت قناة في جداره الغربي، في مستوى منخفض، الرَّاجح أنَّ الحوض أُعيد استغلاله في فترة لاحقة، ليزوّد بالمياه الباردة مباشرة من الخزانات السابقة.

الحوض الثَّاني في الجهة الشرّقية، يشبه سابقه في الشَّكل لكنه أكبر منه مساحة، مقاساته (2.05×2.25)م، ينتهي في طرفه الشرقي بحنية نصف دائرية، نصف قطرها 0.60م، هذا الحوض زوّد بالمياه الساخنة من الحوض الغربي عبر قناة منجزة بالآجر تمر أسفل أرضية القاعة الساخنة.



صورة رقم 159: القاعة الساخنة والحوض الشرقي (تصوير الطَّالب)



صورة رقم 158: الحوض الساخن الغربي (تصوير الطَّالب)

أمَّا قاعة التَّعريق فتقع شمال غرب الساخنة مرتبطة مباشرة بالموقد، حرارتها مرتفعة، على الرغم من مساحتها الصغيرة التي لا تتعدى 5م²، إلا أنَّها تضمن للمستحمين مجالا للتَّعرق قبل الولوج إلى إحدى الحوضين الساخين، ترتبط شمالا مع القاعة الدَّافئة الأولى وشرقا مع الثَّانية .

القاعتين الدَّافئتين، الأولى شمال غرب الحمَّامات مقاساتها (2.35×3.15)م، بقيت محافظة على أجزاء من أعمدة الهيوكوست، في حين الثَّانية غرب القاعة الباردة وشمال الساخنة، هذه الأخيرة تنفتح على جهاتها الأربعة، شمالا مع قاعة فسيفساء أمفريت، وشرقا مع الباردة، وغربا مع قاعة التَّعريق وجنوبا مع الساخنة.

3-2-3 نظام التَّسخين داخل الحمَّامات

نظام التَّسخين المعتمد داخل الحمَّامات يعتمد بدرجة أولى على الموقد الموجود في الجهة الغربية لها، حيث هيئ رواق للخدمات عرضه 2.45م، هذا الموقد يبعث بحرارته إلى القسم الساخن بقاعاته الدَّافئة والتَّعريق، حيث لا تزال آثار أعمدة الآجر الحاملة لأرضيتها، في حين لا تظهر تحت

أرضية القاعة الساخنة المبلطة بالفسيفساء، من جهة أخرى الأحواض الساخنة في هذه الحمامات تختلف على ما عهدناه في أغلب الحمامات، وهو أنّ تكون مرتفعة عن مستوى القاعة، فهي إذا غير مسخنة من الأرضية بل تستقبل الماء الساخن من أواني التسخين بالموقد، لكن الحوض الشرقي يعتبر بعيدا نوعا ما عن هذا الموقد (تقريبا 10م)، فمياهه الساخنة يستقبلها من الحوض الشرقي، ويعتقد "دي باشتار" أنه يستمدّ حرارته من موقد ثاني في جهته الشرقية¹ (لا يوجد أي أثر له حاليا)، لكن هذا الاعتقاد تنقصه الدلائل الأثرية إذ لا يشير إلى أي عنصر من عناصر الموقد، فيبقى بذلك مجرد احتمال.



صورة رقم 161: موقد الحمامات
(تصوير الطالب)



صورة رقم 160: بقايا أعمدة
الهيبيوكوست (تصوير الطالب)

3-3-2-3 القسم البارد للحمامات

في المخطط الجزئي للمرحلتين الثانية والثالثة من استغلال منازل الواجهة البحرية، وفي آخر رفع هندسي أقيم بها من طرف "دولاستر" Delestre وفريقه²، يوجد إبهام كبير في معرفة حدود الحمامات، خاصة القسم البارد والذي يدرج ضمن مخطط المرحلة الثانية ويغيب عن مخطط المرحلة

¹ DE PACHTERE (F. G.), Les nouvelles fouilles..... Op Cit, p346.

² DELESTRE (X.), Op.Cit , p133et 137.

الثالثة حيث يظهر القسم الساخن بوضوح، ولا يلتفت إلى القاعة الباردة التي أشار إليها "دي بشتار" سنة 1911¹، ويظهر كذلك التداخل بين المخططين بخصوص الحوض الساخن الشرقي والذي يظهر في كليهما ولكن بشكل مخالف. من الناحية الأثرية هذا التداخل يمكن أن يكون إعادة استعمال نفس الجزء من المبنى مع تغيير في المخطط لغرض مخالف على ما كان عليه، وهو ما أهمل في استنتاجات "دولاستر".

وبالرجوع إلى ما ذكره "بابي" Papier وما بيّنه "دي بشتار" في مخطّطه، فالقسم البارد يأتي في الجهة الشرقية للحمامات، وهو مكوّن من قاعة مستطيلة مقاساتها (2.45×5.10)م، تنتهي في أقصى الشرق بحوض رباعي الشكل مقاساته (2.05×2.20)م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكوّن من درجين، يزود بالمياه من الخزّان الغربي سالف الذكر، هذه القاعة تنفتح على القاعة الدافئة من جهة الغرب عبر مدخل عرضه 0,85م. بلّطت أرضيتها بفسيفساء هندسية، وجدرانها بنيت بالآجر إلى جانب أجزاء منها بدبش الحجارة. في حين الحوض بلّطت أرضيته بمكعبات متوسط حجمها 1,5م³ بلون واحد، وجدرانه بنيت بالآجر في جداره الشمالي وبالدبش في الجدارين الجنوبي والشرقي.



صورة رقم 163 الحوض البارد
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 162: القاعة الباردة (تصوير الطّالب)

3-2-4 المسار الحموي داخل الحمامات

المسار الحموي في هذه الحمامات اختياري، فإذا اعتمدنا أنّ لها ثلاث مداخل، الأول يفتح بين القاعة الدافئة المركزية وقاعة فسيفساء أمفريت، والثاني بين هذه الأخيرة والقاعة الدافئة الشمالية والثالث جنوب القاعة الباردة.

¹ DE PACHTERE (F.G.), Les nouvelles fouilles....., Op Cit , p345.

فإذا دخل المستحمون عبر القاعة الدافئة الشمالية يكون المسار كآلاتي:

القاعة الدافئة الشمالية ← قاعة التعريق ← الدافئة المركزية ← الساخنة ← الدافئة المركزية ثم الباردة. وفي العودة: القاعة الباردة ← القاعة الدافئة المركزية، وهنا المسار يكون تتابعي عكسي وتقريبا يكون نفس المسار السابق فقط تستثنى القاعة الدافئة الشمالية وقاعة التعريق. أما إذا دخل المستحمون عبر القاعة الباردة يكون المسار تراجع عكسي.

3-2-5 تقنيات بناء الحمامات

يظهر في بقايا الحمامات عدّة تقنيات أنجزت بالحجارة الكلسية والآجر، وعلى الرغم من تعرّض المبنى إلى عديد التّدخلات منذ الفترة القديمة، وهو ما أثر على الفهم العام للمبنى سواء في مخطّطه أو طريقة بناء جدرانه، إلّا أنّ تقارير الحفريات الأولى والملف الفوتوغرافي تبرز آثار تقنيتين على الأقل:

تقنية البناء بدبش الحجارة متماسكة فيما بينها بملاط صلب، استعملت في التّقسيمات وفي المساحات الضيقة، والتّقنية الثّانية والتي لا تكاد تخلوا من المنشآت الحموية أساسها الآجر وجدت في الأحواض الساخنة خاصة الحوض الغربي وكذا الحوض البارد .

أما عن التلبيس فقد استعمل الملاط على طبقتين، الأولى بقطع صغيرة من الفخار أو الآجر والثّانية الملاط الجيري في أكثر من موضع، وداخل الأحواض وجدت بقايا الرّخام على جدرانها والتي أنجزت في شكل ألواح مربعة مقاساتها 0.40م، هذه التّقنية تسمح بتنظيف الأحواض بسهولة كما تمنع تسرّب المياه خارج الحوض.

وبلّطت الأرضيات في أجزاء كبيرة منها بالفسيفساء الهندسية، أنجزت بتقنيّة التسيلاتوم *opus tessellatum*، والأحواض بمكعبات صغيرة أحادية اللون، ولكن في فترة متأخرة من استغلال المبنى خاصّة في الفترة الوندالية ومن بعدها البيزنطية، حلّ التلبيط بالألواح رخامية محلّ المكعبات الفسيفسائية في أجزاء من المبنى¹.

¹ PAPIER (A.), *Hippone des vestiges de construction et de mosaïques Romaines et Byzantine découvertes dans le jardin de CHEVILLOT de 1895 à 1898* « notices sur les fouilles », in B.A.H, N°29 (1896-1898). p 41.

3-2-6 فسيفساء الحمامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية

فسيفساء القاعة الباردة: غير موجودة حالياً بالموقع، فقط الصورة التي نشرها "دي بشتار" سنة 1911 تبين ذلك، حاشيتها مزخرفة بأشكال هندسية مشبكة، والحقل عبارة زخرفة في شكل دوائر يتوسط كل منها شكل معين، بين كل دائرة وأخرى شكل درع بيضوي تحمله أوراق الأكانتس المحوّرة، في أركان المشهد شكل صدفى تخرج منه أوراق تلامس محيط الدوائر في شكل حلزوني.



صورة رقم 164: فسيفساء
القاعة الباردة¹

فسيفساء القاعة الساخنة: هي فسيفساء هندسية، الحاشية منجّزة بأشكال سداسية الأضلع سوداء على خلفية بيضاء، هذه الأشكال محاطة بأخرى على هيئة قلب تخرج من عنقه خيوط ملتفة بشكل حلزوني، أما الحقل فهو عبارة عن خطوط متعرجة تعددت فيها الألوان بين الأبيض والرمادي والبني والبرتقالي، أنجزت بتقنية *opus tessellatum* وحجم مكعباتها لا يتعدى 0.01م.



صورة رقم 166: حاشية فسيفساء القاعة
الساخنة (تصوير الطالب)



صورة رقم 165: فسيفساء القاعة الساخنة
(تصوير الطالب)

¹ DE PACHTERE (F. G.), *Les nouvelles fouilles.....*, Op Cit, p345 figure 9

نفس الفسيفساء ذكرت عند "بلنشار لومي" على أنها تخصّ قاعة الجلوس *triclinium* جنوب الحمامات، أنظر، DELESTRE (X.), Op.Cit, p139,

3-3 حمامات المنزل ذو الطوابق (البروكوراتور)

ليست كثيرة هي الآثار التي تشير إلى أن مدينة هيبوريغيوس في العهد الروماني كانت تحتوي على منازل ذات طوابق، وحدها الأبحاث والتّحقيقات الأثرية هي التي تعطينا قراءة جدية حول هذا الموضوع، لكن تبقى البقايا الأثرية دليل على أن هذا المنزل أحتوى على الأقل طابق أو اثنين، ضف إلى ذلك موقعه المطل على شاطئ البحر زمن بنائه، وأنّ الجهة الشرّقية كانت تشكّل مكانا لرسوّ القوارب، كما يسند إلى هذا المنزل تسمية أخرى وهي منزل مسؤول المالية، لكن هنا الإشكال مطروح، من يكون هذا المسؤول المدني؟ هل هو حقا فلافيوس ماکر أو من خلفه في تسيير الشؤون المالية، هذا ما قاد "مارك" إلى الاعتقاد بأن مكاتب المكلفين بمراقبة وتسيير وضبط المحاصيل المعدّة للتصدير إلى روما كانت في الطابق الأرضي. والحمامات في مستوى الطابق الأول يتمّ الصعود إليها عبر سلّم مهياً في الرّكن الشرقي للقاعة ¹A، كما يمكن الدّخول إليها من جهتيها الشماليّة والغربيّة.

وتقع الحمامات في الشّمال الشرقي للمنزل، هذا الأخير يتّخذ من الجنوب الشرقي للمدينة موقعا له، ويستبعد أن تكون له مجاورة من الجهتين الشرّقية والجنوبية، أمّا من الشّمال فطابقه الأول يطلّ على شارع عرضه 4م.

3-3-1 تاريخ المنزل وحماماته الخاصّة

ثلاث دلائل مادية اكتشفت على مقربة من بقايا المنزل، مدعّمة بكتابات لاتينية لثلاث حقبة زمنية، نتشارك في إعطائنا تاريخ له ومن ثم الحمامات خاصّته، تتمثّل هذه الدلائل في :

1. قاعدة تمثال للمسمى تيتوس فلافيوس ماکر (*T. Flavius Macer*) مسؤول المالية الذي كلفه الإمبراطور ترايانونس بتحصيل الحبوب وإرسالها إلى روما، كما كلف بالتسيير المالي للمزارع والأراضي الإمبراطورية التّابعة إقليميا لمدينتي هيبوريغيوس وتيفاست ²، ويعتبر فلافيوس ماکر من

¹ MAREC (E.), *Une maison à étages à Hipponne*.Op.Cit, pp160-161 et 172.

² *I.L.Alg* I, n°285. 3992.

- دحمان رياض، المرجع السابق، ص47..

-CHRISTOL (M.), « Le blé africain et Rome. Remarques sur quelques documents ». In: *Le Ravitaillement en blé de Rome et des centres urbains des débuts de la République jusqu'au Haut-Empire. Actes du colloque international de Naples, 14-16 Février 1991. Rome : E.F.R, 1994. pp. 297-298.*

عائلة عريقة بشمال إفريقيا، حيث سجّل هذا اللقب على كثير من النقيشات اللاتينية. أكثر من 350 حالة في ملحق مجمع النقيشات اللاتينية CIL في جزئه الثامن¹.

2. واجهة معبد صغير لشرف الإمبراطور أدريانوس من طرف كايوس سيستوس بونتيرا *C. Sestius Panthera*، الذي شغل منصب أمين الأرشيف لإدارة الممتلكات، ثم شغل منصب مسؤول المالية، يحتمل أن يكون قد خلف فلافيوس ماکر².

3. واجهة مذبح من الرّخام توّرخ بفترة حكم سبتيموس سيفيروس وكاراكلا، للآلهة الحامية لمخازن المحاصيل الإمبراطورية، أقيم من طرف سابينوس *sabinus* المكلف بضبط ومراقبة الموازين والقياسات.

كل هذه الدلائل المذكورة ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين. مؤشر ثاني يبنى عليه تأريخ المبنى وهو دراسة الفسيفساء المكتشفة به، وإن كانت الدراسات حولها قليلة، الأمر الذي لم يعط تأريخ دقيق لها، شأن "مارك" الذي يحصرها ما بين القرنين الأول والخامس حين حديثه عن المنازل الفاخرة لمدينة هيبوريجيوس³، في حين "جرمان" ترجعها إلى نهاية القرن الثالث وبداية الرابع ميلادي طبعاً من خلال تقنية إنشاء الفسيفساء وتوزيع الألوان وفق الموضوع المراد إبرازه⁴.

3-3-2 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

وجد بالمنزل ذو الطوابق خزّان في الجهة الغربية للحمامات، إلى جانب اثنين آخرين، الأول في الجهة الجنوبية الغربية مهياً في الطابق الأرضي⁵ عرضه 2.80م وارتفاعه 3م، والثاني في الجهة الغربية مكوّن من غرفتين يتوسطهما مدخل ارتفاعه 1.50م، طول كل غرفة 2.70م وعرضها 1م، يعتقد "مارك" أنّ هناك غرفة مماثلة للخزّان في جهته الجنوبية⁶، وبخصوص الرّأي القائل أنّ هذين الغرفتين ليستا خزان وإنما مخزن *horrea* للحبوب أو الزيوت، فإنّ "مارك" يرى عكس ذلك ويعزّز رأيه

¹ اخربان محند آكلي، دراسة أثرية لإقليم قالمة القديمة من خلال التّجمعات السّكنية وشبكة الطرقات والنقيشات اللاتينية ومختلف اللقى الأثرية، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2016، ص74.

² I.L.Alg n°3991.

- MAREC (E.), *Une maison à étages à Hippone*. Op.Cit, p172.

³ MAREC (E.), *Hippone la royale*.....Op.Cit, p 45

⁴ GERMAIN (S.). *Remarques sur des mosaïques de style fleuri de Timgad et d'Hippone*. In: Ant.Af. 7,1973. P264.

⁵ المقاسات حسب "مارك"، MAREC (E.), *Une maison à étages à Hippone*. Op.Cit, p173

⁶ Ibid, p164.

بإجراء مقارنة مع خزانات روما وغوليا *narbonne* ذات المساحة الصّغيرة مقارنة بما وجد في المنزل ذو الطابق.

من جهة أخرى ترتبط هذه الخزّانات مع الخزّان الكبير شمال شرق المنزل. بهذه المعطيات المتعلّقة بتوفّر عنصر الماء تضمن الحّمّات استمرارية التزوّد به دون انقطاع.

وبخصوص تصريفها من المنزل، لا يطرح إشكال كبير مثل ما وجد في الحّمّات التي تبنى في مستوى واحد مع الشّوارع، ففي هذه الحالة فالجهة الشّمالية مستبعدة، لأنّ مستوى الشّارع مرتفع عن أرضية الحّمّات، يبقى أن يكون في الجهة الجنوبية أو الجنوبية الشرّقية، بالتّالي مسار قنوات التّصريف تبدأ من القسم البارد إلى الساخن، في نفس اتجاه قنوات تزويدها بالمياه من الخزّان المحاذي لها بالطابق الأرضي للمنزل.



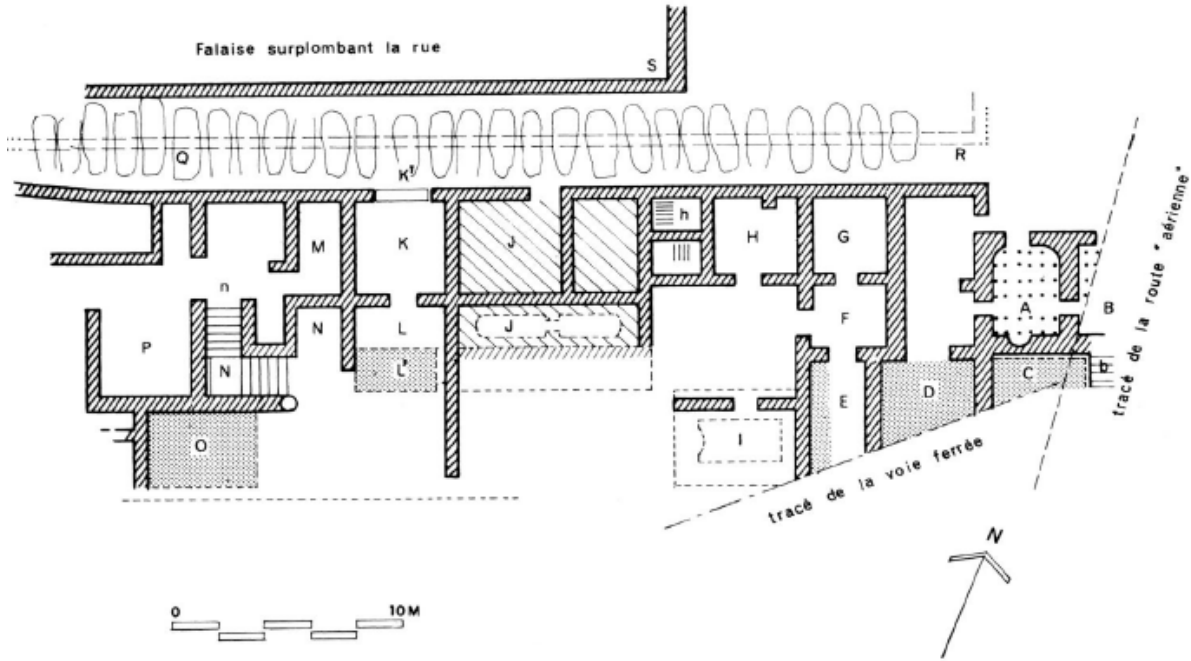
صورة رقم 168: الخزّان الغربي بالمنزل ذو الطوابق
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 167: فوهة الخزّان الجنوبي
وجزء من غطائها بالمنزل ذو الطوابق
(تصوير الطّالب)

3-3-3 أقسام حمامات المنزل ذو الطوابق¹

لا يمكن التعرف على المساحة الحقيقية للحمامات ولا امتدادها إلى الجهتين الشرقية والجنوبية، فجزء كبير منها انهار بفعل المنحدر في تلك الجهتين، ولم يبق منها سوى القاعة الساخنة A، التي حافظت على معظم عناصرها، في حين القسم البارد للحمامات لا توجد أي إشارة إليه، ويبقى أن نستنتج من خلال مخطط "مارك".



مخطط رقم 65 : المنزل ذو الطوابق " البروكوراتور"²

3-3-3-1 القسم الساخن لحمامات المنزل ذو الطوابق

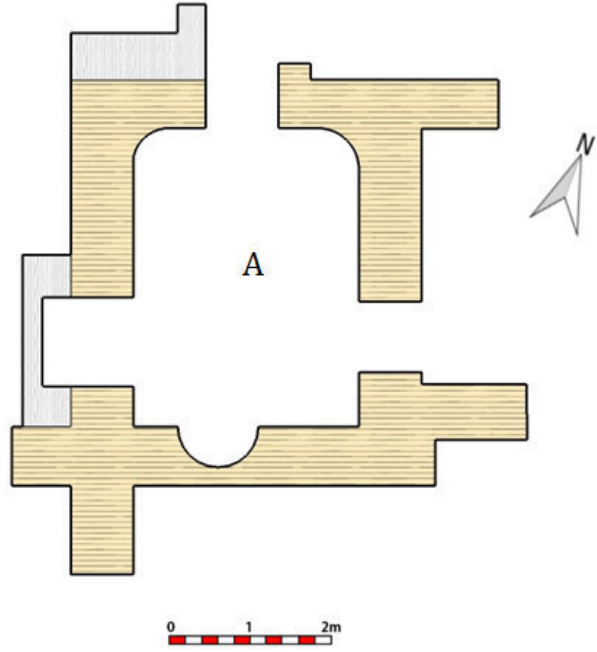
يطرح القسم الساخن إشكالا في تحديد وظيفة كل قاعة، والأكيد أن القاعتين A و B ساختن بدليل بقايا أعمدة الهيبيوكوست التي وجدت بهما، خاصة في الركن الجنوبي الغربي للقاعة A، بقي من ارتفاعه 0.45 م، في حين مقاسات الآجر 0.20×0.19م، ويذكر "مارك"³ أنها كانت تحتوي 35 عمود (5 عرض و 7 طول).

¹ للإشارة أن الأحرف اللاتينية التي تذكر في صلب الدراسة الوصفية لهذه الحمامات هي نفسها الموجودة على مخطط "مارك".

² MAREC (E.), *Une maison à étages à Hippone* Op.Cit, p159, Fig 1.

³ Ibid, p160.

من جهة أخرى لا يمكن التّعرف على الأحواض، فالقاعة الساخنة الأكثر محافظة لعناصرها لا تبرز ما إن زوّدت بحوض أو لا؟، هذه الأخيرة مقاساتها (2.80×3.70)م، وارتفاع جدرانها يفوق 3م، تنحني زاويتها الشمالية الشرقية والشمالية الغربية محدثة شكلا بيضوي، وهي مفتوحة على ثلاث جهات من الشمال بمدخل عرضه 0.90م، ومن الشرق بمدخل عرضه 0.87م، ومن الغرب عرضه 1.10م، هيئت في جدارها الجنوبي كوة نصف قطرها 0.50م. بنيت جدرانها بالآجر تتخللها دعائم من الحجارة الكبيرة، والأساسات بنيت بالحجارة متوسطة الحجم.



صورة رقم 169: القاعة الساخنة A

(تصوير الطالب)

مخطّط رقم 66: القاعة الساخنة A

(انجاز الطالب)

القاعة الساخنة B لم يبق منها سوى امتداد جداريها الشمالي والجنوبي لمسافة لا تتعدّى 1م. أمّا عن الموقد المسؤول عن توفير الحرارة للقاعتين، فهو غير معلوم لكن من خلال موقع القاعتين ومستواهما المرتفع في الجهتين الشرقية والجنوبية، وأنّ هذه الأخيرة جزء منها مشغول بالسلم سابق الذكر، فالأقرب أن يكون الموقد من الجهة الشمالية لقربه من الشارع، وبالتالي تسهيل جلب مستلزماته من الوقود وسهولة تنظيفه.

3-3-2 القسم البارد لحمامات المنزل ذو الطوابق

لا توجد أي إشارة إلى القاعة الباردة ولا الحوض، لكن يبقى أن نشير إلى القاعتين C, D جنوب القسم الساخن، وكلاهما بلّطت أرضيتهما بفسيفساء تجمع بين الهندسية والنباتية، وبحكم موقعهما الاحتمال وارد أن يكونا المشكّلان للقسم البارد، لكن هذا مجرد احتمال يقبل النفي، إذ الدلائل التي من خلالها الجزم غائبة كون جزء كبير منهما منهار، وإن كانتا كذلك فإنّ الرّواق الذي لا يتعدّى عرضه 2.50م غرب القاعة الساخنة A وشمال القاعة D يلعب دور القاعة الدّافئة.

3-3-4 فسيفساء حمامات المنزل ذو الطوابق

فسيفساء القاعة C: عرضها 4.30م، وهي فسيفساء نباتية إن صحّ القول عبارة عن أوراق مستنّنة تشكّل ثمانية دوائر متعدّدة الألوان (الأصفر والأحمر والأخضر) منجزة على خلفية بيضاء، وفي منتصفها يبرز على خلفية سوداء أشكال ذات ثمانية زوايا، وفي وسطها زهرة بثمانية أوراق أنجزت بألوان متدرّجة، الأصفر من الدّاخل والوردي والأخضر من الخارج، أمّا الحاشية فهي منجزة بشكل جدائل متعدّدة الألوان عرضها¹ 0.40م.



صورة رقم 170: إعادة تصوّر لفسيفساء

القاعة² C

فسيفساء القاعة D : وهي تبليط مربع طول أضلاعه حوالي 4م، قام "ماراك" بإعادة تصوّر لها، وهي تجمع بين الهندسية والنباتية، الحاشية منجزة بشكل ضفيرة تشبه سنابل القمح، أمّا الحقل فهو

¹ MAREC (E.), *Une maison à étages à HipponeOp.Cit*, p161.

² Ibid, Fig.2, p160.

أكثر تعقيدا منجز بشكل تناظري، إذ يتكوّن من أربعة أشكال بيضوية يتوسّط كل منها خيوط مورّقة مشكّلة قلوب، هذه الأخيرة محدّدة بلفائف من الكؤوس الملولبة والتي تلتف حولها، داخل القلب وخارجه تنتهي بوريدات منحنية للداخل، محدثة ما يشبه الشمعدان، ويتوسّط الحقل دائرة هي الأخرى مشكّلة من أزهار النباتات، يحيط بها معيّن أسود ذو زوايا حادة وأضلع مقعّرة، يقسم اللوحة إلى أربعة أجزاء متساوية، عند رؤوس هذا المعيّن تبرز في اثنان منها أشكال نصف نجمية، وفي الاثنان المتبقين ما يشبه زهرة الوسط في الفسيفساء السابقة، هذه الفسيفساء تعدّدت فيها الألوان بين الأبيض والأسود والأخضر والوردي¹. تشبه في شكلها العام تلك المكتشفة في المنزل جنوب شرق فوروم ثاموقادي (الوحدة 85)²



صورة رقم 172: إعادة تخطيط لفسيفساء

القاعة⁴D



صورة رقم 171: إعادة تصوّر لفسيفساء القاعة³D

القاعة³D

¹ MAREC (E.), *Une maison à étages à Hippone*Op.Cit, p161.

² GERMAIN (S.), *Les mosaïques de Timgad*..... Op.Cit, p51, pl.XXI.

- GERMAIN (S.), *Remarques sur des mosaïques*Op.Cit, Fig.3, p262.

³ MAREC(E.), *Une maison à étages à Hippone*Op.Cit , fig.2, p160.

⁴ GERMAIN (S.). *Remarques sur des mosaïques*Op.Cit. Fig.2, p261.

3-4 حمامات منزل متاهة المينوتور

3-4-1 موقع المنزل والحمامات

يقع المنزل في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة هيبوريجيوس، أقرب منشأة لها هي الحمامات الكبرى الجنوبية إذ تبعد عنه مسافة 75م في الجنوب الغربي¹، أمّا من الجهات الثلاث المتبقية (الشمالية والغربية والجنوبية)، فهي غير منقبة بعد، تبلغ مساحة المنزل حسب تقرير "ماراك"² 250م².

سمّي المنزل بهذا الاسم نسبة إلى المشهد الفسيفسائي الذي وجد بالقاعة الباردة لحمامات المنزل، وهي عبارة عن فسيفساء هندسية بشكل متاهة يتوسطها مشهد ميثلولوجي للحيوان الخرافي "المينوتور".

وتقع الحمامات في الجهة الشرقية للمنزل، حالة حفظها لم تسمح بالتعرّف على كامل مكوناتها بسبب كثافة الغطاء النباتي (أشجار وأحراش صعبة الوصول إلى بقايا الحمامات)، على الرغم من تنظيف جزء منها أثناء العمل الميداني.



صورة رقم 173: جزء من
حمامات منزل متاهة
المينوتور (كثافة الغطاء
النباتي) (تصوير الطالب)

¹ MAREC(E.), Hippone la royale.....Op.Cit, p100.

² Idem.

3-4-2 تأريخ الحمامات

السبيل الأكثر ملائمة لتأريخ حمامات منزل متاهة المينوتور هو الفسيفساء التي وجدت بها وهي تجمع بين الطابع الهندسي والميثولوجي، وعرف هذا المشهد في عديد المدن الرومانية وفي منشآت تختلف بين الحموية وغيرها، فهو بذلك ليس طابعا جديدا اختصت به مدينة هيبوريغيوس، وتشير الدراسات أنّ عدد الأرضيات الفسيفسائية التي تصور مشهد المتاهة 63 ، منها 16 عثر عليها في كل من الجزائر وتونس، فتحتل بذلك المرتبة الثانية بعد إيطاليا بـ20 مشهدا وتأتي فرنسا في المرتبة الثالثة بـ9 نماذج، والباقي في أنحاء أخرى، أما تلك التي عثر عليها في الجزائر فتخصّ المواقع (هيبوريغيوس، سيزاري، روسوكورو (دلس)، روسقونياي (برج البحري)، يومنيوم (تيقزيرت)، كاستيلوم تانجيتانوم (الشلف))¹، وهي تؤرخ من القرن الثاني إلى الخامس ميلادي.

ومن الأمثلة أيضا نجد فسيفساء الرّواق المعمد لمنزل النافورة بكونيمبريقا² Conimbriga بالبرتغال، تؤرخ بالقرن الثالث ميلادي.

وبسويسرا نجد فسيفساء غرفة النوم بفيلا أورب villa d'Orbe و فسيفساء أفينشيز avenches التي تؤرخ بـ250م ، وفسيفساء فيلا كورميرود³ Cormérod

فسيفساء سالزبورغ⁴ Salzburg بفينا (النمسا)، تؤرخ بنهاية القرن الثالث ميلادي.

فسيفساء القاعة الباردة بحمامات تيزوس والمينوتور بـ: هنشير الفوار بـ: بيلاليس مايور⁵ belalis maior بتونس، تؤرخ بالقرن الرابع ميلادي.

فسيفساء القاعة الباردة بحمامات المتاهة بـ: هنشير القصبات "توبوربو مايوس"⁶ Thuburbo Maius بتونس، تؤرخ أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع ميلادي

فسيفساء الجم⁷ thysdrus بتونس تؤرخ بالنصف الأول من القرن الثالث، تشبهها من حيث الموضوع لكن تختلف عنها في الشكل، فهذه الأخيرة منجزة بشكل دائري وليس رباعي.

¹ SLIM (H.), La mosaïque du labyrinthe de Thysdrus. In: Ant. Af., n°15, 1980. p207 .

² CORREIA (V.H.), The Mosaics of Conimbriga (Prov. Lusitania, Portugal). New Observations on the Activity of their workshops and on their Decorative Programs, in J.M.R, 10, 2017, p135.

³ DELBARRE-BÄRTSCHI (S.), Les mosaïques romaines en suisse , ANTIQUA 53, Basel , suisse, 2014, p104

⁴ ELODIE (M.T.), Le fil d'Ariane et la traversée du Labyrinthe. in G.A.I.A, numéro 17, 2014. p 200.

⁵ MOLHOLT (R.), Roman Labyrinth Mosaics and the Experience of Motion, The Art Bulletin, 93:3, 2011, p288.

⁶ Ibid, p291.

⁷ SLIM (H.), Op.Cit, p215 ..

من خلال المنهج المقارن مع ما تمّ عرضه من أمثلة والتي يؤرخ أغلبها بالقرن الثالث ميلادي، فحمّامات متاهة المينوتور، والتي أرخت حسب "ماراك"¹ بـ 150-200 م، في حين هناك من أرخها بـ 100-150م، فإنّ طابعها الذي لا يختلف عن المشاهد التي تصوّر بمثل تلك التّقنيات تؤرّخ على الأقلّ بالنّصف الأول من القرن الثالث ميلادي .

3-4-3 مصدر مياه الحمّامات وتصريفها منها

بنيت حمّامات متاهة المينوتور في مكان ينخفض عن مستوى المباني الأخرى بما في ذلك الخزانات الموجودة في جهتها الشماليّة الشرقيّة، أقرب هذه الخزانات هي معلم *dii consentes*، وهي الأقرب لتكون الممّون لهذه الحمّامات، أمّا بخصوص تصريف المياه المستعملة فهي في الجهة الشماليّة، حيث توجد قناة مغطّاة ببلاطات حجرية، هذه القناة تتّجه من الشرق إلى الغرب نحو وادي بجيمة (واد بوجمعة).



صورة رقم 174: قناة
تصريف مياه الحمّامات
(تصوير الطّالب)

¹ MAREC (E.), Le thème du labyrinthe et du Minotaure dans l' mosaïque romaine, in Hommages à Albert Grenier, vol. 3 (Brussels: Latomus, Revue d'études Latines, 1962), 1094-1112.

3-4-4 أقسام حمامات منزل متاهة المينوتور

حاليا في ظل حالة الحفظ السيئة للموقع لا يمكن التعرف على حدود المنزل ولا الحمامات ومختلف أقسامها وخصائصها، لكن التنظيف الجزئي الذي قمنا به سمح بالتعرف على جزئها البارد بما في ذلك الحوض المستطيل، مقاساته (2.95×3.25)م، يتم النزول إليه عبر سلم مكون من ثلاث درجات مشكّلة ارتفاعا يصل إلى 1.13م، وترتفع عتبته عن مستوى القاعة بـ 0.45م.

الحوض موجه من الغرب إلى الشرق، بنيت جدرانته بالحجارة الصغيرة، في حين لبست بالجير المائي، ويذكر "مارك" أنها كانت مغطاة بألواح رخامية، كذلك الأمر مع القاعة الباردة، هذه الأخيرة لم نتمكن من معرفة حدودها. ثم إنّ المساحة التي تشغلها الفسيفساء المكتشفة بها لم تضبط على وجه الدقة من طرف من تطرّق إليها بالحث، فنجدها عند "بالو"¹ (8×8 م) وعند "مارك"² مقاساتها (5×6م)، وفي بحث آخر³ (6×7م).

يجاور هذه القاعة اثنان آخران بلّطت أرضيتهما بفسيفساء تزيينية ذات أشكال هندسية متنوعة.



صورة رقم 175: الحوض البارد لحمامات منزل متاهة المينوتور (تصوير الطالب)

أمّا القسم الساخن، فهو في الجهة الغربية للحمامات، لم نتمكن من رصد نظام تسخينه، لكن من خلال مستوى أرضيته التي تنخفض عن مستوى القاعة الباردة بـ 0.80م، تمّ التعرف على جزء منه، لكن يبقى غير واضح بسبب كثافة الغطاء النباتي. إضافة إلى بقايا آجر أعمدة الهيبوكوست.

¹ BALLU (A), Travaux de fouilles et de consolidations effectuées en 1920, in R.S.A.C, 1922-1923, p 29.

² MAREC (E), Hippone la royale ... Op.Cit, p100.

³ MOLHOLT (R.), Op.Cit, p 294.



صورة رقم 177: عيّنة من آجر أعمدة
الهيوكوست (تصوير الطّالب)



صورة رقم 176: الرّواق الفاصل بين القسمين السّاخن
والبارد (تصوير الطّالب)

3-4-5 فسيفساء حمّامات منزل متاهة المينوتور

-فسيفساء إحدى قاعات القسم البارد، يظهر جزء منها في شكل مربعات كبيرة بمحيط أسود على خلفية بيضاء، يتوسطها معيّن، تلامس مركز كلّ ضلع منه زوايا مربّع صغير بداخله. إلى جانب مربّعات صغيرة سوداء تلتصق فيما بينها عبر زواياها .

أنجزت هذه الفسيفساء بتقنية *opus tessellatum*، متوسط حجم مكعباتها 0.01م³.

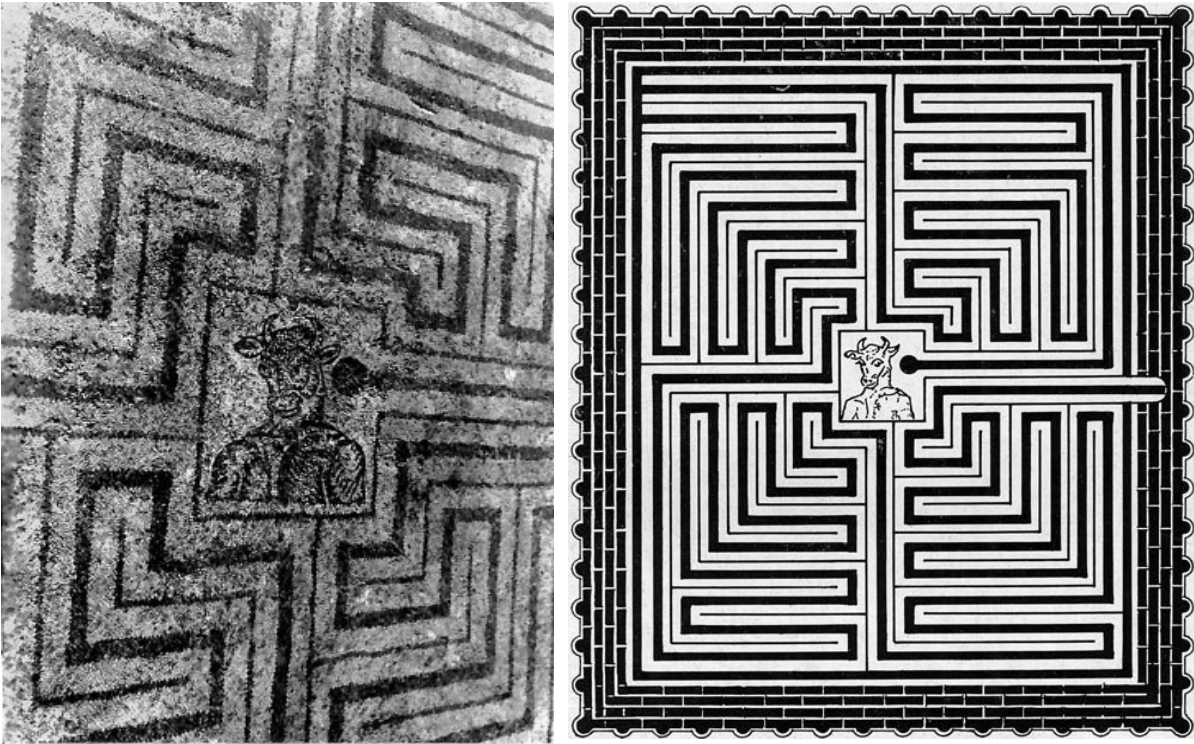


صورة رقم 178: جزء من فسيفساء هندسية
بحمّامات منزل متاهة المينوتور
(تصوير الطّالب) *in situ*

-فسيفساء متاهة المينوتور

يظهر خيط آريان غليظ مقارنة بجدران المتاهة التي تبدو رفيعة، وقد حاول الفنان إبراز المسلك الذي ينطلق من المدخل وصولاً إلى مركز المتاهة حيث يوجد المينوتور ممثلاً في جزئه العلوي، الذي تبرز فيه العضلات كرمز للقوة، أنجز المشهد على أربعة مربعات متساوية، يحيط بها جدار مشكّل من أربعة صفوف سوداء يعلوها خطّ متموّج. استعملت فيها الألوان الأبيض والأسود والرمادي.

تظهر كرة خيط آريان في مركز المتاهة وهي إشعار بالوصول إلى المينوتور بعد أن ربط الخيط بمدخلها، لكن الكرة وحدها تعبّر عن عبور ثيسيوس بنجاح عبر المتاهة المتعرجة. ويثير هذا المشهد في نفوس مشاهديه الاندفاع للوصول إلى المركز، ويحل كل من يشاهدها محل ثيسيوس الذي يغيب عن المشهد.



صورة رقم 180: مركز فسيفساء المينوتور²

صورة رقم 179: إعادة تصوّر لفسيفساء المتاهة¹

¹ MAREC (E.), *Le thème du labyrinthe*,Op.Cit, pl. CCIX, fig. 2.

² MAREC (E.), *Hippone la royale*Op.Cit, p102.

4- حمامات منزل الفسيفساء بمدينة كاستلوم تيديتانوروم

4-1 موقع الحمامات ومراحل استغلالها

تقع حمامات منزل الفسيفساء في الجهة الجنوبية الغربية للمنزل الذي سمي نسبة إلى الفسيفساء الهندسية والنباتية المكتشفة بإحدى قاعاته بالطابق الأرضي، مساحتها 35 م²، في حين المساحة الإجمالية للحمامات تقدر بـ: 120 م²، أما المنزل فهو يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، يحده من الجنوب الجدار الخارجي للمدينة، الذي يرجع تاريخه إلى الفترة ما قبل الرومانية، ومن الشمال الغربي طريق ثانوي ومن الشرق هياآت سكنية، ويعرف الحي الذي وجدت به الحمامات بحي الحرفيين، حيث وجدت به ورشات عديدة لصناعة الفخار وغيرها. وبذات المنزل في جهته الشرقية هياآت معصرة بجميع عناصرها، قاعته العصر، المثبت، مضاد النّقل وبقايا الحوض، وفي الجنوب الغربي ورشة لصناعة الفخار.

وحيث محاولة تأريخ الحمامات وعلاقتها بأجزاء المنزل، يصادفنا إشكال قائم على أساس معاصرة الحمامات للمنزل أم بنيت في وقت لاحق؟، وهذا الإشكال يمسّ بدرجة أولى الحوض البارد غرب قاعة الفسيفساء، فمن خلال موقعه داخل المنزل وعناصره الإنشائية وطريقة بنائه، جميعها توحى أنه هياآت في فترة لاحقة، ونركز في هذا الطرح على جملة من الدلائل، منها:

- مستوى الحوض (أرضيته بنفس مستوى أرضية القاعة الباردة)،
- طريقة بنائه والتي تختلف تقنيا عن باقي أجزاء المنزل،
- موقعه بالنسبة للقسم الساخن من جهة والخزان من جهة أخرى ،
- تمويته بالمياه وتصريفها منه في اتجاه القاعة الباردة،

كل هذه المرتكزات سنفصلها حين دراسة القسم البارد للحمامات.

ومن جهة أخرى يشكّل منزل الفسيفساء ثلاث مستويات أو مراحل استغلال:

المرحلة الأولى: تتعلّق بالقسم الساخن وقاعة الفسيفساء دون الحوض، وترتبط هنا القاعتين الساخنتين دون تفصيل في دورهما ما إن كانت إحداها دافئة والأخرى ساخنة، وقاعة الفسيفساء التي تلعب دور القاعة الباردة.

المرحلة الثانية: مرتبطة بإنجاز الحوض البارد على الجهة الغربية لقاعة الفسيفساء، هذا الحوض مرتبط بدوره بالخزان، عن طريق قناة من الرصاص بواسطتها يزوّد بالمياه، وتصريفها منه يكون في

اتجاه قاعة الفسيفساء (القاعة الباردة)، إلى جانب القسم الساخن، ويتّضح في هذه المرحلة المسار الحموي بشكل واضح، كما تتّضح مداخل الحمامات من جهتين، الأول من الغرب يؤدي إلى الشارع والثاني من الجنوب الشرقي .

المرحلة الثالثة: مسّت القسم الساخن، خاصّة القاعة الدافئة والتي حوّل جزء منها إلى ورشة الفخّار، حيث هيّئت تقريبا نصف مساحتها لإنجاز الفرن¹، وهو ما تشير إليه الفتحات الأربع المخصّصة لتزويده بالوقود، والتي لا يزيد عرض كل منها عن 0.40م.

بهذه الخصائص المتغيّرة مع الزّمن، تعتبر المرحلة الثانية مثالية في اشتغال الحمامات بمكوناتها الكلاسيكية، (القاعة الباردة مزوّدة بحوض، قاعة دافئة مسخّنة بطريقة غير مباشرة، وتخلق مجال تناوبي بين القسمين، وقاعة ساخنة مزوّدة بحوض مسند على الجدار، تأتيها الحرارة مباشرة من الموقد.

4-2 النظام الهيدروليكي بالمدينة وتزويد الحمامات بالمياه

لا تشكّل حمامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم استثناء عن المنظومة الهيدروليكية المتّبعة في المدينة، والتي تختلف عن باقي المدن التي تعتمد على مصادر مياه وسدود خارج محيطها العمراني، متّخذة من القنوات أداة ارتكاز لجعل نظامها الهيدروليكي فعال ودائم، ولضمان استمرار تغطية حاجيات السّكان بالمياه، هذه الخاصيّة لم تكن متاحة في الموقع الذي بنيت فيه المدينة، إذ لا سبيل لتحقيق اكتفاءها من المياه إلا ما يتمّ تخزينه من مياه الأمطار، فطبيعة أرضيتها الصّخرية هي الأخرى لا تسمح بحفر الآبار، رغم هذا فإنّ الدلائل الأثرية المرتبطة بالخرّانات ذات ساعات مختلفة، ما بين 5م³ و 25م³، منها ما هو محفور في الصّخر ومنها المبنية بالأجر والحجارة الصغيرة، ويصل عددها إلى 76 خزان² أغلبها تابعة للخواص، وهو عدد كبير مقارنة مع ما وجد في مدن الشمال الإفريقي والتي تفوقها مساحة وتعدادا سكنيا ومكانة اقتصادية واجتماعية...الخ، ليس هذا فحسب بل أنّ المدينة احتوت على ورشات لصناعة الفخّار وهي حرفة تتطلّب كميات معتبرة من المياه، ناهيك عن حمامات عمومية وأخرى خاصّة.

¹ BERTHIER (A.), *TIDIS*, Cité antique de Numidie, mémoire de l'académie des belles lettres, T20, diffusion de BOCCARD, Paris, 2000, p 92.

² Ibid, p 50.

من أهم هذه الخزانات تلك الموجودة في الجهة الغربية للمدينة والتي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثالث ميلادي، بنيت بإشراف من الكوراتور ومسير المستعمرات السيترية ¹ *M.cocceius anicius faustus flavianus* في مكان مرتفع يسمح للمياه المجمعة فيها بتوزيعها إلى مختلف منشآت المدينة، خاصة الحمامات القريبة منها والتي وجد بها خزان مرتبط مع الخزان الكبير سابق الذكر بواسطة قناة²، هذه الخزانات مصدرها مياه الأمطار، إذ لا تشير الدلائل و الدراسات حول المدينة إلى ارتباطها بقنوات جالبة للمياه. تصل قدرة تخزين هذه الخزانات بغرفها الثلاث إلى قرابة 350 م³، أبعادها الثلاثية (2.40×12×12.30)م.

وبشأن تموين حمامات منزل الفسيفساء، فإنّ هذا الأخير احتوى على خزانين، الأول يقع في الشمال الغربي للمنزل تحت أرضية فناء المدخل، والثاني يقع في الجهة الشرقية للمنزل تحت أرضية بهو الدخول، أمّا الأول فهو مكوّن من غرفتين بقدرة تخزين تصل إلى 43م³، وهي كمية كافية لتزويد المنزل والحمامات بالمياه.



صورة رقم 181: خزانات منزل
الفسيفساء (تصوير الطالب)

وقد أثر موضوع الماء على الثقافة الاقتصادية للمدينة، إذ كانت ورشة واسعة لصناعة الفخّار، ليس لاستعماله داخل حدودها فقط وإنما خارج مجالها العمراني، حيث وجدت نماذج عنها في المدن المجاورة لها، فمدينة كريتّا على سبيل المثال وجد بها العديد من القنوات الفخّارية صنعت في

¹ BERTHIER (A.), *TIDIS*, Cité antique de Numidie,....Op.Cit, p50.

² AMRAOUI (T.), « Alimentation et gestion de l'eau dans les ateliers antiques de Numidie : le cas des fullonicae ». Véronique Brouquier-Reddé; Frédéric Hurlet. L'eau dans les villes du Maghreb et leur territoire à l'époque romaine, 54, Ausonius, 2018, p.217.

ورشات كاستلوم تيديتانوروم وتحمل علامتها التجارية¹ ، إلى جانب وجود ورشات للنسيج *fullonicae* ويصل عددها إلى 10 ورشات، هي الأخرى تتطلب كميات كبيرة من المياه لغسل الصّوف وصباغتها، ولا يقتصر دورها هنا فقط بل لتنظيف الألبسة المستعملة لتحسين مظهرها²

صورة رقم 182: الخزّان
الكبير بمدينة كاستلوم
تيديتانوروم
(تصوير الطّالب)



والارتباط بين الورشات والحمامات يكون في نظام تزويدها بالمياه، إذ تشترك في المصدر مثل تلك الموجودة بمنزل الفسيفساء، حيث الخزّان سابق الذّكر الذي يزوّدها بالمياه ويزوّد من جهة أخرى الحمامات حيث وجدت قنوات من الرّصاص تضمن وصول المياه إليها، وعلى ذكر القنوات وجدت بالمدينة ثلاث أنواع منها:

- ✓ القنوات المحفورة في الصّخر أو المبنية لضمان وصول مياه الأمطار إلى الخزانات،
 - ✓ القنوات المصنوعة من الفخّار *tubulis fictilibus*، التي تتطلب الصّيانة الدّورية لضمان سلامتها، وهذه خاصيّة تحوز عليها المدينة بسبب وجود ورشات تضمن توقّرها بصفة مستمرة.
 - ✓ القنوات المصنوعة من الرّصاص *fistulis plumbeis* و لكن بكميات قليلة وعلى مسافات صغيرة.
- بهذه الخاصية تشكّل فئة التّجار إلى جانب رجال الدّين النّسبة الكبيرة من السّكان، رغم أنّ هذه المدينة لم تكن بها كثافة سكّانية كبيرة إلا أنّها حازت على مكانة بين المدن الرّومانية ومن الدّلائل

¹ BERTHIER (A.), *TIDIS*, Cité antique de Numidie,...Op.Cit, p21.

² AMRAOUI (T.), Op.Cit , pp.218—219.

ما يثبت وجود سوق كبيرة بها، خاصّة ذلك المنشأ تحت رعاية المندوب legat يوليوس يونيانوس مارتياليانوس *P. Iulius Iunianus Martialianus* خلال فترة حكم سيفير الكسندر¹.

وبالعودة إلى تموين حمّامات المنزل موضوع الدّراسة فإنّها مرتبطة مع الخزّان الذي يرتفع مستواه عن مستوى الحمّامات بـ 1,10 م، هذا الخزّان يموّن بمياه الأمطار، وتشير الفتحة الموجودة في الرّكن الشّمالي الغربي إلى مسار هذه المياه، في حين القناة التي تربطه بالحمّامات يظهر جزء منها في الجدار الغربي له، مصنوعة من الرّصاص. من جهة أخرى يتولى هذا الخزّان تموين خزّان آخر عبر قناة مصنوعة من الفخّار، هذا الأخير مهياً أسفل فناء الطابق الأرضي في الجهة الجنوبية للمنزل، فتحتّه بالقرب من مدخل القاعة الباردة.



صورة رقم 183: فتحة تموين خزّانات
المنزل (تصوير الطّالب)

¹ LASSÈRE (J.M.), *Vbique Populus, Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.)*. Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1977. p580.



صورة رقم 185: قناة من الرصاص تربط الخزّان
بالحمّامات (تصوير الطّالب)



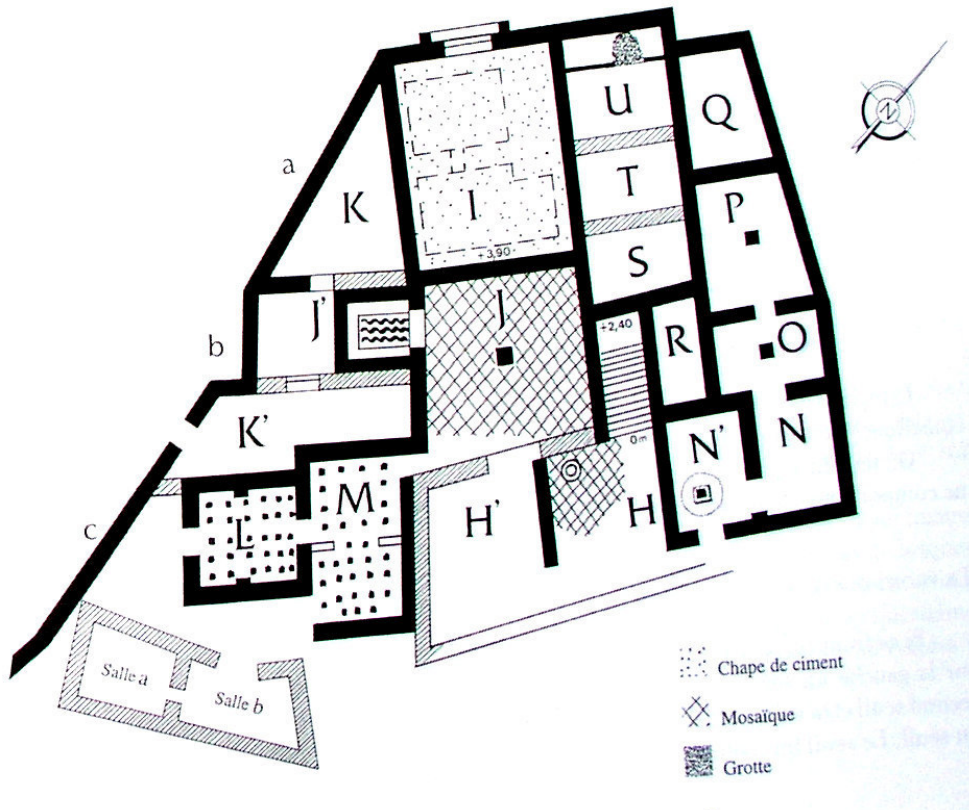
صورة رقم 184: قنوات من الفخّار تربط
الخزّان بالبئر (تصوير الطّالب)

أمّا عن تصريف مياه الحمّامات، فتختلف جهتها بين مياه تصريف الحوض البارد ومياه القسم الساخن، فالأولى يتمّ تصريفها مباشرة إلى القاعة الباردة، وهذا لاستغلالها في تنظيف أرضيتها وكذا الفناء، وتشير الفتحة المهيأة في الجدار الشرقي للحوض البارد إلى ذلك، في حين مياه القسم الساخن تصرّف إلى الجهة الجنوبية الغربية، في نفس اتجاه قناة الصّرف القادمة من حوض تليين الطين لصناعة الفخّار، والمهيأة في فترة متأخرة من استغلال المبنى في الجهة الغربية للخزّان شمال الحوض البارد.

3-4 أقسام حمّامات منزل الفسيفساء

تضمّ هذه الحمّامات قسمان: بارد مكوّن من قاعة وحوض وقسم ساخن مشكّل من قاعتين، فحسب القراءة الهندسية للمخطّط الذي وضعه "بارتي" Berthier¹ يشير من خلاله أنّ قاعتي القسم الساخن يمثلان الكالدايوم ولم يتمّ تفرقتها في الوظيفة عن بعضهما، ليس هذا فحسب، بل لا يذكر القسم البارد للحمّامات عدا الحوض المفتوح على قاعة الفسيفساء، لكن من خلال الدّراسة المقارناتية مع مخطّطات الحمّامات الرّومانية ومكوّناتها، فإنّ قراءتنا للمخطّط وفق ما يشكّل مسار المستحمين، تشير إلى أنّ القاعة L تمثّل حقيقة القاعة الساخنة، في حين القاعة الكبيرة المستطيلة M هي القاعة الدّافئة.

¹ BERTHIER (A.) , *TIDIS*, Cité antique de Numidie,....Op.Cit, p 85.



مخطط رقم 67: المخطط العام لمنزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم¹

4-3-1 القسم الساخن للحمامات

يقع القسم الساخن لحمامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم في الجهة الجنوبية الغربية للمنزل، مشكّل من قاعتين مختلفتين في المساحة، الأولى دون شك قاعة ساخنة مزوّدة بحوض، مقاساتها (3.30 × 3.10)م، تمّ تسخينها مباشرة من الموقد الموجود في جدارها الغربي، مبني بالآجر عرضه 0.35م، تمّ تزويده بالوقود انطلاقاً من مدخل المنزل المهيأ في الجهة الغربية .

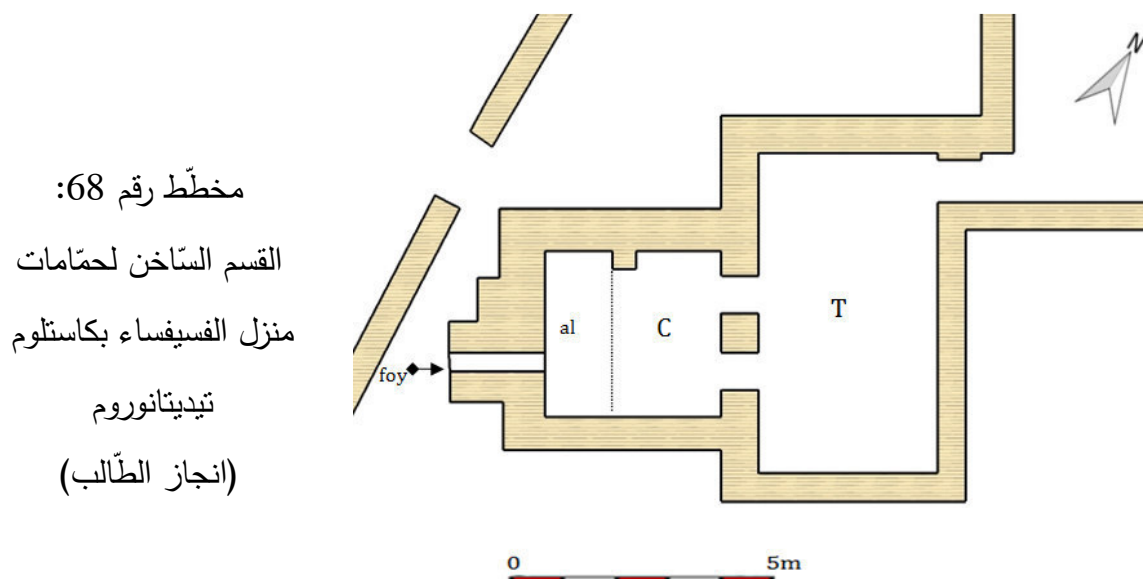
وترتبط القاعة الساخنة مع الدّافئة التي تجاورها من الجهة الشرّقية بمدخلين عرض كل منهما 0.70م، كما تمتد أعمدة الهيبيوكوست إليها والمنجزة بالآجر المربع طول ضلعه 0.19م، وعددها مجمّعة بين الساخنة والدّافئة 75 عمود² حامل لأرضيتها، هذه القاعة مستطيلة مقاساتها (3.35 × 6)م، أعيد استغلالها لاحقاً لتتبع ورشة الفخار عن طريق تهيئة فرن في نصف مساحتها الشمالي، تمّ تسخينها بطريقة غير مباشرة من الموقد سابق الذكر، وفي جدارها الشرقي وجدت آثار التّسخين الجداري.

¹ BERTHIER (A.), *TIDIS*, Cité antique de Numidie,....Op.Cit, p 85.

- تمت الإشارة إلى قاعات الحمامات وفق الأحرف اللاتينية الموضوعية من طرف "بارتي" في مخطّطه.

² Ibid, p92.

زوّدت القاعة الدّافئة بثلاث مداخل، اثنان يربطانها بالسّاخنة والثالث في ركنها الشّمالي الشرقي يربطها بالقاعة الباردة، أمّا الجنوبي الغربي، الذي يظهر في مخطّط "بارتي" إنّما فتح بعد تحوّل القاعة إلى فرن، ليكون هذا المدخل الرّابط بينه وبين ورشة الفخّار جنوب غرب الحّمّات .



مخطّط رقم 68:

القسم السّاخن لحّمّات

منزل الفسيفساء بكاستلوم

تيديتانوروم

(انجاز الطّالب)

بنيت جدران قاعتي القسم السّاخن بتقنية البناء بالآجر، أمّا أرضيتها فبلّطت بقطع آجوريه مقاساتها (0.025×0.07)م وارتفاعها 0.032م، وهي نفس التّقنية التي بلّط بها الحوض السّاخن، وضعت هذه القطع فوق طبقة من الملاط الممزوج بكسر الآجر سمكها 0.20م.



صورة رقم 187: القاعة الدّافئة لحّمّات منزل

الفسيفساء (تصوير الطّالب)



صورة رقم 186: القاعة السّاخنة لحّمّات منزل

الفسيفساء (تصوير الطّالب)



صورة رقم 189: بقايا موقد القاعة الساخنة
(تصوير الطالب)

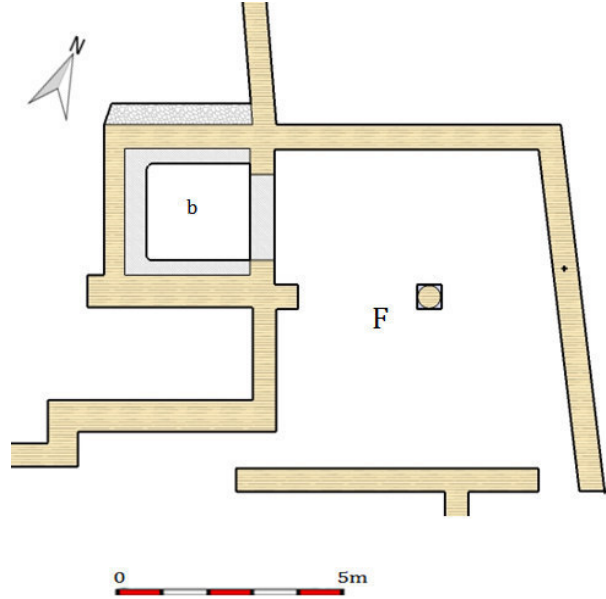


صورة رقم 188: بقايا الحوض الساخن
(تصوير الطالب)

4-3-2 القسم البارد للحمّامات

حدث بمنزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم تغييرات عديدة، ليس فقط على مستوى القاعة الدافئة التي أتتبع بورشه صناعة الفخّار، كذلك على مستوى القسم البارد، هذا التغيّر في الوظائف وفي اتجاه المداخل والفتحات من الحوض البارد والقاعة الباردة (قاعة الفسيفساء) والقاعة جنوب الحوض البارد، فالخصائص المعمارية الظاهرة حالياً تبيّن أنّ الحوض مفتوح على القاعة الباردة بمدخل عرضه 1.80 م، وأنّ جهاته الثلاث مبنية بجدران يختلف سمكها بين 0.54م و 1م، بهذه الخصائص فالقاعة أو الرّواق الموجود بين الحوض والقسم الساخن يصبح معزولاً ولا دور له في تركيبة الحمّامات، فهو مفتوح على الباب الخارجي للمنزل في جهته الغربية، وفرضية إتباعه للجزء المخصّص للخدمات تبقى واهية، بدليل تبليطها بنفس التّقنية التي بلّط بها الحوض وكذا القاعتين الساخنة والدافئة، بالإضافة إلى جزئي عمودين فوق الجدار الفاصل بينه وبين الحوض البارد، وحسب اعتقاد "بارتي" ربما كانا يمثلان مدخل الحوض المفتوح في جداره الجنوبي، وبالتالي وهو الأصل حسب اعتقادنا، أنّ بداية اشتغال الحمّامات لم تكن القاعة الباردة تابعة له بشكل تام، وأنّ الرّواق سالف الذكر هو الذي كان يلعب دورها، وأن مدخل الحوض كان في الجهة الجنوبية قبل أن يعاد فتحه في الجهة الشرقية وتصبح القاعة الكبيرة (قاعة الفسيفساء) هي القاعة الباردة. وسنكتفي بدراسة خصائص هذا القسم بناء على واقع الحال.

مخطط رقم 69: القسم البارد
لحمامات منزل الفسيفساء
(انجاز الطالب)



أما القاعة الباردة فهي قاعة كبيرة تقريبا مربعة الشكل، مقاساتها (5.80×6.15)م، يتم الدّخول إليها عبر مدخل عرضه 0.80م يربطها ببهو الدّخول للطابق الأرضي، بنيت جدرانها بالتّقنية الإفريقية، وبلّطت أرضيتها بفسيفساء تكعيبيه ذات ديكور هندسي ونباتي.



صورة رقم 190: القاعة الباردة
لحمامات منزل الفسيفساء
(تصوير الطالب)

الحوض البارد مستطيل، مقاساته (1.47×1.79)م، ينتهي في ركنيه الشمالي الغربي والجنوبي الغربي بانحناء بسيط، حقّت جوانبه الثلاث (الشّمالية والغربية والجنوبية) بما يشبه المقعد، لا يرتفع هذا الحوض كثيرا عن الأرض إذ لا يتعدى 0.45م، وهذا ما لا نجده في أحواض الحمامات الخاصة في مدن أخرى، والسبب راجع إلى الاقتصاد في استغلال الماء بسبب محدودية الحصول عليه، بنيت جدرانه بدبش الحجارة، في حين أرضيته بلّطت بالقطع الآجورية بتقنية السبيكاتوم. تمّ تزويده بالمياه مباشرة من الخزّان عبر قناة من الرصاص، في حين تصريفها منه يكون في اتجاه القاعة الباردة عبر فتحة عرضها 0.20م.



صورة رقم 191: الحوض البارد (تصوير الطالب)

4-4 فسيفساء الحمامات

هي عبارة عن تخطيط يغطي كامل القاعة الباردة، المشهد عبارة عن أشكال هندسية منجزة على خلفية بيضاء، وهي دوائر يحيط بكل واحدة منها ستة أوراق نباتات، أما الحاشية فهي عبارة عن شريطين أسودين بينهما أشكال مثلثية متسلسلة.



صورة رقم 192: أجزاء من فسيفساء القاعة الباردة¹

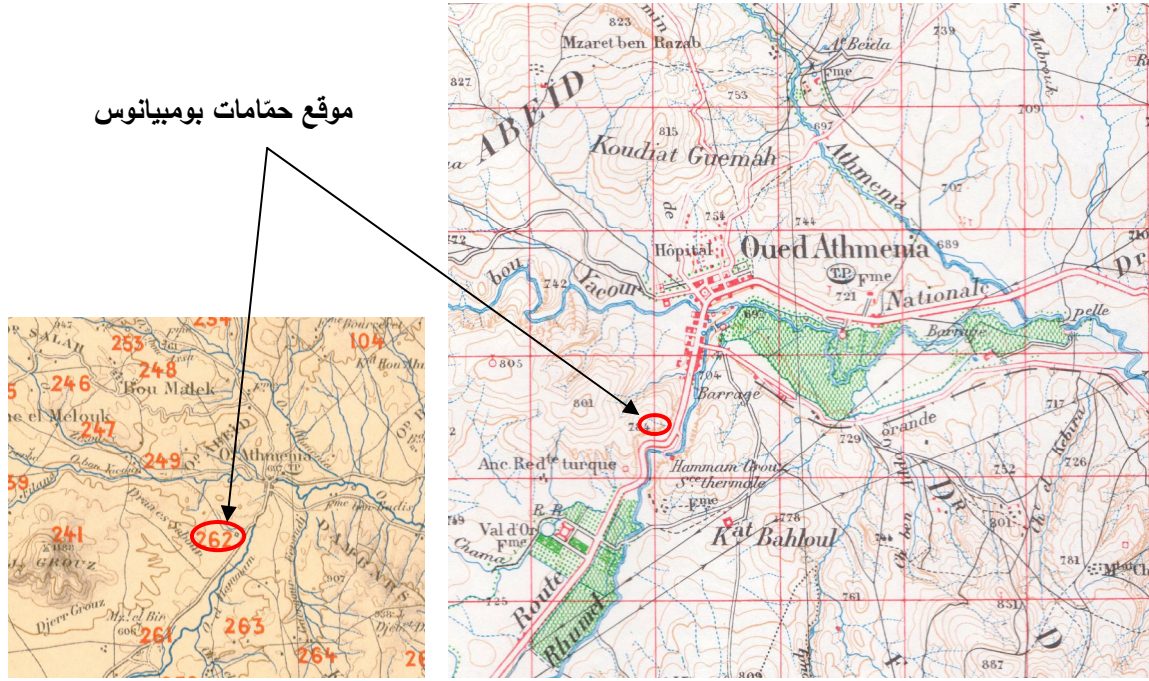
1 بوعيرة نبيل، المسكن الروماني بالمدن التحصينية (مسكن الفسيفساء بتديس نموذجاً)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 9، صورة3، ص 398.

5- حمّامات بومبيانوس بوادي العثمانية

5-1 الموقع وتاريخ الأبحاث

5-1-1 موقع الحمّامات

تقع على بعد 32 كلم جنوب غرب قسنطينة، تابعة إداريا لولاية ميلة، وردت لها في الدّراسات الحديثة عدّة تسميات، على غرار فال دور val d'or، وادي العثمانية، حمّامات بومبيانوس، وسنعمد هذه الأخيرة باعتبار ورود كلمة *pompeianus*¹ تسمية مالك الحمّامات على الفسيفساء التي اكتشفت بالقاعة السّاخنة. رغم هندستها الزاكية وجمالية المشاهد التي تصورها فسيفسائها مختلفة المواضيع، ورغم الأبحاث العديدة التي أقيمت حولها، إلّا أنّها لم تحض بسبل للمحافظة عليها، فالموقع مغمور حاليا بمياه سد وادي العثمانية ولا يظهر من آثاره شيء.



خريطة رقم 9: موقع حمّامات بومبيانوس

خريطة رقم 8: موقع حمّامات بومبيانوس²

في الأطلس الأثري لقرّال³

¹ CIL, VIII, n° 10889.

² Carte topographique « OUED ATHMENIA », Algérie (dept. de constantine f^{lle} n°96, éch. 1/50000, ministère des travaux publics et de transports, institut géographique national, paris, mise à jour partielle de 1960.

³ GSELL (S.), A.A.A, f^{lle} 17, n°262.

5-1-2 تاريخ الأبحاث حول الموقع¹

- اكتشفت الحمّامات سنة 1872 من طرف أحد الفلاحين عند قيامه بحراثة الأرض التي تختزن بقاياها، أول ما أكتشف جزء من الجدار الخارجي للقاعة الساخنة، و يذكر "ببول" Poulle ، أنّ أول من تعرّف على أنّ المبنى حمّامات هو "آبي روسي" Rousset²
- 2 أفريل 1873: قدّم "روسي" مداخلة حول أولى الفسيفساء المكتشفة بالقاعة الساخنة الثانية "فسيفساء الأحصنة".
- بين 2 و 28 أفريل 1873: طلبت الجمعية الأثرية لقسنطينة من "روسي" تقديم تقرير حول الحفريات بالموقع، هذا الأخير بعث برسالة تبين الاكتشاف، موضّحا لأوّل مرّة تسمية الموقع بـ بومبيانوس، مستندا على ورود الاسم مكتوبا على الفسيفساء سابقة الذكر، بالإضافة إلى أسماء الأحصنة الواردة على نفس اللوح.
- استمرت حفريات "روسي" ثلاث سنوات بمساعدة "آبي نيرون" Neyron راعي كنيسة وادي العثمانية، هذا الأخير قدّم مداخلة حول الموقع يوم 17 ماي 1876، وهي المناسبة التي عرض فيها صور ورسومات لفسيفساء الأحصنة كون الأصلية أُلّفت.
- 02 جوان 1876، راسل "روسي" جمعية الآثار لقسنطينة، ميّنا طبيعة المبنى "حمّامات" والتّقيب على مستوى 14 قاعة كليا و 4 جزئيا.
- خريف 1876: الكشف عن الحوض البارد للحمّامات.
- 4 نوفمبر 1876: قام المعماري "ميسّتي" Meister بزيارة الموقع ومعاينة نوعية الاكتشافات.
- ديسمبر 1876: قام "تيرون" بالحفر غرب الحمّامات، أثّرت حفرياته باكتشاف مكان تزويدها بالمياه.
- 03 جانفي 1877: قرّر "ببول" رئيس الجمعية الأثرية لقسنطينة إرسال نتائج الاكتشافات حول الفسيفساء التي عثر عليها بالمبنى لعرضها في المعرض الدولي لسنة 1878، فكلف "ميسّتي" بإعداد المخطّطات وتصوّر عام للحمّامات و"روسي" بالفسيفساء التي قدّمت في 10 ألواح، رسمت فيما بعد

¹ MORVILLEZ (É.), Les mosaïques des bains d'Oued Athmenia (Algérie) « les calques conservés à la médiathèque de l'Architecture et du Patrimoine ». In B.S.N.A.F, 2006, pp 306-315. (وردت الأحداث ضمن تسلسل زمني دقيق وفق تقارير ومراسلات إدارية وعلمية مختلفة)

² POULLE (A.), Les bains de pompeianus , in R.S.A.C, V.19, 1878, p 432.

من طرف المهندس "مارتان" Martin بمقاسات صغيرة¹، الذي أكمل بدوره المخططات التي باشرها "ميسيتي" ولم ينهها بسبب مغادرته المنطقة، جمعت الفسيفساء مع المخطط حيث وزّعت على القاعات المشكلة له .

• 15 أبريل 1878: أرسلت المخططات والرّفْع المتعلّق بالأرضيات، سيما الفسيفساء إلى لجنة الجزائر تحضيراً للمعرض الدولي، بهذا الانجاز تحصّلت الجمعية على الميدالية الذهبية، على إثرها قرّرت عرض الألواح الثلاثة للفسيفساء بالألوان، ومخطّط الحمّامات باللّونين الأبيض والأسود بما في ذلك الهيبيوكوست.

• أبريل 1880: قام "باوسويلوالد" Boeswillwald بزيارة إلى الجزائر ومنها موقع الحمّامات للوقوف على سبل الحفاظ على الفسيفساء المكتشفة بها، حسب "ألقي" Alquier كان برفقته "دوتوا" Duthoit الذي أخذ على عاتقه الرّفْع الطّبقّي للفسيفساء.

• 1881 قام المهندس "بارنار" برسم الفسيفساء بمقاسات كبيرة، وضعت فيما بعد على مستوى أرشيف المعالم التاريخية ثم بمتحف النّحت المقارن بـ تروكاديرو Trocadéro.

• 31 مارس 1887: أدرجت الحمّامات في قائمة الحماية للمعالم التاريخية.

• 1888: صدور العدد 24 من مجلة جمعية قسنطينة مرفوقا بلوحة لفسيفساء القاعة الباردة، مرسومة بالألوان من طرف "شاباسيار" Chabassiere، التي نشرت لاحقاً في مجلة الفسيفساء الإفريقية سنة 1911.

للإشارة أنّ الفسيفساء المحفوظة بمكتبة الهندسة والتّراث عددها 7 رسمت بالحجم العادي، منها فسيفساء الأحصنة (القاعة السّاخنة)، زاوية وحاشية بشكل إكليل من أوراق الغار (القاعة الباردة)، ثلاث حوريات بالجهة الغربية للقاعة الباردة،

• خلال سنوات 1925، 1926، 1927 قام الثنائي "ج و ب ألكي" بحفريات في الموقع ، حيث قادتهما الأبحاث إلى تبني أنّ هذه الحمّامات ليست عمومية، إنّما هي حمّامات ملحقة بمنزل أحد النبلاء villa urbana² خارج التّجمعات السّكانية، ونحن نميل إلى هذا الرّأي لاعتبارات عدة منها :

¹ Ibid, p433.

² ALQUIER (J et P.), Les thermes romains du val d'or (prés de Oued Athmenia), in R.S.A.C , N° 59 , 1928-1929 , p291.

- BERTHIER (A), Etablissement agricole antique de Oued Athémnia, in B.A .A, T1, 1962-1965, Paris, 1967, p9.

✓ دراسة الفسيفساء التي وجدت في الحمامات خاصة القاعتين الباردة والساخنة، التي تحمل كتابة صريحة بكامل الأحرف اللاتينية *pompeianus*، أيضا رسم للمنزل الذي دون شك لمالك المزرعة أو الضيعة، سابق الذكر.

✓ لا تذكر النصوص القديمة ولا النقيشات اللاتينية وحتى الأبحاث والحفريات التي أجريت بالموقع، أنّ المكان الذي وجدت به الحمامات كان مدينة أو بلدة، و يذكر الثنائي "ألكي" أنّ أقرب مكان وجدت به بعض البقايا الأثرية يبعد بحوالي 1800م شمال شرق الحمامات، لكن لا توجد علاقة مباشرة بين الموقعين¹، وأنّ أقرب موقع للحمامات هي بقايا أثرية تشكّل مساحة قدرها 5000 م² خصّصت لتربية الخيول².

✓ من خلال الباب الذي يفتح على مسكن مالك الأرض أو المزرعة في الجهة الشمالية الغربية للحمامات³.



صورة رقم 193: منظر عام لحمامات بومبيانوس (حسب ألكي 1929)⁴

¹ ALQUIER (J et P.), Op Cit, p 291 .

² BERTHIER (A), Etablissement agricole antique de Oued Athémnia....., Op Cit, p9.

³ POULLE (A.), Op.Cit, p436.

⁴ MORVILLEZ (É.), Op.Cit, p313, Fig4.

5-2 تأريخ الحمامات

لم يتفق كل من بحث في موضوع حمامات بومبيانوس على تأريخ ثابت لبنائها، رغم وجود دلائل عديدة قد تشكل مرتكزا هاما لوضعها في قالبها الزمني، لكنها تجتمع في نقطة واحدة هي، أنها لا ترجع إلى ما قبل نهاية القرن الثاني.

فيؤرخها كل من "بول" و"بارتي" بنهاية القرن الرابع وبداية الخامس ميلادي، وهو نفس الزمن الذي يقترحه كل من درس الفسيفساء المكتشفة بها، خاصة تلك المتعلقة بمشاهد الصيد وصور الأحصنة والفيلا، المرسومة من طرف "روسي" و"شاباسيار"، التي تأخذ أحيانا لمسات متأثرة بالفن الشرقي البيزنطي.

لكن للزوج "ألبي" رأي آخر إذ يستندان على عدة نقاط، منها ما هو متعلق بدراسة مخططاتها ومنها مرتبط بالفسيفساء وأخرى بتقنيات بناء الجدران، فمن خلال المخطط حاولا إسقاط مبدأ التناظر الموجود في الحمامات العمومية الواسعة، التي تؤرخ في الشمال الإفريقي بنهاية القرن الثاني وبداية الثالث ميلادي، وأن الحمامات الشبه تناظرية وهي الفئة التي تنتمي إليها حمامات بومبيانوس أقدم في التأريخ من سابقتها، أما الفسيفساء فحسبهما تشكل موضوعا هاما للتأريخ، وأن اللوحات المنجزة في الحمامات أنجزت نماذج عنها في نفس الفترة نابعة من ورشة واحدة، إذا درست العلاقة بينهما يمكن تحديد سمات الفن الإفريقي في صناعة الفسيفساء من هذا القبيل. النقطة الثالثة تركز على تقنيات بناء الجدران والعلاقة بين مقاسات الآجر وسمك الملاط اللاص، وفي كثير منها لا يزيد سمكها عن 0.02م، وهو ما يوحي بعناية كبيرة في البناء تترجم قدم المبنى؛ مثل هذه التقنية استخدمت في روما وترجع إلى عهد كلاوديوس (41-51م) أو أدريانوس (117-138م)؛ من جهة أخرى يشير إلى التقنية المختلطة المتبعة في بناء الجدران، ويذكر أن ظهرت أول مرة في سيرك ماكسينس Maxence سنة 309م، وانتقلت فيما بعد إلى المقاطعات، في حين هي أقدم من ذلك حيث استعملت هذه التقنية في عديد المنازل، تؤرخ بالقرن الأول قبل الميلاد إلى جانب مباني عمومية على غرار البازيليكات¹، فهذه الحجة ضعيفة وتحسب عليهما حين يقترحان نهاية القرن الثاني وبداية الثالث كزمن لبناء الحمامات².

¹ ADAM (J. P.), Op.Cit, p 153.

² ALQUIER (J et P.), Op.Cit, pp315-317.

5-3 تزويد حمامات بومبيانوس بالمياه وتصريفها منها¹

على بعد مئات الأمتار من الفيلا وُجد منبع، رغم تدفقه البطيء إلا أنّ مياهه استغلت في سقي الأشجار القريبة منه، دون شك هذا المنبع كان يزود حمامات بومبيانوس بالمياه، هذه الأخيرة تنقل لتجمع في حوضين قريبين منها، الأول في الشمال يتكفل بتعبئة الحوضين الباردین عبر قناة مبنية، تخترق الجدار الخارجي للمنتزه وصولاً إلى الحوض الكبير ثم الصغير، والثاني في الجنوب يتكفل بتزويد القسم الساخن بالمياه وكذا المراحيض الموجودة في الجهة الشرقية للحمامات.

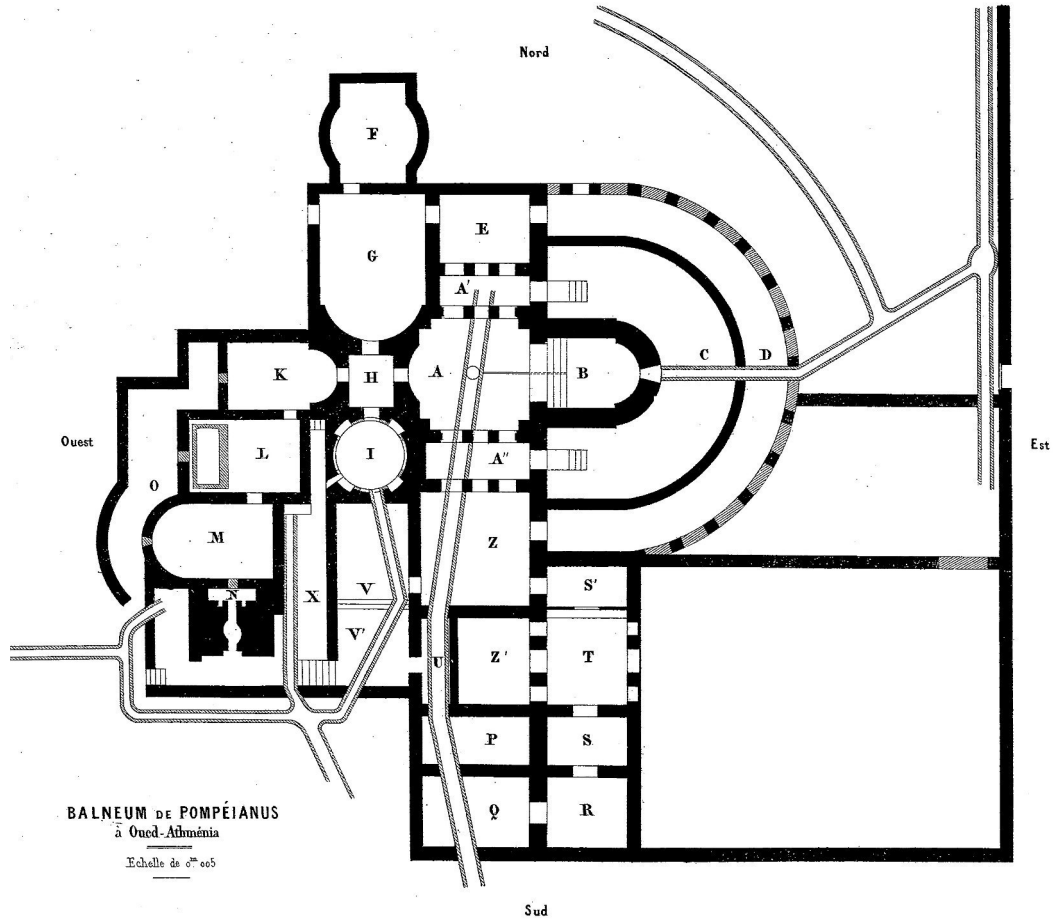
أمّا عن تصريف مياه الحمامات هي الأخرى تكون في اتجاهين:

القناة الأولى عرضها 0.65 م وارتفاعها 0.90م، تخترق القاعة الباردة وصولاً إلى المراحيض لتصرف إلى الجهة الشرقية، بالإضافة إلى قناة ثانوية أسفل قناة التّموين مهمتها تصريف الفائض من مياه الحوض الكبير في اتجاه الشمال، وقناة التّصريف الثانية تتّجه من القسم الساخن ناحية الشرق.

5-4 دراسة مخطّط الحمامات ومكوناتها

حين دراسة مخطّط الحمامات أول صعوبة واجهتنا في ظل غياب المعاينة البصرية، هو ذلك الخلط في تحديد الاتجاهات إذ تختلف بين "بول" و"ألي"، فوجدنا أنفسنا بين هذا وذاك، فمن حيث الشّكل قد يبدو المخطّط بسيطاً، لكن حين نتمعّن في دراسته تظهر العديد من التّساؤلات حول وظيفة بعض القاعات وهو نفس الموقف الذي وُضع فيه "قزال"، حيث شكّلت القاعات التي رمز لها بالأحرف (T,S,S') محلّ استفهام، "تيبار" هو الآخر في المخطّط الذي رسمه للحمامات لا يتفق مع ما أشار إليه من سبقه حول وظيفة بعض القاعات في القسم البارد، فيشير إلى بعضها مع التّحقّظ عن الجزم المطلق وهو ما عبّر عنه بعلامة الاستفهام (?)، إذ القاعات المجاورة للقاعة الباردة يفترض أنها مخصّصة للتمارين الرياضية والتّحمية الجسدية *gymnasium*.

¹ ALQUIER (J et P.), Op.Cit, pp304-307.



مخطط رقم 70: مخطط حمامات بومبيانوس¹

A-A'-A''	القاعة الباردة بجناحيها	M	القاعة الساخنة ذات الحوضين
B	الحوض البارد الصغير	N	موقد
C	المسبح	O	رواق الخدمات الجنوبي
D	المنتزه أو الممشى	P	المطبخ
E	البهو	Q	غرفة
F	قاعة نزع الملابس	R	غرفة
G	قاعة التمارين الرياضية "الجمنازيوم"	T-S-S'	التابلنيوم
H	القاعة الدافئة الصغرى	U	المراحيض
I	قاعة التبريق	V-V'	غرفتي خدمات
K	القاعة الدافئة الكبرى	X	رواق الخدمات الشمالي
L	القاعة الساخنة المستطيلة	Z	قاعة الاستقبال
		Z'	قاعة الأكل

¹ POULLE (A.), Op.Cit., pl. XIX .

GSELL (S.), Les monuments antiques de l'Algérie II,.....Op. Cit, p24.

5-4-1 القسم السّاخن للحمامات

يتمّ الدّخول إلى القسم السّاخن من الجهة الغربية عبر قاعة التّمارين الرّياضية التي ترتبط مع قاعة مرّعة صغيرة مسخّنة من الأرضية، ويتشكّل هذا القسم من خمسة قاعات تختلف كل واحدة عن الأخرى في حدّة درجة حرارتها.

-القاعتين الدّافئتين

الأولى صغيرة مرّعة الشّكل مهمّتها الرّبط بين القسمين السّاخن والبارد، يعتقد "بول" أنّها قاعة مخصّصة لتدليك الجسم بالزيوت¹، حسبنا لا يمكن ذلك بحكم مساحتها الضّيقة (2.30×2.30)م والتي لا تسمح بالتوقّف عندها ممّا يعيق الحركة عند الدّخول إلى القاعة الدّافئة المستطيلة، تفتّح هذه القاعة على أربع جهات، من الشّمال على القاعة الباردة ومن الشّرق على قاعة التّعريق ومن الغرب قاعة التّمارين الرّياضية ومن الجنوب القاعة الدّافئة المستطيلة، لـ"تّيبار"² رأي مخالف حول وظيفتها، إذ يعتبرها امتداد لقاعة التّعريق، ويستند إلى القول أنّ مساحتها لا تسمح للمستحمين التوقّف عندها سواء عند الدّخول إلى القسم السّاخن أو الخروج منه، لكن ما ارتكز عليه قد ينطبق على القاعة إن كانت وظيفتها مخصّصة للتّعريق، بل على العكس من ذلك فالتوقّف يكون كبيراً في هذه الحالة أكبر من كونها قاعة دافئة وبالتالي تعيق الحركة بشكل مستمر.

القاعة الدّافئة الثّانية مستطيلة الشّكل، مقاساتها حسب بول (3.20×5.70)م وعند "ألّكي" (3×6)م، ترتبط مع السّابقة في جهتها الشّمالية ومن الشّرق مع القاعة السّاخنة المستطيلة، يتمّ تسخينها من الموقد الموجود في الرّواق الخارجى للخدمات في جهتها الجنوبية، تنتهي في جدارها الشّمالي بحنية نصف دائرية.

-القاعتين السّاخنتين

الأولى مستطيلة مقاساتها حسب "بول" (3.20×5)م وعند "ألّكي" (3×5)م، مزوّدة بحوض مستطيل مسند على جدارها الجنوبي، تأتيه الحرارة مباشرة من الموقد الموجود بدوره في الرّواق الجنوبي الخارجى، أرضيتها محمولة فوق أعمدة الهيبيوكوست، يذكر "بول"³ أنّ حوضها بلّط بفسيفساء ذات ثلاثة ألوان (أحمر و أسود و رمادي) والقناة التي تزوّده بالمياه في جدارها الجنوبي.

¹ POULLE (A.), Op.Cit., p 444.

² THEBERT (Y.), Op.Cit, p 219.

³ POULLE (A.), Op.Cit., p 440.

القاعة الساخنة الثانية مستطيلة مقاساتها (3×5)م، تنتهي في طرفها الجنوبي بحنية نصف دائرية زوّدت بحوض محمول فوق أرجل ومن الجهة الشرقية حوض مستطيل، يتمّ تسخينها بواسطة موقدين، الأول في جهتها الجنوبية والثاني من الشرق، ويذكر "ألكي" أنّ القاعة في الأصل كانت مستطيلة وفي مرحلة لاحقة هيئت الحنية النصف دائرية، ويشير "تيبار" إلى وجود موقد ثالث في جهتها الشمالية مستنداً على قول "ألكي"¹، بلّطت أرضية هذه القاعة بفسيفساء الأحصنة.

-قاعة التّعريق

شكلها دائري، تنفتح من جهة واحدة على القاعة الدافئة الصّغرى، زوّدت بأربعة كوّات متناظرة مثلى مثلى، حسب "ألكي" هيئت لاستقبال المستحمين والجلوس للتّعرق ونزع شوائب الجسم، يتمّ تسخينها من الموقد الموجود في رواق الخدمات جنوبها مباشرة، بلّطت أرضيتها هي الأخرى بفسيفساء هندسية في شكل دوائر.

5-4-2 القسم البارد للحمامات

على عكس القسم الساخن الذي أمكن التعرف على وظائف مختلف قاعاته من خلال موقعها وارتباطها بالموافد، فإنّ القسم البارد شكّل عدم توافق بين ما اقترحه "ببول" من وظائف لقاعاته وما ذكر عند "ألكي" ومن بعده، وإن كان هذا الأخير أقرب إلى الصّواب، لذا سيتم وصفها استناداً إلى ما كتبه² مع بعض التّحفظ، إذ لا يتوافق أحياناً الوصف الذي قدّمه مع الصّور أو المخطّط، خاصة ما تعلّق بالحوض البارد.

يتكوّن هذا القسم من قاعة باردة مستطيلة مساحتها 65م²، ذكرت عند "ببول" على أنها أTRIUM³، هي عبارة عن قاعة مركزية مقاساتها (5×6)م، على جانبيها صفّين من الأعمدة وفي جهتها الغربية امتداد للقاعة بعرض 3م. يفتح في جهتها الشمالية حوض مركزي نصف دائري وحوض ثاني يأخذ نفس الشّكل لكنه أكبر منه مساحة، أمّا الأول فمقاساته (3.40×4)م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكوّن من 4درجات، الأولى مقاساتها (0.50×3.50)م وارتفاعها 0.45 م، بلّطت أرضيته بمكعبات من الحجر الجيري رمادي اللون، رُمّت وقت اشتغالها بمكعبات من الطّين المشوي بنفس مقاسات الأصلية، أمّا جدرانه فلّبست بملاط مائي، يصل ارتفاعها إلى 1.20م لكن "ألكي" يذكر أنّه كان يرتفع أكثر من ذلك.

¹ ALQUIER (J et P.), Op. Cit, p 304.

- THEBERT (Y.), Op.Cit, p 219.

² ALQUIER (J et P.), Op. Cit, pp 296-301.

³ BOUET (A.), Thermes Privés et PublicsOp.Cit., p 445.

ينتمي الحوض الصغير في كثير من محاولات تصنيف القاعات الباردة إلى فئة القاعة الباردة ذات الحوض المنحني absidale، هذا النوع قليل مقارنة بتلك المشكّلة من أحواض رباعية الشّكل، وفي دراسة "الأن بووي" Bouet حول الحمّامات الخاصة والعمومية بغوليا الرّومانية، فإنّ أغلبها يؤرخ من القرن الثّالث إلى الخامس الميلاديين، على الرغم من وجود البعض منها يؤرخ بالقرن الأول ميلادي، وفي إقليم دراسته من بين 14 حالة 10 حمّامات تؤرخ من القرن الثّالث إلى الخامس الميلاديين¹.

الحوض الثّاني قطره 12م وعرضه 3.50م وارتفاعه 1.22م، تسمح مساحته بالسّباحة فيه، يفتح هو الآخر على القاعة الباردة بمدخلين، كل واحد منهما مزوّد بسلم مكوّن من 5 درجات، مقاساتها حسب "الكي" كالآتي:

- الأولى (1.25 × 0.75)م، وارتفاعها 0.25م،
- الثّانية (1.25 × 0.90)م، وارتفاعها 0.50م،
- الثّالثة (1.25 × 1.15)م، وارتفاعها 0.30م،
- الرّابعة (1.25 × 1.40)م، وارتفاعها 0.40م،
- الخامسة (1.25 × 0.30)م، وارتفاعها 0.10م.

بلّطت أرضيته بنفس تقنية تبليط الحوض الأول، ويسمح الانحدار البسيط من الغرب إلى الشّرق تصريف مياهه ناحية الفتحة المهيّأة في الرّكن الجنوبي لجداره الشّرقى، يحيط بهذا الحوض منتزه يأخذ نفس شكله، عرضه 2م، أرضيته هي الأخرى بلّطت بفسيفساء هندسية مكعباتها ملونة بالأبيض والأسود والأصفر والأحمر، وجداره الخارجى عرضه 0.50 م، في جهته الغربية هيّئ مدخل عرضه 1.05م يفتح على خارج المبنى، وفي الجهة الجنوبية الشّرقية على قاعة الاستقبال، ويفتح في الجهة الجنوبية الغربية على البهو المؤدي إلى القاعة الباردة.

يذهب "الكي" إلى القول أنّ الحوض الصغير كان مسقفا في حين المسبح أو الحوض الكبير كان مفتوحا على الهواء، أمّا "بوول" فيذكر أنّ كلاهما كان مسقفا.

¹ BOUET (A.), Thermes Privés et PublicsOp.Cit, p30



صورة رقم 194: سلّم الحوض البارد لحمامات بومبيانوس¹

في الجنوب الغربي للقاعة الباردة توجد أخرى مستطيلة مقاساتها (5×7)م، تنتهي في جهتها الشرقية بحنية تأخذ كامل عرضها، يسميها "ألّكي" و"قزال"² بقاعة التمارين الرياضية (الجمنازيوم)، في حين يذكر "بولول"³ أنّها القاعة الباردة، ويرمز لها "تييار" ب(G?)، تفتح بدورها على قاعة نزع الملابس في جهتها الغربية.

كل ما تمّ عرضه له علاقة مباشرة بالحمامات، في حين ما بقي منها يتكوّن من فناء كبير مساحته حوالي 290 م²، المدخل إليه من الشمال، يقابله في جهته الجنوبية مدخل يؤدي إلى التابلنيوم وهي قاعة مقاساتها (5×4)م، على جانبيها ملحقين صغيرين مقاسات كل منهما (2×4)م، أرضيتها مبلّطة بالفسيفساء، تفصل بينهما بلاطة من الرّخام الأبيض، وجدت بها حرّات أثناء حفريات "ألّكي"، ويعتقد هذا الأخير أنّها كانت لأبواب خشبية تفصل القاعة المركزية للتابلنيوم عن الجناحين⁴.

إلى الجنوب منه وجدت قاعة الاستقبال، مقاساتها (3,60× 4,40)م، هذه الأخيرة متّصلة مع سابقتها بثلاث فتحات وفي جنوبها المراحيض. أمّا القاعات الثلاث في الجهة الشرقية فتمثّل المطبخ وغرفتين مجهولتي الوظيفة، شرق القاعة الباردة وجنوب الجناح الشرقي للتابلنيوم توجد قاعة الأكل مقاساتها (5×5)م.

¹ ALQUIER (J et P.), Op.Cit., figure sans numéro entre p 296et 297.

² GSELL (S.), Les monuments antiques de l'Algérie II,.....Op. Cit, p25.

³ POULLE (A.), Op.Cit., p 444

⁴ ALQUIER (J et P.), Op.Cit, p 293.

5-5 المسار الحموي داخل حمّامات بومبيانوس

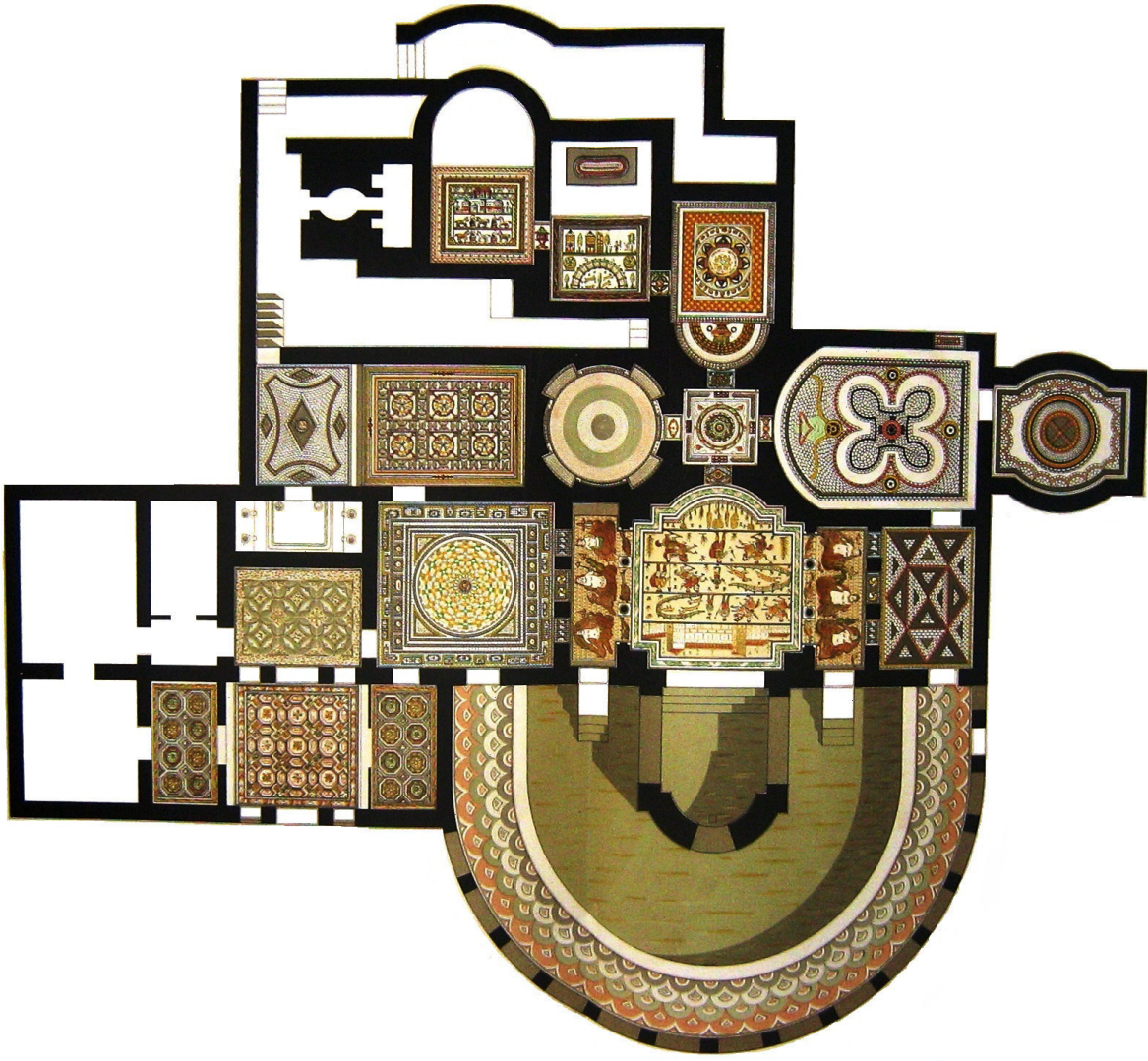
يمرّ المستحمّون وفق مسار شبه دائري تراجعي، ينطلق من المدخل في الجهة الجنوبية الغربية للمنتزه نحو امتداد القاعة الباردة، ثمّ إلى قاعة نزع الملابس عبر الجمنازيوم، أو الدّخول عبر المدخل الموجود في الفناء شمال شرق الحمّامات .

بعد نزع الملابس يتوجّه المستحمون إلى القسم الساخن وهنا يكونون أمام خيارين:

- الأول، المرور إلى القاعة الساخنة عبر القاعتين الدّافئتين الأولى والثانية،
- الثاني، إلى القاعة الدّافئة الأولى ثم قاعة التّعريق بعدها الرّجوع إلى الدّافئة سالفه الذكر ثم الدّافئة الكبرى، ومنها إلى القاعة الساخنة الأولى أو الثّانية إذا أرادوا التمتع بمنظر فسيفساء الأحصنة، ونفس المسار عند الرّجوع دون المرور ثانية إلى قاعة التّعريق، ليجد المستحمون أنفسهم في القاعة الباردة وصولاً إلى الحوض البارد أو المسبح، وقبل الخروج من المبنى يمرّون على الجمنازيوم مرّة أخرى.

5-6 دراسة الفسيفساء المكتشفة بالحمّامات

إنّ دراسة فسيفساء حمّامات بومبيانوس تشكّل في حدّ ذاتها موضوعاً شيقاً للبحث، لوفرة مشاهدتها وتنوّعها بين الهندسية والميثولوجية ومظاهر الحياة اليومية، في هذه الجزئية من البحث لا يكون التفصيل فيها بشكل كبير، فقط هو توضيح منا لإبرازها كونها ترتبط بصورة أو بأخرى بمكانة صاحبها.



مخطّط رقم 71: توزيع الفسيفساء على قاعات وأجزاء حمّامات بومبيانوس¹

5-6-1 فسيفساء القاعتين الدافنتين

القاعة الأولى: مشكّلة من لوحين، الأول عبارة عن مستطيلات ثلاث الواحد تلو الآخر، تتوسّطه نجمية مشكّلة من 9 أنصاف دوائر داخلها مثلثات سوداء وخضراء، تحيط بها دائرة تتلوها أخرى، ثمّ مستطيل في كلّ زاوية من زواياه عقد مرصّع أحمر وأصفر اللون، إلى جانب هذين اللونين استعملت الألوان (الوردي والأخضر والأبيض والأسود). أمّا الثاني هو الحنية أو الجزء النّصف دائري من القاعة وتأخذ الفسيفساء شكله، فهي مكوّنة من أنصاف دوائر بنفس ألوان وأشكال الجزء المستطيل سابق الذكر، في وسط الحنية سلّة فواكه².

¹ Plans et mosaïques des bains de Pompeianus près de Oued-Athmenia, publication de R.S.A.C, 1880, sans numéro.

-MORVILLEZ (É.), Les mosaïques des bains d'OuedOp.Cit, p305, Fig1.

² POULLE (A.), Op.Cit, pp442-443.

القاعة الثّانية: تتوسّط الفسيفساء نجمية يحيط بها إكليل دائري، مشكّل من أوراق خضراء مدعّمة بشريط أحمر، وبنفس التّقنية زيّنت عتباتها الأربع.

5-6-2 فسيفساء القاعة السّاخنة المستطيلة

مقابل الحوض تزّين أرضية القاعة فسيفساء مستطيلة، تبرز مشهد الحياة اليومية بالمرزعة، وهو مقسّم إلى قسمين، الأول يمثّله بناء مشكّل من ثلاث أجزاء منفصلة داخل حقل محاط بالأشجار، وعلى يمينه امرأة جالسة على كرسي(cathedra) تحت نخلة وافرة الثّمار، حاملة بيدها اليمنى مروحة، وتظللّها مظلة عن أشعة الشّمس، كما يقابلها عبدا ماسكا كلبا صغيرا بسلسلة، في أعلى المشهد كتابة *filoso filolocus*، ولا ندري إن ارتبطت بمعنى الغزل إذا ما اشتقت من الفعل *filare* (يغزل)، أم هي مشتقة من الاسم *Filum, fili* (خيط أو ألياف) والذي يعني كذلك عند الكاتب الرّوماني قيليوس Gellius (125-180م) (ميزة الوجه أو تقاسيم الوجه)¹، هنا يمكن إسقاطها على المرأة المذكورة أعلاه، في حين "بول"² يركّز على المعنى الأول المرتبط بالغزل، فمن جهة يحاول معرفة هل له علاقة بالمرأة أم لا؟، لكنه في ذات الوقت ينفي ذلك لغياب الأدوات المستعملة في عملية الغزل مثل المغزل، وأنّ المرأة ماسكة بيدها اليمنى مروحة، فلا يعقل القيام بعمل آخر بيدها اليسرى خاصّة إذا كان يتطلب استعمال اليدين معا. القسم الثّاني أسفل الأول يضمّ مشهدا متنوعا، حيث يحتل حوضان دائريان الجهتين العلويتين اليمنى واليسرى، داخلها تسبح الأسماك وتطفو النباتات المائية والأزهار، أمّا المشهد الرّئيسي فيضمّ حقلًا أو حديقة مسيّجة أعدت للصيد *septum venationis* وعلى جانبيها شجرتين مثمرتين، داخل الحيز المسيّج النّصف دائري يظهر كلبا صيد يجريان خلف ثلاثة غزلان.

5-6-3 فسيفساء القاعة السّاخنة المنتهية بحنية نصف دائرية(فسيفساء الفيلا والأحصنة)

تشكّل تربية الخيول عملا مرتبطا بالمكانة الرّفيدة لأصحابها، وهو يتطلّب المساحة والعناية الكبيرتين، خاصّة تلك المخصّصة للسّباقات والرّهانات، وقد خصّص ملاك الضّيعات مساحات واسعة تمثّلت في إسطبلات وأماكن لتدريبها، ويظهر هذا الاعتناء والمكانة في فسيفساء القاعة السّاخنة ذات الحوضين بحمّات بومبيانوس. لاقت هذه الفسيفساء اهتماما كبيرا من طرف "روسي" و"شاباسيار"، إذ رسمت بطريقتين مختلفتين، لكنّها لم تخرج عن إطارها العام وهو المشهد المشكّل من مستويين:

¹ Dictionarium Latinogallicum... Op.Cit, p1581.

² POULLE (A.), Op.Cit, pp442-443.

الأول تظهر فيه بنايه كبيرة ذات طوابق قد تكون فيلا مالك المزرعة، ويظهر في الرّسم الذي وضعه "شاباسيار" (سنة 1908) إلى جانب الفيلا، الإسطبلات وبرج لمراقبة أشغال الحقول ورعي الحيوانات، ويختلف رسم هذا الأخير مع ذلك الذي رسمه "روسي" سنة 1880، الذي يبدو متأثراً بالفن البيزنطي، كما تظهر الصورة مكتملة برسم الأجزاء المتضررة منها، إلى جانب هذا التّصوير تظهر كتابة "pompeianus" مالك الحمامات والفيلا والمزرعة.

المشهد الثّاني يصوّر الأحصنة الست يعلوا كل واحد منها اسمه، وهي على النحو التالي:

<i>delicatus</i>	(الأنيق)
<i>pullentianus</i>	(الذاكن)
<i>altus</i>	(النشيط، النبيل، القوي)
<i>scholasticus</i>	(العارف أو الفاهم)
<i>titas</i>	(الضخم)
<i>polydoxe</i>	(المجيد أو المنتصر)

ويحظي *altus* و *polydoxe* باهتمام صاحبهما ، حيث خصّهما بالعبارتين:

"بوليدوكس، سواء ربحت أم لا فنحن نحبك على أيّ حال *vincas non vincas te amamus*
polidoxe

"ألتوس، أنت الوحيد القادر على القفز عالياً *altus unus es[u]t mons exultas*

هذا المشهد مشكّل على مستويين متشابهين في الموضوع، إذ يتقابل كل اثنان من الأحصنة على مشرب، في حين الثّالث مربوط منفرداً إلى مشربه. ويظهر في رسم "روسي" أنّ الأحصنة غطيت ظهورها بأغطية مزينة بأشكال مختلفة¹.

¹ CRISTINA (A.), LECHILLI (E.), Les différentes représentations et symboliques du cheval à travers l'iconographie de la région de Cirta du Ier à la fin du III^e siècle après J.-C., in situ, 27, 2015, p9



صورة رقم 195 :
إعادة رسم فسيفساء
الأحصنة لحمامات
بومبيانوس من طرف
روسي¹



صورة رقم 196: إعادة رسم فسيفساء الأحصنة
لحمامات بومبيانوس من طرف شاباسيار²

¹ Plans et mosaïques des bains de Pompeianus près de Oued-Athmenia, Op.Cit, sans numéro.

² ALQUIER (J et P.), Op.Cit, figure sans numéro après la page 296.

هذا النوع من الزينة المصاحبة للأحصنة عرف في تلك المخصصة للسيرك، بعضها حملت على رأسها ريشة أو سعف نخيل أو غصن مورق، وعلى الرقبة أجراس أو قلادة¹.

للإشارة أن ما يشبه فسيفساء الأحصنة ببومبيانوس الكثير، نذكر منها على سبيل المثال:

فسيفساء السيرك ببرشلونة تؤرخ بالقرن الرابع ميلادي، تحمل هي الأخرى اسم المالك وفسيفساء ميريدا (*augusta emerita*) تؤرخ بالنصف الثاني من القرن الرابع ميلادي²، كذلك فسيفساء فيلا تور Torre بـ بالما Palma بالبرتغال³.

بمقاطعة البروقنصلية فسيفساء حضرموت (سوسة) بمنزل سورورتوس *sorothus*، تؤرخ بنهاية القرن الثاني ميلادي وبداية الثالث، يبرز فيها ستة أحصنة تحمل الأسماء الآتية:

dominator – adorandus- crinitus- ferox-pegasus- amor

يظهر في أربعة منها اسم المالك *sorothus,i,m*⁴، الذي يمتلك بدوره أراضي في تاغاست *saltus sorothensis* ربما جزء منها خصص لتربية الخيول والاعتناء بها⁵

AMOR equus, in cuius femore in umero SORO THI	equus, in cuius femore in umero SORO THI sub equo PEGASVS	FEROX equus, in cuius femore in umero SORO THI	ADORAN DVS equus, in cuius femore in umero SORO THI
--	--	---	---

وبنفس المنزل فسيفساء ثانية تظهر في جزئها العلوي منزل المالك أو الإسطبلات

وأربعة أحصنة أسماءهم: *patricius -ipparchus- campus-dilectus*

أيضا فسيفساء إحدى منازل مدينة حضرموت تؤرخ بنفس فترة منزل سورورتوس، يظهر فيها أربعة

أحصنة أسمائهم⁶: *pupillus-cupido-amator-aura*

¹ FAUQUET (F.), Le cirque Romain essai de théorisation de sa forme et de ses fonctions, thèse de doctorat en histoire, université de bordeaux III, 2002, p34.

² MATTER (M.), « Des chevaux du cirque : économie et passion à Rome », actes des journées d'études internationales organisées par l'UMR7044, études des civilisations de l'antiquité, sous le titre « le cheval dans les sociétés antiques et médiévales », strasbourg 6-7 novembre 2009, bibliothèque de l'antiquité tardive 22, BREPOLs Belgium, 2012, P 62

³ Ibid, p 63.

⁴ CIL VIII, N° 22917.

⁵ MATTER (M.), Op.Cit, p 64.

⁶ Ibid, p65.

تتكوّن فسيفساء القاعة الباردة من ثلاثة ألواح، المركزي مقسّم إلى خمسة مشاهد:

الأول تظهر فيه الإسطبلات أو الفيلا مشكّلة من طوابق ومزوّدة بأبراج مراقبة شأنها شأن فسيفساء

القاعة الساخنة سابقة الذكر، تعلوها الكتابة التالية "saltuarii janus"

الثاني يمثل مشهد الصيد *septum venationis* يظهر فيه أربعة أشخاص، اثنان منهم ممّطين

حصانين في حالة حركة فوقهما الكتابة "*cresconius , vernacel , arcentium*"، أمّا الاثنان المتبقيان

في حالة سكون، الأول حاملا بيده اليسرى رمح والثاني ماسكا بيده اليمنى عصا أو سيف، يتقدمه كلب

فوقه الكتابة "*fidilis*" يجري خلف ثلاثة غزلان داخل حيز مسيّج.

الثالث: يشبه الأول مع بعض الاختلاف، حيث يظهر على اليمين صيادين في حالة سكون، يتوسّطهما

ثالث ممّطيا حصان وحاملا بيده اليسرى رمح، تعلوهم الكتابة التالية " *liber-p-vii , cessonius* ,

diaz " وداخل الحيز المسيّج كلب الصيد تعلوه الكتابة "*castus*" يجري خلف غزال.

الرابع: يظهر في المشهد ثلاث صيادين، يتوسّطهم إحداهم في حالة سكون، ماسكا سيفه بيده اليسرى،

وعلى جانبيه اثنان ممّطيان حصانين في حالة حركة، تعلوهم الكتابة التالية " *neantus , liber* ,

pompeianus"

الخامس: يظهر فيه حديقة مشكّلة من نباتات وأشجار مختلفة (أشجار مثمرة، نخيل، أشجار

الصنوبر...الخ).

أمّا حاشية اللوح المركزي فهي عبارة عن صفائر مقسّمة إلى أجزاء بخيوط حمراء.

على جانبي اللوح المركزي لوحين بمشاهد ميثولوجية، يظهر في كل منهما ثلاث حوريات

ممتطيات حيوانات ميثولوجية ويصاحب المشهد دلافين، وتظهر الحورية الوسطى ممتطية فهد بحري

مرقّط، في حين الجانبيتين ممتطيتان مخلوق ميثولوجي برأس غزال، يذكر "ألّكي" أنّه أثناء حفريات

1926 لم يبق منها إلا القليل، وكتب قائلا: "... من الحوريات الثلاث بقي القليل من إحداهن في جهتها

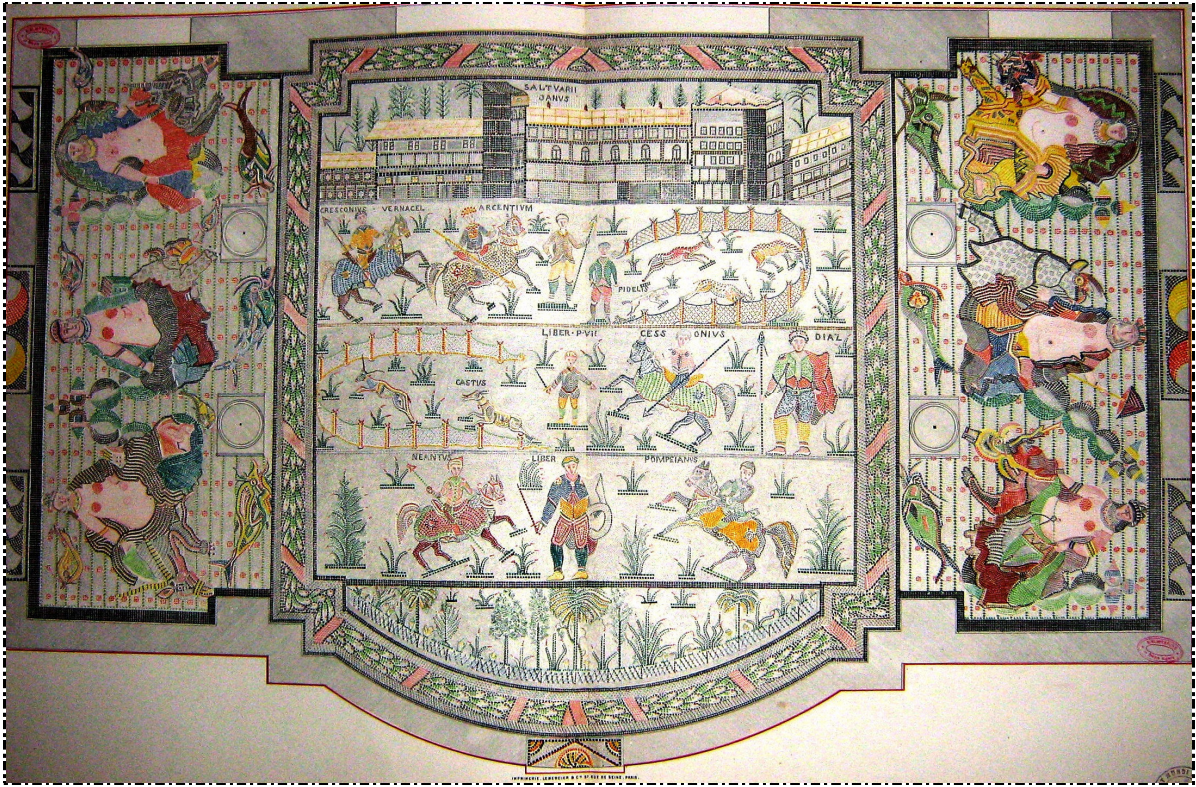
الشمالية وسيكون من الممكن إعادة تشكيل الاثنتين الآخرين بما في ذلك المخلوق البحري بصورة الفهد

المرقّط الحامل للوسطى منهن، بالنسبة للجزء المقابل لا يزال على العتبة الجنوبية سمكة رائعة مصوّرة

في حالة جيدة من الحفظ، من بين الحوريات الثلاث للقاعة 'A' بقي شيء من المخلوق البحري، خاصّة

ذيله المنتهي بشكل ورقة النفل¹.

¹ ALQUIER (J et P.), Op.Cit, pp304-307.



صورة رقم 197: فسيفساء القاعة الباردة بحمامات بومبيانوس¹

¹ Plans et mosaïques des bains de Pompeianus près de Oued-Athmenia, Op.Cit, sans numéro.
- CRISTINA (A.), LECHILLI (E.), Op.Cit , p.11.

6- حمّامات منزل سيدي مسيد بقسنطينة

يقع بسيدي مسيد بقسنطينة، أمّا عن إطاره المكاني القديم فهو مبهم لمحدودية التقارير على الرّغم من كثافة المكتشفات بالمدينة، خاصّة تلك المكتشفة سنة 1960 والمتمثلة في هياّت سكنية ذات تقليد بوني ، تفوق مساحة بعضها 500 م²، وعلى حدّ تعبير "مهنتل" في أطروحتها "...وهناك الكثير من آثارها التي اكتشفت إبّان الفترة الاستعمارية لم تحظ بوضع مخطّطات ودراسات دقيقة بشهادة بعض الفرنسيين أنفسهم، ربّما يرجع ذلك إلى كثافة الاكتشافات، وعامل الزّمن الذي كان يتطلّب الإسراع بالبحث لإعادة تعمير وتهيئة المكان، وبناء مرافق أخرى، وهذا يفسّر ما حملته الكثير من تقارير الأبحاث من إشارات تذكر إعادة ردم الآثار والعديد من القطع الفسيفسائية التي أنقذ منها القليل"¹ هذه الحمّامات لا يوجد لها أثر حاليا، حيث بنيت المدينة الحديثة فوق بقاياها، لذا ستتمّ دراستها انطلاقا من الببليوغرافيا المتاحة، حتّى أنّ أولى الحفريات التي جرت بالموقع سنة 1961 لم تسفر عن الكثير من النتائج بسبب المباني المجاورة للمنزل.

6-1 إطلالة تاريخية على منزل سيدي مسيد

يرتبط هذا المنزل بكل من **يوبيا الأول وسيتيوس**، وهي حتمية تاريخية لما آلت إليه مدينة كيرتا بعد وصول الرّومان إليها، وأصبحت فيما بعد مستعمرة ثمّ عاصمة للكنفدرالية السيّرتية. وحدث هذا نتيجة الصّراع الحاصل داخل روما بين مؤيّد **بومبي** وأنصار **قيصر**، ودفعت كيرتا الثّمّن نتيجة مساندة **يوبيا الأول لسيبيون**، وأدى هذا إلى حصار كيرتا من طرف **سيتيوس وبوخوس الثاني** القادمين من موريطانيا وانتحار **يوبيا الأول** في مدينة زاما، وحسم أمر كيرتا النوميدية حين انتصر **قيصر** على أتباع **بومبي** في معركة ثابسوس 46 ق.م واحتلت من طرف روما، وجزأت أراضي المملكة بين من وقف إلى جانبه، فاحتفظ **قيصر** بالأقاليم الخصبة وسلّم الجزء الغربي إلى حليفه **بوخوس الثاني**، أمّا الشّمال النوميدي فناله جماعة من المرتزقة بقيادة **سيتيوس**²، الذي لم يكن وجوده في إفريقيا (من 55 إلى 46 ق.م) محلّ صدفة، بل على العكس من ذلك كان ضمن السّياسة التي ترمي إلى إنشاء مؤسّسات رومانية قويّة، وقطب للرّومنة هدفه نشر الحضارة اللّاتينية في المنطقة وخارجها³.

¹ مهنتل جهيدة، التّطوّر الحضاري بمدينة قسنطينة (كرتا) في الفترة القديمة ، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة ، معهد الآثار - جامعة الجزائر، 2008-2009، ص9.

² شنيّتي محمد البشير ، نوميديا وروما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص24.

³ BERTRANDY (F.), l'Etat de P. Sittius et la Numidie cirtéenne (résumé de thèse doctorat d'Etat), université de Paris IV- Sorbonne, 1989, p2.

ولكن حكم سيتئوس لم يدم لأكثر من عامين، إذ قتل سنة 44 ق.م على يد أرابيون، ولكن تأثير سيتئوس على أتباعه (المشكّلون من أصول مختلفة ،إسبانيون وموريون ونوميد) بقي من بعده حين أكتسب هؤلاء الجنود المرتزقة حقّ المواطنة الرومانية، واتّخذ الكثير منهم سيتئوس اسما لهم¹. ويؤرخ قول بلين² للواقعة مشيرا إلى ازدهار كيرتا قبل احتلالها من طرف سيتئوس وبوخوس.

*P.sittius interim et rex Bocchus, Coniunctis
Suis Copiis, cognito regis jubae. egressu
Propius eius regnum copias suas admovere
, Cirtamque oppidum, opulentissimum
Eius regni adortus paucis diebus pugnandocapit*

بمعنى ستئوس والملك بوخوس الذين وحدا قوتهم
عرفا ذهاب يوبا ،اقتريا من مملكته، هاجما كيرتا
المدينة الأكثر ازدهارا في المملكة، وأخذها
بعد أيام من القتال.

6-2 تأريخ حمامات منزل سيدي مسيد

يذكر "بيكار"³ استنادا إلى استنتاجات "بارتي" حول الفسيفساء المكتشفة ذات الأصول الكمبانية في موضوعها وطريقة تركيبها، فلا يستبعد أنّ ورشة صناعة فسيفساء السباحين جلبت إلى كيرتا مع قدوم سيتئوس 46 ق.م، خاصّة ما تعلّق على حدّ تعبيره بالفسيفساء الحمويّة الكمبانية، وأنّها أنجزت في الفترة الثّانية لحكم التريومفير، أيضا إذا ما قورنت بفسيفساء بومبي المؤرخة بالنصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد. من جهة أخرى قد تكون تأثيرا كمبانيا على ثقافة يوبا الأول، هذه الثقافة المتأثّرة بالايطالية في البناء والتّعمير تظهر كذلك على ظهر عملته المضروبة ما بين 60-46 ق م، من خلال ما تحمله من صور لمباني عمومية، معابد، قصور⁴..الخ. وفي ديكور الفسيفساء الذي شهده عصر يوبا الأول⁵.

¹ مهنتل جهيدة ، المرجع السابق ، ص ص 126-127.

² النّص لبّلين ، Plinie l'ancien, Histoire naturelle Livre V, والترجمة لمهنتل جهيدة ، المرجع السابق ، ص46.

³ PICARD (Ch. G.), *La mosaïque romaine en Afrique à propos de l'ouvrage de K DUNBABIN, « the mosaics of roman north africa, studies in iconography and patronage »*, in R.A, fasc2, 1980, p350

⁴ BERTRANDY (S.), *Cirta*, encyclopédie berbère, 13, 1994

⁵ BERTRANDY (F.), *l'Etat de P. Sittius et la NumidieOp.Cit, p3* .

انطلاقاً من هذا الطرح فهي تؤرخ بـ 60-46 ق م، أو بعد ذلك بقليل، لكن "لاسوس" Lassus أبدى رأياً آخر حول تأريخها، إذ أرجعها إلى بداية القرن الثاني ميلادي¹. فالأقرب أن يكون منزل سيدي مسيد ليوبا الأول، وما ستييوس إلا معمر استولى عليه مثلما استولى على المدينة ومنشأتها الأخرى، والحمّامات جزء من هذا المنزل، فإن كانت الفسيفساء سابقة الذكر منجزة في نفس فترة بناء الحمّامات خاصّة القاعة الساخنة الشرقيّة أين وجدت، فإنّ زمنها لحد ما اكتشف الأقدم في تاريخ الحمّامات في الشرق الجزائري عمومية كانت أو خاصّة، إن لم نأخذ المجازفة بالرأي عبر كامل مدن الجزائر القديمة.

6-3 توفر عنصر الماء في سيدي مسيد واستغلاله

إنّ الاستقرار البشري بالمنطقة منذ الفترة البونية، وعلى الرغم من صعوبة طابعها الجبلي، إلا أنّ ساكنيها منذ ذاك الحين وجدوا حلاً لتزوّدهم بالمياه، وهو ما أدى إلى استمرارية الوجود بها فتشير الأبحاث خاصّة تلك المنجزة من طرف "بارتي" إلى وجود منازل ترجع إلى فترة حكم الملوك النوميد، وأخرى تؤرخ بنهاية القرن الأول قبل الميلاد وما بعده، حين استوطن ستييوس وأتباعه فيها، ويحصي "بارتي" أربعة خزانات بسيدي مسيد وحدها، لا تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة كبيرة، هذه الخزانات كانت تضمن توفير كمية كبيرة من المياه لتلك المنطقة²، وخلق مجال للسكن بتوفير متطلبات ذلك بما فيها الحمّامات .

6-4 أقسام حمّامات منزل سيدي مسيد

ستتم دراسة أقسام الحمّامات انطلاقاً من المخطّط والتقرير الموجز حولها لـ "بارتي"³، بسبب محدودية المجال المنقّب والذي لا يعطي تصوراً شاملاً للمبنى. فمن جهة، المباني الموجودة بالقرب من الموقع أعاققت استمرار البحث والتنقيب، ومن جهة ثانية ما تمّ كشفه سنة 1959 خاصّة الفسيفساء ذات الجمالية والعراقية، والتي تؤرخ لزمن بداية إنشاء أولى المباني الرومانية في المنطقة منذ 46 ق م، وهذا ما ترك أثراً عند "بارتي" بقيمة الاكتشاف والذي لم يستمر بسبب الأحداث التي شهدتها بداية الستينيات، أهمّها استقلال الجزائر فتوقّف البحث الفرنسي مدّة من الزمن ليستمر بعد ذلك في عدّة مناطق.

¹ LASSUS (J.), *les mosaïques découvertes récemment en Algérie*, in C.R.A.I, 106 e Année, 1962,p128.

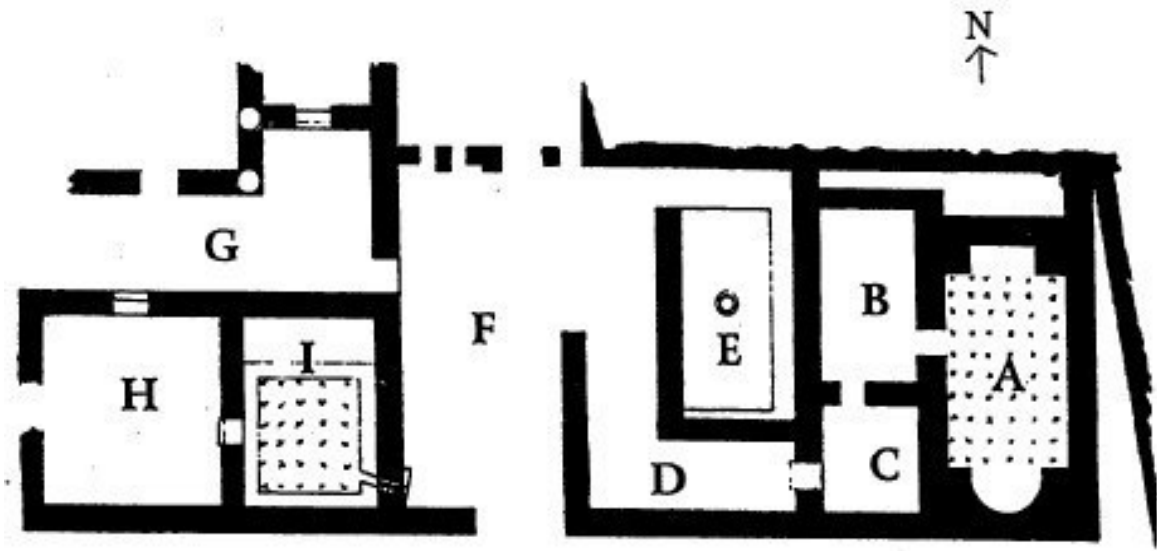
² BERTHIER (A.), *un habitat punique à constantine*, in Ant. Af., 16, 1980, p 16.

³ الأحرف الموجودة على المخطّط، نقلاً عن بارتي، وهي غير تلك التي أشرنا إليها في مدخل هذا الفصل.

والظاهر في مخطط "بارتي" أنّ هناك حمّامين، الأكبر في الجهة الشرّقية والثانية في جهتها الغربية أصغر مساحة من سابقتها، وهناك احتمالين حول سبب إنشائهما في حيز واحد أو مبنى واحد.

• الاحتمال الأول: أنّ الحمّامين كانا يشْتَغِلان في نفس الوقت، الأولى للرجال والثانية للنساء¹، لكن لكن هذا الاحتمال ضعيف خاصة وأن الحمّامات تابعة لمسكن فردي، والتّفَرُّق بين الرجال والنساء عادة تكون في الحمّامات العمومية الكبرى خاصّة ذات المخطّط التّناظري.

• الاحتمال الثّاني: أنّ الحمّامين لم يكونا يشْتَغِلان في نفس الوقت، وأنّ الشرّقية أُسْبِق في الوجود من الغربية، هذه الأخيرة دخلت الخدمة حين توقّفت الأولى، وبرّر "بارتي" هذا الرّأي من خلال الضّرر الذي لحق بالقاعة الساخنة في جدارها الشّمالي، وأنّ هذا الضّرر نتيجة لسد مدخل سابق².



مخطّط رقم 72: حمّامات سيدي مسيد³

في كلتا الحالتين تشكّل القاعة الوسطى (المعلّمة في المخطّط بالحرف F)، رابطا مشتركا بين الاثنين، إذ من خلالها يمكن الولوج لكليهما، وهي قاعة مستطيلة لها مدخلان، الأول في ركنها الشرقي الجنوبي والثّاني من جهتها الغربية يربطها بالرواق (G).
أمّا الحمّامات الشرّقية فتتكوّن من ثلاث قاعات:

¹ PICARD (Ch.G.), *Le palais de Sittius à Cirta*, in B.C.T.H, nouvelle série 18, 1982, fascicule B (Afrique du Nord), publie en 1988, p191.

² Idem.

³ HEWITT (S.), *The urban domestic baths of Roman Africa*, thèse pour le grade de docteur en philosophie , McMaster University, Hamilton, Ontario, 2000, p367

-القاعة الساخنة (A): مستطيلة الشكل تنتهي بحنية نصف دائرية في جهتها الجنوبية، يتم الدّخول إليها من القاعة (B) بمدخل في جدارها الغربي، أرضيتها بلّطت بفسيفساء السّباحين، مقاساتها (3.65×5.90) م، عدا الكوة أو المشكاة المستطيلة في جهتها الشّمالية والحنية في الجهة الجنوبية .

تمّ تسخينها بواسطة الهيبوكوست، حيث حملت أرضيتها فوق أعمدة من الآجر، لكن في مستوى الحنية بني جدار صغير وملأت مساحتها بالحجارة الصغيرة، في الشّمال وفي مستوى الأرضية المعلّقة على حدّ تعبير "بارتيني" ملأت كذلك فتحة الموقد بالحجارة¹، من المحتمل أن يكون ذلك بعد خروج الحمّامات عن الخدمة. هذا التّعير في بناء القاعة لا يسمح بمعرفة ما إن زوّدت بحوض أم لا، لكن الاحتمال وارد أن يكون حوضها الساخن في الجهة الشّمالية يتمّ تسخينه مباشرة من الموقد.

"بارتيني" لديه رأي آخر وهو أنّ القاعة (A) لم تكن أساسا ساخنة، وإنما تمّ رفع مستواها لتكون في نفس مستوى القاعة المجاورة (B)، وأنّ مدخل القاعة كان أصلا عبر الرواق (J) في جهتها الشّمالية².

وعلى الرغم من هذا التّفسير الغير مقبول، فإنّ أعمدة الآجر التي وجدت بالقاعة غرضها معلوم وهو حمل أرضيتها حتّى يتسرب الهواء الساخن تحتها؛ لكنّه من جهة أخرى صائب في حال ما إذا خرجت فيه القاعة الساخنة عن الخدمة وتغيّرت وظيفتها الأصلية . وبالعودة إلى إمكانية توفّر أحواض بالقاعة الساخنة، فالحنية هي الأخرى يحتمل أن تكون قد استقبلت حوضا ساخنا شأنها شأن الكوة المستطيلة المقابلة لها³.

-القاعة الدّافئة: في الأصل مشكّلة من قاعتين (B) و (C) يتمّ الدّخول إليهما عبر الدهليز (D)، الذي يؤدي إلى القاعة (C) عبر مدخل في جدارها الغربي، ويتمّ الدخول إلى القاعة (B) عبر مدخل يربطها بالقاعة (C) في جدارها الجنوبي وترتبط كذلك مع القاعة الساخنة بمدخل في جدارها الشرقي. بلّطت أرضية القاعتين بفسيفساء هندسية مشكّلة من مكعبات بيضاء وسوداء. يتمّ تسخينهما بطريقة غير مباشرة من القاعة الساخنة (A)، والملاحظ أنّ القاعة (C) تكون أقرب إلى القسم البارد منه إلى الساخن .

¹ BERTHIER (A.), « La mosaïque de sidi m'cid, Constantine », actes du 104^{eme} congres national des sociétés savantes, l'aquilaine , Bordeaux, 1979, p89

² Ibid, p90

³ HEWITT (S.), Op. Cit, p123.

من جهة أخرى يلاحظ غياب القاعة الباردة وما يميّزها من حوض أو أكثر، ولا ندري أهو غياب تام عن الحمّامات أم أنّ التّقيّبات لم تسفر على آثارها، لكن تبقى القاعة (F) سابقة الذكر هي المرشّحة لتكون القاعة الباردة ، ويبقى هذا مجرد احتمال ينقصه الدليل والبرهان .

بالعودة إلى الحمّامات الغربية الّتي تتشكّل من قاعتين فقط، الأولى ساخنة (I) موقدها موجود في الرّواق (G)، ترتبط مع القاعة (H) بمدخل في جهتها الغربية، هذه الأخيرة مفتوحة على ثلاث جهات بمدخل يختلف عرض كل واحد منها عن الآخر، الأول في جهتها الغربية والثّاني يربطها بالرواق (G) والثّالث يربطها بالقاعة السّاخنة (I)، أمّا وظيفة هذه القاعة فهي غير معلومة ما إن كانت دافئة أو باردة، زد على ذلك أنّ الحمّامات ككل الشّرقية والغربية مبهمة من حيث تزويدها بالمياه، إذ لا توجد دلائل حول ذلك.

6-5 فسيفساء حمّامات منزل سيدي مسيد

فسيفساء السّباحين أو فسيفساء سيدي مسيد أو فسيفساء قصر سيتّيوس، كلها تسميات أعطيت للفسيفساء المكتشفة من طرف "بارتيي" سنة 1959 بالقاعة السّاخنة لحمّامات سيدي مسيد، وهي تبليط يضم ثلاث مشاهد رئيسية، الأول ميثولوجي يتوسّط المشهد، موضوعه الإله جوبيتر في هيئة صقر حاملا برجليه الصّاعقة أو البرق، داخل دائرة بخلفية بيضاء يحيط بها دوائر بشكل دروع، في كل واحدة منها تتناوب مثلثات بيضاء وأخرى سوداء، والشّريط الخارجي للدائرة عبارة عن عصابة من أوراق النباتات تلي الواحدة الأخرى، خارج الدّائرة وعلى الجوانب الأربع لمشهد الوسط تتزيّن بزخرفة نباتية تتمثّل في كأس تخرج منه خيوط مورّقة.

المشهد الثّاني يصوّر أربعة سفن، اثنان منها تجارية واثنان حربية، ويتّفق كل من "بيكار" و"فوشار" foucher بأنّ الأمر يتعلّق بنقل الأسلحة والمحاربين الحاملين لرماحهم والمختبئين خلف دروعهم¹. هذا المشهد مشكّل داخل إطار بزخرفة حلزونية متناوبة.

أما المشهد الثّالث مشكّل على خلفية بيضاء، يمثله سّباحين سوداوين متقابلين، يثير في نفسية المستحمين الحرارة الّتي يجدونها في المناطق الاستوائية².

¹ PICARD(Ch. G), Une mosaïque pompéienne de Constantine et l'installation de Sittii à cirta, in R,A, 1980, p184

² PICARD (Ch. G), Le palais de sittius à Cirta..... Op.Cit, p191.

وهذا النوع من المشاهد وجد حسب "بيكار" في ثلاث منازل بمدينة بومبي هي: منزل كاييسوس بلاندوس *caesius blandus* الذي يظهر أربعة سباحين سود، ومنزل الكريبتوريك cryptoportique ويصوّر المشهد سباحين حاملين أمفورة بينهما، ومنزل مينوندر ménandre الذي يصوّر سباحين في مواجهة حيوانات بحرية، كل هذه اللوحات الفسيفسائية وجدت بالحمّامات الخاصّة للمنازل المذكورة¹، وهذا الاستناد دَعَم كثيرا الحكم على حموية المبنى ودحض الاعتقاد الأول حين اكتشافه على أنه معبد.



صورة رقم 198:
فسيفساء السّباحين
معروضة بمتحف
سيرتا²

¹ PICARD (Ch. G), Une mosaïque pompéienne de constantine.....Op.Cit , p185.

² مهنّتل جهيدة, المرجع السابق. ص 202

7- حَمَامَات هَنْشِير الصَّفِيَّة بِبئر العاتر

7-1 المعطيات التاريخية حول الموقع

تقع هذه الحَمَامَات بمنزل ريفي، هذا الأخير جزء من موقع هَنْشِير الصَّفِيَّة (بين مدينتي تبسة وبئر العاتر) على الضفة الغربية لوادي الصفية، المذكور تحت اسم غدير الصَّفِيَّة من طرف "قزال" في الأطلس الأثري الورقة 40 رقم 170 (ورقة فريانة)¹، مساحة الموقع الإجمالية (150×500)م² والحَمَامَات جزء من هذه المساحة، يذهب "تيسو" Tissot إلى الاعتقاد أنّ موقع cerva يتطابق جغرافيا مع موقع هَنْشِير الصفية²، وهو ما نجده أيضا في أطلس برينغتون في الورقة 33 لكن مع بعض التَحَقُّظ³.



خريطة رقم 10: تحديد موقع حَمَامَات هَنْشِير الصَّفِيَّة⁴

جزء كبير من الموقع اندثر أو استعمل في إنشاء معسكر للفرقة الأولى للمظليين التابعة للجيش الفرنسي سنة 1958 م.

¹ GSELL (S.), AAA, f^{lle}.40, n°170

² B.C.T.H, 1903, p CLV..

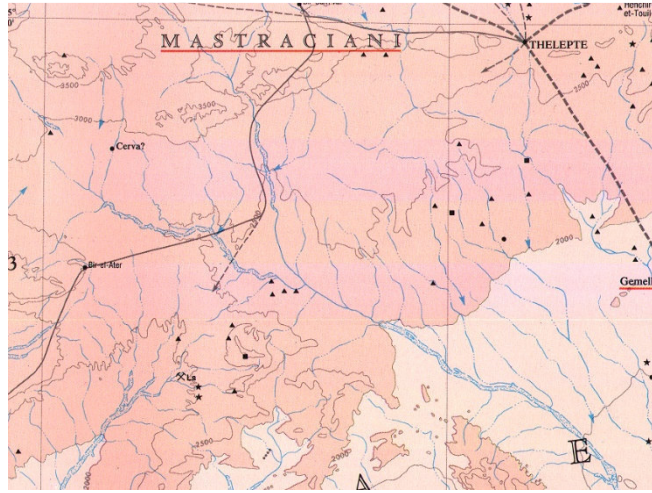
³ RICHARD (J.A). TALBERT, Barrington atlas of the GREEK and ROMAN world , Princeton University Press , 2000,, MAP 33 THEVESTE-HADRUMETUM .

⁴ Carte topographique « Djebel Fououa », Algérie (dept. de constantine, f^{lle} n°297 ,ech.1/50000, ministère des travaux publics et de transports, institut géographique national, paris, mise à jour partielle de 1960.

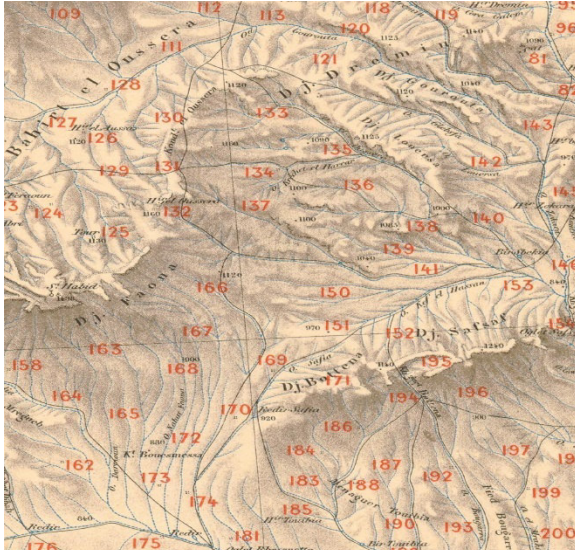
أما عن ظروف اكتشاف الحمّامات، فما كان ظاهرا منها لم يعط قراءة حقيقية لنوع المبنى إلا حين اكتشاف الفسيفساء التي تغطّي أجزاء من أرضيته، هذه الأخيرة اكتشفت عن طريق الصدفة حين تهيئة الموقع تحت قيادة النقيب "فيرار" Ferrère، إلى جانب اكتشاف بقايا نظام التّسخين في جهتها الغربية.

أما عن أول مخطّط وضع للحمّامات، فكان من طرف "ستاوسكي" Stawski (خلال حفرياته سنة 1958) - ورغم قول "لاسوس" أنّها حفرة مكّلة-، إلا أنّها أسفرت عن وضع مخطّط عام لها¹، كما نقلت حينها الفسيفساء التي وجدت بها وكذا أحواض الاستحمام إلى مدينة تبسة، تحت إشرافه إلى جانب المتخصص في الفسيفساء السيّد "قاصدي" Kasdi التّابع لمصلحة المعالم التاريخية والسيّد "هارفيو" Harviou

خريطة رقم 11: الورقة 33 من أطلس
برينغتون، في إشارة إلى موقع *cerva*



¹ LASSUS (J.), l'Archéologie Algérienne en 1958 « Henchir Safia », in LIBYCA, T VII, 2^{ème} semestre, 1959, p 325 .



خريطة رقم 12: موقع هنشير الصّفية (رقم 170 في الورقة 40(فريانة) من الأطلس الأثري لقرنال)

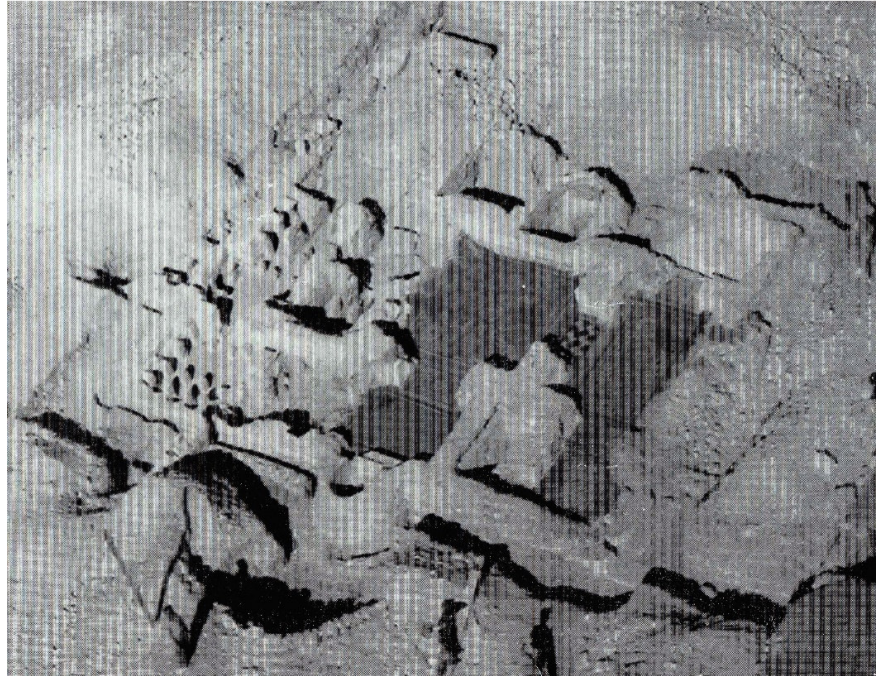
وبخصوص تأريخ الحمّامات، يقترح "لاسوس" تأريخها بالقرن الرابع ميلادي ، وينطلق من مؤشّر دراسة الفسيفساء الّتي وجدت بها ¹، وهي فسيفساء هندسية مختلفة الأشكال، تمتاز بالتنوع والبساطة في آن واحد.

7-2 الوصف العام لحمّامات هنشير الصّفية

تقدّر مساحة الحمّامات حوالي 150 م²، تتموضع فيها القاعات مشكّلة مخطّطاً شبه تناظري، خاصّة في قسمها البارد، الّذي يحتوي على قاعتين باردتين كليهما مزوّد بحوض متفاوت المساحة وقاعة لنزع الملابس، وبهو للدخول وقاعة العبور إما للقاعة الباردة الكبرى أو قاعة نزع الملابس، والجزء الثّاني من الحمّامات يضمّ القسم الساخن الّذي يحتوي على الأقلّ ثلاث قاعات، إحداها للتّعريق والثّانية ساخنة والثّالثة دافئة، وتمّ التّعريف عليها انطلاقاً من أعمدة الهيبوكوست الّتي وجدت في زوايا مختلفة منها، هذه الحمّامات بكلّ هذه الأجزاء توفّر جواً ملائماً لاستحمام مريح وصحّي يتناوب فيه المستحمين بين قاعات وأحواض متفاوتة في درجات الحرارة، كما أنّها تجمع المكونات المثالية للحمّامات، الّتي تتطلّب -على ما يبدو- كمّيّة معتبرة من المياه، وبحكم موقعها بالقرب من ينابيع ومجاري مائية يسمح لأصحابها توفير هذا العنصر الحيوي بشكل مستمر، وكثيراً ما تتحقّق هذه الغاية في الضيعات والمنازل الريفية، وتكون محدودة داخل المدن الّتي يحتكر فيها نظامها الإداري سلطة تسيير مواردها المائية .

¹ LASSUS (J.), *L'Archéologie Algérienne*..... Op.Cit, p 341 .
- THEBERT (Y), Op.Cit, p 205.

بهذه المساحة والمكونات أثير الجدل حول كونها حمّامات خاصّة أو عمومية، وهنا التّساؤل منطقي إذا لم يثبت وجود منزل لصيق بها أو على مقربة منها، وهذا الحديث عام إذ تشير بقايا آثار الموقع أنّ بهنشير الصّفية تجمّع سكني، قد يكون مستثمرة فلاحية يضمّ منزل المالك وملحقاته المباشرة ومأوى للخدم والعبيد... الخ، وهو ما جعل "قزال" و"لاسوس" يذكران أنّها حمّامات خاصّة ملحقة بمنزل ريفي، إلا أنّ "تيبّار" لديه شك في ذلك، حيث يعتقد أنّها ربما تكون حمّامات عامة بمساحة صغيرة. ونحن نميل إلى الرأي الأول خاصّة وأنّ من الأمثلة كثير لهذا النّوع من الحمّامات، على غرار حمّامات بومبيانوس بوادي العثمانية، أو الحمّامات الملحقة بالمنازل الرّيفية والتي يتيح لها المجال والمساحة لإنشاء مبنى يضاهي الحمّامات العمومية داخل المدن والتّجمعات السّكانية .



صورة رقم 199 :

حمّامات هنشير

الصّفية أثناء

حفريّة ستاوسكي

سنة 1958¹

وبخصوص مدخل الحمّامات، فهو في الجهة الجنوبية الشرّقية يبلغ عرضه 0.90 م، بعده مباشرة رواق مستطيل أو بهو الدّخول، مقاساته (2×1.30)م، خلفه جهة الجنوب مرحاض يتّسع لثلاث أشخاص بمساحة 2م²، يتّصل مع الحوض البارد الجنوبي، أين يزود بالماء من نفس القناة، شمال الرّواق الأول سابق الذكر يوجد بهو مستطيل مقاساته (4×2.50)م، يقود إلى قاعة نزع الملابس²، هي الأخرى

¹ LASSUS (J.), *l'Archéologie Algérienne*, Op.Cit , Fig.85, p326.

² Ibid , p 327 .

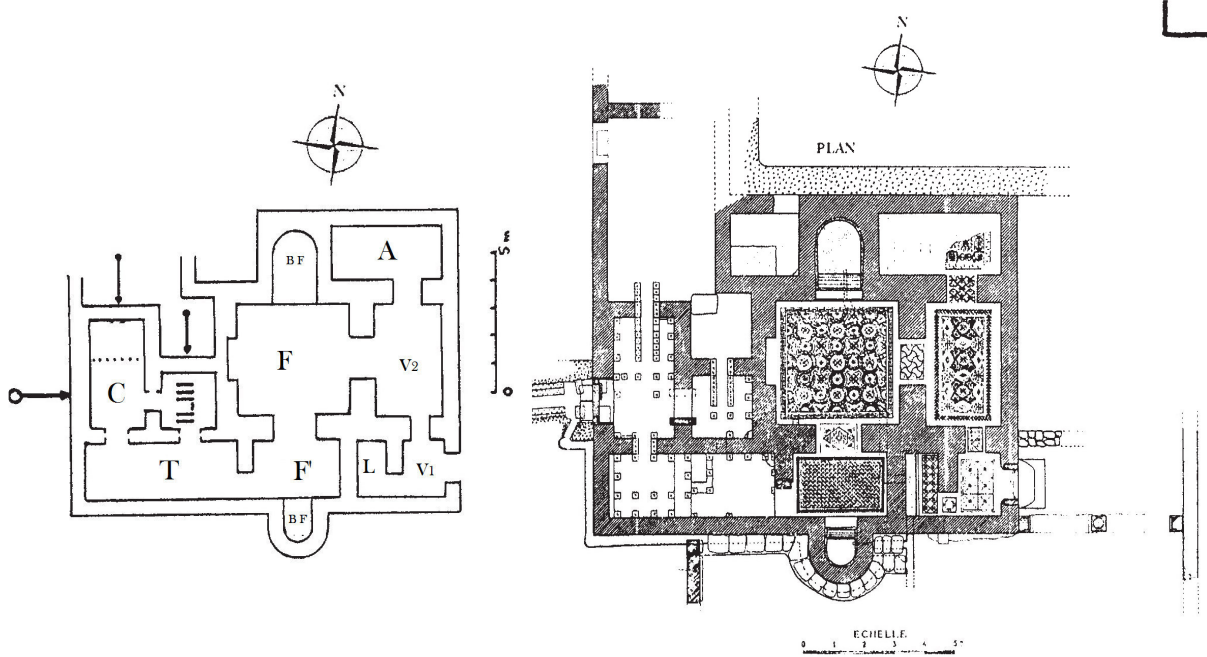
- THEBERT (Y), Op.Cit, p 205.

مستطيلة مقاساتها (2×4)م، كل هذه الأروقة والعتبات زينت مداخلها بفسيفساء هندسية متعدّدة الأشكال والألوان تغطّي كامل الأرضية.

3-7 تزويد المبنى بالمياه وتصريفها منه

يذكر "لاسوس" حين حديثه عن الحوض البارد الشمالي، أنّه لا يوجد ما يشير إلى تزويده بالمياه في مستوى ما بقي منه، بل إنّهُ في مكان مرتفع من الجدار¹، لكن هذا لا يمنع من طرح استنتاجات حول مصدر المياه، خاصّة حين معرفتنا بموقع الأحواض الباردة من جهة وموقد أو مواقد القسم السّاخن من جهة أخرى، أيضا من خلال تتبّع مسار قنوات تصريف المياه من المبنى، هذه الأخيرة تتّجه من الشّمال إلى الجنوب مخترقة القاعة الباردة، لتلتقي مع قناة المراحيض وتصبّ في بالوعة أو مجرى خارج المبنى، ومن الجهة الغربية أين القسم السّاخن للحمّات فإنّ مسار قناة تصريف المياه هي الأخرى في اتجاه الجنوب الشرقي لتصبّ في نفس المجرى.

4-7 أقسام حمّات هنشير الصّفية



مخطّط رقم 74: أقسام ومكوّنات
حمّات هنشير الصّفية²

مخطّط رقم 73: المخطّط العام لحمّات
هنشير الصّفية³

¹ LASSUS (J.), *l'Archéologie Algérienne*, Op.Cit , p 328.

² THEBERT (Y.), Op.Cit, pl. 83.

³ LASSUS (J.), *l'Archéologie Algérienne*, Op.Cit , plan sans numéro.

7-4-1 القسم السّاخن للحمّامات

يتكوّن القسم السّاخن من أربعة قاعات متفاوتة المساحة ومختلفة الحدّة في درجات الحرارة، ومن ثمّ متباينة الوظائف والأدوار.

القاعتين الجنوبيتين يشكّلان في المجمل مساحة تقدّر بـ 11 م²، لا يفصلهما عن بعضهما في ظلّ ما توفّر من عناصر البناء، سوى جزء من جدار لا يكاد يرتفع عن مستوى أرضية الهيبوكوست، هذا الأخير بنيت أعمدته الحاملة لأرضية القاعة من الآجر المربّع مقاساته 0.20م، يفصل كل عمود عن الآخر مسافة 0.35م، بنفس التقنية التي أنجزت بها الأعمدة وتباعدها عن بعضها في القاعتين السابقتين أنجزت القاعتان الشماليّتان، الأولى مربّعة (2×2)م، والثانية مستطيلة مقاساتها (3.50×5.60)م.

أمّا عن الموقد فهو مفتوح في الجدار الغربي للحمّامات، يفتح مباشرة على القاعة الساخنة الكبرى مستطيلة الشّكل، ويبعث بحرارته بشكل مباشر إليها وعن طريق الأرضية إلى كامل القسم السّاخن، من جهة أخرى خصّص هذا الموقد لتسخين مياه الحوض السّاخن، هذا الأخير غير موجود حالياً، لكن "لاسوس" يشير إلى إمكانية تصوّر مكانه بالقرب من الموقد¹.

ومن خلال دراستنا لمخطّط الحمّامات فإنّ احتمالية وجود ثلاث موائد في مساحة لا تزيد عن 25 م² مستبعد عملياً، إذ يكفي موقد واحد أو اثنين على الأكثر لتسخين القسم السّاخن، حيث لا المساحة ولا الارتفاع المرتبط بها يتطلبان حرارة من جهات متعدّدة، والموقد الثّاني قد يخصّص في الجهة الشماليّة الغربية للقسم السّاخن، حيث القاعة الصّغرى الساخنة والتي قد تلعب دور قاعة التّعريق.

هذا بصفة عامة القسم السّاخن للحمّامات، لكن وظيفة كل قاعة يمكن معرفته من خلال النقاط التالية:

- الاتصال المباشر مع القسم البارد،
- العناصر الكاملة لنظام التّسخين،
- علاقة كل قاعة مع الموقد ودرجة قربها منه،

¹ LASSUS (J.), *l'Archéologie Algérienne*, Op.Cit , p 331.

من هذا المنطلق فالقاعتين الجنوبيتين يمثلان الجزء الدافئ، الذي يضمن الاتصال بالقاعة الباردة الصّغرى من جهة الشرق، والقاعة الساخنة من الشمال الغربي.

وتجدر الإشارة أنّ القاعتين الدافئتين أو بالأحرى القاعة الدافئة تأتيها الحرارة بصفة غير مباشرة عن طريق الأرضية، إذ لا تشير الدلائل إلى وجود جزء من النظام الذي يعتمد على التسخين العمودي المسند على الجدران، في حين هذا الأخير وجد أثناء حفريات "ستاوسكي"، خاصة في الجزء الجنوبي الشرقي لقاعة التّعريق¹، حيث عثر على أجزاء من الآجر التي تضمن الرّبط بين الجدارين الداخلي والخارجي للقاعة، فاتحة المجال لخلق تجويف عمودي تتصاعد عبره الحرارة القادمة من الأرضية.

7-4-2 القسم البارد للحمّامات

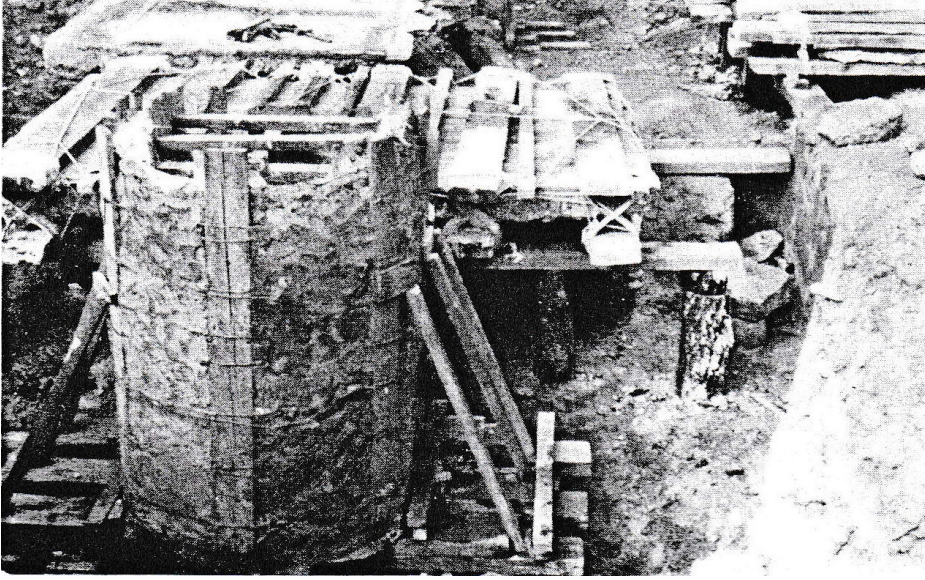
يتكوّن من قاعة كبرى مربعة الشكل، مقاساتها (4×4)م، على جانبها الجنوبي قاعة باردة ثانوية مستطيلة، مقاساتها (2×3)م، هذا القسم مزوّد بحوضين متفاوتين في المساحة و متناظرين. أمّا القاعة الباردة وهي الأكبر في كامل الحمّامات فقد كانت مزوّدة بكوة في جدارها الغربي وهو ما يظهره المخطّط، و يعتقد "لاسوس" أنّها ربّما كانت نافورة مرتبطة مع القسم الساخن بقناة، ممّا يسمح بوصول مياه ساخنة إليها تتسلّل عبر حنفية ملتصقة بالجدار²، القاعة الثانية صغيرة من حيث المساحة مقارنة مع سابقتها، الغرض منها غير معروف بوجه الدقّة، على الرغم من أنها امتداد للقاعة الباردة سابقة الذكر، فمن خلال معاينة العديد من الحمّامات التي تحتوي حوضين متقابلين يكونان في نفس القاعة، لا يفصلهما رواق أو مدخل بينهما.

وحيث الحديث عن الحوضين الباردتين، فالحوض الشمالي مستطيل الشكل في اتجاه شمال /جنوب، ينتهي في جزئه الشمالي بحنية نصف دائرية، طوله 2,10م و عرضه 1,50 م، يتمّ الوصول إليه عبر درج منحنى، مزين بفسيفساء صفراء اللون.

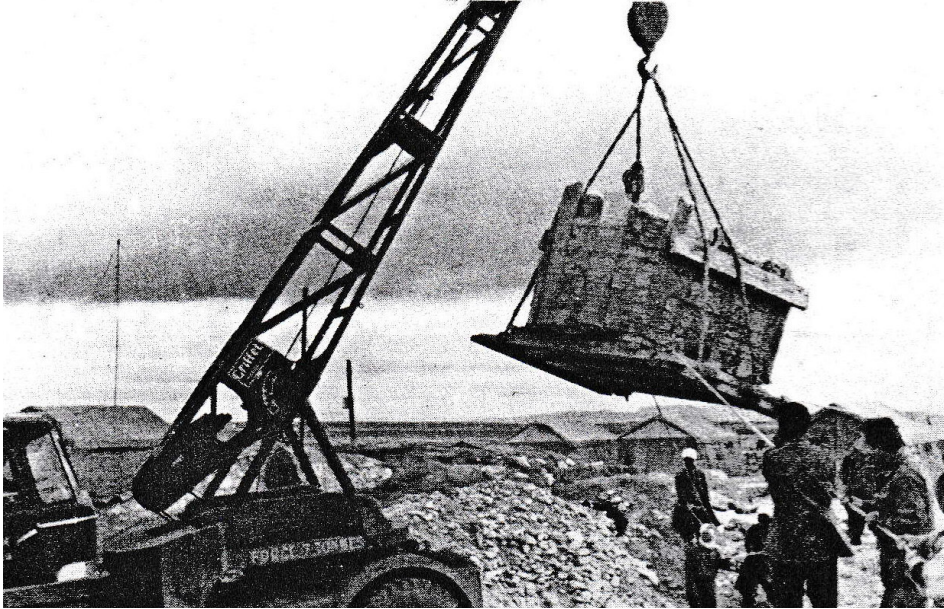
أمّا الحوض الجنوبي أقلّ مساحة من سابقه، ينتهي بحنية نصف دائرية مدمجة كلياً في الجدار الجنوبي للحمّامات، هذا الحوض مقاساته (1×1.15)م، بلّط أرضيته هو الآخر بفسيفساء بسيطة دون ديكور.

¹ LASSUS (J.), *L'Archéologie Algérienne* , Op.Cit, p331.

² Ibid, p 327 .



صورة رقم 200: صورة تبيّن عملية نزع الحوض البارد الشمالي وجزء من فسيفساء القاعة الباردة¹



صورة رقم 201: صورة تبيّن عملية نقل الحوض البارد الشمالي²

هذا النوع من القاعات الباردة، والذي يتقابل فيه حوضان ربما تتساوي مساحتهما أو تختلف الواحدة عن الأخرى، نجده في الكثير من الحمّامات العمومية والخاصّة على حد سواء على غرار:

- الحمّامات الكبرى الجنوبية بهيبوريغيوس،
- الحمّامات الشمالية الصّغرى بمادوروس ،

¹ LASSUS (J.), *L'Archéologie Algérienne*, Op.Cit , Fig 101.

² Ibid , Fig 102.

- حمّامات منزل الحمار بكويكول،
- الحمّامات الكبرى بلمبايزيس،
- حمّامات الفورورم بتوبرسكو نوميداروم،
- حمّامات القرن الخامس بسيتيفيس،
- حمّامات هادريان بلييتيس ماقنا ،
- حمّامات ميميان ببولاً ريجيا،
- حمّامات الميدان بقيقتيس.

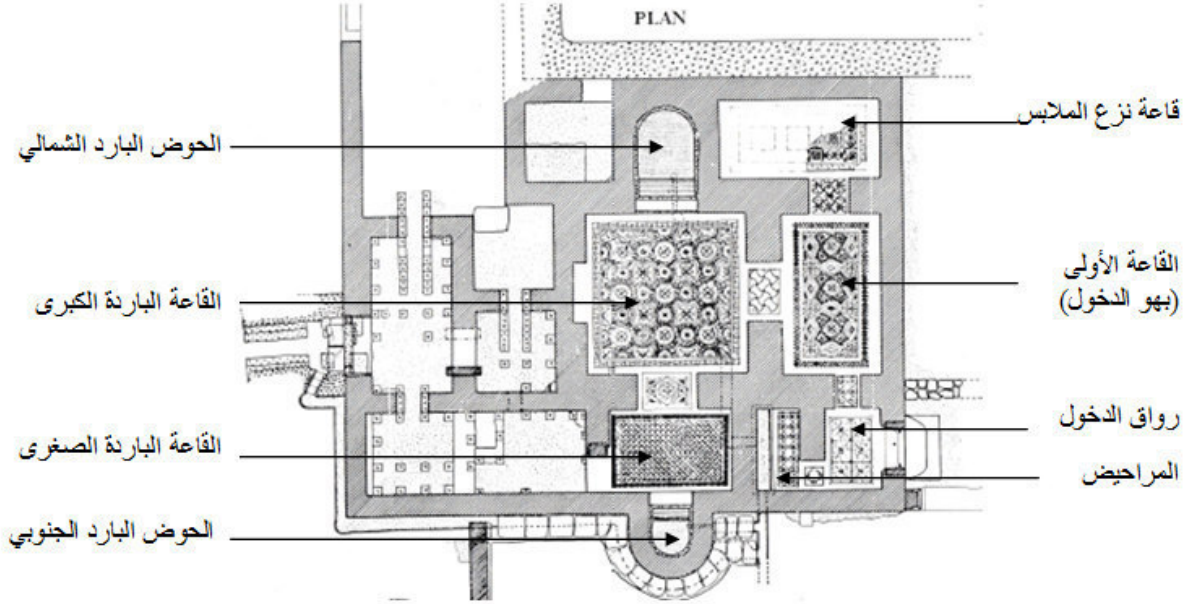
أمّا عن مواد بناء حمّامات هنشير الصفية وتقنيات الانجاز فقد استعملت الحجارة الكلسية بشكل كبير، سواء في بناء الجدران أو كملاط في تثبيتها، كما استعمل في الأرضيات كطبقة الملاط التّحتي للفسيفساء، والملفت للانتباه أنّ هذا الاستعمال الواسع لهذه المادّة بسبب توفر الحجارة الكلسية على مقربة من الموقع، إذ لا تبعد عنه إلا بمئات الأمتار محجرة استغلت حجارته في بناء عديد المباني القريبة منها. وبخصوص طريقة البناء فالملاحظ أنّ هذه العملية أسندت لصنفين من العمال، بدءاً من مرحلة التّخطيط والهندسة وبناء القواعد، وما ارتبط بها من نظام التّسخين المؤلّف من الأعمدة والأرضية والمواقف...الخ.

7-5 فسيفساء حمّامات هنشير الصفية

لا تكاد قاعة أو جزء من حمّامات هنشير الصّفية تخلوا من تبليط فسيفسائي، تتعدّد فيها الألوان والأشكال، ويغيب عنها التّصوير الآدمي والحيواني وحتّى الميثولوجي، فقط الأشكال الهندسية وبعض أوراق النّباتات زيّنت الأرضيات، جميعها أنجزت بتقنية *opus tessellatum*، معدّل مقاسات مكعباتها بين 0.008 و 0.01م.

رغم التشابه في طريقة الإنجاز إلا أنّها تختلف في شكلها من قاعة إلى أخرى، ومن رواق إلى آخر، كذلك الأمر بالنّسبة لعتبات المداخل، في حين فسيفساء الحوضين الباريدين أنجزت دون رسوم أو أشكال، فقط مكعبات مترابطة تشكّل في مجملها لوحة واحدة.

وعلى الرغم من بساطة الديكور الذي ميّز فسيفساء القسم البارد، إلا أنّها أنجزت بدقة كبيرة في توزيع الرسومات والخطوط واستعمال الألوان، وهو ما يوحي بأنّ من قاموا بإنجازها فريق متكامل من النّقّنين، لا نلاحظ في عملهم انقطاع أو تمايز بين تبليط وآخر .



مخطّط رقم 75: توزيع الفسيفساء على أقسام حمّامات هنشير الصّفيّة

7-5-1 فسيفساء المدخل

أ-رواق الدخول: بلّطت أرضيته بفسيفساء مستطيلة مساحتها 2م²، موجودة حالياً بالحديقة العمومية لولاية تبسة، أنجزت مكعباتها بالرّخام متعدّد الألوان (الأبيض والأسود والأحمر والأصفر)، معدّل مقاسات مكعباتها 0.01م³، وهي فسيفساء تجمع بين الهندسية والنباتية، هذه الأخيرة تتمثّل في أوراق بسيطة دون تعقيد، الحاشية مشكّلة بخطوط متوازية باللونين الأبيض والأسود، في حين الحقل عبارة عن مربّعات منجّزة على صفّين يتوسّطهما خطّ عمودي يتقاطع مع آخر، وفي مكان الالتقاء تبرز مركز دائرة، يتفرّع منها عروق نباتية تنتهي بأوراق أو زهرة ذات ثلاث بتلات، ويتكرّر الشّكل في زوايا المستطيل، هذه الفسيفساء بسيطة الشّكل في انفرادها وذات مظهر متناسق حين مشاهدة اللوحة بأكملها، وكأنّ الفنان يوحي بأنّ حدود اللوحة لا تتوقّف عند هذه المساحة، ويرتقي بذهن مشاهديها إلى تصوّر استمرارية لأجزائها المتكرّرة بنفس الشّكل والنّقنية .

ب- فسيفساء القاعة الأولى أو بهو الدخول: هي الأخرى مستطيلة، مقاساتها الحالية (2.53×4.12)م، استعملت فيها الألوان الأربعة سابقة الذكر، أما الحاشية فهي مشكلة من مثلثات سوداء اللون مجمعة في صف واحد، هذا الأخير داخل إطار مشكل من مكعبات هي الأخرى سوداء، وإلى الداخل ثلاث خطوط بنفس السمك، ويعتبر حقل هذا التبليط أكثر كثافة من فسيفساء المدخل، إذ تتعدّد فيها الأشكال الهندسية بين الدوائر والمعيّات وأشكال ثمانية الأضلع تتخللها أوراق نباتية، تحيط بكل شكل من هذه الأشكال، جدائل ملتوية بشكل ضفائر مزدوجة الشرائط .

7-5-2 - فسيفساء قاعة نزع الملابس

لم يبق منها سوى القليل الذي وجد في ركنها الجنوبي الشرقي، لكن من هذا الجزء تبرز تقنية تشكيلها التي تعتمد على مكعبات حجم الواحدة منها 0.01م³، ألوانها تتعدّد بين الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، لا يختلف عن باقي فسيفساء الحمامات، فالخطوط المستقيمة والمنحنية تلتقي في أشكال متناسقة، أنجزت بنفس التقنية التي يميزها التناظر وملأ الفراغات داخل الحقل، مع وجود بعض المواضيع النباتية التي تتخلل الأشكال الهندسية، وهي مشكلة من حاشية خارجية أقل كثافة من الخطوط، تليها أخرى أكثر عرضاً من سابقتها مشكلة من تناوب مربعات ومستطيلات، أما المربعات فتحتوي بداخلها ختم أو عقدة سليمان، والمستطيلات تحتوي على اثنين من التريس الملفوف متقابلين يتوسطهما معين يحتوي داخله زهرة صغيرة.

7-5-3 - فسيفساء القاعتين الباردتين

لا تختلف القاعة الباردة الكبرى عن القاعة الأولى أو قاعة الدخول سواء في تقنية الإنجاز أو حتى الأشكال، فقط استبدلت المكعبات بشكل ثماني الأضلاع مع تحويل في الأضلع المستقيمة إلى انحناء بسيط، لتضفي عليها تناسقاً مع الدوائر، هذه الأخيرة تحتوي بداخلها أزهار وأوراق نباتية بالشكل ذاته في القاعة الأولى، بالإضافة إلى شريطين ملتويين بشكل عصابة أو ضفيرة. أما الحاشية فتمتاز بالبساطة، فهي عبارة عن خطوط متوازية بألوان مختلفة

في حين فسيفساء القاعة الباردة الصغرى، عبارة عن ضفائر تلتقي مع بعضها مشكلة ختم سليمان، أما الحاشية فهي عبارة عن مثلثات متتالية تحيط بكامل اللوحة الفسيفسائية، ونجد مثلثاتها في الجزء العلوي لجدران الحوض الصّغير الجنوبي.



صورة رقم 203: فسيفساء رواق الدخول²



صورة رقم 202: فسيفساء القاعة الأولى أو بهو
الدخول¹

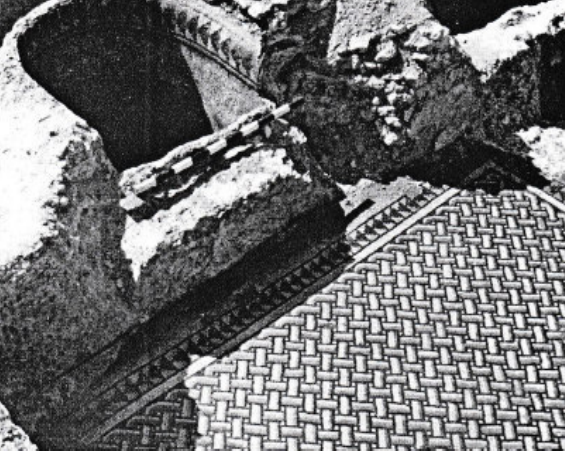


صورة رقم 204: فسيفساء قاعة نزع الملابس³

¹ عريفي الياس، مجموعة فسيفساء منطقة تبسة، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر - معهد الآثار، 2009-2008، لوحة رقم 14.

² المرجع نفسه، لوحة رقم 13.

³ LASSUS (J.), *l'Archéologie Algérienne.....*, Op.Cit, Fig 93.



صورة رقم 206: فسيفساء القاعة الباردة
الصّغرى مع الحوض الصّغير²

صورة رقم 205: فسيفساء القاعة الباردة الكبرى¹

7-5-4 - فسيفساء عتبات الأبواب

زيّنت عتبات الأبواب بين القاعات والأروقة بلوحات فسيفسائية تختلف مقاساتها باختلاف المداخل، والملاحظ أنّها لم تقتصر على لون واحد أو شكل معيّن. وعلى الرغم من أنّ عتبات القسم الساخن غير موجودة حالياً، كون مستواها فوق الأرضية المحمولة فوق أعمدة الآجر قد تعرّضت للتلف، إلا أنّ القسم البارد يعرض خمسة ألواح بما فيها عتبة المراحيض عند المدخل الرئيسي. تتشابه هي الأخرى في تقنية الانجاز وتختلف في طبيعة أشكالها التي تجمع بين الهندسية والقليل من النباتية. فالتي تربط رواق الدخول بالقاعة الأولى أو البهو فهي عبارة عن مربّعات متموضعة بشكل محوري، أنجزت بلونين فقط الأبيض والأسود، حاشيتها هي الأخرى بسيطة وحقلها عبارة عن مربّعات، الوسطى خالية من الديكور والجانبية مزينة بأوراق نباتية أو أزهار بسيطة.

في حين فسيفساء عتبة القاعة الأولى (بهو الدخول) مع قاعة نزع الملابس، أنجزت وفق تناظر محوري وبلونين مختلفين؛ حاشيتها مشكّلة من صفين من الخطوط المنجزة بمكعبات سوداء، وحقلها عبارة عن خطوط تلتقي لتشكّل هلال محوّر أو تريسات بزوايا حادة.

¹ LASSUS (J.), *L'Archéologie Algérienne*....., Op.Cit, Fig 95.

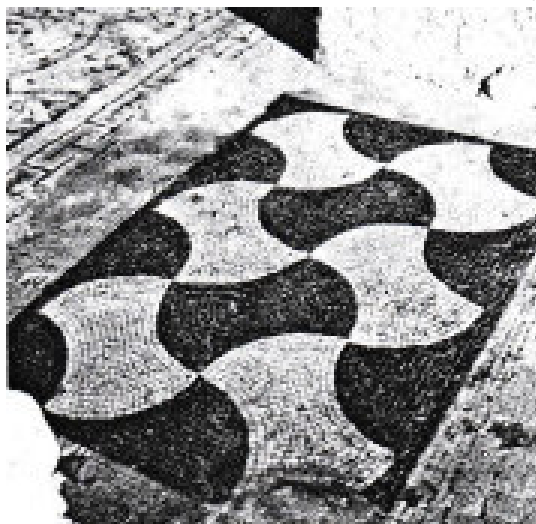
² Ibid, Fig 100.

أما العتبة التي تربط القاعة الأولى مع القاعة الباردة الكبرى، فهي عبارة عن تبليط بسيط في موضوعه بعيدا عن التعقيد، أشكاله متماثلة أنجزت بلونين الأبيض والأسود، لا تبرز فيه الحاشية، في حين الحقل يحتوي على زخرفة بشكل رقعة ضامة الكعب بيضاء اللون وبخلفية سوداء¹.

وبخصوص تلك التي تربط هذه القاعة مع القاعة الباردة الصغرى، فهي عبارة عن مستطيل يتوسطه معين تلامس زواياه أضلع المستطيل، وتتوسطه دائرة بداخلها أوراق نباتية .



صورة رقم 207: فسيفساء عتبة الوصل بين القاعة الأولى وقاعة نزع الملابس²
صورة رقم 208: فسيفساء عتبة الوصل بين القاعتين البارديتين³



صورة رقم 209: فسيفساء عتبة الربط بين القاعة الباردة وقاعة الوصل بين هذه الأخيرة وقاعة نزع الملابس⁴

¹ عريفي الياس، المرجع السابق، ص 74

² المرجع نفسه، لوحة 15.

³ المرجع نفسه، لوحة 19.

⁴ LASSUS (J.), *l'Archéologie Algérienne.....*, Op.Cit, Fig 94.

8- حمامات المنزل شرق السّاحة القديمة بتوبورسيكو نوميدياروم

8-1 موقع المنزل والحمامات

يقع المنزل في الجهة الشرّقية للسّاحة العامة القديمة، يحدّه من الشّمال هيئة سكنية، ومن الجنوب خزّان كبير يقدره "جولي" بـ 35 م طولاً، مع احتمال أنّه كان متعدّد الطوابق¹، ومن الجهة الشرّقية شارع صغير يقود إلى الطّريق المؤدية إلى باب تيفاش والتي تبعد عن المنزل مسافة 340 م، ومن الجهة الغربية السّاحة القديمة على بعد 50 م. المبنى عبارة عن منزل كبير تقدّر مساحته بحوالي 900م² وباحتساب الإسطبل قد يصل إلى 1100م²، يضمّ عديد الغرف وخزّانين أحدهم أسفل الفناء والثّاني غربه، إلى جانب الحمامات الواقعة في الجهة الشرّقية للمنزل، وتتّشكّل هذه الأخيرة من قاعتين² إحداها مزوّدة بحوض وكوة إلى جانب رواق الخدمات شمالاً، مساحتها لا تتعدّى 52م²، ممّا تحقق نسبة 4.72% من المساحة الإجمالية للمبنى.



صورة رقم 210: منظر
عام للمنزل شرق
السّاحة العامة القديمة
(تصوير الطّالب)

-مدخل الحمامات

قبل معرفة مدخل الحمامات وجب التّعرف على مداخل المنزل، فالواضح أنّ له مدخلان الأول في الجهة الغربية يقابل السّاحة القديمة والثّاني من الجهة الشرّقية يقابل طريق تيفاش، كلاهما يؤدي إلى فناء المنزل، أمّا من الجهة الجنوبية في مستوى الطابق الأرضي المكان مشغول بالجدار

¹ BALLU (A.), Rapport 1905, in B.C.T.H 1906, p189.

² يذكر "بالو" استناداً إلى تقرير "جولي" أنّ الحمامات احتوت عدة قاعات منها اثنان زوّدتا بنظام التّسخين (القاعة السّاخنة والدّافئة) في حين لا يشير إلى القسم البارد BALLU (A.), Rapport 1905, in B.C.T.H 1906, p187

الشّمالي للخزان الكبير سالف الذكر، ومن الجهة الشّمالية حيث يوجد الإسطبل المكان منخفض ولا يوجد أثر للسلاّم عدا تلك التي تؤدي من الرواق المعمّد الغربي إلى غرف في الطابق التّحت أرضي. الحمامات هي الأخرى بنيت في الطابق التّحت أرضي من جهة فناء المنزل، ولكن مستواها من الناحية الشّرقيّة بنفس مستوى الشّارع أو الطريق، والمدخل الذي يؤدي إلى القاعة الدّافئة يفرضه مستواها من الجهة الدّاخلية للمنزل عبر فناءه، لكنّها منخفضة عنه ممّا استدعت الضرورة إلى تهيئة سلّم في ركنها الشّمالي الغربي لا يقل ارتفاعه عن 1.50م، أي ما يعادل 5 درجات على الأقل .. ويبقى هناك احتمال ثاني وهو تهيئة مدخل في الجدار الشّرقي للقاعة الدّافئة يطل على خارج المبنى، لكن هذا الاحتمال ضعيف عمليا، إلا إذا لعبت هذه القاعة دور قاعة نزع الملابس. وفي كلتا الحالتين، الولوج إلى الحمامات عبر القاعة الدّافئة، إذ الجهة الشّمالية مشغولة بالحوض الساخن والموقد، وبالتالي المدخل غير ممكن، نفس الشيء في الجهة الغربيّة المشغولة بالكوة.

8-2 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها

ما يميّز هذا المنزل أنّ جزءا منه خصّص لاستقبال الخيول، سواء كانت لصاحب المنزل أو تلك القادمة من خارج المدينة عبر باب تيفاش والتي لا يمكنها التوغّل أكثر فيها، وجزء آخر خصّص للحمامات إلى جانب أجزاء المنزل المختلفة، كل هذا يتطلّب كمّيّة معتبرة من المياه، وهو ما تدلّ عليه أحواض الشّرب والأكل في أجزاء منها خاصّة الشّمالية، لكن هذا لم يشكل إشكالا لصاحب المبنى، إذ هيّا داخل منزله الواسع خزانين متباينين في المساحة والسعة. أمّا الأول فيتوسّط الفناء ولكن أسفل أرضيته، مقاساته (3.53×4.88)م من الأسفل وينقص تدريجيا وصولا إلى قمة العقد المنجز وفق تقنية العقد النّصف برميلي أو على هيئة مهد، ويصل ارتفاع الخزان إلى 2.70م، هذه المقاسات تحقّق سعة قدرها 40 م³؛ والملاحظ أنّ هذا الخزان يتمّ تموينه من سقف المنزل.

الخزان الثّاني في الجهة الغربيّة للمنزل، هو الآخر تحت أرضية المنزل، مشكّل من غرفتين مقاساة كل واحدة منها على النحو الآتي :

الأولى طولها 6.00 م وعرضها 1.80م وارتفاعها 2.30م،

الثّانية طولها 2.10 م وعرضها 1.80م وارتفاعها 2.30م، يرتبط كليهما بفتحة عرضها 0.38م وارتفاعها 0.75م ويحققان سعة قدرها 30 م³.

بالإضافة إلى الخزّان الكبير المجاور للمنزل من الجهة الجنوبية، حتّى وإن كان عمومي فإنّ للأفراد نصيب منه، والمنزل من خلال موقعه ومساحته و طريقة بنائه وفسيفسائه كلها تتبأ بمكانة صاحبه، دون شك لا يصعب عليه أخذ نصيب من مياه هذا الخزان.

كل هذه الإمكانيات توفّر كمية معتبرة من المياه تضمن دوام اشتغال الحمّامات دون انقطاع. أمّا عن تصريف المياه، فالسبيل الوحيد هو ناحية الشّمال الشرقي، متّبعا طوبوغرافية المكان.



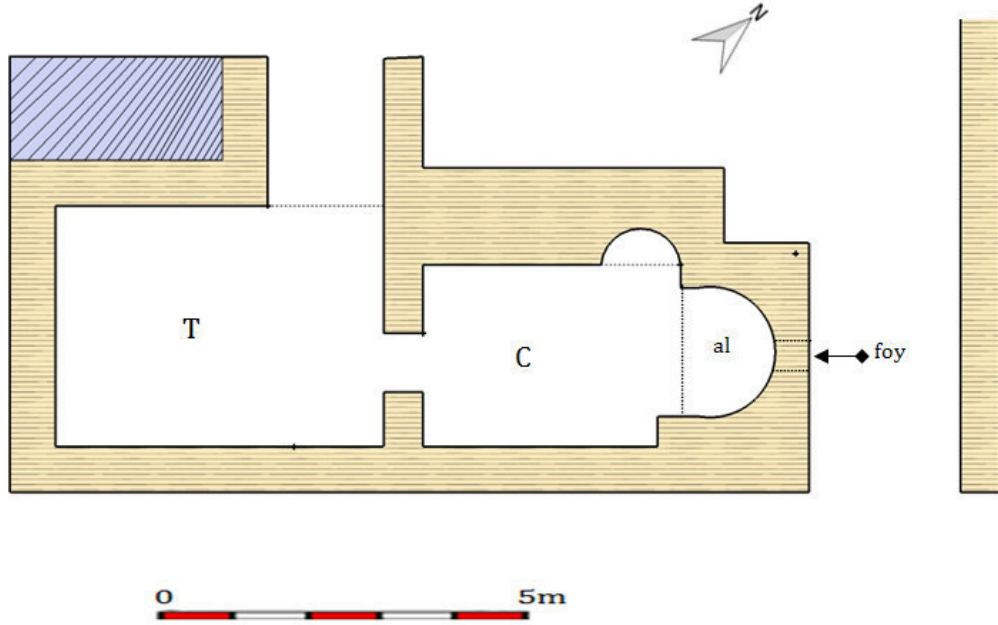
صورة رقم 212: الخزّان الغربي
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 211: الخزّان أسفل الفناء
(تصوير الطّالب)

3-8 أقسام حمامات المنزل شرق السّاحة العامة القديمة

تتكوّن الحمامات من قاعتين ورواق للخدمات حيث الموقد



مخطّط رقم 76: حمامات المنزل شرق السّاحة العامّة القديمة (انجاز الطالب)

1-3-8 القاعة الساخنة

موجّهة من الجنوب الغربي إلى الشّمال الشرقي، وهي مستطيلة مقاساتها (2.40×3.40)م، تنتهي في شمالها بحوض نصف دائري طوله 1.70م ونصف قطر حنيته 1.25م، وفي جدارها الغربي هيئت كوة نصف قطرها 0.50 م.

يتمّ الدّخول إلى القاعة عبر مدخل في جدارها الجنوبي، عرضه 0.78 م يربطها مع القاعة الدّافئة. في حين يتمّ تسخينها عبر أرضيتها المحمولة فوق أعمدة، وعلى الرغم من عدم إمكانية مشاهدة هذه الأعمدة بسبب ركام الحجارة داخلها، إلا أنّ مستوى الحوض والحنية يرتفعان بما لا يقل عن 0.80م. ويذكر "بالو" أنّ الحوض الساخن يتمّ تسخينه مباشرة من الموقد، هذا الأخير هيئ في رواق عرضه 2م يؤدي إلى غرفتين على الجانب الغربي للقاعة، نجهل دورهما، لكن الاحتمال الأقرب أنّهما للخدمات، إذ لا سبيل للولوج إليهما إلا عبر رواق الخدمات سابق الذكر.

بلّطت أرضية هذه القاعة بفسيفساء هندسية، أمّا جدرانها فبنيت بتقنيتين: هما الإفريقية والحوض والكوة بالحجارة الدبشية، في حين لبّسا بالملاط المخلوط بقطع الفخار أو الآجر.

ويبقى السؤال حول تهوية وإنارة هذه القاعة، فإن كان المجال مغلقاً فلا سبيل إلا بتوفير نافذة، ومن خلال آثار الغلق الموجودة في جدارها الشرقي، فإن القاعة كانت تستمد إنارتها من الجهة الشرقية إلى جانب التهوية عبر مدخلها.



صورة رقم 213: القاعة الساخنة (تصوير الطالب) صورة رقم 214: آثار محور غلق نافذة القاعة الساخنة (تصوير الطالب)

8-3-2 القاعة الدافئة

هي الأخرى مستطيلة مقاساتها (3.18×4.33)م، ترتبط مع القاعة الساخنة بالمدخل سابق الذكر، في حين يتم الدّخول إليها عبر مدخل في ركنها الشمالي الغربي، عرضه 1.53م يربطها مع فناء المنزل، لكن مستواها ينخفض عن مستوى الفناء ممّا تطلّب تهيئة سلّم على الأقلّ مكّون من 5 درجات، ارتفاع كل منها 0.30م.

هذه القاعة تستمد حرارتها من الساخنة بطريقة غير مباشرة، عبر أرضيتها وبحكم موقعها فإنّ الهواء الذي يصل إليها أقلّ حدّة في درجة الحرارة. بلّطت أرضيتها بفسيفساء هندسية يتوسطها مشهد يمثل النصف العلوي لامرأة؛ جدرانها هي الأخرى بنيت بالتقنية الإفريقية، وسقفها بدبش الحجارة، ويظهر أنها سقفت بتقنية العقد المتقاطع *route d'arête* الذي بقيت آثاره في ركنها الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي.



صورة رقم 216 : مدخل القاعة الدافئة
(تصوير الطالب)



صورة رقم 215 : القاعة الدافئة
(تصوير الطالب)

4-8 فسيفساء الحمامات

1-4-8 فسيفساء القاعة الساخنة

هي فسيفساء هندسية مشكلة من معيّنات ومربّعات كبيرة وأخرى صغيرة تتناوب معها، وزيّنت الحنية المشكلة للحوض الساخن بفسيفساء هندسية تتوافق وشكلها النصف دائري.

2-4-8 فسيفساء القاعة الدافئة

هي لوحة من الفسيفساء مستطيلة، مقاساتها (2.94×3.10)م، ذات أشكال هندسية تتوسطها دائرة تحمل صورة نصفية لامرأة ترتدي عقدا مرصّعا، وعلى جانبها الأيمن غصن من شجرة الغار أو الزيتون مكّلل بالثمار، فيه رمزية للخصوبة .

على جانبيها أحرف إغريقية تصاحبها أخرى لاتينية وهي:

$$\begin{array}{c} \rho \omega \\ N H C \\ I C \\ \xi V \phi \end{array}$$

حسب "ديبشتار" هو اسم الإلهة لايتيتيا¹ *laetitia*

يظهر في اللوحة أشكال عدة، منها الدائرية ومنها المربعة، أما الدائرية فهي عبارة عن 12 حلقة إطارها على شكل ضفيرة مزدوجة الفروع، ويتوسط كل واحدة منها حلقتين متداخلتين مشكّلتين وفق عقدة سليمان، في حين الأشكال المربعة عبارة عن سلّة منجزة من صفائر متداخلة الفروع والحلقات، تتناوب كل من

¹ DE PACHTER (F-G), Musée de Guelma, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1909, pp 45-46.

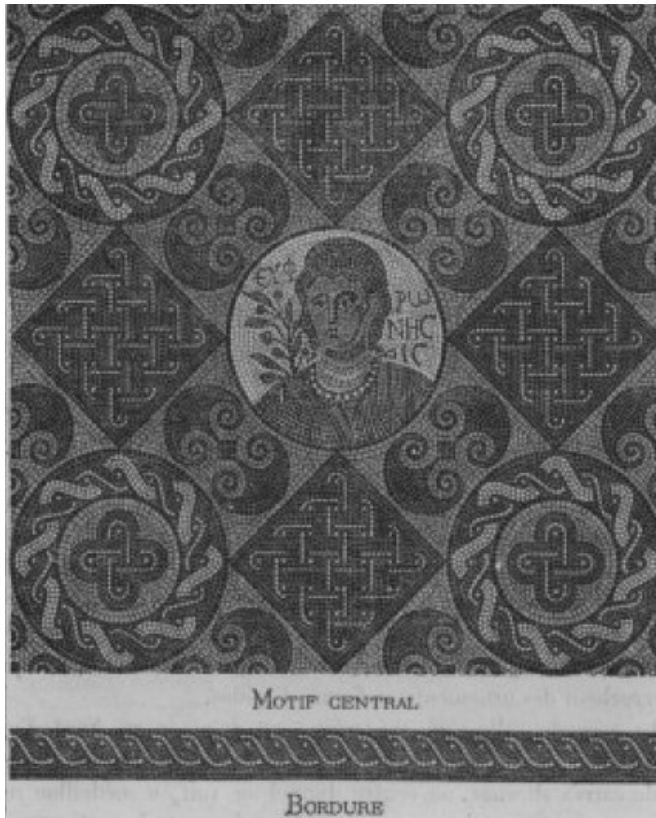
الحلقات والأشكال المربّعة، وبينهما أشكال هندسية عبارة عن تريسات، نهايتها بشكل حلزوني، يتقابل كل زوج منها من الوسط مشكّلة تناظر نقطي. أمّا الحاشية فهي مشكّلة من ضفيرة مزدوجة العروق أو الفروع. استعملت في هذه الفسيفساء ألوانا متعدّدة (الأبيض والأسود و الأصفر والأحمر والأخضر). معدّل كثافة مكعباتها 100 مكعب في 1م².



صورة رقم 217:

فسيفساء القاعة

الدّافئة¹



صورة رقم 218:

فسيفساء القاعة الدّافئة

(صورة من الأرشيف)²

¹ الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية OGEBC، فرع قالمة، رقم الجرد N10.

² BALLU (A.), *Fouilles archéologiques d'Algérie en 1905*, in B.C.T.H, 1906 , p188.

9- منزل الحمام بمادوروس

على الرغم من عراققة مدينة مادوروس ومرتبعتها الإدارية في سلّم المدن الرومانية، إذ شيدت أواخر القرن الأول ميلادي كمستعمرة بدليل عديد الكتابات اللاتينية التي تؤرخ لفترة حكم العائلة الفلافية¹، وعلى حدّ تعبير أبوليوس سنة 158م « *veteranorum militum novo conditu splendidissima colonia sumus* »، شيدت المدينة لاستضافة قدماء الجند الرومان²، إلا أنّ الأبحاث حولها والحفريات التي أقيمت في حدودها لم تكشف عن وجود حمامات خاصة داخل منازلها، تبقى فقط إشارة "بورحلي" في أطروحة الدكتوراه خاصته حول وجود حمام³ خاص بمقاسات صغيرة، وهي إشارة أوليّة حول ثقافة اعتماد الحمامات الخاصة داخل إقليمها، الذي يتوقّر على عدد معتبر من المنازل مختلفة المساحة ومتعددة الغرف، ولأنّ مساحة كبيرة من المدينة لم يتم الكشف عنها بعد ربما تعطينا عددا معتبرا منها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إعادة استغلال المدينة في الفترة البيزنطية هو الآخر كان له دور دون شك فعال في تغيير البنية الأولية لعديد المباني عمومية كانت أو خاصة. وبالنظر إلى الحمامات العمومية هو الآخر يعطينا تصوّرا حول النّظام العام المتعلّق بالمباني الحموية، إذ نجد في مجال واحد - الجهة الشماليّة الشرقيّة للمدينة - حمامين عموميين مساحتهما على التّوالي: الحمامات الكبرى بمساحة تقارب 1600م² و الصغرى 1020م²، بالإضافة إلى الحمامات الجنوبيّة وهي أصغر مساحة من سابقتها إذ تبلغ 560م²، هذه الأخيرة حالة حفظها سيئة مقارنة بالكبرى والصغرى⁴. كل هذه الحمامات تتطلّب كمّيّة معتبرة من المياه تحقّق لها ديمومة الاستغلال. و باعتبار المدينة كذلك ورشة واسعة لإنتاج زيت الزّيتون إذ أحصيت 23 معصرة⁵، هي الأخرى تتطلّب كمّيّة لا بأس بها من المياه في عملية العصر.

9-1 الموقع والمساحة

كما ذكرنا سابقا أنّ بمدينة مادوروس العديد من المنازل معتبرة المساحة، لكن الإشارة الوحيدة لوجود حمام خاص تخص منزل واحد يقع في النواة القديمة للمدينة في الجهة الشرقيّة للكارديو الكبير،

¹ I.LAlg. I, n° 2042 « ...genio coloniae.. ».

n° 2043 «genio coloniae sac.. ».

n° 2152 «ordo coloniae flaviae augustae veteranorum madaurensium.... ».

² GSELL (S.), JOLY (Ch.J.), 2^{ème} partier Mdaourouch,Op.Cit, p9.

³ للإشارة، استعملنا هنا مصطلح حمام عوض حمامات، كون ما اكتشف بالمنزل إلى غاية اليوم حوض واحد لا يغير، فيسقط بذلك الجمع مثلما عهدناه في الحمامات سابقة الذكر.

⁴ بورحلي إبراهيم، مستعمرة مادوروس وإقليمها الترابي، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار- جامعة الجزائر، 2009-2010، ص84.

⁵ بلعربي ويزة، معاصر مادور، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2005-2006، ص79.

أمّا عن حدوده وما جاوره نجد البازيليكا القضاائية المحاذية للمسرح من الجهة الغربية، ومن الشرق منزل تيودورا الذي يفصل بينهما شارع ثانوي، ويحده من الشمال والجنوب شارعان فرعيان.

أمّا عن مدخله الرئيسي عرضه 3.06م، فهو في الركن الجنوبي الشرقي على مقربة من حوض الحمام، بالإضافة إلى مدخلين ثانويين الأول في نفس جهة المدخل الرئيسي والثاني في الجهة الشمالية¹. في حين موقع الحمام داخل المنزل فهو في الجنوب الشرقي، تبلغ مساحته 25م²، وهي مساحة صغيرة تحقق نسبة 3.30% من المساحة الإجمالية للمنزل والمقدرة بـ 750 م².



صورة رقم 219: الحمام
الخاص بمادوروس
(تصوير الطالب)

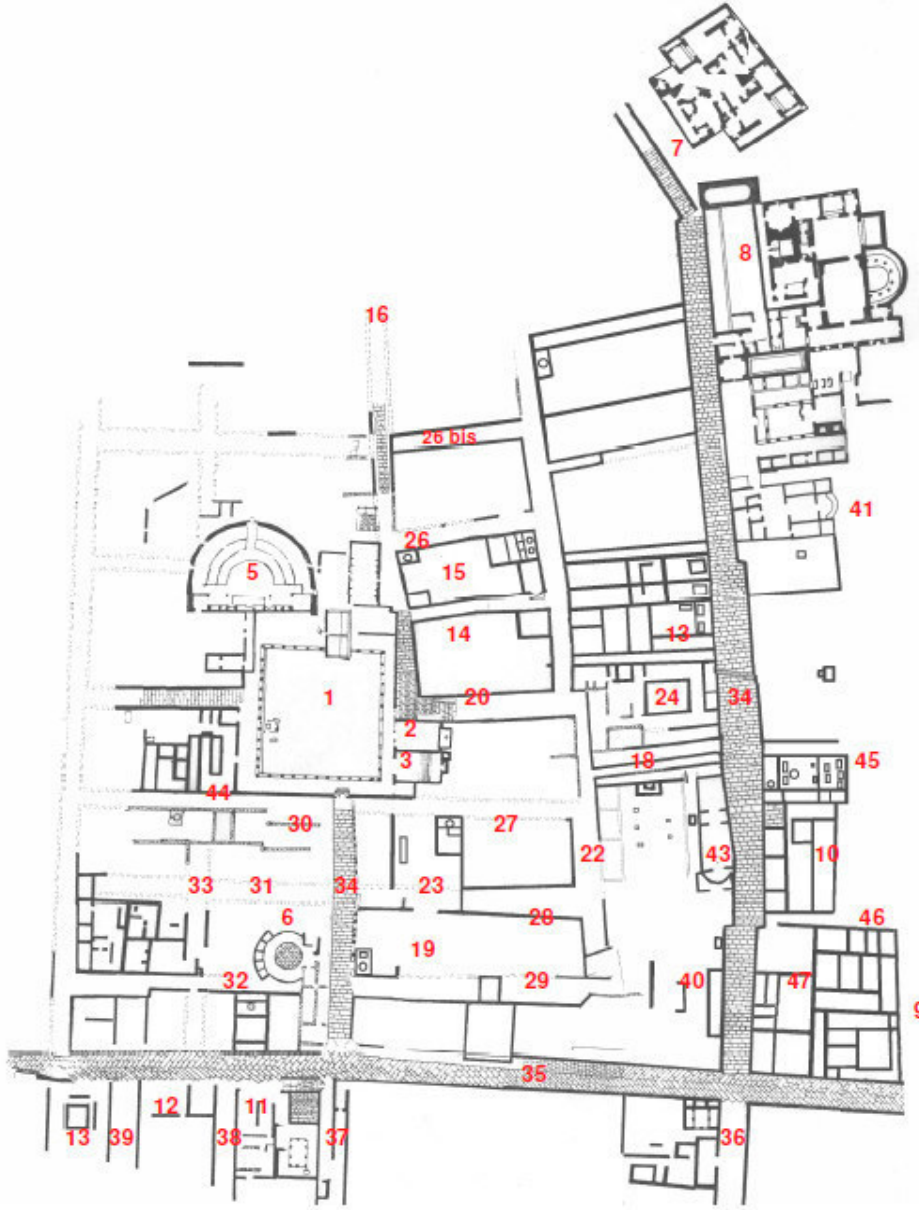
9-2 تأريخ الحمامات

كغيرها من المنازل العديدة بمدينة مادوروس لم تحافظ على شكلها الأصلي، إذ طرأ عليها التّغيير في المخطّط، مما لا يسمح بإعطاء تأريخ دقيق، ومن ثم تأريخ حمامها، أيضا عدم وجود نصوص أو نقوشات تساعد في تأريخ المبنى أو حتّى التعرف على صاحبه.

والإشارة المتاحة لتأريخ المنزل مرتبطة بموقعه داخل النواة الأولى للمدينة، فحدوده الزمنية تعود إلى بداية القرن الثاني ميلادي، في حين تأريخ الحمام الخاص يرجع إلى وقت لاحق، فعدم الانتظام وخروج حنية الحوض عن حدود المنزل، وكذا تقنية بنائه التي يظهر عليها حين التقاء جداره الخارجي مع جدران المنزل توحى أنه بني لاحقا، ولا ندري على وجه الدقة زمن بناءه، على عكس

¹ بورحلي إبراهيم ، المرجع السابق، ص 60

الحمامات الخاصة في مدن أخرى، التي ساعدت الفسيفساء وطريقة البناء في محاولات التأريخ، لكن بتفعيل المنهج المقارن بين حمامات أو إضافات للمنازل على حساب الشوارع أو بعض المباني الأخرى، والتي تؤرخ بعد النصف الثاني من القرن الثالث وبداية الرابع الميلاديين، وهي فترة اللاستقرار والفوضى التي مست مختلف المدن الرومانية، وبالتأكيد مادوروس لا تشكل استثناء على ذلك، فاحتمال تهيئة الحوض خلال هذه المرحلة من عمر المدينة يبقى واردا.



مخطط رقم 77:

مخطط مدينة

مادوروس¹ (النواة

الأولى).

منزل الحمام رقم

15

¹ الأرقام نقلا عن بورجلي إبراهيم، المرجع السابق، شكل رقم 6

9-3 منظومة التزود بالمياه داخل المدينة

لمعرفة مصدر مياه حمام المنزل موضوع الدراسة، وجب التعرف على المنظومة العامة للمياه داخل مدينة مادوروس، ومنها مصادر المياه و تخزينها و توزيعها إلى مختلف المنشآت العمومية والخاصة.

ومن الشواهد المادية حول قنوات المياه تلك الموجودة أسفل الشارع الصاعد، ويختلف مستواها عند كل نقطة من مسارها، وتنخفض ب 1م باتجاه الشمال¹، زوّدت هذه القناة ب 11 فوهة للتّهوية والصيانة²، تبعد الواحدة عن الأخرى بمسافة تقارب 35م، وحين تتبّع مسار القناة التي تتّجه صوب سفح جبل بوسسو الواقع جنوب المدينة، وإن كانت القناة تسير تحت شارعها الصاعد، فاحتمال أنّها كانت محمولة خارجها وصولاً إلى المنبع الموجود عند سفح جبل بوسسو حسب ما ذكره "قزال"، وربما من سفح جبل آخر، لكن الواقع أنّها من منبع بالجبال حسب ما دونته النقيشة³ *excisis montibus* التي وجدت بالقلعة البيزنطية.

وإن كانت هذه القناة مسؤولة عن تزويد الحمامات العمومية الكبرى والصغرى، دون شك أنّ الكمية التي كانت توفرها جدّ معتبرة، لكن هل زوّدت الحمام الخاص أم لا؟، تبقى الإجابة على هذا السؤال مرهونة بمدى التعرف على القنوات الثانوية أو قنوات التوصيل.

وعند ذكر المنابع يبرز منبعين الأول عين مداوروش الواقع شرق المدينة وإن كانت قريبة من الحمامات الكبرى والصغرى، فمساهمتها في تزويدها بالمياه وارد جدا إلى جانب نقاط أخرى بالمدينة⁴، والمنبع الثاني عين بوصبع الواقع جنوب الضريح، هذه المنابع وغيرها كانت تساهم بشكل فعال إلى جانب الآبار المحفورة في أفنية المنازل أو على حواف الشوارع، كانت تساهم في توفير كمّيات معتبرة من المياه العذبة الصالحة للشرب والاستعمال المنزلي وحتى الورشات والحمامات .

من جهة أخرى يعدّ الخزان الموجود في دهليز المنزل غرب الحمام والذي تبلغ مقاساته (1.54×4.20)م، (لا يعرف حجمه وسعته كون ارتفاعه غير معلوم)، واحد من الموارد الهامة للمنزل ومن ثمّ الحمام للتزويد بالمياه، ويضاف إلى ذلك البئر المحفور بالمنزل والذي يبعد عنه مسافة 7 م .

¹ GSELL (S.), JOLY (Ch.J), 2^{ème} partie Mdaourouch,Op.Cit. P 21.

² بورحلي إبراهيم، المرجع السابق، ص 87.

³ I.L.Alg. I n°2139.

⁴ GSELL (S.), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques, note de M . Robert « aménagement des sources de mdaourouch »..... p 64.



صورة رقم 221: بئر منزل الحمام بمادوروس
(تصوير الطالب)

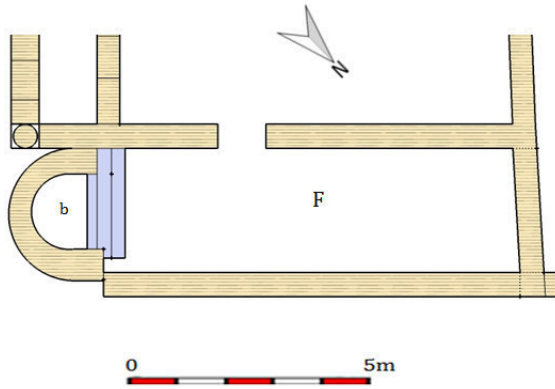


صورة رقم 220: خزان منزل الحمام بمادوروس
(تصوير الطالب)

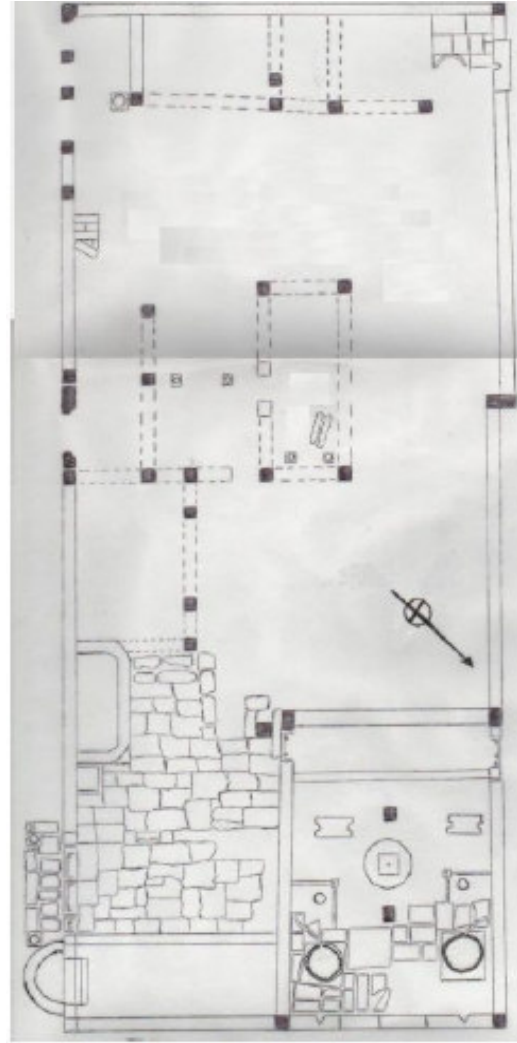
9-4 مكونات الحمام

يبدو أنَّ الحمام المهيأ بهذا المنزل شيد في مرحلة لاحقة، ولم يراع فيه العناصر الأساسية للحمامات خاصة كانت أو عامة، إذ يتكوّن من قاعة مستطيلة على امتداد المحور شمال/جنوب، وحوض واحد بارد، فلا توجد أي إشارة إلى نظام التسخين، وإن كانت كذلك فهو حمام اغتسال بسيط يشتغل صيفاً، إذ برودة الطقس بالمنطقة لا تسمح بالاستحمام بماء بارد في فصل الشتاء.

مقاسات القاعة المستطيلة (8.70 × 2.70)م، بمساحة تقارب 23 م²، وهي مفتوحة على بهو الدخول بمدخل عرضه 1م، وهي تمثّل القاعة الباردة وتأخذ دوراً آخر كقاعة لنزع الملابس، في حين الحوض النصف دائري يبلغ عرضه 1.55م ونصف قطر حنيته 1.05م، ينخفض عن مستوى أرضية القاعة السابقة بـ0.85م، يتمّ النزول إليه عبر سلّم مكون من 3 درجات. بلّطت أرضيته بمكعبات فسيفسائية معدّل حجمها 0.02م³، ولبست جدرانها الداخلية بطبقتين من الملاط، الأولى ملاط ممزوج بكسر الآجر والثانية بالجير المائي، سمك التلييس 0.05م، أمّا تقنية بنائه فهي تلك القائمة على دبش الحجارة، أمّا القاعة الباردة ، فما يظهر منها سوى الحجارة الكبيرة رباعية الشكل في المستويات السفلية .



مخطط رقم 79: حمام المنزل بمادوروس
(انجاز الطالب)



مخطط رقم 78: منزل الحمام بمدينة مادوروس¹
مادوروس¹

¹ بورحلي إبراهيم، المرجع السابق ، شكل 11.

10-حمامات قصر فاطمة

10-1 موقع حمامات قصر فاطمة

تقع الحمامات في أقصى الشمال الشرقي للجزائر، تابعة إداريا لبلدية العيون، ولاية الطارف، إحداثياتها الجغرافية عند النقطة "33' 50' 36° شمالا و "21' 39' 8° شرقا، وارتفاعها عن سطح البحر يقدر بـ 191م.

تعرف المنطقة حاليا بغطائها النباتي الكثيف، ووفرة المياه بشكل يسمح بالتمركز والاستقرار البشري في محيطها، وتشير الدلائل الأثرية إلى وجود عديد المحطات التي ترجع إلى ما قبل التاريخ، خاصة العصر الحجري القديم الأعلى والحديث، بالإضافة إلى آثار الفترة القديمة المتمثلة أساسا في عناصر ومكونات المعاصر...الخ.



خريطة رقم 13 : موقع حمامات قصر فاطمة
في الأطلس الأثري لـ"قزال"¹

صورة رقم 222: صورة ساتليتيّة لموقع حمامات
قصر فاطمة (عن Google Earth)

10-2 تاريخ الأبحاث بالمنطقة

منذ أواخر القرن الثامن عشر ومع الحركة المكثفة للأبحاث التي عرفها شمال إفريقيا، بدأ الاهتمام بتاريخ المنطقة، خاصة ما تعلّق بآثار ما قبل التاريخ، حيث عثر الباحثون على بقايا الصناعات الحجرية التي تعود إلى الحضارتين العاترية والإبيرومغربية، بالإضافة إلى بقايا تسبق هاتين الحضارتين أو تليهما، وفي القرن العشرين تشكّل أبحاث "كلافي" Clavé سنة 1918، و"مورال" على

¹ GSELL (S.), A.A.A, F10 (Souk El Arba).

امتداد يقارب 40 عاما، التي نشرت في أعداد مختلفة من مجلة ¹ Libyca، تشكّل مصادر هامة حول حول طبيعة الآثار المكتشفة بالمنطقة وضواحيها.

ويشير "قزال" في الأطلس الأثري في الورقة 10 (سوق الأربعاء) تحت الرقم 10، إلى موقع هنشير قصر فاطمة²، لكن إشارته كانت مقتضبة جدا، على الرغم من أنّ الموقع غني بالعناصر الأثرية.

وتتلخّص آخر الأبحاث في عمليات التّحري والجرد التي قام بها المركز الوطني للبحث في علم الآثار³ ما بين 2003 و 2011، في إطار إعداد الخريطة الأثرية للشرق الجزائري، وبمشاركة جامعة ترونتو الإيطالية، ومن نتائج هذا العمل، الكشف عن تجمّعات سكّانية تعود لفترات مختلفة ومنشآت فلاحية بعناصرها المتعدّدة، معاصر، مطاحن، قنوات مياه.....الخ.

10-3 نظام تزويد الحمّامات بالمياه

تزوّد الحمّامات بالمياه بواسطة قناة تربطها بمنبع عين السّاقومة، الذي يرتفع عن مستوى الحمّامات بـ70م، هذه القناة مكوّنة من 389 قطعة حجرية، تمتد لمسافة تقارب 697م⁴، تصل إلى حوض أو خزّان يبعد عن الحمّامات في ركنها الجنوبي مسافة 2.25م. هذا الخزّان مستطيل وأركانه منحنية، متّخذا شكلا بيضويا من الدّاخل، مقاساته (4×3.30)م، أمّا ارتفاعه فلم يبق منه سوى 0.50م.

¹ MOREL (J.), L'outillage lithique de la station du Kef-Oum-Touiza, dans l'Est Constantinois, in Libyca (Anthropologie Archéologie Préhistoires) T.I, janvier 1953.

-MOREL(J.), HILLY(J.), Découverte d'industries du Paléolithique inferieur dans le massif littoral du Cap de Fer et de l'Edough, in Libyca (Anthropologie Archéologie Préhistoires) T.III, 2^{ème} semestre 1955.

-BOBO (J.), J.MOREL (J.), Les peintures rupestres de l'abri du Mouflon et la station préhistorique du Hammam Sidi Djeballa dans la Cheffia (Est Constantinois), in Libyca (Anthropologie Archéologie Préhistoires), T.III, 1^{er} semestre 1955.

-MOREL (J.), La station préhistorique de la Grande Dune d'Aïne Khiar, dans la région de La Calle (Est Algérien), in Libyca (Anthropologie Archéologie Préhistoires), T. XVII 1969.

-MOREL (J.), HILLY (J.), Atlas préhistorique de l'Algérie. Chetaïbi (ex-Herbillonn Libyca (Anthropologie Archéologie Préhistoires) T. XXII, 1974.

-MOREL (J.), Le Paléolithique moyen de la région d'El Kala (Est algérien), in libyca. Tome XXVIII-XXIX 1980-1981.

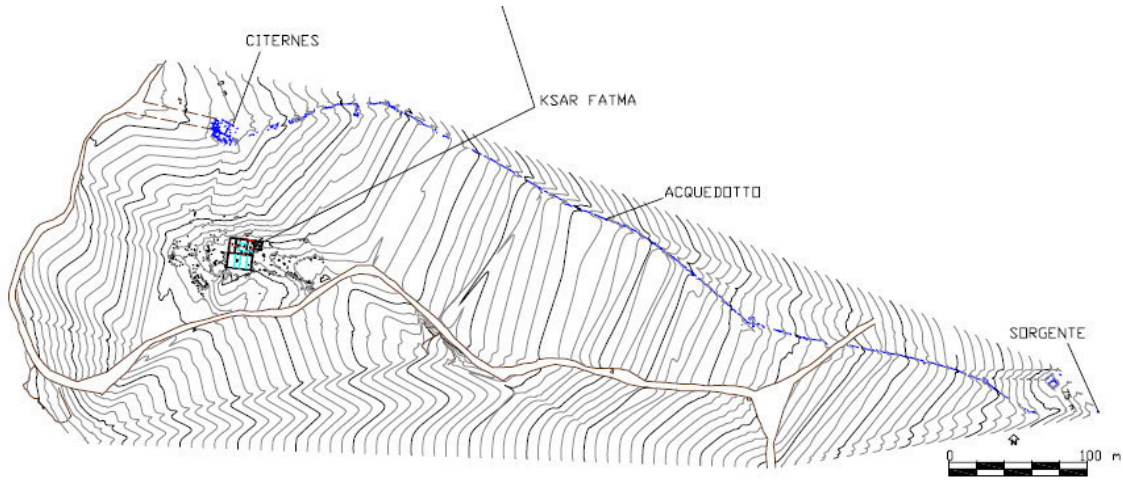
-MOREL (J.), Atlas préhistorique de l'Algérie. El Kala (ex. La Calle), in Libyca (Anthropologie Archéologie Préhistoires) T.XXXII – XXXIV, Année 1984 -1985 -1986.

² GSELL (S.), A.A.A, F10 n° 10.

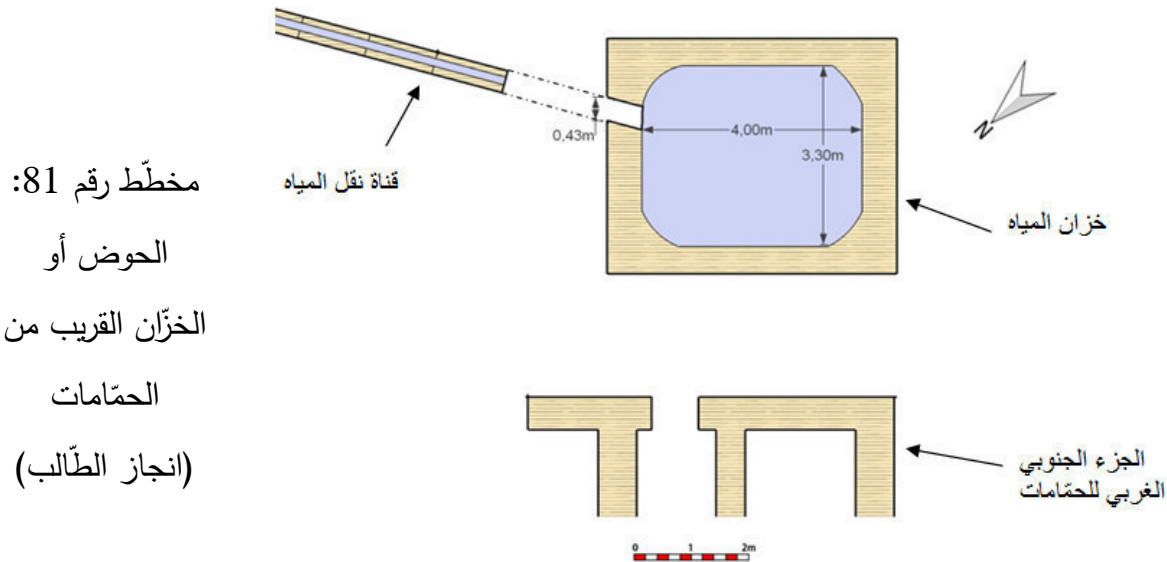
³ كان المركز قبل سنة 2006 يعرف باسم الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التّاريخية.

⁴ Compte-rendu des trois premières campagnes 2003-2004-2005, Op.Cit, p9.

وبخصوص دخول المياه إلى الحمامات انطلاقاً من هذا الخزّان فهو غير معلوم بوجه الدقّة، إذ لم تنق آثار للقنوات التي كانت تربطه بها. في حين تصريف مياهها ، دون شك يتبع المنحدر في الاتجاه الشمالي الغربي، نحو المجرى المائي المحاذي لها، الذي لا يزال جارياً إلى غاية اليوم، ومن آثار التصريف، الفتحة المهيأة في الجدار الغربي للغرفة الغربية (على ما يبدو خزّان؟ أعيد استغلاله في فترة لاحقة)، عرضها 0.14م وارتفاعها 0.50 م. كذلك الأمر في الجدار الغربي للحوض البارد، حيث عثر الباحثون على جزء من أنبوب رصاصي قطره 0.04م يسمح بتصريف مياه هذا الحوض¹.
الحوض¹.



مخطّط رقم 80: مقطع طبوغرافي لمسار قناة المياه من المنبع إلى الحمامات²



¹ Projet Carte Archéologique de L'est Algérien 2003-2011, Compte-rendu mission archéologique à Taref 12.06/22.07.2011, CNRA (Algérie) et l'université des études de Trento (Italie), p6.

² Compte-rendu des trois premières campagnes 2003-2004-2005, Op. Cit, p.42



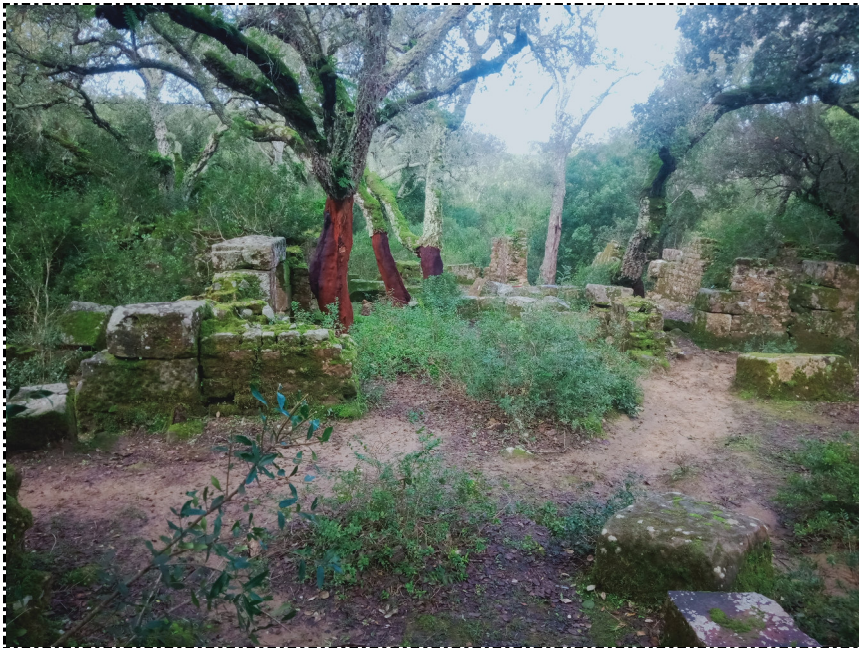
صورة رقم 224: واحدة من الحجارة المنحوتة
المشكّلة للقناة (تصوير الطّالب)



صورة رقم 223: جزء من مسار قناة تزويد
حمّامات قصر فاطمة بالمياه¹

10-4 الوصف العام للحمّامات وأقسامها

إنّ تعيين المساحة الإجمالية للحمّامات غير متاحة بوجه الدقة، فما يظهر منها إلى غاية اليوم يقارب 180م²، وشكلها العام تقريبا مربع، يظهر في نظام بنائها أنّها تعرّضت لإعادة الاستغلال في أزمنة لاحقة، مما أثر على مخطّطها الأصلي.

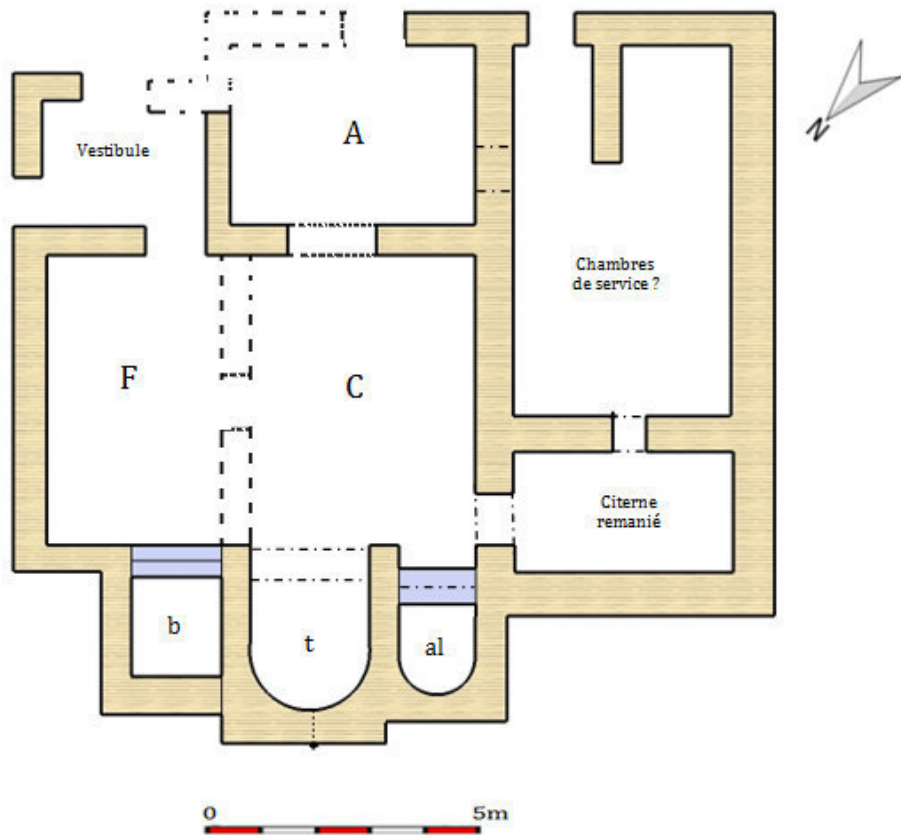


صورة رقم 225: منظر
عام لحمّامات قصر
فاطمة
(تصوير الطّالب)

¹ Compte-rendu des trois premières campagnes 2003-2004-2005, Op.Cit, p9.

من خلال المعاينة الميدانية اتضح أنّ كل ما له علاقة بنظام التسخين غائب عن هذه الحمامات، إذ لم نعثر على السطح على أي قطعة من الآجر مربع الشكل، ولا ذاك المستعمل في بناء المواقد، ويغيب ذلك أيضا في التقارير المعدة حولها من طرف الفريق المكلف بإعداد الخريطة الأثرية للشرق الجزائري، هنا يطرح الإشكال، هل هذه الحمامات زوّدت حقيقة بحوض ساخن أم لا؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فيعاد السؤال حول مكان الموقد وكيفية تسخين مياه الحمامات؟. من جهة أخرى كيف قسمت هذه الحمامات بين مكوناتها الباردة والساخنة؟

ثبت أثناء المعاينة الميدانية وتعزيزها بالتقارير السابقة، أنّ ما يظهر في الحمامات، خاصّة القسم الذي يضم أحواضها، أنّ الجدار الذي يفصلها عن بعضها غير واضح المعالم، فمن وجهة نظر وظيفية، أنّ القسمين البارد والساخن يعزلان عن بعضهما بجدار فاصل بينهما. فإذا كان الحوض رباعي الشكل بارد، والحوض النصف دائري الصغير يمثل الساخن، والذي يفصلهما عن بعضهما (الحنية نصف دائرية) تمثل الجزء الدافئ، فإن المخطط الأقرب إلى الصواب هو تقسيم القاعة الوسطى في الحمامات، التي تفتح عليها الأحواض سابقة الذكر إلى قسمين (الأول بارد والثاني ساخن)، وفق ما يبينه المخطط التالي :



مخطط رقم 82: حمامات قصر فاطمة مع بعض الاستنتاجات المحتملة (انجاز الطالب)

القاعة الباردة: مقاساتها (3.20×5.70)م، يتم الدخول إليها من المدخل المهيأ في جدارها الشرقي، عرضه 1.10م، هذه القاعة مزودة بحوض في جهتها الغربية، مقاساته (1.65×1.80)م، يتم الدخول إليه من الجنوب الشرقي عبر سلّم مكوّن من درجتين، ينخفض عن مستوى القاعة بـ 0.70م، في حين ارتفاع جدرانها، خاصّة الجنوبي الغربي يصل إلى 2.40م، بنيت بالحجارة منتظمة الزوايا ولّبت بالملاط المخلوط بالآجر سمكه 0.03م، بقيت آثاره في الجدارين الشرقي والغربي، ويظهر في هذا الأخير آثار الصباغة ذات لونين الأزرق والأحمر الآجوري. أمّا أرضيته فبلّطت بالفسيفساء، في حين تظهر بقايا الحجارة بالقرب من مدخل الحوض أنّ هذا الأخير كان يشكّل مدخلا مقوّسا، ومنه إشارة إلى تسقيفه بعقد على شكل مهد.



صورة رقم 227 : بقايا الصّباغة على جدران

(الحوض البارد (تصوير الطّالب)

صورة 226: الحوض البارد للحمّامات

(تصوير الطّالب)

القاعة الساخنة: يصعب الحكم على مكوناتها وحدودها، في ظل غياب آثار نظام التّسخين، أمّا مقاساتها المحتملة، إذا وجد جدار يفصلها عن الباردة هي (4.20×5.65)م، يظهر في الجهة الشمالية الغربية لهذه القاعة حنيتان نصف دائريتان :

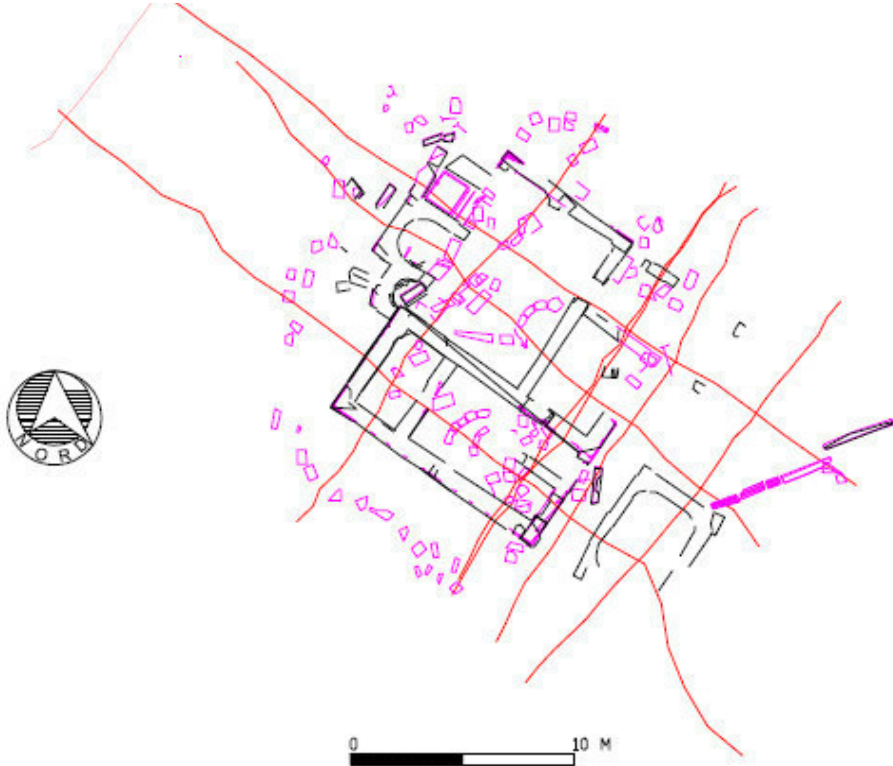
الأولى بجانب الحوض البارد، مقاساتها (2.15×2.50)م، أرضيتها تقريبا بنفس مستوى أرضية القاعة، مبلّطة بفسيفساء متعددة الأشكال والألوان، جدرانها ملبّسة بملاط جير، سمكه 0.02م. في حين الثانية أصغر منها مساحة، مقاساتها (1.30×1.50)م، مزودة بسلّم عند مدخلها، وهي إشارة إلى كونها معدّة للاستحمام، وبحكم مساحتها الصّغيرة يمكن أن تكون حوضا ساخنا، أرضيته مبلّطة بمكعبات فسيفسائية ذات لون واحد. وجدرانها مبنية بالحجارة منتظمة الزوايا.

وإذا سلمنا بأنّ هذا الحوض ساخن، فإنّ مياهه يتمّ تسخينها على موقد، ربما غير لصيق بجدارها الخارجي، فهي بذلك غير مسخّنة من الأرضية، وبالتالي الماء الساخن يجلب إلى الحوض عن طريق قنوات من الرصاص، تشبه في ذلك حمامات الواجهة البحرية بهيوريغيوس.



صورة رقم 228: أحواض
الحمامات وآثار الأقواس
المشكّلة لمداخلها¹

بخصوص مداخل الحمامات، فهي عبارة عن مدخلين في الجهة الجنوبية الشرّقية، عرض أحدهما 0.85م، في حين الثاني غير معلوم الحدود، ومدخل ثانوي في الجهة الشرّقية عرضه 0.90م،



مخطّط رقم 83:
حدود الحمامات
وبقايا حجارة
البناء المتناثرة²

2

¹ Compte-rendu mission archéologique à Taref 12.06/22.07.2011, Op.Cit, p6

² Projet Carte Archéologique de l'Est Algérien 2003-2011, Compte-rendu 2011 , CNRA (Algérie) Université des Études de Trento(Italie), p19.

10-5 فسيفساء حمامات قصر فاطمة¹

- فسيفساء الحوض البارد : هي عبارة عن فسيفاء ذات الألوان (الأبيض والبني والأخضر الداكن) خالية من الديكور والأشكال الهندسية، منجزة بتقنية *opus tessellatum*، ومقاساتها (1.46×1.30م)
- فسيفساء الحنية النّصف دائرية أو الحوض الدّافئ؟ : هي فسيفساء تجمع بين الهندسية والنّباتية والحيوانية(صور إوز وحمام)، متعدّدة الألوان، مركزها عبارة عن ميدالية قطرها 0.75م، تحمل الكتابة التالية :

RAFACT
VSETDE
DICES

- أمّا الحاشية، فهي مشكّلة من تسلسل معينات بشكل أفقي، تليها ضفيرة مزدوجة ثم عصاة مشكّلة من خط منحنى، هي الأخرى أنجزت بتقنية *opus tessellatum*
- فسيفساء الحوض الساخن: منجزة بنفس التقنية السابقة وبلون واحد هو البني .



صورة رقم 229: فسيفساء
الحنية النّصف دائرية
الكبرى²

¹ Compte-rendu 2011, Op.Cit, p5.

² Compte-rendu mission archéologique à Taref 12.06/22.07.2011, Op.Cit, p7.

خلاصة الفصل

في هذا الفصل تمّ عرض الجانب الوصفي والتقني للعينات المدروسة وهي (حمامات ثاموقادي، كويكول، هيبوريجيوس، منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم، بومبيانوس بوادي العثمانية، سيدي مسيد، المنزل شرق الساحة العامة القديمة بتوبورسيكو نوميداروم، منزل الحمام بمادوروس وحمامات هنشير الصفية وحمامات قصر فاطمة)، وهي المواقع التي بقيت أجزاء واضحة من حماماتها الخاصة، في حين تلك المنتشرة في كل من ولايات أم البواقي، وخنشلة، وجزء من تبسة، والتي أشرنا إلى البعض منها في الفصل الأول، لم يبق من آثارها إلا القليل الذي لا يمكننا من دراستها ولا حتّى التعرف عليها ما إن كانت عمومية أو خاصة، أو التأكّد من أنّها أصلاً ذات طبيعة حموية؟، لكن الحمامات المدروسة تمّ معالجة جميع المعطيات المتعلقة بها، من موقعها داخل المنزل وموقع هذا الأخير في محيطها العمراني، ومحاولة تأريخها بالاعتماد على عدّة معايير بما في ذلك تقنيات بنائها وفسيفسائها، معتمدين على الوصف الدقيق الذي مكّننا من ملاحظة كل عنصر وربطه بباقي العناصر، لتحقيق رؤية تساعدنا في التحليل، وتمّ انجاز مخطّطات أحيانا عامة لكامل المبنى، وأحيانا مقسّمة بين القسمين الساخن والبارد، حتّى تكون واضحة أكثر، وراعينا فيها الدقة المبنية على المقاسات الصحيحة وقت انجاز البحث، وبالتالي أسفرت عن تصحيح بعض المخطّطات السابقة، ومكّننا من قراءتها قراءة مبنية على أسس منطقية في ظلّ التغيّرات التي طرأت على البعض منها .

الفصل الثالث

تحليل النتائج واستنتاجات
عامة

الفصل الثالث: تحليل المعطيات واستنتاجات عامة

خصّص هذا الفصل لتحليل مخرجات الدراسة الميدانية في الفصل الثاني، وربطها مع الجانب النظري المقدم في الفصل الأول، فهو يجمع بين الاثنين لصياغة حبكة تحليلية مبنية على مناهج البحث الأثري، التي تستند على الحقائق المادية المتبقية بإسقاط وظيفي وربطها مع جميع أجزائها، ومن الإشارات النظرية تلك الدالة على مكانة المدن وتعداد سكانها ومكانتهم الاجتماعية، وهو ما أشارت إليه النقيشات اللاتينية حين عرضها للمبالغ الضخمة التي أنفقت كهبات وعطاءات، من الطبقة الغنية لبناء معالم وبنائات تختلف قيمة كل واحدة منها، ومن الحقائق المادية محدودية انتشار الحمامات الخاصة داخلها، رغم مقدرة أصحابها على الإنفاق من أجل بنائها.

ويستعرض الفصل في شقه التقني، كلّ ما له علاقة بتوجيه الحمامات وأحواضها والتعرّف على علاقتها فيما بينها، مما يتيح لنا استنتاج نظام عملها والمسار المتبع داخلها، دون إهمال منه لنظام التسخين وعلاقته بغرف المنزل غير الحموية و مدى تأثيره عليها، هذا من خلال معرفتنا لتقنيات بناء الجدران وتلييسها وخصائص كل واحدة منها .

وفي الجانب الفني، كان للفسيفساء ودلالات مشاهدنا نصيب من التحليل، للتعرف على العلاقة بينها وبين طبيعة المبنى، والتأكد من القول الرامي إلى أنّ المشاهد ذات طبيعة مرتبطة بالماء نجدها في الحمامات بدرجة كبيرة، وفق هذه النقاط بني هذا الفصل مرتكزا على منهج تحليل المعطيات والحقائق المتسلسلة والمتراطة فيما بينها.

1- مقومات إنشاء الحمامات الخاصة "المقاربة السوسيواقتصادية والدلائل المادية"

يختلف انتشار الحمامات الخاصة من مدينة إلى أخرى، أو حتّى داخل المدينة ذاتها، وتختلف مساحتها بين تلك المبنية في حدودها، والملحقة بالمنازل الريفية أو الضيعات، ومن المعلوم أنّ المدن مراتب ومستويات، كما للأشخاص مكانة في السلم الاجتماعي والإداري، وتعرف مكانة المدن بمقوماتها المتمثلة في مؤهلاتها الاقتصادية والتجارية وموقعها في الخارطة السياسية، حتّى وإن كان النظام المصنّف للمدن يدرج المستعمرة في مرتبة أعلى، لكن المستعمرات هي الأخرى مستويات، وحين تكون المدينة ذات شأن، دون شك يزداد الاستقطاب للعنصر البشري، ومن مهامها توفير كل احتياجاتهم، على رأسها عنصر الماء، إذ استدعت الضرورة جلبه بشنّى الطرق مهما كانت كلفة انجاز المشاريع المتعلقة به، هنا تتدخل مكانة الأفراد وما يمتلكونه من أموال من أجل المساهمة في تمويل تلك المشاريع أو التكلّف بها، وهو ما يثبت مقدرتهم المالية على انجاز مشاريع عمومية أقل كلفة من الخاصة بكثير، والمقصود هنا حمامات منازلهم، لكن إذا قارنا عدد النّخب مع عدد الحمامات الخاصة، فإنّ طرف المعادلة يعطينا قراءة لا تتوافق مع ذلك العدد، إذ نجد من المنازل ما يثبت غنى أصحابها، بل دليل الديكور الرّاقى والمساحة الواسعة، والغرف والقاعات المتعدّدة، وحتّى موقعها داخل النسيج العمراني أو تلك المرتبطة بالأراضي الزراعية والمستثمرات، لكن يغيب عن الكثير منها حمامات داخلها ونفس الإسقاط على المراحيض.

1-1 مكانة المدينة وعلاقتها بتوفر الحمامات الخاصة

من خلال العيّنات التي تمّ دراستها، منها ما وجد في المستعمرات ومنها بالبلديات وأخرى بالضيعات، والبعض منها بالمنازل الريفية، وإن ارتبطت بعض المعالم بمكانة المدينة وما توفره للسكان من مجال راق، وإقليم تتوافق فيه متطلبات السّكان مع الإرادة السّياسية، التي من خلالها يتم الحكم على مكانتها بين المدن، من هذه المعالم - على سبيل المثال - المسارح ومختلف المباني الترفيحية، التي لا نجدها في البعض منها، لكن الحمامات مهما كانت مساحتها سواء العمومية وبدرجة أقل الخاصة، لا تكاد مدينة تخلو من وجودها ضمن نسيجها العمراني، ليس هذا فحسب بل وخارج التّجمعات السّكانية أمكن العثور عليها وبمساحات تكاد تنافس العمومية داخل المدن، طبعاً هنا تتدخل إرادة أصحابها في خلق جوّ يشبه ما نجده داخل المدينة، كذلك الأمر في البلدات، فمدينة كاستلوم تيديتاناووم والتي لم يبن بها مسرحاً، إلا أنّ بها حمامين عموميين على الأقلّ وحمامات خاصة، كان لنا مثال واضح بمنزل الفسيفساء. فالرغبة في بناء الحمامات تختلف عن باقي المنشآت داخل المدن والتّجمعات السّكانية.

ضف إلى ذلك أنّ حدود المكتشف منها لا يعكس بأي حال تعدادها، لكنه بشكل آخر يعطينا إشارة على مدى توقّرها داخل المدن الرومانية، فتلك المنتشرة بالشرق الجزائري خاصّة المصنّفة في السلم الإداري للمدن في مرتبة المستعمرة على غرار ثاموقادي، كويكول، مادوروس، تيفاست..الخ، تباينت فيما بينها حول توفر الحمّامات الخاصّة داخلها، رغم المكانة التي شهدتها كل واحدة منها، فعلى سبيل المثال نحصي بمدينة ثاموقادي والتي حازت على أبحاث واسعة وتنقيبات مكثّفة ودراسات متخصّصة، الكثير من الحمّامات العمومية وأكثر من 13 حمّاما خاصا، تختلف مساحتها وموقعها داخلها، سواء تلك المبنية داخل منازل النّواة الأولى (مدينة تراجان) أو المبنية خارج النّواة (les faubourgs)، وبالمقابل مدينة تيفاست التي لا تقل عنها مكانة، لعبت دورا هاما خلال القرنين الأول والثاني، إذ تشير النقيشات اللاتينية المكتشفة بها إلى الوظائف التي تقلّدها مواطنوها، خاصّة تلك المتعلقة بالتسيير المالي والنشاط الاقتصادي، حيث اعتبرت مركز الدائرة المالية بعد مغادرة الفيلق الثالث الأغسطي باتجاه لامبازيس، ضف إلى ذلك أنها عُدّت سوقا واسعة، أهلها لتكون حسب "لاسير"¹ "عاصمة الزيت في إفريقيا"، لكن تقارير الحفريات لا تشير إلى اكتشاف حمّامات خاصّة، طبعا المدينة الرومانية غزاها العمران الحديث، إلا أنّ حفريات "ألوت دو لافوي" Allotte de La Fuÿe كشفت عن وجود حمّامات عمومية على غرار الحمّامات الصّغرى بجوار السور البيزنطي والحمّامات الكبرى بحي الخيالة²، والشأن نفسه بمدينة كيرتا التي لعبت دورا رئيسيا كعاصمة للكنفدرالية السيرتية، إلا أنّ أبحاث "بارتيي" وغيره لا تشير إلا لحمّامات سيدي مسيد كنموذج عن الحمّامات الخاصّة، وحمّامات باكاتوس³ عن العمومية، كذلك الأمر بمدينة كالما وروسيكاد ومادوروس....الخ

هذا لا يعكس أنّ تلك المدن لم يكن بها حمّامات خاصّة في الأصل، لكن الأمر يتعدّى حدود البحث الضيق، الذي يقتصر أحيانا على مستوى طبقي دون أن يتعداه إلى آخر أسبق منه زمنيا، أو تلك التي تغيّرت وظيفتها مع الزمن، والأمثلة كثيرة مثل حمّامات منزل باخوس بكويكول التي بنيت فوقها القاعة ذات سبع حنيات. و تنبغي الإشارة إلى أنّ أولى الأبحاث وهي الأصل في معرفة عراقية المباني القديمة ومنها الحمّامات الخاصّة، كانت تركّز على المعالم المرتفعة وما لها من جمالية تستهوي الباحثين حولها، مهمة المباني السّكنية، هذا ما نجده عند "رافوزيه" Ravoisier و"دولامار

¹ LASSERE (J. M.), *La population de Theveste*, in AOURAS, paris, n°6, 2010, p 128.

² DONDIN-PAYRE (M.), *Op.Cit*, pp 709-738.

³ هذه الحمّامات نقتب من طرف فيراندو Ferrando، ويذكر "فارس" Vars أنها حمّامات عمومية أهديت من طرف أريوس باكاتوس للمدينة، تُوْرخ حسب قُرّال بداية القرن الثّاني ميلادي، أنظر:

- VARS (CH.), *Inscriptions inédites*....., in R.S.A.C, 1899, pp342-343 .

- GSELL (S.), *Les monuments antiques de l'Algérie I.... Op.Cit*, p229.

"Delamare" في "الاكتشافات العلمية للجزائر" في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، حين رسمت المعالم بدقة وجمالية.

هذه المحدودية في الأبحاث إلى غاية اليوم، لم تسمح بمعرفة ما إن كانت المباني السكنية مزودة بحمامات داخلها أم لا، إلى جانب المنازل التي تغيرت هندسة بنائها ومخططاتها بإضافة أجزاء على حساب أخرى، أو تغيير كلي أو جزئي في وظيفتها، من جهة أخرى طالما البحث عن العناصر المادية للحمامات أحيانا متوقّف وكثيرا ما يغيب عن المنازل، ليس دائما دليلا على أنّ الفعل الحموي غير موجود، شأنه شأن المراحيض المبنية، إذ اعتمد الفرد الروماني إلى جانب الحمامات العمومية، الاستحمام داخل منزله ولكن في أماكن غير مهيّأة بشكل تام لهذه العملية.

1-2 المكانة الاجتماعية للأشخاص وعلاقتها بامتلاك الحمامات الخاصة

"امتلاك الثروة والمناصب ضمن سلم الرّتب الهامة بالمدن الرومانية"

قد يقول البعض دون دراية أو إسقاط الحال لماضي فات، أنّ أصحاب المال والجاه والمكانة والسلطة يفعلون ما يشاءون غير أبهين بقانون أو نظام، وأنّ تأثرهم بأمثالهم واقع رغم بعد المسافات واختلاف الثقافات، هنا تمتدّ هذه الجدلية إلى ما توفّره منازلهم من سبل العيش الرغد النبيل، كأن تبنى أماكن للاستحمام يوفّر فيها أصحابها كلّ ما يلزمهم لإراحة بدنهم من عناء يومهم، من مياه مختلفة الحدة في درجات الحرارة، مرطبات وزيت ومراهم وتديك... الخ، إلى حدّ هذا القول الكل جائز وسهل الحصول، لكن الواقع خلاف ذلك، فإلى حدود المكتشف من المنازل خاصّة الفاخرة واسعة المساحة، إذ لا تحوز جميعها على حمامات، حتّى وإن كان أصحابها من ذوي المكانة والمال، بالمقابل حتّى المنازل الصغيرة أو منازل العامّة لم تهياً في حدود مساحتها حمامات خاصّة، وهذه إشارة إلى نقص أو انعدام تزويدها بالمياه؛ من جهة أخرى قد نجد في بعضها آبار لكن تغيب عنها أحواض الاستحمام مثل منازل ثاموقادي، أو بها خزانات مثل منازل كاستيلوم تيديتانوروم، هنا يتدخّل عنصر آخر يتمثل في نظام الصّرف الصّحي، هو أيضا يخضع لقوانين وضوابط ليس بمقدور الجميع تحقيقه. وتحصي الملقّات الالبيغرافية أعدادا كبيرة من الشّخصيات داخل المدن الرومانية وحتّى خارجها مثل الضيعات والمستثمرات الفلاحية...، تختلف مكانتهم باختلاف وظائفهم وثروتهم، هذه الشّخصيات منها من تقلّد مناصب سامية في المدن، ومنها من حازت على تشريفات وألقاب نظير إسهاماتها في بناء معالم خالدة بالمدينة.

كخطوة أولى لمعرفة محدودية انجاز الحمّات الخاصة داخل المنازل بصورة واسعة، وقلة الشّواهد حولها، ارتأينا تتبّع النّخب السّياسية والإدارية والعسكرية والدينية، وما ارتبط بوظائفهم من اكتساب ثروة، أو إلزامية دفع مبالغ تكون أحيانا كافية لانجاز حمّات عمومية بمساحة كبيرة أو انجاز قناة لجلب المياه.. الخ، وليس تهيئة أحواض صغيرة داخل منازلهم.

ومن الشّخصيات الهامة داخل المدن الرّومانية، أعضاء مجلس الشيوخ أو المجلس البلدي، وللولوج إلى عضويته وجب توقّر عدّة شروط، كأن يكونوا مولودين من عائلة سناتوروية أو أبناء الفرسان الذين سبقت لهم العضوية بالمجلس¹، و الأصل أن يكونوا أصحاب مال أو ملاك كبار بالإضافة إلى تقلّدهم مناصب إدارية في المجالس البلدية، وحسب "Cagnat" "كانيّا" يتوجّب على كلّ شخص مسجّل في مجلس الشيوخ تقلّد مناصب سابقة بالمدينة، لها علاقة مباشرة بالتسيير المالي والثّقافي والإداري، كأن يكون مسؤولا للحياة الثّقافية والإحصاء أو مسؤول المالية مع بعض الشّروط المرتبطة بالسّن والوظائف، أو عضو بلدي ثنائي أو ثلاثي².

كما يتعيّن عليهم دفع مبالغ مالية لاكتساب العضوية في مجلس الشيوخ أو المجلس البلدي، وتختلف قيمتها من مدينة إلى أخرى، كما يمكن أن تختلف من شخصية إلى أخرى، فبمدينة قرطاج كان المبلغ محدّدا بـ 38 ألف سيسترس وبمدينة كيرتا 20 ألف سيسترس لتقلّد الرّتب التّالية³ :

- رئيس المجلس البلدي،
- مسؤول الحياة الثّقافية والإحصاء،
- عضو بلدي ثلاثي،
- عضو بلدي يعيّن كلّ خمس سنوات،
- حاكم مقاطعة،

وفي مدينة هيبوريجيوس لتقلّد منصب رئيس المجلس البلدي وجب دفع مبلغ قدره 2000 سيسترس، وفي مدينة سيتيفيس يدفع مبلغ 6000 سيسترس للحصول على منصب مسؤول الحياة الثّقافية والإحصاء⁴.

ومن أكثر الشّخصيات مكانة بالمقاطعات الرّومانية *الكوراتور* أو القيم على الشّؤون المالية للمدن أو المسؤول عن المداخليل الزراعيّة السنوية للمدينة، الذي يعيّن من طرف الإمبراطور شخصيا

¹ CAGNAT(R.), Cours d'Epigraphie Latines, Ernest Thorin Editeur, Paris, 1890, p 89.

² Ibid, p 93.

³ دريسي سليم، دراسة مكونات مجتمع سيتيفيس من خلال النقوش اللاتينية " القرنان الثاني والثالث الميلاديين، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 1992-1993، ص 163.

⁴ المرجع نفسه، ص 164.

منذ عهد ترايانوس في بداية القرن الثاني، وبالشمال الإفريقي منذ عهد سبتيموس سيفيروس، لذا يختارون من بين الشخصيات التي تقلدت وظائف تسييرية بالمدن، أو أحد الوجهاء والأعيان بها¹، وقد يكون التمثيل في الاتجاه المعاكس كأن ينتقل القيم منصب عضو بمجلس الشيوخ أو المجلس البلدي، ومن الوظائف التي كان يشغلها على سبيل المثال :

- القيم أو المراقب العام على صك العملة²،
- المسؤول القضائي³،
- مراقب مدى تطبيق القرارات العظمى أو ذات الأهمية البالغة⁴.

ومن الأسماء التي شغلت منصب القيم بمدن الشرق الجزائري في العصر الروماني، والتي تؤرخ بنهاية القرن الثاني (فترة الحكم السيفيري) إلى بداية الرابع ميلادي.

نجد بمدينة كيرتا: ماركوس ليكينيوس يانوياريوس (*m. licinivs ianvarivs*)⁵

لوكيوس كالبورنيوس سوكيسيانوس (*l. calpvrnivs l. fil. qvir. svcessionivs*)⁶

كايبوس آريوس أنطونيوس (*c. arrivs antonivs*)⁷

ماركوس كوكيوس أنيكوس فوستوس فلافيانوس⁸ (*m. cocceius anicius faustus flavianus*)

وبمدينة كالما لوكيوس سوانيوس فيكتور فيتيليانوس (*l. suanius victor vetelianus consularis*)

(منتصف القرن الثالث ميلادي)، الذي كرمه المجلس البلدي بعد تحصّله على منصب القيم على مستعمرة كالما⁹.

وبمدينة ثاموقادي لوكيوس سافينيوس بروكولوس¹⁰ (*l. savinius proculus*) (199م) و ماركوس فيروس

فلافيوس يوغرطة¹¹ (*m. virrus flavius iugurtha*) (240-250م)

¹ اخربان محند آكلي ، المرجع السابق، ص 244 ، نقلا عن:

- MAHJOURI (A), Villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, centre de publication universitaire, Tunis 2000, p 45.

² JACQUES (F.), Le privilège de liberté. Politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'occident Romain, 161-244, E.F.R, 76, 1984, p 44 .

³ Ibid, p52.

⁴ Ibid, p53.

⁵ CIL, VIII, 6956; ILAlg., II, 1, 499.

⁶ CIL, VIII, 6940-6941; ILAlg., II, 1, n°469 / 470.

⁷ CIL, VIII, 7033; ILAlg., II, 1, n° 614; Rev. Afr., XVIII, 1874, p. 77.

⁸ ILAlg., II, n°3596.

⁹ JACQUES (F.), Les curateurs des citésOp. Cit, pp 201- 202.

¹⁰ CIL, VIII, 17871, 17940 .

¹¹ CIL, VIII, 2409, 17909 .

وبمدينة ساتافيس (عين الكبيرة) ماركوس أنيوس سكردوس¹ *m. annius sacerdos* (منتصف القرن الثالث ميلادي) الخ

ومن بين النخب كذلك بالمدن الرومانية نجد الفرسان، وهي طبقة راقية من أصحاب المال، فمنذ عهد أغسطس يشترط للانضمام إليها أو للحصول على لقب فارس، أن يكون صاحبها حائزا لثروة تفوق 400 ألف سيسترس، وانطلاقا من القرن الثاني (في عهد الفلافيين) كان للحاكم أو المفوض *Legat* أو البروقنصل دور هام في دعم وصول الشخصيات البلدية المرموقة بالمقاطعات إلى رتبة فارس²، أو بطلب يقدّم إلى الإمبراطور يحصل صاحبه على رتبة فارس عمومي بعد الموافقة عليه *(adlectus ab imperatoribus)*، *(adlectus in turmas aquitum romanorum)*³

أمّا عن المسؤولين المحليين مثل أعضاء المجالس البلدية أو الموظفون المرموقون، فعديد النقيشات اللاتينية تذكرهم، ومن بين هذه الوظائف نجد :

- المسؤول الأول بالمدينة،
 - المراقب العام للشؤون العمومية، وتنظيم الأسواق وتنظيم الألعاب داخل المدينة،
 - نائب عن المجلس المحلي للمدينة ،
 - مراقب الشؤون المالية في المدينة و محافظ الخزينة العمومية،
 - أحد الشخصيتان المسؤولتان على المدينة "ديومفير" ،
 - حاكم ثلاثي مهمته تنظيم المستعمرة، وإدارة الشؤون المالية ،
 - حامي ومحافظ المدينة.
- ولا تنقص من الأهمية والمكانة التشريفية نخب ذات ألقاب دينية، هذه الألقاب إنّما جعلت للتمييز والرفعة، وعلى عكس ما سبق إذ كانت الألقاب أو الوظائف حكرا على الرجال، فالأمر مختلف في المراتب الدينية، حملها الذكر والأنثى على حد سواء، ومن هذه الألقاب نجد :
- رجل دين من فئة العرافين،
 - كاهن، وقد يكون كاهن سنوي أو كاهن دائم، فحسب "فلوم" *Pflaum* الديمومة المرتبطة بالكهنة إنّما في مشاركتهم في الاجتماعات، وتبقى فعالة حتّى بعد خروجهم من الخدمة⁴.

¹ CIL, VIII, 8396.

² BELKAHIA KAROUI (Th.), *Elites des cités de « BYZACENE » du I^{er} au IV^e siècle ap .j.c, centre de publication universitaire, Tunis, 2009, p162.*

³ Ibid, p163.

⁴ Ibid, نقل عن PFLAUM (H.G.), *Les flamines de l'Algérie Romaines*, in Scr. Var. I, p397.

• راهب الشؤون الدينية الوثنية،

• كهنوت،

هذه الفئة من رجال الدين هي الأخرى دفعت مبالغ متفاوتة لتقلّد هذه المناصب، على سبيل المثال بمدينة كيرتا للحصول على منصب العزّاف يدفع مبلغ قدره 34 ألف سيسترس، و 55 ألف سيسترس لمنصب الرّاهب و 82 ألف لمنصب الكاهن، وبمدينة لامبايزيس يدفع مبلغ قدره 12 ألف سيسترس إلى منظمة الكهّان وبناموقادي مبلغ 21 ألف سيسترس للعزّافة، و 2000 سيسترس للكهّان بمدينة فريكوندا و 4000 سيسترس بمدينة ديانا فيتيرانوروم¹...الخ.

وكعيّنة فقط من مجموع المدن المشكّلة للشرق الجزائري القديم، نلخّص في الجدول الآتي مجموع النّخب التي وجدت أسماءها منقوشة على النّقشيات الشّرفية أو الإهدائية أو النّذرية أو الجنائزية، وإن كان الإحصاء لا يعكس العدد الحقيقي، بل هو إشارة مباشرة إلى أنّه يفوق ذلك بكثير، فهي إذن في حدود المكتشف منها.

المدينة	الطبقة السيناتوروية	طبقة الفرسان	أعضاء الماجسترا	رجال الدين
كيرتا ²	41	42	45	99
كويكول ³	25	19	43	97
ثاموقادي ⁴	63	20	53	117
لامبايزيس ⁵	65	26	50	67
ميلاف ⁶	02	/	04	7
روسيكاد ⁷	01	02	08	10
مادوروس ⁸	1	10	31	76

¹ دريسي سليم، المرجع السابق، ص 165.

² حموم توفيق، النخب الإدارية و الاجتماعية للكفدرالية السرتوية و المدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني (منذ سنة 46 قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص ص 71-47.

³ المرجع نفسه، ص ص 73-87.

⁴ المرجع نفسه، ص ص 131-151.

⁵ المرجع نفسه، ص ص 111-129.

⁶ المرجع نفسه، ص ص 88-90.

⁷ المرجع نفسه، ص ص 91-92.

⁸ بورحلي ابراهيم، المرجع السابق، ص ص 168-173 و بالنسبة لرجال الدين، ص ص 220-223.

توبورسيكو نوميداروم ¹	27	07	16 ²	30
تيفاست	/	302	419	521

ويتبين من خلال هذا الجدول أنّ معظم المدن الرومانية كانت تزخر بشخصيات مرموقة عرفت على مرّ قرون من الزمن، لكن ما يثير الاهتمام أنّ ما يذكر من هذه الشخصيات لا يتوافق من حيث العدد مع ما وجد من آثار للمنازل، وبهذه الخاصية اللاتوافقية فإنّ الإشارة موصولة إلى الحمامات الخاصة.

فإذا تتبّعنا شخصيات مدينية كويكول على سبيل المثال، على اختلاف مكانتهم من أعضاء بمجالس الشيوخ أو فرسان أو رجال دين كرهبان... الخ، فإنّا نجد ما سجّله النقّيشات اللاتينية التي تؤرّخ من النصف الثاني من القرن الثاني إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، أنّ المدينة ضمت عددا معتبرا من الشخصيات كانوا أعضاء بمجلس الشيوخ أو المجلس البلدي⁶ و18 من مصف مصف الفرسان، ويحصى "توفيق حموم" في دراسته حول النّخب الإدارية، أنّ بمدينة كويكول 19 شخصية من طبقة الفرسان، للإشارة أنّه خلال نفس الفترة سألقة الذكر بنيت العديد من المرافق العمومية بالمدينة على غرار الحمامات الكبرى الجنوبية (183-186م) والمسرح الذي يؤرّخ بالنصف الثاني من القرن الثاني، إلى جانب بعض المنازل في الجهة الجنوبية، وخلال هذه المرحلة من تاريخ المدينة التي عرفت راجا ورقيا كبيرين، ومنه الجانب المدني وهندسة التعمير والبناء، لكن ما يمكن استخلاصه أنّ الحمامات الخاصة لم يعرف لها ظهورا وتميّزا بقدر ما وجد في المنازل من أقسام، ربّما هي بالمكانة الأقل أهمية عمليا ووظيفيا، فالسبب لم يكن قط له علاقة بالمكانة الاجتماعية للأشخاص، ولا بالسلطة أو القرار السياسي، وإنّما هو مرتبط بثقافة معينة قائمة أساسا على الاشتراك في استغلال المرافق العمومية، وتفضيلها على الانطواء داخل مكان مغلق بعيدا عن المجتمع ومختلف فعالياته ومستجداته .

¹ مديون صوراية، دراسة مجتمع توبورسيكوم نوميداروم من خلال النقّيشات اللاتينية ، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، صص 139-150.

² BERTRANDY (F.), « Remarques sur l'évolution du statut juridique de thubursicu numidarum (Khemissa) et de son territoire pendant le haut empire », actes du colloque organisé par le CERHI, (Saint-Etienne 7et8 novembre 2005 « pouvoir et territoire I. antiquité-moyen âge » publication de l'université de saint Etienne, 2007, pp 24-25.

³ بوسليمان حياة ، دراسة مجتمع مدينة تيفاستيس و ضواحيها من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة من القرنين الأول والثالث للميلاد، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر ، 2007-2008، ص 95.

⁴ LEFEBRE (S.), La société politique de Theveste (Tebessa) en Afrique proconsulaire, in AOURAS, Paris, n°6, 2010,p 105.

⁵ بوسليمان حياة ، المرجع السابق، صص 93-94.

⁶ CORBIER (P.), « Cuicul, une ville moyenne prospère sous les antonins et les sévères » , actes du colloque internationale, Paris 21 ,22 octobre 2004, librairie Droz S.A , Genève, 2006, pp69-70.

وعلى شاكلة مدينة كويكول نجد كل من كيرتا والمدن والتجمعات المشكّلة للكنفدرالية السيّرنية أو السّائرة على نظام حكمها وتسييرها والأمر ذاته في تاموقادي وهيوريجيوس ومادوروس....الخ

وكثيرا ما نجد منازل بمساحات كبيرة مقارنة مع أخرى، أو أنّ أصحابها أكثر أهمية ورفعة، إلا أنّنا لا نجد أيّ إشارة داخلها لوجود نظام حموي، والأمثلة نجدها تقريبا في جميع المدن الرّومانية فبمادوروس منزل الماجسترا ، وبتيبيلس منزل الأنتيستي، وبتاموقادي منزل كورفيديوس....الخ.

ولنا في مدينة تاموقادي خير دليل يتجلى من خلاله الهيكل الاجتماعي للمدينة، وقد أعطى ألبوم تيمقاد Album de Timgad قائمة بأسماء أشرف المدينة ممثّلين في الأعضاء الشّرفيين من الأعيان (Clarissimes) وعددهم عشرة، الذين ساهموا بأموالهم في خدمة الصّالح العام، ثم طبقة أعضاء المجلس بقرار إمبراطوري نظير مجهوداتهم في خدمة الدّولة، ومن بعدهم رجال الدين الرّسميون، وأعضاء المجلس البلدي¹ .

وما سجّله هذا الألبوم من عدد معتبر من المرموقين أصحاب المال والسّلطة، إلا أنّ ما وجد بالمدينة من حمّامات خاصّة يعتبر ضئيلا جدا مقارنة مع ما سجلناه من مجموع النّخب وأصحاب المال.

ثم إنّ العدد الكبير للنّخب مرتبط بالكثافة السّكانية والنّمو الديموغرافي من جهة، والانتشار الواسع للمدن من جهة أخرى، على الرّغم من أنّ تقديرات الباحثين المعتمدة بدرجة أولى على النّصوص الأدبية وجرّد الأسماء التي وجدت على الألواح الإيبوغرافية، لم تكن بالدقّة التي يأخذ منها إحصاء شامل يقارب حقيقة عدد السّكان في الجزائر القديمة، ومنها منطقة الشّرق الجزائري الشّاملة لمقاطعتي نوميديا الرّومانية وجزء من البروقنصلية.

فمن جهته "بيلوك" Beloch يقدّر عدد سكان الإمبراطورية الرّومانية بحوالي 54 مليون نسمة، ويذكر "شنيّتي محمد البشير" فيما معناه أنّ هذا النّقدّر يمكن من خلاله استنتاج عدد سكّان شمال إفريقيا في نفس الفترة بحوالي 6 ملايين نسمة، هذا الاستنتاج مبني على أساس الكثافة السّكانية في 1 كلم²، والمقدّرة بـ16 نسمة، ويبقى هذا الإحصاء ناقصا لأنّه يضم السّكان الخاضعين لسلطة روما والمحصيلين دون سواهم².

¹ شنيّتي محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر ، 2013، ص 219.

² شنيّتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية.....المرجع السابق، ص 249 .

وهو ما ذهب إليه "بيكار" واتفق معه "ألبرتيني"، فالأول قدّر عدد سكان إفريقيا خلال القرن الثالث ميلادي بحوالي 6.5 مليون نسمة، ومن مجمل هذا التقدير وزّع على مقاطعتي نوميديا الرومانية والبروقنصلية 3 ملايين و 2.5 مليون نسمة على التوالي¹.

في حين يذهب "كورتوا" إلى خلاف ذلك، وأنّ عدد سكان شمال إفريقيا في الفترة ما بين (284-29 م)، وهي الفترة التي عرفت فيها المنطقة أوجّ تقدّمها وازدهارها في التّوسع والعمران، أقلّ عددا مما اقترح "بيكار"، وقد استند إلى إجراء مقارنة مع عدد سكان المنطقة في القرن التاسع عشر والمقدر بـ 8 ملايين نسمة، وأنّ نصف العدد كاف كحد أقصى في تقديره، سكن المنطقة في القرون الثلاث الأولى للميلاد، وانخفض العدد إلى 3 ملايين في الفترة ما بين (284-340 م)².

وحين توزيع هذا العدد على المواقع الأثرية، فإنّ ما وجد من بقايا مادية للمباني لا يستوعب جميعها في حيز عمراني، وما اكتشف منه يعتبر محدود مقارنة بما يقترحه الباحثون من امتداد عمراني لمختلف المدن، ون هذه المحدودة يتم إسقاط المنازل ومنها حماماتها، فالقليل منها ما ثبت بالدليل ملكيتها لأشخاص معلومين، في حين يبقى الكثير منها مجهول الملكية ...، مع إمكانية امتلاك الشّخصيات المرموقة منازل خارج حدود المدن، وكان للنّظام الضّريبي المنتهج دورا في ذلك، إذ ارتبط معه امتلاك ثروة خارج الرّاتب الممنوح من طرف الدولة .

ولمّا كانت حاجة الدولة متزايدة عند القرن الثالث، نظرا للظروف الصّعبة التي عاشها النّظام السّياسي والاقتصادي، مما أضطرها إلى إتباع سياسة الجبر في تحصيل الضّرائب وتقديم المؤونة للجيش³، ولم يسلم الفلاحون من ثقل الضّرائب حين فرضت عليهم ضريبة التّموين العسكري منذ عهد سيبتيموس سيفيروس⁴، بالمقابل سكان المدن خاصّة أصحاب الحرف المنتمون إلى المجالس البلدية فرضت عليهم أعباء أثقلت حدود المستطاع من رؤوس أموالهم .

هذه الإجراءات الضّريبية التي فرضت على سكان المدن والريف، دفعت بهم إلى تقليص حدود ملكيتهم العينية، وهو إجراء مكّن طبقة الأشراف من الحصول على امتيازات عقارية خارج حدود المدن، وصاحبها تهرب ضريبي أو تلاعب في التّصريح بالتملكات، إذ كانت الجباية تحدّد وفق ما يصرّح به لدى القائمين على المسح والإحصاء⁵.

¹ شنيّتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية.....المرجع السّابق، ص 252.

² المرجع نفسه، ص ص 249-250.

³ المرجع نفسه ، ص 167.

⁴ المرجع نفسه ، ص 168.

⁵ المرجع نفسه ، ص 175.

وعند ذكر الأشخاص أو الموظفين السّامين في الدولة يرتبط ذلك بالوظائف المسندة إليهم، فالإدارة العامة للضرائب تابعة للحاكم تحت إدارة قاضي الضرائب "البريتور"، ومهام التّحصيل يقوم بها موظفون يختارون من طرف المجلس البلدي، وفي ظل الرّقابة وهشاشة القوانين كانوا يتجاوزون حدود صلاحياتهم بفرض ضرائب تودع في حسابهم الخاص، دون أن يصرحوا بها أو توثّق في سجلات الدولة، وقد وصل صدى هذه التّجاوزات إلى علم الإمبراطور، ففي سنة 400م راسل الإمبراطور **هونوريوس (Honorius)** (395-423 م) بروقنصل إفريقيا، يأمره بالتّحقيق في تجاوزات تحصيل الضرائب من طرف الموظفين المكّفين بالعملية¹. وكانت روما تضع على رأس كلّ مقاطعة والٍ أو مسؤول *praefectus* له صلاحيات كاملة في تسيير شؤون المقاطعة، فهو يحدّد الضرائب ويتولى قيادة الجيوش والشؤون الإدارية، كما يتولّى إصدار لوائح وقوانين تنظيمية يلتزم بها الناس طيلة مدة حكمه أو ولايته، فهي قوانين ظرفية مرتبطة بالولاة، وليست قوانين مؤسسات دائمة التّطبيق والتّنفيد².

ثم إنّ نقطة هامّة مقترنة بمكانة المجتمع وهي إسهامات شخصياته في بناء وترميم معالم ومباني المدن، أو تمويل حفلات أو إقامة تماثيل ونصب تخليدية... الخ، هذا من قبيل الهبات يقدّمها الأشخاص دون قيد أو شرط، أو الهبات الشّرفية (*summa honoraria*) التي تفرضها الدولة على الشّخصيات من أجل الارتقاء والاعتلاء في السّلم الإداري المحلّي للمدن الرّومانية³ (*ob honorem*)، وربّما يدفعون مبالغ إضافية عن المبلغ المحدّد قانوناً، فحسب "قزال" للوصول إلى منصب الحاكم الثّنائي أو المراقب العام للشؤون العمومية يستلزم دفع مبلغ 4000 سيسترس، ولاكتساب لقب كاهن يدفع صاحبه مبلغ 6000 سيسترس⁴.

ومن الهبات الغير ملزمة لصاحبها، تلك التي قدّمها ماركوس يوليوس كوينتيانوس فلافوس روغانتيانوس، (*m. iulius quintianus flavius rogatianus*) لفائدة المجتمع الثاموقادي من أجل بناء مكتبة بالمدينة، وجاء في النّص المخدّ لذكرى هذا الشّخص ما معناه: "بفضل هبة ماركوس يوليوس كوينتيانوس فلافوس روغانتيانوس، وإلى الذكرى المشهورة لهذا الرجل الذي وعد في وصيته بهبة تقدّر بـ 400 ألف سيسترس إلى خزينة مستعمرة الثاموقاديين وطنه بغرض بناء مكتبة. أنجز البناء بعناية الخزينة"⁵.

¹ شنيّتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية..... المرجع السابق، ص ص 179-180.

² المرجع نفسه، ص 213.

³ مهنّتل جهيدة، الهبات المالية - *évergésies* - في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، مجلة آثار، جامعة الجزائر 2، العدد 12، 2015، ص 94.

⁴ GSELL (S.), JOLY (Ch.A), 1^{ère} partie Khamissa.....Op.Cit., p24.

⁵ الترجمة لـ مهنّتل جهيدة، الهبات المالية المرجع السابق، ص 96.

ومن النقيشات ما يشير إلى الثراء الكبير لصاحبها على غرار تلك التي تبين ما قدمه ماركوس كايكيلوس نطاليس¹ (*marcus caecilius natalis*) أحد أعيان مدينة كيرتا، ويعطائه المتمثل في:

- تقديم مبلغ 60 ألف سيسترس،
- وتشريفا له لرتبه (مسؤول الحياة الثقافية، حاكم ثلاثي، مأمور المالية خماسي، قاضي مستعمرات ميلاف، روسيكاد وكولو) وضع تمثالا من البرونز.
- تنظيم ألعاب عمومية لمدة سبعة أيام في المستعمرات الأربع للكنفدرالية السيرتية
- انجاز قوس نصر مع تمثال من البرونز على شرف الإمبراطور **كاركلا** تشريفا للوعد بوظيفة حاكم خماسي في نفس العام².

بل وامتلك بعضهم ثروة كبيرة على غرار والد الفيلسوف أبوليوس بمدينة مادوروس، وهو الذي شغل منصب قاضي بلدي، حين موته ترك مبلغا يقدر بـ مليوني (2) سيسترس³، وبنفس المدينة تذكر النقيشات اللاتينية شخصيات قدّمت مبالغ كبيرة لانجاز مشاريع في خدمة الصالح العام، مثل ما فعل الكاهن الدائم ماركوس أوريليوس *m.aurilius* ، الذي قدّم مبلغ 200 ألف سيسترس لإعادة تبليط وتهيئة الفوروم⁴، و ماركوس قابينيوس سابينوس⁵ *m.gabinius sabinus* الذي قدّم مبلغ 375 ألف سيسترس لبناء مسرح مادوروس.

إلى جانب ما قدمته النسوة من هبات لبناء معالم خالدة بالمدن الرومانية أو لترميم مباني أو تماثيل...الخ، مثل ما فعلته أنيا أييليا ريسيتوتا (*annia aelia restituta*)⁶ التي وهبت مبلغا قدره 400 ألف سيسترس لبناء مسرح بمدينة كالما، واعترافا لها بهذا الجميل أقيم لها خمسة تماثيل من طرف المجلس البلدي⁷، وبمدينة ثاموقادي قدّمت الأختان أنيا كارا (*annia cara*) و أنيا ترانكيلينا (*annia tranquillina*) مبالغ مالية لتحقيق وصية أبيهما لانجاز تماثيل للإلهة فورتونا، وما ترتّب عليه من زيادة جراء تأخر تنفيذ الوصية، وقدّر المبلغ الإجمالي بـ 26400 سيسترس⁸. أيضا ما قدمته أرمينيا أرمينيا فديلا⁹ (*arminia fadilla*) لبناء معبد للإله أبولو، وقدّر المبلغ بـ 350 ألف سيسترس.

¹ I.LAlg. II, n°675-678.

² مهنّتل جهيدة، الهبات المالية...المرجع السابق، ص 100 - 101.

³ GSELL (S.), JOLY (Ch.A), 2^{ème} partie MdaourouchOp.Cit, p 15.

- بورحلي ابراهيم ، المرجع السابق، ص 167 .

⁴ I.LAlg. I, n°2020.

⁵ I.LAlg. I, n°202 .

⁶ I.LAlg. I, n°287-286.

⁷ دحمان رياض، المرجع السابق، ص 52

⁸ عرابوي الصادق، دريسي سليم، هبات المرأة الرومانية وإسهاماتها في التطور العمراني للمدينة (الجزائر الرومانية)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر-، المجلد 34، العدد 03، 2020، ص 1115-1116

⁹ I.LAlg. I, n°250.

وكخلاصة تختصر كلّ ما ذكر في هذا الجزء من البحث، أنّ انجاز الحمّامات الخاصّة داخل المنازل مرتبط بشكل كبير بثقافة وذهنية الأشخاص، والتي ارتبط البعض منها لإبراز المكانة الاجتماعية والتميّز، خاصّة إذا فتحت لغرباء أصحاب المنزل أو ضيوفهم، ومحاولة منهم إظهار صورة متحضّرة تختلف عن صورة الفرد الرّوماني الموجهة في نسق واحد، والمرتبطة بفكر موحد توجهه القرارات السياسيّة ومبدأ الولاء.

2- موقع الحمّامات الخاصّة وعلاقتها بمحيطها

يطرح المجال الذي بنيت فيه الحمّامات الخاصّة مرتكزا للبحث لمعرفة علاقتها بمحيطها ، ومدى إمكانية جلب الماء إليها وتصريفه منها وحدودها المجاورة لمباني أخرى، أو بمحيطها الداخلي، خاصّة تلك التي تبنى كجزء من المنازل أو ملحقة بها، وهي بذلك تتطلب مجالا يسمح لمرتاديها بالحركة داخلها بسلاسة تحقّق المبتغى المطلوب، وتوفّر للمستحمين الرّاحة الجسدية والنّفسية على حدّ سواء، وإن كانت مساحاتها ومخطّطاتها متباينة، فالهدف هو توفّر عناصرها الضرورية مجمعة بشكل لا يمكنه التأثير سلبا على غرف وقاعات وأروقة المنازل التي تحتويها أو منازل الجيران .

1-2 مدى استجابة مخطّطات الحمّامات الخاصّة لتوجيهات فيثروفيوس

1-1-2 توجيه الحمّامات الخاصّة

حسب "فيثروفيوس" فإنّ توجيه مختلف الغرف داخل المنازل يتمّ وفق وظيفتها، فغرف الطّعام والحمّامات تكون موجهة إلى الغرب أو الجنوب الغربي، ويراعى في اختيار موقع الحمّامات أكثرها دفئا، أما الإنارة الخاصّة بالقاعات الدّافئة والسّاخنة فتكون من جهة الجنوب الغربي أو الجنوب مباشرة¹، ويستحب أن يكون وقت الاستحمام بعد منتصف النّهار وهو الزّمن الذي تكون فيه الشّمس في الاتجاه المذكور، في حين الغرف التي تتطلّب نور الشمس في الصباح فتكون موجهة إلى الشّرق، ويستفيد منها بشكل خاص المكتبات وغرف النوم².

وإذ يركّز "فيثروفيوس" على عنصري الحرارة والإنارة اللّذان توفّرهما الشّمس، للاستفادة منها في الحمّامات، اقتصادا لوقود الأفران وزيت المصابيح، وبخصوص الإنارة يؤكّد على أنّ النّوافذ تكون

¹ VITRUVÉ, Livre 5, Chapitre 10

² NATHALIE DE HAAN, Roman Domestic Architecture, A Companion to Science, Technology, and Medicine in Ancient Greece and Rome, First Edition, edited by Georgia L. Irby, 2016 , p712.

خلف الأحواض حتّى لا يحجب المستحمون الذين ينتظرون دورهم نور الشّمس¹، هذا على العموم في الحمّامات العمومية.

لكن هذا المبدأ ليس ثابتاً بالنسبة للحمّامات الخاصّة، إذ يتغيّر مخطّط المبنى وتوجيهه في بعض المدن حسب مكان وجودها داخل نسيجها العمراني، بالإضافة إلى خضوعها لقوانين العمران والجوار، وقد تتدخل أيضاً عناصر الإمداد كقنوات المياه في تحديد مكانها، كذلك الشّأن بالنسبة للمناخ، فمنازل الشّمال ليست كمثيلتها في الجنوب، حيث تكون موجهة إلى الشّمال أو الشّمال الشرقي بسبب حرارة الجو العالية، وعلى حدّ تعبير "فيتروفيوس" ...بالفن يمكن تعديل ما قد تفسده الطبيعة إذا تركت وشأنها....²

والسّؤال المطروح، هل استجابت حمّامات المدن والتّجمعات السّكانية المدروسة لمبادئ "فيتروفيوس" من حيث توجيهها؛ هنا نكون أمام ثلاث عناصر لها أثرها من حيث موقعها داخل الحمّامات وهي:

- الأحواض بنوعيتها السّاخنة والباردة،
- المواقد وما ارتبط بها من مكان وجود قاعات وغرف الخدمات ومكان توزيع الحرارة إلى القسم السّاخن للحمّامات،
- الأبواب والمداخل ومختلف الفتحات الموجودة بالحمّامات سواء للإضاءة أو التهوية ...الخ.

أمّا عن موقع الحمّامات داخل المنازل فمن خلال المعاينة الميدانية لمجموعة الحمّامات الخاصّة موضوع الدراسة، يتّضح أنّه لاختيار مكان بناءها أهمية كبيرة، مرتبطة بشكل أو بآخر بمدى توفّر عنصر الماء وسهولة وصوله إلى أحواضها، لكن الأهمية الكبرى يوليها أصحابها إلى جعل مكان الحمّامات قريب من قنوات الصّرف الصّحي، فالحمّامات لا تبنى في الجزء المرتفع من المنزل، كما لا تبنى في وسطه، وتكون دائماً مفتوحة على شوارع المدينة لتسهيل مد قنوات الصّرف إلى القنوات الرئيسية، وبكثير من التّدقيق فجدران الحمّامات تكون هي نفسها الجدران الخارجية للمبنى ويختلف سمكها بحسب طريقة بنائها، خاصّة القاعات السّاخنة مزدوجة البناء للحفاظ على درجة حرارتها.

2-1-2 توجيه الأحواض داخل الحمّامات الخاصّة

قد تتفق مباني محدّدة في توجيه أجزاء منها إلى جهة معيّنة، حتّى وإن شابها بعض الاستثناء، لكن الحال في الحمّامات الخاصّة من خلال العيّنات المدروسة، أنّه ليس هناك قاعدة ثابتة يبنى عليها اعتقاد يعمّم على باقي الحمّامات في مواقع أخرى، إذ قد توجّه الأحواض الباردة كما

¹ VITRUVÉ, Livre 5, Chapitre 10.

² VITRUVÉ, Livre 6, Chapitre 1.

السّاخنة إلى اتجاهات مختلفة، ولم تكن مرتبطة هي و القاعات التي تحتويها بالشّمس وحراراتها، فالواقع الجغرافي والطّبيعي للمدن التي تنتشر في الشّرق الجزائري تختلف فيه درجات الحرارة في نفس الفصل ناهيك عن مستوى ارتفاعها فوق سطح البحر، وقد نعتقد أنّ لكلّ مدينة خصوصيتها، لكن الواقع أثبت أنّه في المدينة الواحدة بل في الحمّامات ذاتها يتغيّر الاتجاه بشكل كبير. وسنستعرض في هذا الجدول توجيه أحواض الحمّامات الخاصّة بمختلف المواقع، ولإشارة فقط، سنعتمد على الاتجاهات الرّئيسية.

الرقم	المدينة	تسمية الحمّامات	توجيه أحواضه
1	ثاموقادي	منزل سارتيوس	الحوض البارد: جنوب/شمال الأحواض السّاخنة: 1: شرق/غرب 2: شرق / غرب
2	ثاموقادي	ورشة صناعة الفخار	الأحواض السّاخنة: 1: شمال / جنوب 2: شرق / غرب الحوض الدّافئ: غرب/شرق
3	ثاموقادي	منزل الوحدة 17	الحوض البارد: شرق/غرب الأحواض السّاخنة: 1: شرق / غرب 2 : غرب /شرق
4	ثاموقادي	منزل يانوياريوس	الحوض البارد: جنوب/شمال الأحواض السّاخنة: 1: شرق/غرب 2: شرق / غرب
5	ثاموقادي	منزل الوحدة 38	الحوض البارد: جنوب/شمال الحوض السّاخن: غرب/شرق
6	ثاموقادي	منزل انتصار فينوس	الحوض السّاخن: غرب/شرق
7	ثاموقادي	منزل	الحوض السّاخن: غرب/شرق

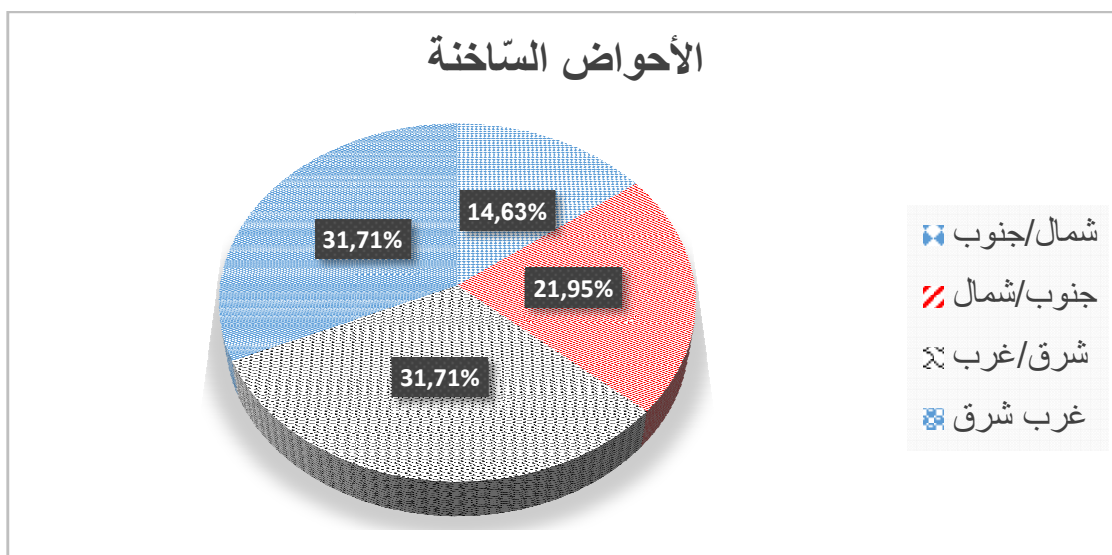
		هيرمأفروديت	(لا يوجد حاليا الحوض ولكن يحتمل ذلك بسبب موقع فتحة الموقد)
8	ثاموقادي	منزل الوحدة 69	الحوض الساخن: شمال/جنوب (لا يوجد حاليا الحوض ولكن يحتمل ذلك بسبب موقع فتحة الموقد)
9	ثاموقادي	منزل الحوض	الحوض الساخن:شمال/جنوب (لا يوجد حاليا الحوض ولكن يحتمل ذلك بسبب موقع فتحة الموقد)
10	ثاموقادي	المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس	الحوض البارد: غرب/شرق الحوض الساخن: غرب/شرق
11	ثاموقادي	المنزل غرب حمامات فيلا دالف	الحوض البارد: شرق/غرب الأحواض الساخنة: 1: جنوب/شمال 2: جنوب / شمال
12	ثاموقادي	المنزل شمال الكابتول	الأحواض الباردة: 1: شرق / غرب 2: غرب/شرق الأحواض الساخنة: 1: شمال / جنوب 2: غرب/ شرق
13	ثاموقادي	منزل رأس ميدوزا	الحوض الساخن: جنوب/شمال
14	كويكول	منزل أوروبا	<u>الحمامات الشرقية:</u> الحوض البارد : شمال/جنوب

			الأحواض الساخنة: 1: شرق/غرب 2: شرق /غرب <u>الحمامات الصغرى:</u> الحوض البارد:شمال/جنوب الحوض الساخن:غرب/شرق
15	كويكول	منزل الحمار	الأحواض الباردة: 1: شرق /غرب 2:غرب/شرق الحوض الساخن: شرق/غرب
16	كويكول	منزل كاستوريوس	<u>الحمامات الكبرى</u> الحوض البارد:غرب/شرق الحوضين الساخنين: 1:جنوب/شمال 2:جنوب/شمال ؟ <u>الحمامات الصغرى</u> الأحواض الباردة: 1: شمال/جنوب 2: شرق/غرب الحوض الساخن: غرب/شرق
17	كويكول	منزل الجص	الحوض البارد: غرب/شرق الحوض الساخن:جنوب/شمال
18	هيپوريجيوس	شمال غرب منازل الواجهة البحرية	الحوض البارد: غرب/شرق الأحواض الساخنة: 1: غرب/شرق 2: شرق /غرب

19	هيبوريحيوس	المنزل ذو الطوابق	الحوض الساخن: غرب/شرق
20	هيبوريحيوس	منزل متاهة المينوتور	الحوض البارد: غرب/شرق
21	كاستيلوم تيديتانوروم	منزل الفسيفساء	الحوض البارد: شرق/غرب الحوض الساخن: شرق/غرب
22	سيدي مسيد	منزل سيدي مسيد (سيتيوس)	الأحواض الساخنة: 1: جنوب/شمال 2: غرب/شرق
23	وادي العثمانية	منزل بومبيانوس	الحوض البارد: جنوب/شمال الأحواض الساخنة: 1: شمال/جنوب 2: شمال/جنوب 3: غرب/شرق
24	بئر العاتر	هنشير الصفية	الأحواض الباردة: 1: شمال/جنوب 2: جنوب/شمال الحوض الساخن: جنوب/شمال
25	العيون-الطارف	قصر فاطمة	الحوض البارد: شرق/غرب الحوض الساخن: شرق/غرب
26	توبورسيكو نوميدياروم	المنزل شرق الساحة العامة القديمة	الحوض الساخن: جنوب/شمال
27	منزل الحمام	مادوروس	الحوض البارد: شمال/جنوب

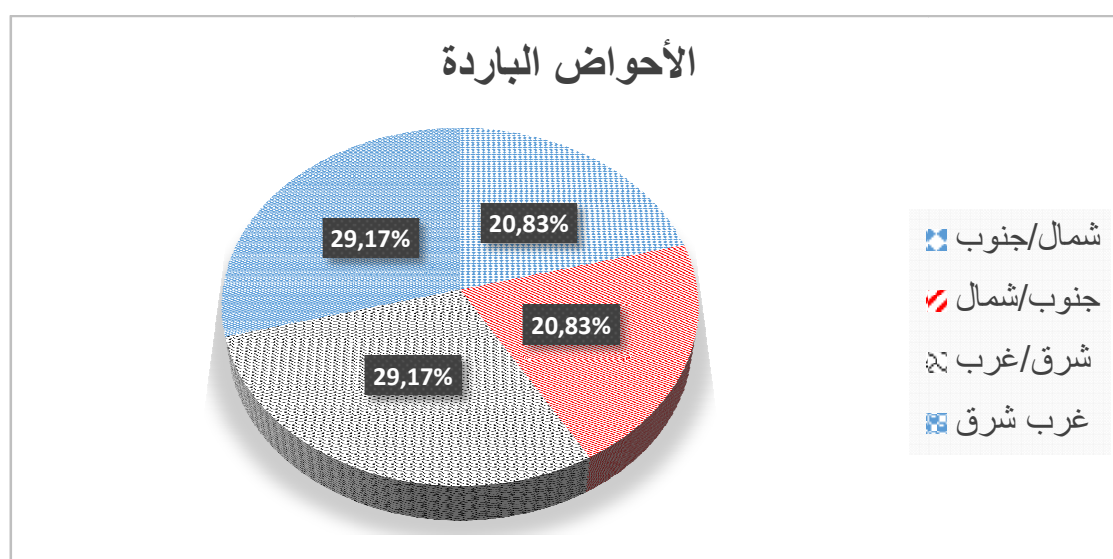
التَّمثِيل البياني لتوجيه أحواض الحمامات الخاصة بالشرق الجزائري

الأحواض الساخنة	شرق/غرب	شمال/جنوب	جنوب/شمال	غرب/شرق
العدد	13	9	6	13
النسبة	%31.71	%21.95	%14.63	%31.71



شكل رقم 05: توجيه الأحواض الساخنة بالحمامات الخاصة (انجاز الطالب)

الأحواض الباردة	شرق/غرب	شمال/جنوب	شمال/جنوب	شرق/غرب
العدد	7	5	5	7
النسبة	%29.17	%20.83	%20.83	%29.17



شكل رقم 06: توجيه الأحواض الباردة بالحمامات الخاصة (انجاز الطالب)

وعلى سبيل المقارنة مع الحمّامات العمومية، نأخذ مثالا عن توجيه أحواض حمّامات
ثاموقادي، حتّى وإن تعدّدت في القاعة الواحدة .

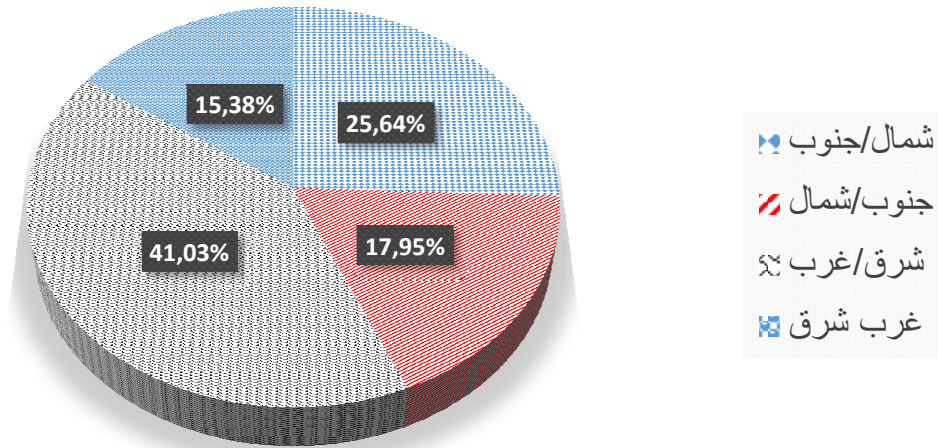
الأحواض الساخنة	الأحواض الباردة	تعيين الحمّامات
1. شرق/غرب	جنوب/شمال	الحمّامات الصّغرى الشّمالية
2. شمال / جنوب		
1. شرق/غرب	جنوب/شمال	الحمّامات الصّغرى الشّرقية
2. جنوب/شمال		
3. شرق/غرب		
1. شمال/جنوب	شمال/جنوب	الحمّامات الكبرى الشّرقية
2. شرق/غرب		
3. غرب/شرق		
4. شرق/غرب		
5. شرق/غرب		
1. شمال/جنوب	جنوب/شمال	حمّامات الوسط الصّغرى
2. شرق/غرب		
3. شرق/غرب		
1. شرق/غرب	شمال/جنوب	الحمّامات الصّغرى الشّمالية الشّرقية
2. شمال/جنوب		
1. شمال/جنوب	1. شمال / جنوب	الحمّامات الكبرى الشّمالية
2. شرق/ غرب	2. شمال / جنوب	
3. غرب/ شرق	3. جنوب/ شمال	
1. شمال/جنوب	1. شرق/ غرب	حمّامات فيلادالف
2. شرق/ غرب		
3. غرب/ شرق		
1. شمال/ جنوب	1. شمال / جنوب	الحمّامات الشّمالية الغربية
2. شمال/ جنوب	2. شمال / جنوب	

3. غرب/ شرق	3. شرق / غرب	
4. غرب/ شرق		
5. جنوب/ شمال		
1. شرق/ غرب	1. جنوب/ شمال	حمّامات سوق سارتيوس
2. شمال/ جنوب		
3. جنوب/ شمال		
1. جنوب/ شمال	1. شمال/ جنوب	حمّامات الكابتول
2. شرق/ غرب	2. شمال جنوب	
1. شرق/ غرب	1. شمال / جنوب	الحمّامات الكبرى الجنوبية
2. شمال/ جنوب	2. جنوب/ شمال	
3. شرق/ غرب		
4. غرب/ شرق		
5. جنوب/ شمال		
1. شرق/ غرب	1. شرق/ غرب	الحمّامات الصّغرى الجنوبية
2. جنوب/ شمال		
3. جنوب/ شمال		
39	18	المجموع

التمثيل البياني لتوجيه أحواض الحمّامات العمومية بمدينة تاموقادي

الأحواض السّاخنة	شرق/غرب	شمال/جنوب	جنوب/ شمال	غرب/شرق
العدد	16	10	7	6
النّسبة	%41.03	%25.64	%17.95	%15.38

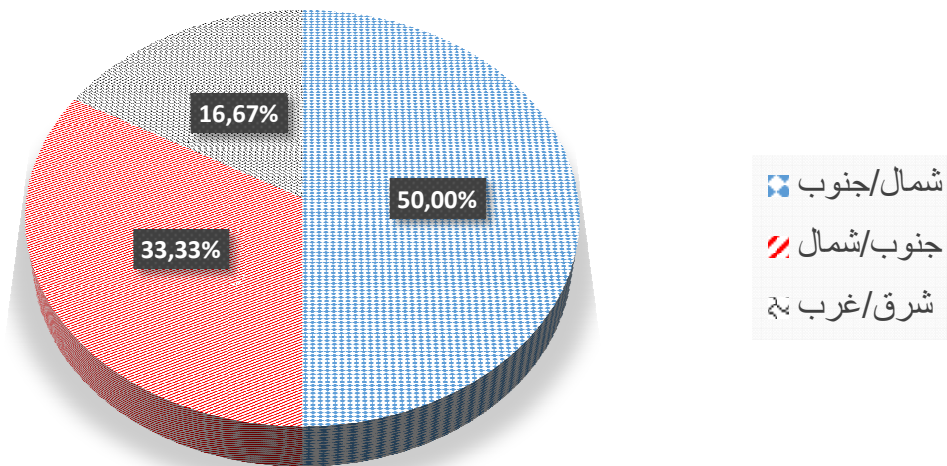
الأحواض الساخنة



شكل رقم 07: توجيه الأحواض الساخنة بالحمّامات العمومية لمدينة تاموقادي (انجاز الطّالب)

الأحواض الباردة	شرق/غرب	شمال/جنوب	جنوب/شمال	غرب/شرق
العدد	3	9	6	0
النسبة	%16.67	%50	%33.33	%0

الأحواض الباردة



شكل رقم 08: توجيه الأحواض الباردة بالحمّامات العمومية لمدينة تاموقادي (انجاز الطّالب)

2-2 حمامات المنازل الحضرية والحمامات الريفية

من خلال دراسة موضوع الحمامات الخاصة بين المدينة والريف، الواضح أن الفيلات الريفية *villa rustica* عرفت إلحاق حمامات بها بنسبة كبيرة، على العكس من ذلك المنازل الحضرية (داخل التجمعات السكانية) وعلى اختلاف مساحتها ومكان وجودها داخلها لم تحتو جميعها حمامات داخل حيزها المبني، والعبرة ليست مرتبطة كلياً بقلّة الإمكانيات ولا هي القوانين المتعلقة بالتهيئة العمرانية تمنع ذلك، لكن المعيار مرتبط بثقافة الأفراد ومبدأ التجمع المقصود والموجه، خاصة في القرون الثلاث الأولى للميلاد، فاعتبرت الحمامات العمومية بداخل المدن مكان الرّبط والوصل بين مختلف فئات المجتمع، وهو ما أدى إلى قلة ومحدودية الحمامات الخاصة .

أمّا تلك الموجودة في الريف أو خارج التجمعات السكانية، فغيااب حمامات عمومية على مقربة منها عوض حمامات خاصة، تضاهيها في بعض الأحيان مساحة وديكورا، على غرار حمامات بومبيانوس وحمامات هنشير الصّفية، تلبي حاجياتهم وحاجيات من هم تحت مسؤوليتهم، ثم إنّ هذه الحمامات تمتاز بمساحة معتبرة مقارنة مع الحمامات الخاصة داخل المدن، وتتعدّد فيها الغرف والقاعات والأحواض وهو ما يوحي بالاستعمال الجماعي في وقت واحد، وهي خاصيّة قليلة الوجود داخل حمامات المدن، فالمساحة المخصّصة للمنازل ومن ثمّ حماماتها صغيرة مقارنة مع شساعة الريف، ناهيك عن محدودية عنصر الماء، ونحن إذ قلنا أنّ المساحة صغيرة فبعض الحمامات اعتبرت مساحتها متوسطة، مثل حمامات منزل الحمار وحمامات منزل كاستوريوس بكويكول، وحمامات سارتيوس بئاموقادي و حمامات المنزل ذو الطوابق بيهيوريجيوس..، لكن تبقى صغيرة مقارنة مع غيرها خارج المدينة..، فالغالب على الحمامات الخاصة بالمدن اقتصرها على حوض واحد أو حوضين، أو قد يكون بها قاعتين إحدهما باردة والأخرى ساخنة، وحين ربطها بزمان بناءها فأغلبها لم يكن قبل القرن الثالث، وفي قراءة مرتبطة بالأوضاع السياسية والاقتصادية وما صاحبها من إجراءات إدارية، فنهاية القرن الثالث وما بعده بدأ التوسع في ظهور الحمامات الخاصة بالمقاطعات الرومانية في شمال إفريقيا، ومنها نوميديا والبروقنصلية، فمبدأ الموالاة المبني على الخطاب الموجّه من طرف المسؤولين داخل الحمامات العمومية قلّ صداه مقارنة بزمان الإمبراطورية السّقى، وبالتالي الدور الثاني للحمامات العمومية أصبح هشاً، من خلال هذه الأوضاع وكنتيجة حتمية، هيأ أصحاب المنازل الواسعة حمامات داخل محيطها، وهي على نوعين، إما مبنية كوحدة مزامنة لبناء المنزل أو مضافة إليه في وقت لاحق.

وبالنظر إلى حمامات المنازل الريفية، فإنّ تعدّد الغرف والقاعات كما ذكرنا سابقاً، لغرض الاستعمال من طرف عدّة أشخاص، ليس حتماً أن يكونوا من عائلة واحدة، وتوسيع دائرة البحث حول محيطها

يتبين وجود ورشات على غرار معاصر الزيتون مثل ما وجد بقصر فاطمة، أو اسطبلات لتربية الحيوانات مثل حمامات بومبيانوس، التي توحى فسيفائها بتربية الخيول المعدة للسباق...الخ.

2-3 إشكالية بناء الحمامات كعناصر أساسية أو لواحق بالمنزل

قد لا يطرح هذا الإشكال في المنازل معلومة المساحة والمحدودة بموجب عقد بيع يبين فيه حدود المنزل وما يجاوره، فإذا كان جواره ملكية خاصة، فلا يمكن الاعتداء عليها أو احتلالها إلا بناء على اتفاق أو التزام بينهما، وإذا كانت ملكية عامة أو مرفق حيوي مثل الطرق والشوارع، فهناك من القوانين ما يحميها باعتبارها ملكية جماعية مكفولة بالحماية من السلطات الوصية، هذا هو المبدأ العام، ولا شك أن الاستثناء وارد، حيث يضاف إلى المبنى عناصر أخرى في فترات لاحقة، ومن خلال العينات المدروسة هناك ثلاثة أنواع من الحمامات:

- **الحمامات الأصلية في بناء المنزل**، ويعرف هذا النوع من خلال طريقة البناء وترابط الحجارة والآجر، أو من خلال مستوى الحمامات مقارنة مع مستوى باقي أجزاء المنزل.

- **الحمامات المضافة لأجزاء للمنازل**، إذ تشير الدلائل المادية أنها بنيت بعد بناء المنزل مثل منزل الحمار، حيث احتلت الحمامات جزءا هاما من معبد فينوس جينتريكس، وهو اعتداء على مرفق عمومي ذو وظيفة دينية، هذا النوع من الاعتداء على الملكية عرف في فترة الفوضى التي شهدتها النصف الثاني من القرن الثالث بإضافة أجزاء للمبنى الأصلي على حساب مبنى آخر أو جزء من الطريق العام أو الرصيف، وفي جميع الحالات أثر ذلك على منظومة التهيئة العمرانية بحيث أصبحت استقامة الطرق والشوارع متعرجة مما تعيق الحركة من جهة، وتؤثر على جمالية الأحياء من جهة ثانية. والأمثلة كثيرة خاصة في مدينة ثاموقادي، مثل منزل يانوياريوس الذي يحتل الودنتين السكنيتين 36 و 37 بما في ذلك جزء من الكاردو الثانوي الفاصل بينهما، أيضا حمامات منزل الوحدة 38، الذي يمتد إلى الديكيومانوس الثانوي مسافة تقارب 3م، وحمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس، هي الأخرى تمتد إلى الشارع الصاعد غرب سوق سارتيوس....الخ.

- **الحمامات المنجزة بالقرب من المنازل**، عادة هذا النوع نجده في الضيعات حيث تبنى الحمامات كملحقة بالمنازل الريفية، فهي تجمع بين الخاصة والعامة، الخاصة في تمويلها وإدارتها، واشتغالها في أي وقت يشاء مالكيها، وعامة في ارتيادها من طرف الغير الذين تربطهم بالمالك علاقة معينة .

2-4 مدى تأثير الحمامات على طوابق المنزل

إذا كانت روما قد لجأت إلى بناء مساكن من عدة طوابق بسبب تعداد السّكان الكبير وضيق في المساحات، فالأمر مختلف في مدن الشّمال الإفريقي حيث اتسعت المدن بشكل أفقي، ممّا أدى إلى ظهور منازل أرضية أو ذات طابق أو اثنين على الأكثر¹، في هذه النقطة من الدّراسة بحثنا عن العلاقة بين الحمامات التي تحمل فوقها طابقاً، وعن طبيعة الغرف التي نجدها فيه.

فبمدينة كويكول بين القاعة الباردة والسّاخنة لحمامات منزل الجص وجد سلّم بقي منه 13 درجا يؤدي إلى طابق أول، لكن هل يمكن أن يكون هذا الطابق هيّأ بعد توقّف الحمامات عن العمل، وتحولّ وظيفتها الأصلية إلى وظيفة أخرى؟، فإذا علمنا أنّ القاعة الباردة حوّلت إلى غرفة مفتوحة على ساحة المنزل، والسّاخنة حوّلت إلى قاعة استقبال²، وتضيف "بلنشار لومي" أنّ سبب هذا التحولّ راجع إلى ضيق في المساحات، وأنّ أصحاب المنزل رؤوا أنّه من المناسب أن تكون قاعة الاستقبال بمحاذاة فناء المنزل، كذلك الصعوبات التي واجههم في تنظيف وصيانة الحمامات، ممّا فرض عليهم جعل مدخلي المنزل على اتصال مع بعضهما³.

لكن ما طبيعة الغرف المهيّأة في الطابق الأول، هل هي غرف للاستعمال اليومي كغرف النوم والمعيشة، أم هي غرف للخدمات؟.

إن كان هذا السّؤال مرتبط بالحمامات العمومية لكانت الإجابة أنّ الغرف المهيّأة في الطابق مرتبطة بشكل كبير بالخدمات، إذ الطابق الأرضي يلبي ما يتطلّبه المستحمين، أمّا في المنازل، فالطابق يمكن أن يكون مخصّصاً للغرف، ويظهر هذا بشكل كبير في المنازل ذات الاستعمال المشترك، لكن هذا لم يمنع من تخصيص جزء بالمنزل ليهيّأ فوقه طابق استعمل كغرف للخدمات .

ويمكن التّعرّف على طبيعة المباني السّكنية ما إن كانت ذات طوابق أو اكتفت بالطابق الأرضي، من خلال التّعرّف على غرفها المختلفة وتوزيعها داخل المنزل، ويمكن استنتاج ما إن كانت هذه الغرف تلبي متطلبات العائلة الرّومانية، بمعنى هل الموجود منها يحقق ما يرغب فيه الفرد من غرف وقاعات، فمنها ما تعلّق بالمعيشة مثل المطبخ وغرف النوم، ومنها ما هو متعلّق باستقبال الضيوف سواء للسمّر والزيارة العائلية، ويكون ذلك على مستوى قاعة الاستقبال، أو لمراجعة السّجلات والحسابات المتعلّقة بمالك المنزل على مستوى التابليينوم.

¹ DRICI (S.), *Réflexions sur les maisons romano-africaines et sur quelques éléments décoratifs de l'Algérie antique*, in L'Africa Romana XVII, Siviglia 2006, Rome, 2008, p675.

² BLANCHARD LEMEE, *Maisons à mosaïques.....Op.Cit.*, pp 190-191.

³ Ibid, 191.

والجدير بالذكر، أنّ الحمّامات التي تبنى فوقها طوابق، تعتمد في نظام تسخينها على التسخين التّحت أرضي فقط، ولا تعتمد التسخين العمودي، إذ يؤثر هذا الأخير على حرارة الغرفة التي تكون فوقها، خاصّة إذا كانت الغرفة مخصّصة للخدمات لاستيعاب المؤن والمخزونات.

3- الحمّامات الخاصّة في مواجهة العمومية

قد تبدو سهلة هي الدّوافع التي من خلالها يبني الفرد الرّوماني داخل منزله كلّ متطلبات عيشه، بما في ذلك الحمّامات والمراحيض وحتّى المعابد في الفترة الوثنية، والمصليات بعد اعتناق المسيحية . هذا ظاهرياً. لكنها في نفس الوقت مبهمة بوجه الدّقة، للوصول إلى أسباب حقيقية دفعت بالأشخاص إلى إنشائها أو إضافتها لاحقاً، فأجزاء المنازل من غرف الطّعام وقاعات الجلوس وغرف النّوم لا يمكن الاستغناء عنها لعدم وجودها خارجها، في حين المراحيض والحمّامات قد تضمنها العمومية بشكل دائم ومستمر، لكن البحث عن الخصوصية لدى الأشخاص أمر فطري، جعل كلاهما يشغل في وقت واحد داخل المدن والتّجمعات السّكانية.

3-1 الرّغبة الشّخصية والدّافع العام لإنشاء الحمّامات الخاصّة

" جدليّة الاستعمال الشّخصي والجماعي للحمّامات "

كانت الحمّامات الخاصّة تنافس العمومية من خلال استحداث جو حميمي وتقديم خدمات عالية الجودة، وإن كانت الحمّامات العمومية وسيلة لجلب الدّعم السّياسي، عن طريق استقطاب أكبر قدر ممكن من المستحمين، وبالتالي الموالاة للحاكم أو الرّاعي، الذي يباشر تحت مسؤوليته توفير خدمات قد تكون مجانية أو بمقابل زهيد، فتقام بذلك التّظاهرات اليوميّة للتعريف بالقوانين التي تخدم المجتمع المدني ويراد من خلالها تمجيد الحكام، خاصّة تلك الإمبراطورية في المقاطعات الرّومانية، وهي إشارة بالانتماء إلى روما¹.

ونجد في الحمّامات الخاصّة التي توفر هي الأخرى خدمات قد لا يجدونها في العمومية، كما يشكّل تعدّد القاعات فيها، جواً يبعث بالارتياح بعيداً عن زحمة المستحمين في الحمّامات العمومية،

¹ SALIOU (C.), « Bains et histoire urbain (l'exemple d'Antioche sur l'Oronte dans l'antiquité » , Actes de colloque internationale balénorient, Institut français du Proche-Orient , - Damas, Syrie 2-6 nov.2009 (coédition IFAO. Etudes urbaines n°9.2014), p672.

وتشير الفسيفساء بمختلف مواضيعها وألوانها إلى رغبة أصحاب المنازل الخاصة في إظهار مكانتهم وأصلهم العريق، وهو نوع من الدّعاية بصورة غير مباشرة، ولنا أمثلة عديدة (منزل الحمار، أوروبا وكاستوريوس بمدينة كويكول)، فسيفساء حمّامات بومبيانوس... الخ

وبخصوص استعمال الحمّامات بين الجنسين، نجد في التّقليد الرّوماني أنها كانت تفتح للرجال والنساء- المقصود هنا الحمّامات العمومية- لكن في أوقات متفرّقة أو في فضاءات مقسّمة بينهما، كذلك الأمر عند اليونانيين، حيث وجدت العديد من الحمّامات مقسّمة بين الجنسين، وتشير بعض الكتابات على ورق البردي في مصر في العهد البطلمي، إلى أماكن استحمام النساء *tholos des femmes*¹ و *tholos* هو المجال الحموي دائري الشّكل مخصّص للاستحمام الجماعي، أيضا من خلال مخطّط بعض الحمّامات والتي تخصّص مدخلين رئيسيين أحدهما للرّجال والآخر للنساء، ويتكون المجال الحموي لكليهما من القاعات الرّئيسية للاستحمام، هذا لم يمنع من وجود حمّامات قد تشارك فيها المرأة الرجل، وبالتالي يحدث الاختلاط الجسدي بينهما.

ونجد في الفترة المسيحية أنّ الحمّامات الخاصة بنيت لتجنّب الاحتكاك الجسدي، والابتعاد عن الإغراءات التي قد تصاحب نزوات بعض الأشخاص²، وخلق خصوصية للنساء، إذا استحبين معاشره أزواجهن داخل الحمّامات، أو لعدم كشف عوراتهن أمام النّسوة داخل الحمّامات العمومية، بل ومنع عليهم الاستحمام داخل الحمّامات العمومية بقرار من الإمبراطور مثل ما فعله ثيودوس الأكبر (378-395) سنة 390، والذي عرف أثناء فترة حكمه بمنع عبادة الآلهة في كامل الإمبراطورية، واضطهاده للوثنيين حينها، ومحاربه لكل رموز الوثنية من معابد وتمائيل وطقوس.

وفي الفترات المتقدّمة من الإسلام (القرن الثامن ميلادي)، منع الفقه المالكي على النّسوة الذهاب إلى الحمّامات حتّى وإن كان الغرض علاجي، وفي بعض الحالات للولادة، وببيح ذلك استثناء إذا كنّ رفقة فرد من العائلة أو مع خادماتهن اللاتي يتولين مهمة مراقبتهن خلال فترة الاستحمام³.

وبنوع من المقارنة نجد خلال القرن الرابع ميلادي في الحمّامات العامة في اليونان أحواض للاستعمال الفردي، وهو ما لم يكن واسع الانتشار في الحمّامات الرّومانية، على الرغم من أنّ النّصوص القديمة تذكر مصطلح *solium* للتفرقة بينه وبين *piscina* أو *baptisterium* التي تعبّر عن الأحواض

¹ FOURNET (Th.) et REDON (B.), *Le bain grec à l'ombre des thermes romains*, in les dossiers d'archéologie, n°342, 2010, p58.

² MARÉCHAL (S.), Op.Cit, p134.

³ FOURNIER (C.), *Les bains d'al-Andalus (VIII-XV)*, presse universitaire de Rennes, 2016, p60.

الواسعة ذات الاستعمال الجماعي¹، ولم يقتصر استعمال هذه الأحواض الفردية في القاعات الساخنة بل حتّى الباردة، مثل ما وجد في الحمّامات الشرّقية في دالفي Delphes

وفي دراسة " لكارولين فورني" Fournier حول 131 حمّام منها 99 حمّاما خاصّا، بقيت تشغل خلال فترة الإمبراطورية السفلى، 88 منها في المنازل خارج التّجمعات السّكانية villae، و 11 حمّاما خاصّا داخل منازل المدن² domus، في حين تشير الدلائل المادية أنّ الحمّامات العمومية بدأت تفقد وظيفتها مع نهاية القرن الرّابع، وأنّ عددا كبيرا من مواد بنائها استعمل لأغراض أخرى، وهذا راجع إلى غياب الصّيانة في كثير منها، أو بسبب ظهور ثقافة جرمانية لها فكر مخالف عن الرّومانية .

ضف إلى ذلك أنّ القوانين الصّارمة التي كانت قبل القرن الرّابع ميلادي، التي تتدخل في كثير من الأحيان لحماية المباني العمومية وصيانتها، وإصلاح ما لحق به من ضرر أصبحت هشّة، والسّبب راجع بدرجة كبيرة إلى أنّ نبلاء كثير من المدن هم من أسهموا في هشاشة المنظومة القانونية باتفاق مع السّلطات المحلية³، ولنا مثال في مدينة ثاموقادي حيث استغل سارتيوس جزء كبير من الملكية العمومية لبناء منزله أو توسعته كما لعب هذا الأخير دورا هاما في إعادة تهيئة مدينة ثاموقادي، على حد قول " لاسوس".

وإذا سلّمنا بما ذكره "فيتروفيوس" حول الحمّامات الخاصّة، والتي تعتبر مجالا محرّما على الغير الولوج إليه رفقة غرفة النّوم وغرف الطّعام⁴، فإنّ بحثنا يتوقّف عند ما استنتجته، ولكن وجب البحث أكثر في مدى صحة قوله، فلربّما كان على حق فيما يخصّ غرف النّوم، لكن غرف الطّعام والحمّامات ليس هناك دليل على أنّها بنيت فقط لمالكي المنازل، فالأولى من خلال المشاهد الفسيفسائية والرسوم الجدارية يظهر أنّها كانت مفتوحة للغير المقربين أثناء إعداد اللّوائم المختلفة، وبخصوص الحمّامات هناك من الدلائل ما قد يثير أنّ بعضها فتح للغير، لكن في حدود يرسمها مالكيها وقوانين هم صانعوها .

كما يذكر "فيتروفيوس" في إشارة مخالفة لما سبق، أنّ الحمّامات الخاصّة إلى جانب المراحيض قد تشكّل مجال شبه عام *loca communica* يشترك فيه أصحاب المنزل مع الوافدين إليه.

¹ GINOUVES (R.), Sur un aspect de l'évolution des bains en Grèce vers le IVe siècle de notre ère, in B.C.Hé, 1955 , 79, p135.

² FOURNIER (C.), Op Cit, p26.

³ GUIZANI (S.), « Les maisons de l'aristocratie romaine en Tunisie :pouvoir et abus de pouvoir », Art et Pouvoir en Méditerranée antique et médiévale, 4^{ème} Colloque international, I.S.S.H.Tunis 20 - 22 avril 2017. p27.

⁴ VITRUVÉ, Livre 6, Chapitre5.

3-2 الحمامات الخاصة ذات طابع عمومي

يتداول كثيرا من المتخصصين موضوع الحمامات العمومية، التي تستهويهم لجمال عمارتها وهندستها، وقد يتداول بعضهم موضوع الحمامات الخاصة حين يرتبط بحثهم بالعمارة المدنية المتمثلة في المنازل والفيلات، لكن الحديث عن الحمامات الخاصة ذات طبيعة عمومية لا يكاد يطرح للبحث، شأنه في ذلك شأن المنازل الجماعية، في حين دلائل البحث عن هذه الأخيرة ارتبطت بمساحتها وتعدد غرفها من طبيعة واحدة، مما يسهل التعرف عليها، أما الحمامات الخاصة التي تفتح للعمامة صعبة التحديد، فمن حيث هندستها لا تختلف عن العمومية في تعدد الأحواض، وقد تتشابه مع حمامات منازل الخواص، والتي تعرف بتعدد القاعات والأحواض من طبيعة واحدة، فمعيار التعرف عليها وثيق الارتباط بالمنزل أو الفيلا، كأن تكون ملحقة بها على غرار حمامات بومبيانوس، أو قد يفتح على فناء المنزل أو أحد أجزائه بمدخل أو رواق مثل حمامات المنزل شمال الكابتول بئاموقادي، من جهة أخرى من خلال تسييرها، فالحمامات العمومية التي تبنى بأموال الخواص يسند تسييرها وإدارتها إلى مصالح المدينة، في حين الحمامات الخاصة ذات طبيعة عمومية يسيّر أصحابها أو ملاكها. فالحمامات من هذا القبيل هي في الأصل ملك للخواص، لكنها معدة للمنفعة العامة بمقابل يدفعه الزبون لمالكها، مثلما يدفع ثمن استئجار غرفة أو أكثر، وقد تكون بالمجان.

وعرفت في كثير من المدن الرومانية ثقافة بناء منازل للإيجار لجميع طبقات المجتمع، الأغنياء والفقراء وحتى المحرّرين، يمتلكها أثرياء يحصلون من خلالها على دخل معتبر، مثل ما فعل "شيشرون" Ceceron بتأجير منازل للأثرياء، هذه المنازل إما تبنى في مساحات أفقية مثل تلك التي وجدت بمدينة بومبي Pompéi، أو عموديا ذات طوابق مثل المكتشفة بأوستي Ostie، شريطة أن يلتزم أصحابها بالقوانين المحددة لارتفاعها، ففي عهد ترايانوس لا تتعدى 60 قدم (17.70م) في حين كانت في عهد أغسطس محددة بـ 70 قدم (20.72م)¹.

وبالعودة إلى حمامات المنزل شمال الكابتول والذي يسميها "لاسوس"، بحمامات النزل²، أو كما توصفها "جرمان"³ بالمسكن الخاص ذو طبيعة استثنائية، في حين ينعثها "تبار" بالمنزل الجماعي⁴،

¹ CUQ (É.), *La maison romaine à l'époque impériale*, In J.Sav , 15^e année, Juin 1917. p242.

² LASSUS (J.), *Visite à Timgad*, Alger, 1969, p6.

³ GERMAIN (S.), *Les mosaïques de Timgad.....* Op.Cit, p106.

⁴ THEBERT (Y.), *Op.Cit*, p251.

فهذه الحمّامات يتمّ الولوج إليها من خارج المنزل، عبر المدخل المطلّ على الشّارع الشرقي، كما يمكن الدّخول إليها عبر فناء المنزل، فهي من جهة مفتوحة لنزلاء المنزل ومن جهة أخرى للعمامة . ومن خلال الرّمزية الموجودة على الأرضية الفسيفسائية الّتي تتوسّط القاعتين الدّافئة والباردة، وهي التّمني بحمام صحّي، من شأنه تعزيز الحكم على أنّ الوافدين عليها أجنب عن المنزل، وهي نفس الإشارة الّتي نجدها بحمّامات خلفون (انظر الصفحة 62).

وبحمّامات بومبيانوس من خلال إشارات الفسيفساء، خاصّة الكتابة المصاحبة لصور الأحصنة كلّ باسمه، وعبارة سواء ربحت أم لم تريح سنظل نحبك على كلّ حال، إنّما هي رسالة موجهة إلى كلّ من يدخل الحمّامات، فهذه الأحصنة عدّت للسّباقات، وحين ربط الحمّامات بالإسطبل الواسع القريب منها لدلالة هي الأخرى على أنّ المكان الّذي بنيت فيه كان يعرف سباقات الخيول الوافدين من كلّ مدينة أو جهة، والحمّامات في الأصل معدّة لاستقبال الفرسان المشاركين في هذه السّباقات وتوجيه رسالة إليهم، الأولى لإضعاف معنوياتهم وتقوية عزيمة مالك الحمّامات والأحصنة، والثّانية للتعريف بمكانته من خلال هندستها الزّاقية وجمالية المشاهد المصوّرة على الأرضيات الفسيفسائية .

بالمقابل قد تكون الحمّامات موجهة لفئة معينة، كأن تكون ملحقة بورشة أو مرتبطة بالحقول والمزارع، فهي من جهة تستغل من طرف أصحابها ومن جهة أخرى من طرف العمال؛ ولنا في حمّامات قصر فاطمة المثال حول الحمّامات الّتي جعلت لتستقبل عمال الحقول أو مزارع الزّيتون (فالمنطقة غنية بآثار المعاصر)، ثم ما الّذي منع صاحبها من بنائها مجاورة أو لصيقة بالفيلا روستيكا خاصته، فتوفر المياه من عدمه ليس المانع بدليل وجود معصرة الزيتون بالفيلا وهي تتطلّب كمية معتبرة من المياه، إنّما الغرض هو تقريب الحمّامات من مكان العمل اليومي لتستغل مباشرة عقب كلّ نشاط. مثال ثان هو حمّامات الخربة الّتي تبعد عن حمّامات بومبيانوس مسافة تقارب 3 كلم، والّتي أثبتت الحفريات وجود معصرة على مقربة منها مساحتها¹ (157م²)، هذه الحمّامات جعلت لمالكها وأشخاص آخرين ربما عمال المعصرة، والدّليل أنّها كانت تفتح للغير هو تلك الرّمزية الّتي يحملها التّصوير الفسيفسائي على عتبة إحدى المداخل، لها علاقة بالعين والحسد دون شك موجهة للوافدين إليها، وهي إشارة أنّ مالكها صاحب ثروة وجاه.

¹ BERTHIER (A), *Etablissement agricole antique....Op.Cit*, p12.

والمثال الآخر بمدينة ثاموقادي بحمامات ورشة الفخار، على الرغم من صغر مساحتها، إلا أنها ارتبطت في جهتها الشمالية بالورشة ومن الجهة الجنوبية بفناء المنزل، فهي مزدوجة الاستغلال، تارة من طرف أصحابها وتارة أخرى من طرف عمال الورشة سائلة الذكر.

فمعيار التفريق بين هذا الصنف من الحمامات والحمامات الخاصة محدودة الاستغلال والحمامات العمومية مرتبط بثلاث عناصر :

الأول تحدده المساحة، فلا هي بالواسعة ولا الضيقة، بين هذا وذاك، وتتعدد فيها القاعات بين الباردة والساخنة والدافئة، شأنها في ذلك شأن العمومية، مثل حمامات بومبيانوس، لكن هذا المعيار ضعيف الحجة إذ قد تكون مساحتها تنافس مساحة بعض الحمامات العمومية التي لا تتعدى 300م²، مثل حمامات المعمدية بمدينة كويكول، التي لا تفوق مساحتها 200م²، كذلك الأمر مع حمامات جنود الفيالق العسكرية بمدينة جيميلاي ذات المساحة الصغيرة (70م²) .

العنصر الثاني مرتبط بمكان بنائها، فإن كانت خارج المدينة أو التجمعات السكانية، فالأمر هين للتعرف على أنها خاصة وليست عمومية، لعدم توفر العنصر البشري إلا ما ارتبط بتظاهرة أو مهنة أو حرفة، قد تكون على الدوام أو محددة بوقت يمكن أن يتكرر؛ وإن كانت داخل المدينة على الرغم من توفر العنصر البشري، إلا أنها موجهة إلى فئة مرتبطة بمحيطها المكاني ارتباطا مباشرا مثل الورشات، فهي تحقق الراحة البدنية والنظافة الجسدية بعد عناء يوم شاق .

العنصر الثالث تحققه الرمزية والدلالات والإشارات التي يرغب أصحابها في إيصالها إلى كل من يرتادها، هذه الرمزية نجدها خاصة في الأرضيات الفسيفسائية، فصورة أصحابها ومكانتهم تظهر في تنوع المشاهد ودقة انجازها والتفاصيل المعبرة عن موضوع موجه، أو من خلال الكتابات التي تصاحبها.

4- مكونات الحمامات الخاصة وعلاقتها فيما بينها

المبدأ العام في الحمامات خاصة كانت أو عمومية، هو توفر عناصرها المثالية (القاعة الساخنة و الدافئة والباردة)، ولا يعتد بالمساحة في فرض ذلك، إنما بمدى ترابطها فيما بينها لتخلق مجالا حمويا يحقق النظافة والصحة، والبحث في هذه العناصر له من الأهمية ما يعرفنا بما تقدمه لأصحابها، على النقيض من ذلك قد يحيد بعضها عن المبدأ، محدثا شكا حول حقيقتها ووظيفة أجزائها

من قاعات وأحواض، وهو ما يؤثر على فهم طريقة اشتغالها من جهة، وحول المسار المتبع داخلها من جهة أخرى، خاصة إذا تعددت المداخل.

4-1 إشكالية التفرقة بين القاعات الساخنة للحمامات الخاصة وقاعات ذات وظيفة غير حموية

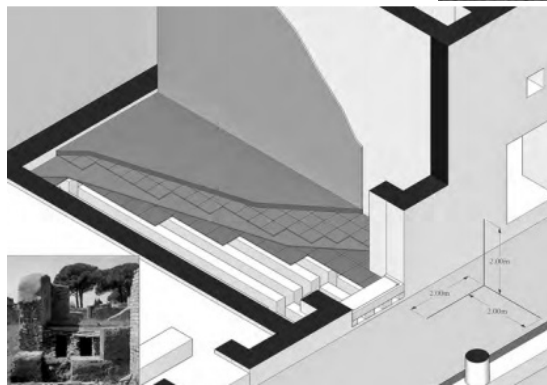
على الرغم من وجود عدة عناصر في الحمامات قد نجدها في مختلف المباني العمومية والخاصة على حد سواء على اختلاف وظيفتها، مما لا يسمح في كثير من الأحيان بالتعرف على هوية المبنى، فلا المساحة ولا مواد البناء ولا حتى بعض التقنيات قد تعطينا دلائل على كونها حمامات، من هنا يتعدى البحث حدود المتشابه منها ليصل إلى الاستثناءات أو الدلائل الخاصة، التي لا تشترك فيها جميع المباني، و قد يصادفنا أثناء التحري الميداني مثل هذه العقبات فتثير جدلا حول هويتها مما يستوجب تفعيل المنهج المقارن، مثلا عند قولنا نظام التسخين التحت أرضي فالكثير من الدارسين وحتى المتخصصين في العمارة القديمة قد ينقادوا وراء ما تركته الأبحاث السابقة وهو أن المبنى حمام، وينسبونه طوعا للفترة الرومانية، لكن قد نجده في غير ذلك وهو ما تثبته الدلائل الأثرية في العديد من المواقع، ويقودنا هذا للقول أن أعمدة الهيبيوكوست ليست دليل قاطع على أن المبنى حمام، إذ مهمة البحث عن حقيقة ذلك ليست سهلة بل معقدة أحيانا، حيث يصعب الجزم على أن القاعة المسخنة بنظام الهيبيوكوست تابعة للقسم الساخن للحمامات الخاصة، على عكس العمومية حيث يعدّ هذا النظام دليل تبنى عليه الفرضية الجازمة بأنها قاعة ساخنة، فأصل المبنى ليس لإيواء الأشخاص كأولوية حتمية. وما يعزز فكرة الصعوبة في التمييز هو غياب دلائل أشرنا إليها في الفصل الأول من البحث، منها :

- الأحواض والخصائص المرتبطة بها،
- مواد البناء التي توحى بطبيعة المبنى،
- نظام تزويد المبنى بالمياه وتصريفها منه،
- غياب نص له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بوظيفة المبنى.

فبعض المنازل وعلى قلتها هناك ما يشير إلى أن ملاكها اعتمدوا نظام تدفئة شبيه بذلك المعتمد في الحمامات، ولدينا مثال في منزل سارتيوس، حيث وجد في إحدى الغرف بالجهة الجنوبية منه بقايا أعمدة الهيبيوكوست، لكنها غير مرتبطة بأي جزء آخر مشكّل للحمامات ولا يوجد دليل مرتبط بعنصر الماء كما في القاعات الساخنة المزودة بحوض أو أكثر، ولا من حيث الترسبات الكلسية التي توجد بقاياها في قاعات الحمامات، مع العلم أن بذات المنزل في جهته الشمالية الشرقية حمامات بقسميها الساخن والبارد، مثال ثاني يقدمه منزل هرمأفروديت حيث عثر فيها الباحثون على قاعتين

ساخنتين، ولم يتم الفصل نهائيا في القسم البارد لها¹، وهو الأمر الذي يثير التساؤل هل حقيقة أعمدة الهيبيوكوست التي تحتل القاعتين، كانت للحمامات أم لغرف المنزل للاستفادة من الدفء أيام الشتاء الباردة؟، ونجد في المنزل غرب حمامات فيلادلف، ما يثير تساؤلا هو الآخر، ففي الركن الشمالي الغربي للمنزل، المشكّل من ثلاث قاعات واسعة، مساحة الواحدة منها تفوق 25 م²، ما بقي منها سوى فتحات مرور الحرارة بينها مبنية بالآجر، هذا الأخير مقاساته بخلاف ذلك المستعمل في جميع حمامات مدينة ثاموقادي، فهو سميك 0.07م ونفس الشيء للملاط المستعمل في بنائه، وهي خاصية بناء نجدها عادة في الفترة الرومانية المتأخرة أو الفترة البيزنطية، من جهة أخرى لا يوجد أي أثر للموقد ولا الأحواض ولا قنوات المياه، فالرّاجح أنّ هذا الجزء من المنزل ما هو إلا قاعات تمّ تسخينها عبر الأرضية²، فالحرارة التي توفّرها مقارنة بالمساحة تعتبر معتدلة وأقل حدة ممّا تتطلبه قاعات الحمامات .

وقد نجد بعض الأرضيات محمولة فوق أعمدة تشبه أعمدة الهيبيوكوست، لكنها معدّة لغرض مختلف تماما، مثل مخازن الحبوب *horrea*، لحمايتها من الاحتكاك المباشر مع الأرضية ومنع الرطوبة من الوصول إلى المخزون .



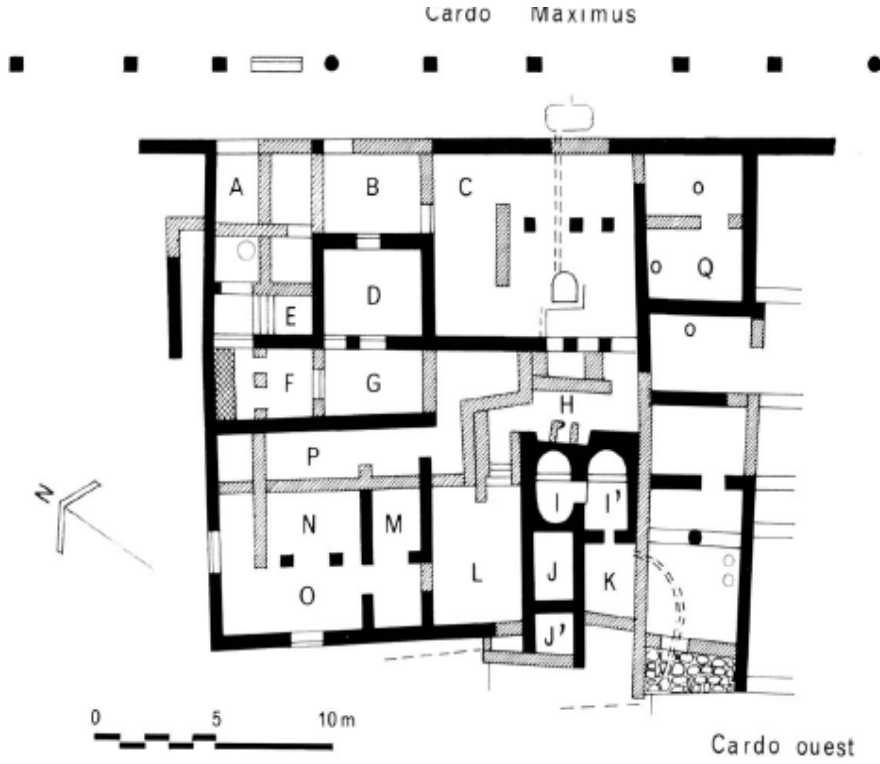
صورة رقم 230: مخزن للحبوب بأوستي³

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, p248

² حين دراسته لحمامات المنزل غرب حمامات فيلادلف، شكّل هذا الجزء استفهاما عند تيبّار ما إن كان حماما أو مجرد قاعات ساخنة THEBERT (Y.), Op.Cit, p249

³ MARTIN (B.) et VIRLOUVET (C.), Entrepôts et trafics annonaires en méditerranée antiquité – temps moderne, EFR, 2016, pp 211 -212.

وقد نجد ما يشبه الحمّامات الخاصّة من أحواض باردة وأخرى ساخنة، ونظام تسخين، لكن ليست بالضرورة مهيّأة للاستحمام، مثال على ذلك ما وجد في منزل الأحواض الصّغيرة بكويكول، حيث يضمّ المبنى أربعة أحواض، إثنين ساخنين ومثلها بارد، بالإضافة إلى قاعة ذات حرارة دافئة، كان الغرض من إنشاءها مرتبط بصباغة الصّوف، حيث تتطلّف في الأحواض الباردة و تصبغ في الساخنة ثمّ تجفّف في القاعة الدّافئة¹.



مخطّط رقم 84:

منزل الأحواض
الصّغيرة بمدينة
كويكول²

وعليه لا بد من البحث عن أدوات أخرى لتحديد طبيعة المبنى، وهي تنطلق من الماء العنصر الأكثر طلبا في الحمّامات، ومن ثمّ البحث عن كلّ دليل من شأنه إثبات وجود آثار الماء سواء الخزانات أو القنوات أو الأحواض، ويتعدّى التّحري إلى آثار التّلبّيس الأكثر استعمالا في الحمّامات، وهو ذلك القائم على مزج الملاط بكسر الآجر ليكسب الجدران تلبّيسا أكثر عزلا لنفاذية المياه خارج الأحواض، أيضا البقايا التي يخلفها الماء كالتّرسبات المتلاصقة بالجدران .

وقد يأخذ البحث عن طبيعة المبنى طريقا آخر بعيدا عن الدّليل المادي البحث، بل من خلال الدّلالات الرّمزية التي تشير إليها الأرضيات الفسيفسائية والرسوم الحائطية -إن وجدت- أو الرّمزية التي تقدّمها التّماثيل، حتّى وإن كان كثير منها غير معروف ما إذا وجد بالحمّامات أم هي مجرد افتراضات تقتضيها ملأ الكوّات التي نجدها بإحدى قاعاتها، مثل حمّامات المنزل شرق السّاحة العامّة

¹ ALLAIS (Y.). *Le quartier occidental de Djemila.....Op.Cit, p105.*

² Ibid, p104.

القديمة بتوبورسيكو نوميدياروم، لكن بإسقاط الكتابات اللاتينية التي تشير حقيقة لبعض المعبودات وربطها بالحمّامات على غرار اسكولابيوس و نيبتون وهيچيا ...الخ، من شأنه إثارة انتباهنا حول ما تقدمه هذه المعبودات للفرد الروماني، فهي حقيقةً مرتبطة بعنصر الماء في الميثولوجيا، لكن بالمقابل ليس بالضرورة ارتباطها بالحمّامات ارتباطاً وثيقاً، حتّى وإن كانت الآلهة الرّاعية للنظافة والصّحة وهي المقومات التي يبحث عنها كلّ فرد للاعتناء بجسمه وراحة باله وصفاء عقله، على حدّ تعبير الشّاعر اللّاتيني "جوفينال" Juvénal « *mens sana in corpore sano* » العقل السّليم في الجسم السّليم .

فوجود نظام التّسخين في القاعات التي لا تحتوي أحواض قد يحكم عليها أنّها خصّصت للاستحمام، بدليل أنّ بعض الحمّامات كانت أحواضها محمولة فوق أعمدة الهيوكوست وليست مبنية، وكثيراً منها ينهار ويتهدّم مع الزّمن، مما يفهم منها عند دراستها أنّها على شاكلتين:

- إمّا أنّها لم تكن أصلاً، وهذا وارد الحدوث.

- أو أنّها كانت موجودة لكن آثارها غير واضحة المعالم.

نتيجة لتلك العوامل، فإنّ من العناصر المهمّة أنّ نربط فهمنا للأحواض خاصّة الساخنة، مع ما توقّر من آثار مجاري تصريف المياه الملتصقة بها أو القريبة منها¹.

في ذات السّياق، من الآثار الأكثر دلالة على حموية المباني والغرف والقاعات وحتّى الأحواض، هو نظام التّسخين العمودي *tubuli*، القائم على التّجاويف الجدارية المهيّأة ببناء أجوري *tegulae* *mammatae*، يسمح بتصاعد الحرارة عمودياً من أرضيتها، لكن هذا الأخير غير موجود في أغلب الحمّامات الخاصّة المدروسة، خلافاً لتلك العمومية، وهذا راجع إلى تدخّل المساحة في اعتماده، فأغلب قاعات الحمّامات صغيرة نسبياً، فالحرارة التي توقّرها الأرضية كافية لتسخينها، عكس العمومية التي تختزل مع التّسّاعة والارتفاع، ومن الحمّامات التي وجد بها هذا النظام، حمّامات المنزل شمال الكابتول، وحمّامات ورشة صناعة الفخّار بثاموقادي .

4-2 التّوزيع الفضائي لعناصر الحمّامات

يشكّل هذا العنصر سمة أساسية للتّفارقة بين المباني الحموية وغيرها من الأبنية، عامّة كانت أو خاصّة، هذا إذا درست مكوناتها مجتمعة لتشكل كتلة مترابطة تخدم عناصر بعضها البعض لآخر، فإنّ كُنّا نتعامل في الحمّامات العمومية مع مجال واسع متعدّد الغرف والأحواض والمداخل، بل ويتعدّى ذلك إلى تعدّد مواد البناء والنّقنيات المتّبعة في إنشاء الأرضيات والجدران والأسقف، فإنّ تعاملنا مع

¹ BOUET (A.), *Chronique thermique*, in *Aquitania*, 16.1990, l'Université Niichelcle Niontaigne- Bordeaux III, p361.

الحمامات الخاصة ذات المساحة المحدودة نسبيا والمجال المغلق على العموم، لا يتعدى البحث عن العناصر الأساسية المحددة، ولا يتشعب للتعرف على قاعات عادة لا نجدها في حمامات المنازل الخاصة، على غرار قاعات المطالعة والتمارين الرياضية وقاعات الاجتماع والملحقات... الخ، بهذا الطرح يشكل الفضاء الحموي المكون من القاعات الباردة والساخنة والدافئة وأحيانا قاعة التعريق أساس البحث للتعرف على الحمامات الخاصة، ولا يتوقف عند هذا الحد، بل يتعداه للتعرف على نظام عملها وترابطها فيما بينها بما يخدم العملية الحموية.

و قد تشكل ورشات حياكة الأقمشة أو صناعة الفخار نقطة التقاء مع الحمامات في الأحواض المهيأة للصباغة والدباغة أو المعدة لتحضير عجينة الفخار، فبمدينة ثاموقادي وجدت 22 ورشة لصباغة الأقمشة، حسب "ويلسون" Wilson بها أحواض مبنية بمختلف المواد وكذا أواني خاصة بها، مصنوعة من الفخار يصل قطر الدائرية منها إلى 0.95م¹، وبالنسبة لورشات صناعة الفخار تم رصد العديد من الأحواض المرتبطة بها، خاصة في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة.



صورة رقم 231: أحواض مرتبطة بصناعة وتشكيل الفخار بورشتين من مدينة ثاموقادي (تصوير الطالب)

وفي هذه النقطة يتدخل نظام التسخين ككل متكامل بجميع مكوناته، ليصنع الفارق بين الحمامات وباقي أجزاء المنزل، وهنا إشارة إلى التفرقة بين الموقد المخصص لها والمواقد الأخرى ذات وظيفة مختلفة تماما عن الحموية، إذ قد تكون أفران مرتبطة بورشة من الورشات مثل الحدادة وصناعة الفخار والدباغة وحياكة الأقمشة... الخ.

¹ MAGALHÃES DE OLIVEIRA (J. C.), Travail, habitation et sociabilité populaires dans les villes de l'Afrique romaine : les quartiers commerçants et artisanaux de Carthage et de Timgad, dans La ville au quotidien. Regards croisés sur l'habitat et l'artisanat antiques (Afrique du Nord, Gaule, Italie), Presses universitaires de Provence, Aix, 2011, p61.

وترتبط الحمامات الخاصة في كثير منها مع فناء المنزل الذي يحتويها، إذ تفتتح عليه لتسهيل عملية الولوج إليها من الداخل، وعند ذكر الأفنية فهي خاصية ميّزت المنازل الفاخرة، إذ تعدّ رمز لإظهار مكانة الأفراد، حيث لم يقتصر دورها على تنظيم الحركة داخل المنزل فحسب، بل تعدّت ذلك إلى أماكن للتمثيل والتباهي، خاصة تلك التي تفتح عليها قاعات الاستقبال¹

أمّا عن العلاقة بين قسمي الحمامات الساخن والبارد، فيضمّنه التناوب بينهما، ففي بعض الحمامات قد يستغنى عن القاعة الدافئة أو قاعة الوصل بينهما، مثل حمامات المنزل غرب حمامات فيلادلف، أو يهيأ رواق يحلّ محلّها مثل حمامات منزل الوحدة 17، أو تكون صغيرة جدا لا تتعدّى مساحتها 3م² مثل حمامات منزل الوحدة 38، وقد يمتد نظام التسخين إليها لتكون حرارتها قريبة من الساخنة مثل القاعة الدافئة لحمامات منزل الحمار، كما يمكن أن يقتصر تسخينها من خلال المدخل الذي يربطها مع الساخنة دون وجود امتداد لذلك النظام مثل القاعة الدافئة لحمامات منزل أوروبا. وإذا أجرينا مقارنة بينها وبين القاعتين الباردة والساخنة، فإنّها تصغرهما مساحة، إذ دورها يقتصر على ضمان عدم التعرّض للتغيّر المفاجئ في الحرارة بين القسمين الساخن والبارد، وإن كان في الحمامات الكبرى أو العمومية أحيانا أكثر من قاعة دافئة، كأن تكون إحدهما قاعة الدخول والثانية قاعة الخروج أو أكثر من ذلك مثل الحمامات الكبرى الشمالية بمدينة تاموقاد.

وقد نجد في بعض الحمامات القسم الساخن وتغيب آثار القسم البارد، هنا نكون أمام احتمالين :

- ✓ الأول مرتبط بإعادة استغلال المبنى والاستغناء عن القاعة الباردة ومن ثمّ حوضها.
- ✓ والثاني أنّ الحمامات لم يكن بها قسم بارد أصلا، فأصحابها أكتفوا بالقاعة الساخنة وحوضها، وفي حال ما أرادوا الاستحمام بالماء البارد يكفي عدم إشعال الموقد.

من جهة أخرى سجّلنا أنّ هناك منازل قد تحتوي أكثر من حمام، مثل منزلي كاستوريوس وأوروبا بكويكول، وهنا يطرح السؤال حول هذا التعدّد في مجال ضيق نسبيا، فهو حتما غير مرتبط بتوفر عنصر الماء من عدمه، لأنّ المجال نفسه وطريقة تموينهما لا تختلف عن بعضهما، لكن الاحتمال الأقرب أنّها هيأت لعمال وخدم المنزل، لضمان عدم الاختلاط مع سادتهم من جهة، ومن قبيل مكافأتهم نظير خدماتهم من جهة أخرى، فهي صغيرة من حيث المساحة مقارنة بحمامات المنزل الأساسية، ولا تفتتح على المنزل، بل يتمّ الولوج إليها من خارجه.

¹ GUIZANI (S.), « l'architecture domestique antique en Tunisie », dans La Tunisie antique et islamique, éditions Nirvana , Tunisie, 2013, p136.

3-4 نظام التسخين " الهيبوكوست "

المقصود بنظام التسخين هو تلك المنظومة المشكّلة للقسم الساخن، يبدأ نظام اشتغالها من الموقد لغرض توفير الحرارة المناسبة، وعند دخول الماء سواء إلى الأحواض مباشرة أو عن طريق تسخينها في قدور معدنية لتتقل عبر قنوات إلى الأحواض الساخنة، وتتم هذه العملية هي الأخرى على مستوى الموقد، الذي قد يتعدّد في المبنى الواحد بحسب الحرارة المراد إنتاجها، أو الأحواض المراد تسخينها، ومن الحمامات التي احتوت أكثر من موقد نذكر:

المدينة أو الموقع	اسم الحمامات
ثاموقادي	• حمامات منزل الوحدة 17
	• حمامات منزل يانوياريوس
	• حمامات منزل انتصار فينوس
	• حمامات منزل سارتيوس
	• حمامات منزل ورشة صناعة الفخار
	• حمامات المنزل غرب حمامات سوق سرتيوس
	• حمامات المنزل شمال الكابتول
	• حمامات المنزل جنوب باب لمبار
	• حمامات المنزل غرب حمامات فيلادالف
كويكول	• حمامات منزل كاستوريوس
	• حمامات منزل الحمار
	• حمامات منزل أوروبا
وادي العثمانية	• حمامات بومبيانوس

أمّا عن العلاقة بينه وبين القاعات الساخنة وأحواضها، فتتحدّد من مكان تموضعه وارتباطها معه، سواء كان ارتباطا مباشرا أو غير مباشر، وما يحدثه من درجات حرارة متفاوتة، بين هذا وذاك، نحصي ثلاثة أنواع تمّ معاينتها ورصدها بالحمامات الخاصة المدروسة، هي:

✓ تسخين الحوض من الموقد الذي يتموضع تحته مباشرة، هنا تكون درجة حرارة المياه مستمّدة من الأرضية أو عبر التّجاويف الجدارية إن وجدت، هذا النوع وجد بشكل كبير في الحمامات الخاصة، من أمثله: حمامات منزل الوحدة 17 والوحدة 38 وحمامات انتصار فينوس وحمامات المنزل شمال

الكابتول وحمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف بئاموقادي، وحمّامات منزل كاستوريوس (الكبرى والصغرى) وحمّامات منزل الحمار وحمّامات منزل أوروبا بكويكول.

✓ النوع الثّاني: يتمّ تسخين مياه الحوض فوق الموقد الذي لا يتّصل مباشرة معه، هنا يتمّ تزويد الأحواض من قدور تسخّن المياه داخلها ثمّ ترسل عبر قنوات إليها، من أمثلة ذلك، الحوض الكبير الساخن بحمّامات منزل يانوياريوس.

هذا النوع كسابقه، تكون الأحواض فوق الأرضية المحمولة بدورها فوق أعمدة، تستقبل الحرارة من الأسفل، الفرق بينهما أنّ النوع الأول حرارته مباشرة وقاعته الساخنة أكثر حدّة من الثّاني، و درجة مياه الأحواض هي الأخرى تختلف بينهما، النوع الأول تبقى مياهه ساخنة على نفس الدرجة والحدّة طيلة اشتعال الموقد، أمّا الثّاني فتتخفّض درجة مياه الحوض تدريجياً.

✓ النوع الثّالث، قليل الوجود وهو الحوض الذي ينخفض عن مستوى أرضية القاعة الساخنة، هذه الأخيرة تكون مسخّنة عبر أرضيتها المحمولة، في حين الحوض يستقبل مائه الساخن من الأواني الموضوعة فوق الموقد، وكلّما بعد عنه انخفضت حدّة حرارة مياهه، من أمثلة هذا النوع الحوضين الساخين بحمّامات إحدى منازل الواجهة البحرية في جهتها الشّمالية بمدينة هيبوريجيوس.

4-4 مقارنة بين الأحواض الساخنة والباردة داخل الحمّامات الخاصّة

من خلال دراسة الحمّامات الخاصّة، الواضح أنّ كثيراً من الأحواض الباردة بقيت محافظة على شكلها، في حين الساخنة أو الدّافئة لم يبق من آثارها إلا القليل، دون شك هذا راجع إلى طريقة بناءها أو تموضعها، فالأحواض الباردة، غالبيتها تهياً في مكان ينخفض عن مستوى أرضية الحمّامات، يختلف عمقها بحسب مساحتها من جهة، وحسب طبيعة الأرضية التي هيئت عليها من جهة أخرى ، فغالبية الأحواض الباردة يتمّ النّزول إليها عبر سلّم مكوّن من اثنان إلى ثلاث درجات، وقد تفوق الدّرجات هذا العدد مثل الحوض البارد لحمّامات بومييانوس، في كلّ الحالات لا يقل عمقها عن 0.70م ولا يزيد عن 1.50 م، هذا ما يسمح للمستحمين التّنعّم باستحمام يغطي جميع أطرافهم، لكن هذه القاعدة ليست ثابتة، إذ قد يكون البعض بنفس مستوى القاعة الباردة وعلوها لا يتعدّى 0.50م ويتم الدّخول إليها عبر عتبة ترتفع عن مستوى الأرضية، مثل الحوض البارد بحمّامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم الذي لا يزيد علوه عن 0.45م.

بالمقابل في القاعات الساخنة وحتّى الدّافئة لا يمكن مشاهدة أحواض الاستحمام لعدّة اعتبارات:

الاعتبار الأول أنه لا يمكن أن تكون في مكان منخفض كون أسفل القاعات ربما يهيئاً نظام التسخين، وبالتالي لا يسمح بذلك .

من جهة أخرى الأحواض الساخنة تكون على شاكلتين:

- إما أن تبنى مسندة على الجدران، هنا ينهار أغلبها بفعل الزمن، وبمجرد انهيار أرضيتها المحمولة فوق اعمد ينهار الحوض.

- وإما أن تكون في شكل أواني معدنية أو فخارية، هي الأخرى لا تقاوم الزمن من جهة أو عرضة لتغيير مكانها الأصلي.

وفي كلتا الحالتين لا يمكننا التعرف على الشكل الحقيقي للأحواض، لكن هذا لم يمنع من تتبع آثارها ومعرفة على الأقل حدودها ومكان وجودها.

أما عن أصل التفرقة بين الأحواض الساخنة والباردة، فالشكل لا يعطي فرقاً جوهراً ، إذ نجد المستطيلة والمربعة والتّصّف دائرية في كليهما، لكن في طريقة تلبّيسهما الاختلاف يظهر خاصّة في حالة الأحواض الساخنة التي يتمّ تسخينها عبر التّجاويف الجدارية، وبالتالي يكون سمكها أكبر من سمك التّلبّيس في الباردة، وهو ما يعطينا قراءة حقيقية حول طبيعتها مثل ما وجدناه في أحواض حمّامات ورشة الفخّار بثاموقادي، لكن الأحواض العادية أو التي يكتفي بتسخينها من الأرضية فإنّ سمك التّلبّيس قد يتشابه مع الباردة .

4-5 تعدّد الأحواض في الحمّامات الخاصّة ودلالاتها

قد تكتفي بعض الحمّامات بحوض واحد أو اثنان على أكثر تقدير، كما قد يزيد العدد أكثر من ذلك، هذا التّعدّد قد يمسّ الأحواض من نفس الوظيفة، بمعنى تعدّد الأحواض الباردة أو الساخنة، في هذه الحالة تتدخّل المساحة لتهيئة أماكنها، كما يتدخّل توفّر عنصر الماء، ففي بعض المدن هذا التّعدّد لا يمكن تحقيقه إذ يكتفي بحوض بارد وساخن على الأكثر مثل حمّامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتاتوروم لصعوبة الحصول على الماء بصفة مستمرة، لكن في الحمّامات الملحقة بالمساكن الريفية التي تمتاز بمساحة واسعة نسبياً وتوفّر الماء باستمرار، حتّى وإن لم تتعدّد الأحواض، فإنّ مساحتها تكون كبيرة، مثل الحوض البارد بحمّامات بومبيانوس، واعتماد حوضين مثل ما وجد بالقسم البارد بحمّامات هنشير الصّفية.

وإذ نتساءل عن سبب هذا التّعدّد، فإنّ كان الاستعمال مقتصرًا على أصحاب المنزل، فلا ضرورة لذلك إذ يكفي حوض بارد وآخر ساخن، فالعدد ليس كبير لاستحداث أخرى، لكن العبرة مرتبطة بمن يستعمل

الأحواض من جهة، ومحاولة تقليد المخطط العمومي للحمامات من جهة ثانية، أمّا الأول مثلما أشرنا إليه سابقاً، أنّ الحمامات الخاصة قد تفتح لغير أصحابها، هنا التّعدّد جائز ويتّفق مع ثقافة الاستحمام الجماعي الذي يبحث عنه الفرد الرّوماني لكن بخصوصية أكثر وامتلاءات شخصية.

والجدول التّالي يبين الحمامات الخاصة بالشرق الجزائري وعدد أحواضها بين الساخن والبارد.

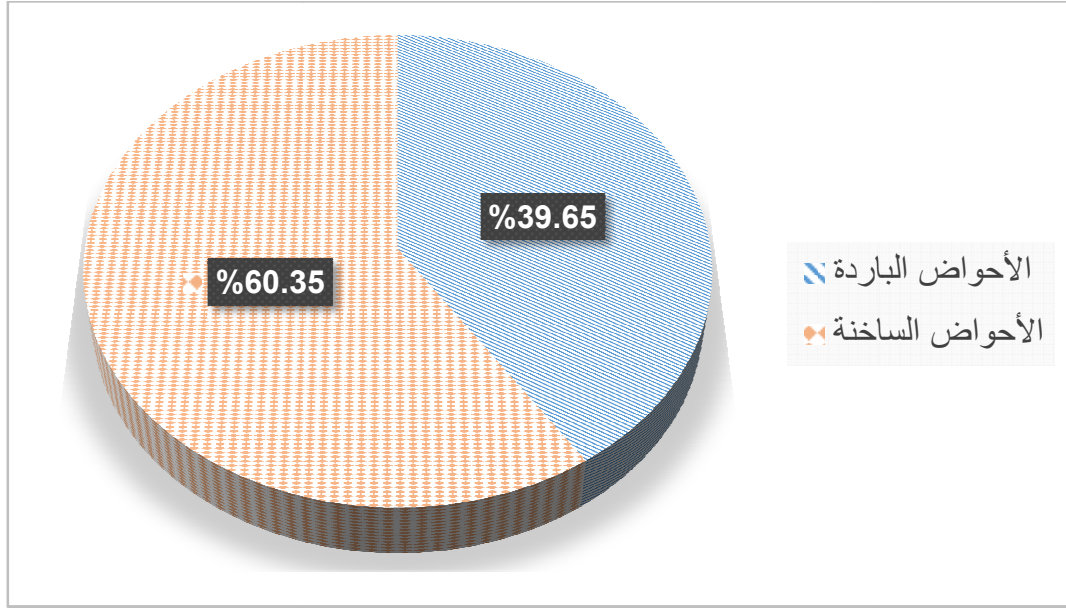
تسمية الحمامات	مكان وجودها	عدد الأحواض	الباردة	الساخنة
حمامات منزل الحمار	كويكول	03	02	01
حمامات منزل كاستوريوس ¹	كويكول	05	03	02
حمامات منزل باخوس	كويكول	02	01	01
حمامات منزل أوروبا	كويكول	05	02	03
حمامات منزل الجص	كويكول	02	01	01
حمامات منزل الفسيفساء	كاستلوم تيديتانوروم	02	01	01
حمامات بومبيانوس	وادي العثمانية	04	01	03
حمامات منزل سارتيوس	ثاموقادي	03	01	02
حمامات منزل هيرمافروديت	ثاموقادي	01	00	01
حمامات ورشة الفخّار	ثاموقادي	03	00	03
حمامات منزل انتصار فينوس	ثاموقادي	01	00	01
حمامات منزل الحوض	ثاموقادي	01	00	01
حمامات منزل يانوياريوس	ثاموقادي	02	01	01
حمامات منزل الوحدة 17	ثاموقادي	03	01	02
حمامات منزل الوحدة 38	ثاموقادي	02	01	01
حمامات منزل الوحدة 69	ثاموقادي	01	00	01

¹ الأحواض الموجودة في الحمامين الكبير والصغير في جهتها الشماليّة ونفس الأمر مع حمامات منزل أوروبا.

01	00	01	ثاموقادي	حمّامات المنزل جنوب باب لمبار
02	01	03	ثاموقادي	حمّامات المنزل غرب حمّامات فيلا دالف
01	01	02	ثاموقادي	حمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس
01	00	01	هيبوريجيوس	حمّامات المنزل ذو الطوابق
02	01	03	هيبوريجيوس	الحمّامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية
؟	01	01	هيبوريجيوس	حمّامات منزل متاهة المينوتور
01	02	03	بئر العاتر	حمّامات هنشير الصّفية
00	01	01	مادوروس	حمّامات منزل الحمّام
01	00	01	توبورسيكو نوميداروم	حمّامات المنزل شرق السّاحة العامة القديمة
01	01	02	العيون - الطارف	حمّامات قصر فاطمة
35	23	58	المجموع	

جدول يبين المقارنة بين عدد الأحواض الباردة والسّاخنة بالحمّامات الخاصّة

الأحواض الباردة	الأحواض السّاخنة
23	35



شكل رقم 09: مقارنة بين عدد الأحواض الباردة والساخنة بالحمّامات الخاصة (انجاز الطّالب)

4-6 الحمّامات التي تحتوي أحواضا دافئة

قد شاع أنّ بالحمّامات نوعين من الأحواض (الباردة والساخنة) ، هذه الأحواض تكون في جزء من أجزاء القاعات التي تحتويها ، فإن كان الحوض بارد فهو تابع للقاعة الباردة، وإن كان ساخنا فهو تابع حتما للقاعة الساخنة، بالمقابل لا تذكر القاعة الدافئة إلا كمكان للانتقال بين القسمين الساخن والبارد، فدورها الأساسي هو خلق جو يتناوب فيه الجسم بين درجات الحرارة العالية، وحرارة الجو العادية بالجزء البارد، بالتالي هي لا تحتاج إلى حوض، لكن الواقع يثبت خلاف ذلك إذ في عدد لا بأس به من الحمّامات وجدت بالقاعات الدافئة أحواضا مائها هي الأخرى دافئة ، ويتمّ تسخينها بطريقة غير مباشرة من الأرضية المحمولة فوق أعمدة أو عبر جدرانها مثل حمّامات ورشة الفخار بثاموقادي ومن الأمثلة خارج حدود الدراسة نجد مثلا¹:

- حمّامات جبل بارني Mont-Berny بـ مدينة واز Oise بفرنسا

- فيلا أدريانا villa Hadriana بمدينة تريفولي Trivoli

- فيلا يوفيس villa iovis بمدينة كابري.

ومن الحمّامات التي تحتوي حوضين دافئين نجد²:

- الحمّامات الكبرى بسيزاري

- الحمّامات الكبرى الجنوبية بكويكول

¹ BOUET (A.), Thermes privés et publics Op.Cit, p102.

² Ibid, p104.

- حمّامات أونطونين بقرطاج
- الحمّامات الكبرى الشرّقية بمكثّر

وقد يختلف شكل ومساحة الأحواض الدّافئة على شاكلة الأحواض الباردة والسّاخنة، إذ قد نجد المستطيلة والمربّعة ومتعدّدة الأضلع والنّصف دائرية والدّائرية، وعلى الرغم من أنّ الأحواض الدّافئة بالحمّامات التي مستها الدّراسة لم نجد فيه الدّائرية ولا متعدّدة الأضلاع، فقط رباعية الشّكل والنّصف دائرية، نفس الشيء وجدناه مع الباردة والسّاخنة، لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى بعض الحمّامات -خارج حدود الدّراسة- والتي احتوت أحواضا دافئة متعدّدة الأضلاع مثل¹ :

حمّامات تريفولي بايطاليا ، وحمّامات الصّيد بلبتيس ماقنا *Leptis Magna* ، وبأثينا الحمّامات قرب الأولمبيسيون *près de l'olympicion* وحمّامات الفوروم بأوستيا، وحمّامات ماكسنس بروما، وحمّامات شمال غرب المسرح ببولا ريجيا وحمّامات الغربية بتيسدروس (الجم).

4-7 المسار الحموي داخل الحمّامات الخاصّة

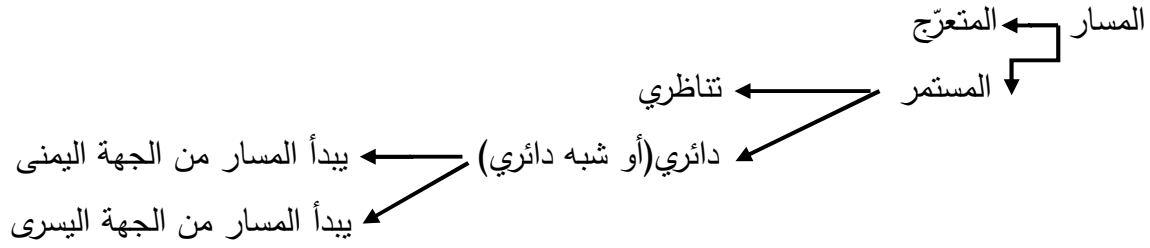
قد لا يشكّل المسار الحموي في الحمّامات العمومية إشكالا كبيرا في التّعرف عليه، حيث يختار المستحمون طريقهم بمجرد الدّخول إليها، ولهم الخيار في إتباع ما يرونه مناسبا، ما لم يكن المسار محدّدا من طرف القائمين على تسيير المبنى وتنظيم الحركة داخله، فإذا كان المخطّط تناظريا فحرّية الولوج إلى الأحواض تزداد، فالمساحات المفتوحة تسمح لهم باختيار من أي مكان يبدؤون وإلى أين ينتهي بهم المسار .

وعلى العموم يتّخذ المستحمون إمّا المسار المتعرّج أو المستمر، وفي الحالتين يحدّد مخطّط الحمّامات وتموضع القاعات والأحواض أيّ المسارين يتّبع، فإذا كان في الأول يبدأ المستحمون بالقاعة الباردة ثمّ الدّافئة لينتهي بهم الأمر إلى القاعة السّاخنة، وهنا يمكن أن تزوّد جميعها بأحواض كما يمكن أن يحتوي قسم دون آخر على ذلك.

وإذا اختار المستحمون المسار المستمر، بإمكانهم المرور على نفس القاعة مرتين الأولى في الدّخول والثّانية عند الخروج، وكثيرا ما تكون القاعة الدّافئة في المسار المستمر ذات وظيفتين الأولى عند الدّخول تحضيرا للولوج إلى القاعة السّاخنة والثّانية عند الخروج لتخفيض درجة حرارة الجسم قبل الوصول إلى القسم البارد، حتّى لا يحدث للجسم صدمة هوائية جراء التّغير المفاجئ في درجة حرارته .

¹ BOUET (A.), *Thermes privés et publics* Op.Cit, pp 98-100.

كما يصطلح على تسمية هذا المسار بالمستمر التراجعي، ويحدد "تيبار" مسار المستحمين إلى قسمين وفق المخطط التالي¹:



إذا كان هذا شأن الحمامات العمومية، فالأمر ليس بالسّهّل في الحمامات الخاصة، حيث تختلف باختلاف عدد القاعات والغرف والأحواض واختلاف المساحات والمداخل، كما لا يشكّل تحديد المسار من الناحية التنظيمية أهمية كبيرة عكس العمومية، لكن يحدّد المسار وفق ما تملّيه الضرورة الصحيّة لجسم الإنسان .

من وجهة نظر نمطية، ما يلاحظ على مخطّطات الحمامات الخاصة هو إتباع التكرار المقصود، على الرغم من أنّ مخطّطاتها بسيطة حيث يعرف في كثير منها تتابع الغرف بشكل توافقي، هذا راجع إلى سببين هما: سهولة الانجاز ونقص التكاليف، بالإضافة إلى تدخل عامل التزوّد بالمياه وقنوات الصرف، التي وجدت في كثير من المنازل قبل إنشاء الحمامات، لهذا قد نجد بعض الحمامات تختزل في قاعتين أحدهما باردة والأخرى ساخنة، وبالتالي المسار الحموي بدوره يختزل في هذا المجال الضيق، إذ قد يستغنى المستحمون على الحوض الساخن أيام الصيف وبالمثل الحوض البارد وقت الشتاء.

كما أنّ المسار الكلاسيكي من الحوض الساخن إلى البارد مروراً بالدافئ، كان الغرض منه تمرير الجسد على مراحل للاستحمام والاسترخاء، وهو ما يمكن استنتاجه من الأحواض المزودة بسلم ذووظيفتين، الأولى تملّيهما الضرورة الوظيفية للنزول إلى الحوض والصعود منه، والثانية للسماح للمستحمين الجلوس فترة طويلة في المياه لتخفيف آلام الجسم² خاصة الرجلين بعد عناء اليوم.

وتشير الكتابة التي وجدت بحمامات المنزل شمال الكابتول بثاموقادي *bene lava* مصاحبة لفسيفساء أحذية الاستحمام والتي تعني حمّاماً جيداً في اتجاه القاعة الدافئة، والكتابة الثانية *saluum lavis* في

¹ THEBERT (Y.), Op.Cit, p119.

² SCHEID (J.) et Al., Le Thermalisme, Approches historiques et archéologiques d'un phénomène culturel et médical, CNRS Éditions , 2015, pp 43-44.

اتجاه القاعة الباردة والتي تعني أنّ الحمام كان نافعا، وهي إشارة إلى أنّ الفعل الحموي لا يتمّ إلا باستعمال الأحواض الساخنة، حتّى يعتبر حمّاما نافعا وصحيا.

فالمسار الحموي في الحمامات الخاصة المدروسة على ثلاث أنواع:

- مسار بسيط مباشر وتراجعي، يتحقّق في الحمامات الصّغيرة التي تكون قاعاتها وأحواضها متسلسلة على محور مستقيم، مثل ذاك المتبع في حمامات منزل الوحدة 38 ومنزل يانوياريوس ومنزل الحمار ومنزل أوروبا.
- مسار متعرج، مثل الذي نجده في الحمامات التي تفرض هندسة بنائها عدم استقامة قاعاتها على محور واحد مثل حمامات هنشير الصّفية.
- المسار الشّبه دائري، يتحقّق في الحمامات ذات المساحة المعتبرة نسبيا، مثل حمامات المنزل شمال الكابتول، وهو المسار الذي يختزل عند الفراغ من الاستحمام، قاعة أو اثنين اتبعت عند الدّخول.

الملاحظ في الحمامات الخاصة المدروسة غياب المسار المستمر اللاّ تراجعي ، الذي يختلف فيه مكان الخروج عن الدّخول.

5- تقنيات بناء وتلبّيس الجدران وتبليط الأرضيات

هذا الجزء مرتبط بما تمّ معانيته في الفصل الثّاني من مواد البناء التي استعملت في الحمامات الخاصة، إلى جانب تقنيات بناء الجدران والتي لا تختلف من حيث المبدأ، لكن توجد بعض الخصوصيات من منطقة إلى أخرى، إلى جانب تقنيات تلبّيس جدران القاعات والأحواض، وإن كانت متشابهة مع ما وجد في أحواض المنازل والخزّانات، فالغرض نفسه وهو استعمال مواد وتقنيات تمنع تسرب المياه، هذا ما سنحلله بمعرفتنا طريقة انجازها، إلى جانب تقنيات تبليط الأرضيات، وهي على العموم ثلاث أنواع، الأولى باستعمال البلاطات الحجرية الكبيرة، التي توجد عادة في القاعات الواسعة أو الأروقة، والتبليط باستعمال مكعبات كبيرة من الطّين المشوي أو القطع الآجورية، والثالثة باستعمال المكعبات الفسيفسائية، وهي نوعان ، تلك الحاملة للمشاهد الملونة أو تلك المشكلة بلون واحد.

5-1 تقنيات بناء الجدران في الحمامات الخاصة

لا تشكّل التقنيات المعتمدة في بناء الحمامات اختلافا كبيرا عن ما نجده في المباني الأخرى، سوى بعض الجزئيات المتعلّقة بالأحواض أو بنظام التّسخين، التي تختصّ بها دون غيرها، ومن

التقنيات التي وجدناها في الحمامات الخاصة المدروسة، لا تخرج عن خمس تقنيات هي التقنية الإفريقية، تقنية البناء بالآجر، التقنية المختلطة وتقنية البناء بدبش الحجارة والبناء بالحجارة الصغيرة منتظمة الزوايا، هذه التقنيات سمحت بالحصول على جدران متماسكة من حيث الإنشاء، والاختلاف فيما بينها يظهر في سمكها، والذي يتراوح بين 0.50م و أحيانا يفوق 1م، خاصة في قسمها الساخن، ولا يشكل هذا استثناء بل هو مرتبط بمجال بنائها ومجاورتها لباقي أجزاء المنزل، لعزلها عنها حراريا، وتجنب الرطوبة التي تحدثها درجات الحرارة العالية، والتي قد تؤثر على جدران الغرف، خاصة تلك الملبسة بالجص أو التي تحتوي على رسوم جدارية لتحافظ على نضارة ألوانها، من جهة أخرى لإكساب المبنى متانة، خاصة في الجدران الخارجية، من أمثلة الحمامات التي يزيد سمك جدرانها عن 1م، نجد بمدينة تاموقادي حمامات المنزل شمال الكابتول، إذ يصل سمك الجدار الخارجي للقاعة الساخنة في جهتها الجنوبية إلى 1.10م، كذلك الجدار الفاصل بين هذه الأخيرة والرواق مع الباردة يصل إلى 1.26م، وحمامات منزل هيرمافروديت، حيث يصل سمك الجدار الخارجي للقسم الساخن في جهتها الشمالية إلى 1.15م وبنفس المدينة الجدار الجنوبي للقاعة الساخنة لحمامات منزل يانوياريوس يصل إلى 1.05م، والجدار الخارجي الشمالي لمنزل انتصار فينوس 1.18م، أما الجدران الداخلية الفاصلة بين مختلف القاعات فهو محصور بين 0.50م و 0.60م. وهي مبنية إما بالآجر أو بالحجارة الدبشية.

فالتقنية الإفريقية القائمة على تناوب الحجارة الكبيرة المترابطة عموديا والحجارة الصغيرة، استعملت في الحمامات الخاصة في جدرانها الخارجية، بما يتوافق مع المبنى ككل، فهي من حيث البناء والتركيب سهلة للحصول على مستويات كبيرة.

وتقنية البناء بالآجر تقريبا لا تخلو من جميع الحمامات الخاصة، حتى وإن كان استعمالها في بعضها محدود، فإنها استعملت في أخرى تقريبا في جميع أجزائها مثل حمامات المنزل غرب حمامات فيلادالف حيث بنيت الجدران بالآجر في قسميها البارد والساخن، ولكن يبقى استعمال الآجر ضروري في بناء المواقد، حتى الأعمدة الحاملة لأرضية القاعات الساخنة هي الأخرى استعمل فيها الآجر مربع الشكل بمقاسات متماثلة (0.19×0.19)م وأحيانا (0.20×0.20)م، هي نفسها المقاسات التي نجدها في الحمامات العمومية؛ ولا ينخفض ارتفاعها عن 0.50م ولا يفوق بأي حال 1.20م، وهذا لتكون القاعات الساخنة بنفس مستوى الباردة، خاصة حين ارتباط هذه الأخيرة مع الدافئة.

وقد استعمل الآجر بأنواع عدة من حيث الشكل، فنجد المربع على غرار ما ذكر في أعمدة الهيبوكوست، إلى جانب استعماله في بناء الجدران، لكن بنسبة محدودة ولنا مثال في جدران منزل مائة المينوتور بهيبوريجيوس، إلى جانب المستطيل للحصول على مستويات أفقية محكمة، مقاساته لا

تختلف عن تلك المذكورة عند "فيتروفيوس" 1 قدم إلى قدم ونصف (0.30م إلى 0.44م)، واستعمل الآجر المثلث بشكل خاص في الحواف العليا لبعض الأحواض، على غرار الحوض البارد بحمامات منزل كاستوريوس، أما الآجر الدائري الذي استعمل في بعض الحمامات خاصة في أعمدة الهيبيوكوست، فلم نعثر على عينات منه في المواقع المدروسة.



صورة رقم 232: الآجر المربع (منزل هيرمافروديت) (تصوير الطالب)



صورة رقم 233: الآجر المثلث (منزل الوحدة 17 بئاموقادي) (تصوير الطالب)



صورة رقم 234: الآجر المستطيل (منزل ورشة الفخار) (تصوير الطالب)

التقنية الثالثة الأكثر استعمالاً هي المختلطة بين الآجر والحجارة الصغيرة، نجدها من حيث البناء نوعان: الأول بمستوى أفقي (صفوف من الآجر تعلوها صفوف من الحجارة الصغيرة)، لكن هنا يتدخل عامل الترميم الذي يؤثر أحياناً على عراقة المبنى وأصل البناء، إذ اعتمد المرممون على سهولة البناء، فالآجر يسمح لهم بجعل الجدار أكثر دقة، واستدراك أي خلل قد يحدث.

والثاني بمستوى عمودي، ونجد هنا الآجر على جانبي المداخل للتحكم في شاقولية الأبواب .

وقد استعملت هذه التّقنية كذلك في تدعيم الأحواض الباردة وإكسابها متانة أكثر، خاصّة تلك التي ترتفع إحدى جهاتها عن الأرض أو الشّارع، مثل الحوض البارد لحمامات المنزل غرب حمّامات فيلادلف، والحوض الغربي لحمامات منزل الحمار.

التّقنية الرّابعة، هي تلك القائمة على حجارة صغيرة غير مشذبة أو البناء بالدّبش، وإن كان هذا الأخير استعمل بشكل واسع في الحشو، خاصّة في الجدران السّميكة، فقد استعمل كذلك في الواجهات.

التّقنية الخامسة، هي تلك المعتمدة على حجارة صغيرة منتظمة، فهي من حيث الشّكل العام لا تختلف في النّتيجة عن البناء بالآجر، إذ نتحصّل من خلالها على جدران مستوية (أفقيًا وعموديًا)، وقد استعملت هذه الأخيرة في معظم الحمامات الخاصّة بمدينة كويكول.

كلّ هذه التّقنيات تطلّبت مواد بناء سهلة الحصول والتّشذيب والقلوبة، فاختلّفت بذلك بين الحجارة الكبيرة والصّغيرة والآجر، جميعها محلّية جلبت من المحاجر التي لا تبعد عن المدن أو التّجمعات السّكانية، حتّى ورشات صناعة الآجر هي الأخرى محلّية.

صورة رقم 235: تقنية البناء بالآجر
(منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم)
(تصوير الطّالب)



صورة رقم 236: التّقنية الإفريقية (حمّامات
منزل الحمار) (تصوير الطّالب)



صورة رقم 237: التّقنية المختلطة (حمّامات
منزل سارتيوس) (تصوير الطالب)



صورة رقم 238: تقنية البناء بالحجارة الصّغيرة
المنتظمة (حمّامات منزل أوروبا) (تصوير
الطّالب)



صورة رقم 239: تقنية البناء بالدبش (حمّامات
منزل الحمار) (تصوير الطّالب)



5-2 تقنيات تلبيس الجدران

الملاحظ في تلبيس الجدران استعمال الملاط الممزوج بكسر الآجر *testaceo* بشكل واسع، خاصة الأحواض فهو يمنع نفاذية المياه خارجها، وينصح فيتروفيوس¹ باستعماله أيضا في المستويات السفلى للجدران حتّى يمنع صعود المياه عبر مساماتها، وينجز على علو ما بين 0.60 و 0.70م.

ولا يوجد مانع في استعماله حتّى في الواجهات الخارجية، إذ قد يفوق العلو ما نصح به "فيتروفيوس"، حيث وجد في مواقع - خارج حدود الدراسة- مثل ما وجد بمنزل يوليا فيليكس *julia felix* بمدينة بومبيي، يغطي ارتفاع ثلاث أقدام ونصف (1.06م)، للحماية من الرطوبة وتسلل مياه الأمطار إلى الداخل²، أمّا استعماله داخل الحمّامات خاصة الأحواض، فإنّ سمكه يختلف بحسب طبقات التّلبيس، الّتي لا تقل عن طبقتين وبالتالي تجعل السّمك يصل أحيانا إلى 0.07 م، إلى جانب

¹ VITRUVÉ, Livre VII, Chapitre 4.1.

² ALLAG (C.) , BARDET (A.), *Techniques de préparation des parois dans la peinture murale à Rome*, in M.E.F.R, T84, 1972, p 967.

الملاط المركّب من غبار أو بودرة الرّخام، مثل ما استعمل في الحوض البارد بحمّامات منزل متاهة المينوتور بهيبوروجيوس، والملاحظ في المستويات السفلى في بعض الأحواض انجاز وطيدة، سمكها لا يقل عن 0.05 م وارتفاعها بين 0.05 و0.07م، وظيفتها منع تسرب المياه في مكان الوصل بين الجدار و مستوى الحوض، مثل ما تمّ معاينته في مدينة كويكول في الحوض الشمالي البارد لحمّامات منزل الحمار، والحوض البارد للحمّامات الصّغرى لمنزل كاستوريوس، الحوض البارد لحمّامات منزل أوروبا، وبثاموقادي الحوض البارد لحمّامات سارتيوس.

استعمل كذلك الرّخام في بعض الحمّامات، جلب هذا الأخير من محاجر مختلفة قد تبعد عن المواقع المدروسة، استعمل خاصّة في تلبيس الأحواض وبعض القاعات، وتشير بقاياها المتصّقة بالجدران إلى نوعه من خلال ألوانه، وهو ما يمكن التّعرف على أصله مبدئياً قبل القيام بدراسته تقنياً، ورغم أنّ بقايا الرّخام قليلة بالمواقع المدروسة إلا أنّ هناك نماذج عنها، مثل ما وجد بالحوض الغربي للحمّامات الخاصّة شمال منازل الواجهة البحرية بهيبوريجيوس، وهو رخام مجلوب من محجرة بن جراح (ماونة بقالمة) التي تبعد عن الموقع بنحو 70 كلم، وقد استعمل الرّخام بشكل ألواح مربّعة متلاصقة فيما بينها بحيث لا تسمح بنفاذية المياه خارج الحوض، وبمدينة كويكول استعمل الرّخام *greco scritto* وهو رخام رمادي اللون ذو حبيبات متوسطة .

5-3 تقنيات تبليط الأرضيات

بلّطت أرضيات الحمّامات الخاصّة بالشرق الجزائري، بأربعة تقنيات:

النّوع الأول: بالبلاطات الحجرية، ونجدها في القاعات الكبيرة، وهي بلاطات قد يفوق طول الواحدة منها 1م، مثل القاعة الباردة بمنزل الوحدة 17 بثاموقادي، وكذا القاعة الباردة بمنزل الوحدة 38، والقاعة الباردة لحمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس بنفس المدينة.

النّوع الثاني: بلّطت أرضيات بعض الحمّامات بقطع مستطيلة أو مكعّبة، مصنوعة من الآجر أو الطّين المشوي، أمّا الصّغيرة حجمها 0.03م³، في حين المستطيلة مقاساتها (0.07×0.03)م²، مثل ما وجد في حمّامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم في الحوضين البارد والسّاخن.

النّوع الثالث: استعمل فيه المكعّبات الحجرية أو الرّخامية، خاصّة في الأحواض، وهي نوعان: الصّغيرة مشكّلة لتقنية *opus tessellatum* بألوان مختلفة، لإبراز الأشكال والمشاهد المصوّرة على التّبليط، والثّانية مكعّبات متوسّطة ذات لون واحد، أغلبها الأبيض، مثل الحوض الشمالي البارد بحمّامات منزل الحمار. إلى جانب استعمال الرّخام في مكعّبات الأرضيات الفسيفسائية، هنا يختلف نوعه باختلاف

الألوان التي يرغب فيها الفنان لتصوير المشهد المهيأ للتركيب على أرضيات الحمامات، فنجد الأبيض والرمادي والأخضر والبرتقالي... الخ، وإن كانت هذه العملية لا تتطلب مساحات كبيرة أو ألواح رخامية إذ تستعمل فيها القطع المتبقية عند انجاز التماثيل أو الأعمدة.. الخ، أما مصدرها فيختلف، فمنها ما جلب من محجرة فليفلة بسكيدة وحتى من بوحنيقية بمعسكر وقليل منها من شمتو بتونس.

النوع الرابع: تهيئة أرضيات الأحواض الخالية من الفسيفساء بملاط مماثل للذي استعمل في تلبيس جدرانها، وأحيانا يملّس بطبقة من الملاط الجيري.

صورة رقم 240: جزء من أرضية
المنزل غرب حمامات سوق
سارتيوس (تصوير الطالب)



صورة رقم 241: جزء من أرضية
منزل الفسيفساء بكاستيلوم
تيديتانوروم (تصوير الطالب)



صورة رقم 242: أرضية إحدى
قاعات القسم البارد بحمامات منزل
متاهة المينوتور (تصوير الطالب)



6- دلالة الديكور داخل الحمامات الخاصة

تختلف العناصر التزيينية بين الحمامات العامة والخاصة باختلاف المجال الواسع أفقيا وعموديا، إذ نجد في الأولى إلى جانب الأرضيات الفسيفسائية، تماثيل لآلهة وشخصيات ميثولوجية مختلفة، لكن هذه الأخيرة غير متوفرة في حمامات الخواص أو محدودة جدا، في المقابل تشير بعض النقوش اللاتينية المكتشفة إلى معبودات وآلهة اقترنت بها، وتبقى الفسيفساء بمشاهدها المتنوعة كتاب يحاكي مكانة الأفراد وتصوراتهم للحياة اليومية وبيئتهم، هذا ما يخلق تنوعا واسع النطاق في بعض الحمامات، من جهة أخرى التعدد في المشاهد والتنوع في اختيار الألوان من شأنه إضفاء صورة جمالية ووظيفية على أرضيات القاعات والأحواض، الأولى ذات صلة بالراحة النفسية التي يتطلبها الأفراد حين دخولهم الحمامات، والثانية الحتمية التي تفرضها النظافة عقب كل استعمال لها .

6-1 العلاقة بين عنصر الماء والمعبودات

تشكل المياه في ذهنية الأفراد والمجتمعات القديمة علاقة حميمية مع الميثولوجيا، وهي فكرة متجذرة في العقلية تفرض وجودها على الفرد وتجعله محكوما بشخصيات إلهية يفرضها الانتماء والخضوع والامتثال، هذه الخاصية كثيرا ما نجدها في محطات المياه، ولنا في مدينة توبورسيكو نوميداروم المثال عن ارتباط نيبتون بالماء إذ شيد له معبدا يطلّ على النافورة، أقيم له تمثال من الرخام معروضا حاليا بمتحف المسرح الروماني بقالمة.

بذات المدينة عند منبع عين اليهودي شيدّ معبد الحوريات المائية، هذا النوع من المنشآت معروف حتّى قبل الفترة الرّومانية، حيث ارتبط بالآلهة والأرواح البربرية، وحسب اعتقاد سكان تلك الفترة أنّ لها القدرة على توفير المياه وديمومة جريانها¹.

وبمدينة لمبايزيس وجدت عديد النقيشات اللاتينية تبين عبادة نيبتون عند منبع عين درين، كذلك الأمر بمدينة ثاموقادي شيدّ معبد لتقديس المياه، *aqua septimiana felix* يؤرخ بـ213 (فترة حكم كركلا)، يحتوي هذا المعبد على ثلاث كوّات للآلهة اسكولابيوس وسيرابيس والإلهة الراعية للفرد الروماني *dea patria*، هذه الآلهة وجدت لمرافقة المياه المنقّذة أو المحافظة على الحياة *eaux salvatrices*².

فالأمر مرتبط بأماكن العبادة التي لها علاقة بمصادر المياه والحمامات، هنا لا بد من إبراز هذا الارتباط التّعبدي إن خصّ الأحواض الباردة أم الساخنة .

لا يمكننا المبالغة في التأكيد على تنوّع الآلهة فيما تعلّق بعبادة المياه، إذ يمكن أن تتولّى الآلهة الرّسمية العلاقة بين الأفراد والغاية من التّعبّد بعنصر الماء، كما يمكن إشراك الآلهة المحلية في ذلك؛ حتّى الشّخصيات الميثولوجية كالحوريات يمكنها أن تحلّ محلّ الآلهة، بالإضافة إلى ذلك، يجب أن نعلم أن جميع الآلهة يمكن أن تتدخل بطريقتها الخاصّة في عملية الشّفاء، حتّى لو كان أبولو وإيسكولابيوس أكثرهم تخصّصًا، إذ بإمكان أبولو محاربة الوباء واستعادة النّظام الصّحي للمجتمع، وإسكولابيوس من جانبه أقرب إلى المرضى، بإمكانه ملامسة الأعضاء المريضة ووضع يديه على الجراح لتطبيبها، ربّما بالاستعانة بالقربين وما يقدمه المتعبّدون، و يمكن للإله مارس أن يشفي من خلال الدّفاع عن الجسم أو المجتمع ضد أيّ عدو خارجي³، وقد كان الشفاء في كثير من الأحيان باستعمال الماء، خاصّة ما كان يعتقد أنّه مقدّسًا، وربّما القداسة يمنحها الأشخاص بإشراك الآلهة لإضفاء صفة الخلود للشفاء .

من هذا الاعتقاد تشكّلت رؤية لعبادة المياه القديمة، التي يُنظر إليها في المقام الأول -إن لم يكن حصريًا- على أنّها عبادة علاجية، في هذا المجال يحدّد الكثير من الباحثين حتمية مرتبطة بالينابيع المائية الساخنة والباردة ومصاحبتها لتقديس الآلهة⁴، لكن أحيانا لا يظهر أيّ أثر لهذه العبادة،

¹ بلقاسمي دلبلة، نامفي توبورسيكوم نوميداروم خميسة حاليا ومنابع وادي بقرادة، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة 8 ماي 1945- قلمة. 2011، ص 87.

² MEYNIER (G.), Op.Cit, p112.

³ SCHEID (J.) et Al., Op.Cit, p44.

⁴ VURPILOT (D.). Les sanctuaires des eaux en Gaule de l'est : origine, organisation et évolution (I^{er} siècle av. J.-C. - IV^e siècle après J.-C.). Thèse de doctorat en Archéologie. Université de Franche-Comté, 2016, p61.

مما يزرع الشك بأن ارتباط الآلهة والمعبودات بعنصر الماء ليس دائما ذو دلالة ترابطية لها مغزى وظيفي، كما قد يكون شكلي فرضه التواتر المحتوم أو العبادة الشكلية دون روح قدسية.

وان كان دور الحمامات تحقيق النظافة التي يتطلبها الجسم، فهي أبعد من ذلك إذا ارتبطت بالجانب الديني، عن طريق تحقيق الحاجة إلى الطقوس مع الآلهة، خاصة إذا تعلّق الأمر بالأشخاص ذوي المناصب الدينية¹ كالإلزامية لتطهير النفس بطهارة البدن.

6-2 الفسيفساء وطبيعة المشاهد

كانت فكرة الانطلاق في دراسة الحمامات، خاصة ما تعلّق بالفسيفساء ومشاهدها، أن هذه الأخيرة تتركز على علاقة مترابطة بين عنصر الماء ونوع المشهد المصوّر على أرضية قاعاتها وأحواضها، بمعنى مرادف أن المشاهد المائية بحكم بيئتها نجدها بكثرة في الحمامات، لكن بعد الدراسة الوصفية للعينات المختارة، وكذا ما اكتشف في الجزائر من فسيفساء ذات مشاهد مائية، اتّضح أن فكرة الانطلاق لم تكن مقنعة إلى حدّ التعميم، فكثير من فسيفساء الحمامات الخاصة لم تكن مشاهدها بالضرورة لها علاقة بالماء أو بالميثولوجيا ذات المواضيع المألوفة، كالآلهة المرتبطة بالمياه والبحار والينابيع، أو بالمخلوقات الأسطورية التي يصاحبها في كثير من الأحيان، الصبيان المجنحين والأحصنة المجنحة، الحوريات والحيوانات البحرية المحورة.. الخ، بالمقابل قد نجد هذه المواضيع في أجزاء المنازل غير الحموية مثل قاعات الاستقبال، كما هو الحال في فسيفساء حمام فينوس بمنزل الحمار بكويكول التي تؤرخ بالقرن الرابع أو الخامس ميلادي، أو التي تزيّن أرضيات بهو المنازل على غرار فسيفساء انتصار فينوس بالوحدة السكنية 61 بثاموقادي المؤرخة بالقرن الثالث ميلادي وبنفس المدينة فسيفساء الأطفال الصيادين التي وجدت بالمنزل المقابل للوحدة 89 وفسيفساء الموكب البحري بالمنزل شمال الكابتول، وبهيبوريجيوس فسيفساء الحوريات الأربعة الممتطية لمخلوقات أسطورية بالمنزل ذو الطوابق (البروكوراتور)، التي تؤرخ بالقرن الثالث ميلادي²، وفسيفساء الصيد التي زينت بهو الدّخول لإحدى منازل الواجهة البحرية والتي تؤرخ بالقرن الثالث ميلادي، ومثلها في توبورسيكو نوميداروم المؤرخة بنهاية القرن الثالث وبداية الرابع، وبماسكولا في قاعة إحدى المنازل تؤرخ بنفس الفترة. وتبقى فسيفساء المشاهد الميثولوجية المرتبطة بالماء بحال أو بأخر، حاضرة في بعض الحمامات لما لها من دلالة ورمزية وصورة جمالية تضيفها على قاعاتها، من أمثلة ذلك نذكر:

¹ BLONSKI (M.), *Corps propre et corps sale chez les Romains, remarques historiographiques*, in dialogues d'histoire ancienne, presses universitaires de franche-comté, 2015, pp 56-57.

² MAREC (E.), *Une maison à étages à Hippone....Op.Cit*, p164.

اسم الفسيفساء	الموقع	تاريخ الاكتشاف	التأريخ	المقاسات
الحوريات وسيلا	برج القصر - قسنطينة	1930	القرن الخامس	4.65×6.15م
فسيفساء حوريات القاعة الباردة والحيوانات البحرية	حمامات بومبيانوس	1872	القرن الرابع أو الخامس	
الحوريات والوحوش البحرية	سكبيكة	/	/	/
فسيفساء بوليفام و قالاتي	لامبايزيس	1905	القرن الثالث أو الرابع	0.89×0.80م
فسيفساء فينوس والحوريات ¹ والوحوش البحرية	الحمامات الكبرى لحي الخيالة بتبسة	1886	/	9.00×7.00 م
فسيفساء انتصار فينوس	حمامات انتصار فينوس - سطيف ²	/	نهاية القرن الرابع بداية الخامس	2.57×2.57م
فسيفساء فينوس ذات الهالة	القاعة الباردة، حمامات القلعة بسطيف ³	/	القرن الخامس	9.75×10.10م

وتجدر الإشارة إلى أنّ كثيرا من الحمامات وجدت بها فسيفساء ذات مواضيع بعيدة كل البعد عن عنصر الماء، خاصة تلك التي تزيّن الخطوط والأشكال الهندسية، أو التي تزخرها أوراق النباتات المختلفة، والصّور الآدمية والحيوانية والمخلوقات الميثولوجية البرية، مثل فسيفساء القاعة الباردة بحمامات منزل الحمار بكويكول، والفسيفساء التي يقدمها منزل فولتو⁴ Volto بمدينة سيزاري، حيث تشكّل الخطوط المتقاطعة والنجوم والميداليات المزينة بصور آدمية لإلهات الفن les muses، وبنفس المدينة الفسيفساء الهندسية التي تزيّن أرضية حمامات منزل قايد يوسف⁵.

كذلك الفسيفساء التي تحمل عبارة الحمار المنتصر *assinus nica*، التي وجدت بمنزل الحمار، فهذه العبارة ارتبطت بأعمال السيرك أو الألعاب المرتبطة بالحيوانات كالسباقات إلى غير ذلك، ونجد في

¹ DONDIN-PAYRE (M.), Op.Cit., p717.

-HERON DE VILLEFOSSE (A.), *Les mosaïques de Tébessa (Théveste)*, in R.S.A.C, 24, 1886-1887, p234

² GUERY (R.), *Fouilles de Sétif (1959-1966)*, in B.A.A, 1970, pp 50-59.

³ FENTRESS (E.), *Sétif, les thermes du V^e siècle*, in Africa Romana, IV, 1988, p 327.

⁴ FERDI (S.), *Corpus des mosaïques de Cherchell*, éditions du C.N.R.S., Paris, 2005, p145.

⁵ Ibid, p154.

منازل الواجهة البحرية، بالتّحديد "منزل Duffour " بهيبوريغيوس فسيفساء تحمل عبارة *isgunte nica* ولعل الاسم *isgunte* في حالة المنادى هو اسم الحيوان المنتصر ¹.

ومن الأمثلة كذلك المنزل شمال الكابتول بمدينة ثاموقادي، إذ وجدت به عديد الأرضيات الفسيفسائية منها ما أكتشف بالحّمّامات، ومنها ما أكتشف في أجزاء عدّة بالمنزل، والواضح أنّ فسيفساء الحّمّامات هي فسيفساء هندسية يغيب عنها التّصوير الآدمي أو الميثولوجي ومشاهد الماء والصّيد...الخ، في حين وجدت في قاعة الاستقبال بالمنزل فسيفساء ميثولوجية، يضمّ المشهد المصور الإله فلوف والحوريات البحرية بالإضافة إلى مخلوقات ميثولوجية مصاحبة لها².

7- تدهور الحّمّامات الخاصّة ومحدودية انتشارها

7-1 سبب نقص أو تدهور الأحواض في حّمّامات الفترة المتأخرة

إن نظام تزويد المدن بالمياه خلال القرون الثّلاث الأولى للإمبراطورية الرّومانية، من خلال بناء السّدود والقنوات، والاعتماد على مياه الآبار عند الخواص، لم يكن يدع مجالا للارتياح في توفير مياه دائمة للاستعمال اليومي، لكن هذه الخاصيّة لم تستمر في ظلّ تدهور أعمال الصّيانة التي صحبت تدهور المنظومة السياسيّة، وأصبح توفير الماء وتوزيعه داخل المدن يخضع لضوابط وفق تفضيل العام على الخاص، وفي ظل إمكانيات كل فرد روماني لجأ إلى البحث عن تموين ذاتي، من خلال حفر الآبار أو تخزين المياه بشكل واسع، وابتعد نوعا ما عن الإسراف الذي عهده وقت الوفرة، ونجد في بعض الحّمّامات إزالة بعض العناصر الحموية كالحّدّ من تعدّد الأحواض، إذ اكتفى الفرد الرّوماني بحوض بارد وآخر ساخن فقط، مع إمكانية الاستغناء على الحوض الساخن في المناطق الحارة أو في فصل الصّيف.

على العموم هذا الإجراء وجد بشكل كبير داخل المدن، حيث تفرض متطلبات الحياة كميات هائلة من المياه، سواء لاستغلالها في الحّمّامات العمومية أو في الورشات المختلفة، على غرار ورشات الحياكة أو في المراحيض وكذا النافورات والحوريات وتنظيف الشّوارع...الخ، أمّا بخصوص الحّمّامات الموجودة خارج التّجمعات السّكانية، فقد اعتمد أصحابها على جلب المياه من مناطق مختلفة عن

¹ DE PACHTERE (F. G.), *Les nouvelles fouilles d'HipponeOp.Cit.* P 328.

² BALLU (A.), *Rapport 1916*, in B.C.T.H 1917 , pp297-298.

- GERMAIN (S.), *Les mosaïques de Timgad..... Op.Cit* , p109

طريق القنوات، التي قد تصل إلى مدى كبير نسبيا على غرار حمامات قصر فاطمة ، حمامات بومبيانوس...، وكذا بناء خزانات ذات سعة كبيرة.

7-2 عوامل اندثار الحمامات الخاصة

تتشرك عدة عوامل لتكون سببا في زوال الحمامات الرومانية أو الحد منها بشكلها ومضمونها الذي عهده القرون الأولى للميلاد، من هذه العوامل ما تعلق بالطبيعة مثل الزلازل والحرائق، على غرار كويكول التي تأثرت أيما تأثر بالدمار الذي شهدته في 21 جويلية 365، فمزل الجص تأثر بشكل كبير خاصة القاعة الساخنة للحمامات، والموجودة في الركن الجنوبي الغربي للمنزل، حيث بقيت فيه آثار الحريق حين اكتشافه¹، بنفس المدينة تم تعديل حمامات الحي الغربي خاصة القاعة الساخنة، التي وصلت بقايا الركام المحترقة في رواقها إلى علو 1م ، نتيجة لهذا التأثر تم هدمها لتعديل الجدار الخارجي للمبنى²، لكن هذا لم يمنع استمرار بناء معالم عمومية مثل بازيليك فيستياريا *basilica vestiaria*، ومنازل فاخرة بالمدينة نهاية القرن الرابع ميلادي، أو تغيير في وظيفة أبنية مثل المعبد الموجود بمنزل الحمار، الذي توقف عن الاشتغال مع نهاية القرن الرابع³ رغم هذا لم يمنع من استمرار استعمال حمامات منزل الحمار، فهذا العامل ليس سببا قاطعا لهجر المنشآت الحموية بدليل استمراريتها في بعض المدن.

وقد تتوقف الحمامات عن الاشتغال بسبب شح تزويدها بالمياه، وهذا لا يؤثر عليها فحسب، بل على استمرارية المدينة ككل، مما يدفع إلى بناء مدن أخرى قريبة من مصدر المياه أو سهولة الوصول إليها .

العامل الثاني مرتبط بالأشخاص، خاصة الحروب والمعارك، التي تستدعي فيها الضرورة تحويل الحمامات إلى مراكز دفاعية أو ضمها إليها، خاصة الحمامات الكبرى ذات البناء الصلب المتين، مثل حمامات كالما التي ضمت إلى القلعة البيزنطية، أو بسبب موقعها مثل حمامات ثابوديوس⁴.

العامل الثالث مرتبط بالمعتقد، خاصة التحول من الوثنية إلى المسيحية وما تستدعيه طقوس هذه الأخيرة، هذا العامل غلب النظافة المرتبطة بالقداسة على نظافة الجسد المعهودة سابقا، وبحكم تحويل

¹ REBUFFAT (R.). *Cuicul, le 21 juillet 365*. In: *Ant. Af*, 15, 1980. p 309.

² ALLAIS (Y.), *Le quartier occidental de Djemila*Op.Cit, pp114-115.

³ REBUFFAT (R.). *Cuicul, le 21 juillet 365*Op.Cit .p317.

⁴ دحمان رياض، حاجي ياسين رابح ، الحمامات الرومانية بمقاطعة نوميديا، دراسة حالة "حمامات ثابوديوس (تهودة الأثرية)" مجلة تراث الزيبان، بسكرة، العدد الثاني، 2019، ص ص53-66.

أجزاء من الحمامات إلى أحواض تعميد أو بناء بازيليكا على أجزاء منها، مثل ما حدث بحمامات منزل الوحدة 17 بمدينة ثاموقادي، أو بنائها مجاورة لها مثل منزل يانوياريوس بنفس المدينة. هنا يتدخل المعتقد المسيحي بأنّ الدّخول إلى المسيحية يتطلّب غسل البدن من الذنوب في حوض التّعميد، وتلاوة تراتيل مرتبطة بالديانة، هذا العامل أدى إلى الابتعاد جزئيا عن الحمامات ووظيفتها الأصلية .

من جهة أخرى قد يُتخلّى عن الحمامات كامتداد للتّخلي عن كل ما ارتبط بالوثنية، خاصّة إن كان جزء من الطقوس يقام داخلها، أو بالمنزل الذي احتواها داخله، من أمثلة ذلك منزل باخوس بكويكول، الذي تشير الدلائل المادية حول اجتماع أتباعه أو من انخرطوا في عبادته بالمنزل، دون شك ارتبطت معه الحمامات لتجعل الجو أكثر حميمية. هذا التّجمع كان في حيّز مستطيل ينتهي بحنية نصف دائرية مشكلة قاعة ندوات أو تجمع لهذه الفئة من المتعبّدين، وقد زيّنت أرضيتها بفسيفساء تعبّر عن طقوس التّضحية لهذا الإله، ومشاهد رعاية ديونيزوس الصّبي وإرضاعه، ومشهد ترويض الوحوش البرية...الخ¹.

ويمتد هذا العمل حتّى القرون الوسطى، وعلى حدّ تعبير "ميشلي" Michelet " حين يلقي باللوم على مرض الجذام في آسيا بسبب الحروب الصليبية، فإنّ أوروبا ذاتها والتي أعلنت الحرب على الجسد وعلى النّظافة توتي ثمارها، فكّما تفاخرت القديسة بعدم غسل يديها، وأنّ العربي من شأنه أن يكون خطيئة كبيرة للمتديّنين الذين يتّبعون بأمانة دروس وتعليمات الرّهنة يخشى هذا المجتمع الرّاقى أيّ تطهير باعتباره وصمة عار.. لا حمام لألف سنة²، في ظلّ هذه النّجاسة التي استمرت مع الرّمن، كبر الاهتمام بنظافة الثّياب وتغليبها على نظافة الجسد.

وحين ارتبطت الحمامات بالمجمّعات الكنسية، أصبحت حمامات الخواص المتديّنين بالمسيحية محدودة، إذ لا مهرب من إقامة الطّقوس وحتّى الاستحمام داخل حمامات هذه المجمّعات، مثل حمامات التّعميد بالحي المسيحي بكويكول، التي حافظت على نظامها الكلاسيكي الرّوماني (الوثني) في توزيع قاعاتها وأحواضها³. بعيدا عن هذا، قد تحوّل الحمامات إلى أجزاء مرتبطة بوظيفة

¹ SERRADJ-REMILI (N.), *Des expressions et des sentiments sur des pavements dionysiaques de l'Algérie*, in J.M.R 14, 2021, pp 262-267.

² MICHELET (J.), *La Sorcière*, A.lacroix, verboeckhoven et c^{ie} éditeurs, Bruxelles et Leipzig, 3^{eme} édition, 1863, pp 116-117.

³ THEBERT(Y.), *Op.Cit*, p 421.

أخرى مثل ورشات الفخّار، كما هو الحال في حمّامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم، الذي حولت فيه القاعة الساخنة الشرّقية إلى أفران لشوي الفخّار.

خلاصة الفصل

ما تمّ استنتاجه من دراستنا لهذا الفصل أنّ الحمّامات الخاصّة لم يحكمها لا قوانين صارمة، ولا معوقات ودوافع معيّنة، إنّما ذهنيات الأفراد التي تميل إلى الاستحمام في جو عام، خاصّة داخل المدن، أمّا تلك الخارجة عن حدودها فالأمر يختلف، فالمنازل الرّيفية ألحقت بها حمّامات بمساحة واسعة وبديكور راق، ضف إلى ذلك أنّ عناصر الحمّامات بما فيها الأحواض لم يراعى فيها توجيه معيّن، فهي غير مرتبطة لا بالشّمس ولا حرارتها حسب اعتقاد "فيتروفيوس" وتوجيهاته. كما تجدر الإشارة إلى أنّ القرن الثّاني يشكّل بداية ظهور الحمّامات الخاصّة بمدن الشّرق الجزائري القديم، كبناء أصلي مع المنزل، أو كإضافة لاحقة، ثمّ توسّع انتشارها بعد ذلك ليتناقص تدريجيا مع بداية القرن الخامس، نتيجة عدّة عواملها منها ظهور الحمّامات التّقديسية المرتبطة بالدّيانة المسيحية، بالإضافة إلى ضعف منظومة تزويد المدن بالمياه، الذي أضعف بدوره سير عمل الحمّامات ليس فقط الخاصّة بل والعامة على حدّ سواء.

خاتمة

خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الحمامات الرومانية الخاصة في الشرق الجزائري ومعرفة كل ما تعلّق بها من جوانب عدّة، مرتبطة فيما بينها لمعرفة أصلها في الشمال الإفريقي وكإسقاط عنه العيّات المدروسة، ومعرفة موقعها داخل المنازل وحتى خارجها كملحقات بها، وكما أشرنا إليه في متن البحث أنّه لا مناص من الاعتراف بعجز البحوث في كشف جميعها أو معظمها، على الأقل في المجال المنقّب داخل المدن، وأحيانا قصر التقارير التي لا تمكّنا من تعميق البحث فيها، وأحيانا أخرى الاستنتاجات التي يعطيها الباحثون قد تصيب وقد تعجز في محاوره الصّواب وتحديد عنه .

ولمّا كانت دراستنا بدرجة أولى وصفية وتقنية لما تمّ معاينته، فهي بحثت عمّا هو موجود حاليا، وربطه بمختلف تقارير الحفريات للوصول إلى استنتاجات، ومن ثمّ تحليلها معتمدين في ذلك على طريقتين:

الأولى تقنية بحتة تتعلّق بالبناء وحدوده، والإضافات والتّغييرات التي حدثت له سواء في القديم أو عند التّرميم - وهي كثيرة - خاصة التّرميمات الحديثة في المدن التي بحث فيها الفرنسيون عن جمالية المواقع، وأحيانا يسقطون في شرك البناء الذي لا يتوافق وأصله، مثل ما هو عليه الحال في جدران بعض الحمامات الخاصة بمدينة ثاموقادي، هذه التّغييرات قادتنا إلى عدم الحكم النهائي على أنّ أصل هندستها وتخطيطها هو كما تمّ معاينته، بل عمّلنا عقولنا لوضعها في قالبها الأصلي، ومحاولة منا إسقاط جزئياتها إسقاطا وظيفيا مبني على تحليل الفضاءات وحدودها، بما في ذلك الفتحات والمداخل ومستويات القاعات... الخ .

والثّانية مبنية على إيجاد توافق بين التّوجيهات النّظرية والمعاينة الميدانية وفق مناهج علمية، فالفرضيات المبنية على أحكام نظرية صرفة، تمّ في هذا البحث دحض بعضها، إذ لا يصحّ تعميمها. فالبيئة و الطبوغرافية التي بنيت فيها الحمامات، وحتى الذّهنيات الفردية تتدخّل بشكل أو بآخر لفرض نفسها على التّوجيهات النّظرية، بما في ذلك اقتراحات وتوجيهات فيثروفيوس حول إنشاء الحمامات عامّة كانت أو خاصّة. فنحن عند دراستنا للحمامات الخاصة في الشرق الجزائري وما تعلّق بأحواضها وتوجيهها وموقعها داخل المنازل، تبين أنّه ليس هناك توافقا شاملا يبني عليه استنتاج عام، فالاختلاف موجود ليس فقط بين الحمامات الخاصة في مختلف المدن، إنّما في المدينة نفسها، هذا التّباين ليس للبيئة أو الموقع دخل لوحده، بل لزمّن البناء وما تمليه الضّرورة والحتميات لدى الأشخاص، وعليه فإنّ أيّ تفسير إذا ما

بني منفصلا عن الآخر وجب استناده إلى معرفة المجتمع وحدوده، ولا يهمل العلاقة المقارنة فيما بينها للوصول إلى التشابهات. وفي طرف المقارنة يظهر إسقاط الحمامات الخاصة في نظام عملها، وفق ديناميكية مبنية على الشكل العام والترابط بين مختلف أجزائها، وهو ما يعزز تقوية الأحكام النظرية بزيادة التشابهات.

وقد اختيرت العينة المدروسة للحمامات الخاصة بالشرق الجزائري بناء على ما توفّر من عناصر تسمح لنا بالتحليل والاستنتاج، فاستثنينا بذلك الحمامات الخاصة التي ذكرت في التقارير والبحوث السابقة في شكل إشارات موجزة، لا نستطيع من خلالها معرفة مكوناتها، ناهيك عن طريقة عملها، هذه الحمامات منتشرة بشكل خاص في الكتلة الأوراسية بكلّ من ولايات خنشلة وأم البواقي وتيسة وجزء من باتنة (على الرغم من تنقلنا إلى عدد معتبر منها)، أو تلك التي اكتسحها العمران الحديث، أمّا التي وجد بها على الأقل مخطط توزيع قاعاتها وأحواضها مثل حمامات بومبيانوس وسيدي مسيد فقد تمّ التّطرق إليها بالبحث لما تحمله من دلالات مرتبطة بمكانة أصحابها، وما وصلنا من ديكور راق ممثلا في التصوير الفسيفسائي؛ في حين تلك التي بقيت محافظة على أجزاء منها سمحت لنا بدراستها ومعرفة كلّ ما تعلّق بها وحتى نظام عملها. وبين هذا وذاك اللافت للانتباه أنّ الحمامات الخاصة من حيث العملية الإحصائية تعتبر محدودة العدد في الإطار العام للمدن، فإن كان السبب راجعا إلى إعادة استعمال أو تحويل في وظيفتها الأصلية أو إزالة أجزاء منها فهي على الأقل تبقى محافظة على بعض عناصرها، على غرار المواقد وما صاحبها من بقايا الأجر المستعمل في أعمدة الهيوكوست مثل حمامات منزل الوحدة 69 والمنزل جنوب باب لمبار بئاموقادي، لكن هذه الإشارة قد تغيب في حال التّهدّم الكلي للمبنى من الأساس وإعادة البناء من جديد أو استغلال مواد بنائها في مباني أخرى تبعد عنها، وبالتالي التّغيير في مكانها الأصلي.

وكخلاصة شاملة للبحث فإنّ الحمامات الرومانية الخاصة في الشرق الجزائري في وقت رواج الإمبراطورية الرومانية بالشمال الإفريقي، عرفت ظهورا مميزا منذ القرن الثالث وبداية الرّابع ميلادي أين يؤرّخ أغلبها بتلك الفترة؛ وتبقى حمامات سيدي مسيد أقدمها زمنيا، فهي ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد، وهذه إشارة إلى أنّ المنطقة عرفت هذا النوع من المباني حتّى قبل السيطرة الرومانية، أمّا عن اندثارها أو الحد من انتشارها فأولى الإشارات تبدأ مع بناء المصليات والكنائس وظهور الحمامات المرتبطة بالطّقوس المسيحية إلى جانب الحمامات ذات الوظيفة الأصلية (نظافة الجسد)، هذا من جهة، من جهة ثانية ارتبط زوالها بمحدودية وصول المياه إليها، بسبب هشاشة النّظام المكلف بتسيير شؤون

المدن وما صاحبه من تدهور في العناية بالمنشآت المختلفة، وضعف منظومة صيانة قنوات المياه وأماكن التجميع والتوزيع، مما أدى في بعض الحمامات إلى تقليص مساحتها وأحواضها، هذا ما أثر على المسار الحموي المثالي، الذي يعتمد على توفر العناصر الأساسية للفعل الحموي، من قاعة باردة وأخرى ساخنة كلاهما مزود بحوض على الأقل، وقاعة دافئة وقاعة التعريق؛ في ظل هذا التغير الذي اختصر مع الزمن تدريجيا وصولا إلى نقطة الصفر أو الزوال في كثير من المدن .

واللافت للنظر أنه بين الحمامات الخاصة داخل المدن والأخرى خارجها اختلاف في المساحة، فحمامات المنازل الريفية أو الملحقة بها تنبئ عن رقي مالكيها، حيث تبنى مكتملة العناصر بل وتتعدد فيها الأحواض بين الباردة والساخنة على غرار حمامات هنشير الصيفية، ومن ناحية أخرى تبرز مكانة أصحابها من خلال الأرضيات الفسيفسائية التي تعبّر بصدق مواضيعها عن النشاط الاقتصادي أو المكانة الاجتماعية لهم، مثل حمامات بومبيانوس والمعروضة على أرضيتها لكل زائر لها لتوجه رسالة لهم بمدى رقي صاحب الضيعة أو المزرعة ومختلف الأنشطة الممارسة بها؛ لكن هذا لم يمنع من وجود تصوير فسيفسائي في حمامات منازل المدن هي الأخرى غنية بالإحياء وتعدّد الأيقونات والألوان، مثل حمامات منزل الحمار بكويكول؛ هذه الرمزية التي نجدها في حمامات الخواص جعلتنا نستنتج أن ارتيادها ليس حكرا على أصحاب المنزل فحسب، وبالتالي تخرج عن توجيهات فيثروفيوس الذي يذكر فيها أن الحمامات الخاصة إلى جانب غرف النوم ممنوعة على الأجانب، إذ من الإشارات ما يعزز الحكم أن منها ما استعمل من طرف الغير، فتصنّف ضمن الحمامات الخاصة ذات طابع عمومي، ومنها ما ارتبط بالنشاط الحرفي أو الفلاحي لأصحابها، وهو ما تشير إليه المواضيع الفسيفسائية التي تسوّق لمكانتهم، وبالتالي الولوج إليها من طرف الخدم والعمّال، وأخرى جعلت فقط لخدم المنزل مثل الحمامات الصغرى بمنزلي أوروبا وكاستوريوس بمدينة كويكول.

بالعودة إلى موضوع الفسيفساء، ينبغي الإشارة إلى تعدّد مواضيعها، وأنّ تلك التي تعرض مشاهد الميثولوجيا والصيد أو المشاهد المائية بوجه عام لم تكن حكرا على الحمامات أو المراحيض، ومختلف المنشآت المائية التي بلّطت أرضياتها بالفسيفساء، فكثير منها وجد بأجزاء المنزل مثل قاعات الأكل والاستقبال، ومن هذه المواضيع تلك التي تبرز الآلهة والمعبودات على غرار أوسيون، أمفريت، الحوريات والمخلوقات الميثولوجية البحرية... الخ، من جهة أخرى بلّطت أرضيات معظم الحمامات الخاصة المدروسة بفسيفساء هندسية ونباتية، لا يستدل منها أنها تخص منطقة دون أخرى، بل تتشابه في المبدأ العام لإنشائها وتركيبها، مع بعض الاستثناءات حيث يظهر التعقيد في تداخل الأشكال والألوان مثل

فسيفساء حمّامات المنزل ذو الطوابق بهيبوريغوس، هذا فيما تعلّق بتبليط الأرضيات. أمّا الجدران فقد بنيت بتقنيات مختلفة وبمواد متعدّدة أكثرها استعمالا الآجر وفق تقنية « *opus testaceum* » والتقنية القائمة على البناء بالحجارة الصّغيرة المنتظمة « *opus vittatum* » ولبست جدران معظمها بملاط مانع للنفاذية وعلى طبقتين أو أكثر « *opus signinum* »، إلى جانب الرّخام متعدّد الألوان الذي استعمل في تغطية جدران بعض الأحواض مثل الحوض الغربي لحمّامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية بهيبوريغوس.

لكن هذه التّقنيات لا تخصّ الحمّامات وحدها، إذ وجدت في عديد المباني بمختلف طبيعتها، فهي بذلك لم تكن دليلا مباشرا للتعرّف على المنشآت الحموية عكس سيرورة الماء ومنظومته داخلها ونظام التّسخين مكتمل العناصر، حين تجتمع بإمكاننا رسم تصوّر واضح حول هذه المنشآت، وإن كان نظام التّسخين المعتمد على الأرضية المحمولة فوق أعمدة الآجر لم يكن مرتبطا حصرا هو الآخر على الحمّامات، إذ قد تبنى غرف بالمنازل الفاخرة رغب أصحابها في تسخينها وفق هذا النّظام وبالتالي يتدخّل الشكّ أحيانا في الحكم على بعضها خاصّة داخل المنازل، مثل ما وجد بالمنزل غرب حمّامات فيلادالف بئاموقادي، والتي ذكرت في النّقاير أنّها حمّامات خاصّة ثانية بالمنزل في جهته الغربية، إضافة إلى تلك الشّرقية مكتملة الأجزاء، لكن ما بقي منها لا يعطي مرتكزا واضحا للحكم عليها، إضافة إلى ما وجد بمنزل سارتيوس في جهته الجنوبية بنفس المدينة، لكنها في نفس الوقت تعطينا إشارات ننطق منها للبحث عن ما يعزّز الحكم عليها.

وتبقى الإشارة موصولة إلى أنّ الحمّامات الخاصّة المدروسة ما هي إلّا عينة عن أخرى لم تدرس لقلة المعطيات حولها ومحدودية آثارها المادية، أو تلك الخارجة عن الإطار الزّمني للدراسة أو التي كانت محلّ شك ولم يفصل فيها باعتبارها عمومية أو خاصّة، على غرار الحمّامات الموجودة شمال شرق الحمّامات الغربية بئاموقادي، وحمّامات دوناتوس شمال فوروم كويكول.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

1-المراجع باللغة العربية

1-1 الكتب

1. تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الاله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2001 .
2. الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط2، 1983 .
3. شنييتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
4. شنييتي محمد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
5. شنييتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية ، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2012
6. مؤلف جماعي ،حضارات إفريقيا القديمة، المجلد الثاني، الفصل التاسع عشر، العصر الروماني وما بعده في شمال إفريقيا بقلم ع. محجوبي، دار النشر جون افريك، 1985.

1-2المقالات

1. آيت أومغار سمير، ملاحظات حول مناخ المغرب القديم، مجلة سطور، العدد 3 ، 2016.
2. آيت أومغار سمير، مناخ شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية ، مقاربات جديدة، مجلة hespérís- tamuda LII، العدد الأول ، 2017.
3. بوعويرة نبيل، المسكن الروماني بالمدن التحصينية(مسكن الفسيفساء بتيديس نموذجاً)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 9.
4. حاجي ياسين رابح، دحمان رياض وآخرون، مكتشفات موقع تهودة الأثري، مجلة تراث الأجيال، بسكرة ، العدد الأول، 2016.

5. دحمان رياض، حاجي ياسين رابح، الحمامات الرومانية بمقاطعة نوميديا، دراسة حالة "حمامات تابوديوس (تهودة الأثرية)" مجلة تراث الزيبان، بسكرة، العدد الثاني، 2019.
6. عرابوي الصادق، دريسي سليم، هبات المرأة الرومانية وإسهاماتها في التطور العمراني للمدينة (الجزائر الرومانية)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر-، المجلد 34، العدد 03، 2020.
7. مهنثل جهيدة، الهبات المالية - évergesies- في النظام المحلي لمدن المغرب القديم من خلال النقائش، مجلة آثار، جامعة الجزائر 2، العدد 12، 2015.

1-3 الرسائل الجامعية

1. اخربان محند آكلي ، دراسة أثرية لإقليم قالمة القديمة من خلال التجمعات السكنية وشبكة الطرقات والنقيشات اللاتينية ومختلف اللقى الأثرية، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2016.
2. بخوش زهير، دراسة تحليلية لأسماء أفراد مجتمع تاموقادي، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2006-2007 .
3. بلعربي ويزة، معاصر مادور، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار-جامعة الجزائر، 2005. 2006.
4. بلقاسمي دليلة، نامفي توبورسيكوم نوميدياروم خميسة حاليا ومنابع وادي بقرادة، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة 8 ماي 1945-قالمة. 2011 .
5. بن غضبان فؤاد، دور شبكة الخدمات في التنظيم المجالي بولايتي عنابة والطارف، أطروحة دكتوراه في التهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة، 2009.
6. بورحلي ابراهيم، مستعمرة مادوروس وإقليمها الترابي، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار-جامعة الجزائر، 2009. 2010.
7. بوسليماني حياة ، دراسة مجتمع مدينة تيفاستيس و ضواحيها من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة من القرنين الأول والثالث للميلاد، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2007. 2008.
8. حاجي ياسين رابح، البازيليكاات المسيحية في مقاطعة نوميديا، أطروحة دكتوراه في علم الآثار، جامعة الجزائر، 2008. 2009 .

9. حجاج كهينة، طرق تموين مدينة كويكول " جميلة " بالمياه في العصر الرّوماني، مذكرة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2010.
10. حموم توفيق، النخب الإدارية و الاجتماعية للكنفدرالية السرتوية و المدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني (منذ سنة 46 قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي)، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2008.2009.
11. دحمان رياض، الحمامات الشرّقية لمدينة كالما في مجالها العمراني الرّوماني القديم، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار - جامعة الجزائر، 2013.2014.
12. دريسي سليم، دراسة مكونات مجتمع سيتيفيس من خلال النقوش اللاتينية " القرنان الثاني والثالث الميلاديين، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 1992.1993.
13. عريفي الياس، مجموعة فسيفساء منطقة تبسة، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار جامعة الجزائر، ، 2008.2009.
14. مديون صورية، دراسة مجتمع توبورسيكوم نوميداروم من خلال النقيشات اللاتينية، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار - جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
15. معلم محمد فوزي، المنشآت والمعالم الأثرية الريفية لسلسلة جبال ماونة وضواحيها - جنوب قالمة، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار - جامعة الجزائر 2 ، 2015.
16. مهنّتل جهيدة، التطور الحضاري بمدينة قسنطينة (كرتا) في الفترة القديمة، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار - جامعة الجزائر، 2008-2009 .
17. نيني فارس، التهيئة الهيدرولوجية وآفاق التنمية الهيدرو-زراعية - حالة ولاية قسنطينة، مذكرة ماجستير في تهيئة الأوساط الطبيعية والفيزيائية، جامعة منتوري - قسنطينة، 2006 .

1-4 متفرقات

1. الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية OGEBC، فرع قالمة، رقم الجرد

N°10.

1. ADAM (J. P.), La Construction Romaine, Matériaux Et Technique, Grands Manuels Picard, 3^{ème} Édition, France, 1995.
2. BALLU (A.), CAGNAT (R.), Musée de Timgad, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1903
3. BALLU (A), Les ruines de Timgad antique *Thamugadi* « nouvelles découvertes »I, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1897.
4. BALLU (A.), Les ruines de Timgad antique *Thamugadi* « nouvelles découvertes »II, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1903.
5. BALLU (A.), Les ruines de Timgad, antique *Thamugadi* « sept années de découvertes » III, Neurdein frères, imprimeurs-éditeurs, Paris, 1911.
6. BALMELLE (C.) et Al. , Le décor géométrique de la mosaïque romaine II, édition A.et J. Picard, Paris , 2002.
7. BEAUVOIS (M. G.), les *aquae*, sujet médico-religieux ou thème littéraire « essai d'interprétation », dans bains curatifs et bains hygiéniques en Italie de l'antiquité au moyen age, E.F.R, 383,2007.
8. BELKAHIA KAROUI (Th.), Elites des cités de « BYZACENE » du I^{er} au IV^e siècle ap .j.c, centre de publication universitaire, Tunis, 2009.
9. BÉNABOU (M.), La résistance Africaine à la Romanisation, Edition la découverte, Paris, 2005.
10. BERTHIER (A.), *TIDIS*, Cité antique de Numidie, mémoire de l'académie des belles lettres, T20, diffusion de BOCCARD, Paris, 2000.
11. BIREBENT (J.), *aquae romanae*, recherches d'hydraulique romaine dans l'Est Algérien, service des antiquités de l'Algérie, Alger, 1961.
12. BLANCHARD LEMEE (M.), « Les mosaïques », dans l'édifice appelé maison de *Bacchus* à Djemila, CNRS édition, Paris, 2019.
13. BLANCHARD-LEMÉE (M.), Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul), C. N. R. S, Paris, 1975.
14. BOESWILLWALD (E.), CAGNAT (R.) et BALLU (A.), Timgad une cité africaine sous l'empire romain, édition ERNEST LEROUX, Paris, 1905.
15. BOUET (A.), Thermes Privés et Publics en Gaule Narbonnaise, E.F.R, N°320, 2003, Rome.
16. CAGNAT (R.), Cours d'Epigraphie Latines, Ernest Thorin Editeur, Paris, 1890.
17. *Corpus Inscriptionum Latinarum* (CIL), Tome VIII.

18. COURTOIS (C.), Les Vandales et l'Afrique, Art et Métiers Graphiques, Paris, 1955.
- DE BARTILLAT (C.), ROBA (A.), métamorphoses d'Europe « trente siècles d'iconographie », édition Bartillat, 2000.
19. DE PACHTER (F-G), Musée de Guelma , Ernest Leroux éditeur, Paris, 1909.
20. DE PACHTERE (F.G), Inventaire des mosaïques de l'Afrique romaine III, Proconsulaire, Numidie, Mauritanie, Paris, 1911.
21. DELESTRE (X.), Hippone, EDISUD/INAS, Aix en Provence, France, 2005.
22. DERDOUR (H.), Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes : menus appendices sur l'histoire générale du Grand Maghreb, S.N.E.D, 1982.
23. DESANGES (J.), DUVAL (N.), et al., carte des routes et des cités de l'Africa à la fin de l'antiquité d'après le tracé de pierre SALAMA, brepol's publishers, turnhour, Belgique, 2010.
24. FERDI (S.), Corpus des mosaïques de Cherchell, éditions du C.N.R.S., Paris, 2005.
25. FEVRIER (P.A), « Etude archéologique », dans l'édifice appelé maison de *Bacchus* à Djemila, CNRS édition, Paris, 2019.
26. FEVRIER (P.A.), Approches du Maghreb Romain, EDISUD, Aix en Provence, 1989.
27. FOURNIER (C.), Les bains d'al-Andalus (VIII-XV), presse universitaire de Rennes, 2016.
28. GARRETT G. (F.), Bathing in public in roman world, university of Michigan, 1999.
29. GERMAIN (S.). Les mosaïques de Timgad. Étude descriptive et analytique, Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1969.
30. GINOUVES (R.) et Al., Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine. Tome III. Espaces architecturaux, bâtiments et ensembles Rome : E.F.R, 1998.
31. GSELL (S.), Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Librairie Hachette, Paris.1928.
32. GSELL (S.), Enquête administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algérie, imprimerie national Ernest Leroux , Paris, 1902.
33. GSELL (S.), Les Inscriptions latines de l'Algérie, Librairie ancienne honoré champion, Paris, 1922.
34. GSELL (S.), Les monuments antiques de l'Algérie, Tome1et 2, ancienne librairie Thorin et fils Albert Fontemoing éditeur, Paris, 1901.

35. GSELL(S.), JOLY(Ch.J), Khamissa, Mdaourouch, Announa, édition E. de Boccard, Paris, 1914-1922.
36. GUI (I), Basiliques chrétiennes d'Afrique du nord, (I) inventaire de l'Algérie –texte, institut d'études Augustiniennes, Paris, 1992.
37. IBBA (A.), TRAINA (G.), l'Afrique romaine de l'Atlantique à la tripolitaine (69 -439 ap. j-c) , imprimerie France Quercy , France, 2006.
38. JACQUES (F.), Le privilège de liberté. Politique impériale et autonomie municipale dans les cités de l'occident Romain,161-244, E.F.R, 76, 1984.
39. JACQUES (F.), Les curateurs des cités dans l'occident romain de Trajan à Gallien, nouvelles éditions latines, Paris 1983.
40. La géographie de STRABON, traduit par Amédée TARDIEU, tome premier, librairie de L Hachette et c^{ie}, paris, 1867, livre 17, chapitre 3 la Libye.
41. LADJIMI SEBAI (L.), La femme en Afrique à l'époque romaine, institut national du patrimoine, Tunis, 2011.
42. LASSÈRE (J.M.), Vbique Populus, Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.). Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1977.
43. LASSUS (J.), Visite à Timgad, Alger, 1969.
44. LE BOHEC (Y.), La troisième légion auguste, CNRS, Paris, 1989.
45. LEPELLEY (C)., Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire. Tome II, Notices d'histoire municipale, études augustéennes, 1981.
46. LEPELLEY (C.), Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T1, études augustéennes, Paris, 1979.
47. MAGALHÃES DE OLIVEIRA (J. C.), Travail, habitation et sociabilité populaires dans les villes de l'Afrique romaine : les quartiers commerçants et artisanaux de Carthage et de Timgad, dans La ville au quotidien. Regards croisés sur l'habitat et l'artisanat antiques (Afrique du Nord, Gaule, Italie), Presses universitaires de Provence, Aix, 2011.
48. MAHJOUBI (A), Villes et structures urbaines de la province romaine d'Afrique, centre de publication universitaire, Tunis 2000.
49. MAIURI (A.), Significato e natura del solium nelle terme romane, parola dela passato 5, 1950 .
50. MAREC (E.), Hippone la royale « antique *Hippo Regius* » Alger, 1954.
51. MARTIN (B.) et VIRLOUVET (C.), Entrepôts et trafics annonaires en méditerranée antiquité – temps moderne, E.F.R, 2016.
52. MESNAGE (P.J), Romanisation de l'Afrique, Gabriel BEAUCHESNE, éditeur, Paris, 1913.

53. MEYNIER (G.), L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam, édition la découverte, Paris, 2007.

54. MICHELET (J.), La Sorcière, A.lacroix, verboeckhoven et c^{ie} éditeurs, Bruxelles et Leipzig, 3^{eme} édition, 1863.

55. NATHALIE DE HAAN, Roman Domestic Architecture, A Companion to Science, Technology, and Medicine in Ancient Greece and Rome, First Edition. edited by Georgia L. Irby.2016 .

56. PAPPALARDO (U.), CIARDIELLO (R.), Mosaïques gréco-romaines, Citadelles et Mazenod, Paris, 2010.

57. Pline l'ancien, Histoire naturelle Livre V,

58. QUATREMER DE QUINCY, Dictionnaire historique d'architecture , T.1, librairie d'Adrien de Cler et C^{ei}, Paris , 1832.

59. RICHARD (J.A). TALBERT, Barrington atlas of the GREEK and ROMAN world, Princeton University Press , 2000.

60. ROBERT Estienne, *Dictionarium Latinogallicum*, 1522, éditions eBooks France.

61. ROMBY. (J.), histoire des bains- les bains dans l'antiquité, bibliothèque de travail n° 92, imprimerie à l'école Cannes (A.M), 1949.

62. SALAMA (P.), les voies romaines de l'Afrique du nord, Imp. Officielle du gouvernement général d'Alger, 1951.

63. SALIOU (C.), Les lois des bâtiments « voisinage et habitat urbain dans l'empire Romain, recherches sur les rapports entre le droit et la construction privée du siècle d'auguste au siècle de justinien, B.A.H, presses de l'Ifpo, Beyrouth, 1994.

64. SCHEID (J.) et Al., Le Thermalisme Approches historiques et archéologiques d'un phénomène culturel et médical, CNRS Éditions, 2015.

65. THEBERT (Y.), Thermes romains d'Afrique du Nord et leur contexte méditerranéen, Écoles françaises d'Athènes et de Rome, Rome ,2003.

66. VELDMEIJER (A.J.), Tutankhamun's Footwear: Studies of Ancient Egyptian Footwear, Sidestone Press, 2011.

67. VITRUVÉ, De l'architecture, traduit par Maufras (Ch..L), C.L.F, Panckoucke, 1847.

2-2المقالات

1. ALBERTINI (E.), Une nouvelle basilique civile à Cuicul (Djemila). In C.R.A.I, 87^e Année, N°3, 1943.

2. ALLAG (C.) , BARDET (A.), Techniques de préparation des parois dans la peinture murale à Rome, in M.E.F.R, T84, 1972.

3. ALLAIS (Y.), La maison d'Europe à Djemila, in R.Af, n°83, 1938
4. ALLAIS (Y.), Le quartier occidental de Djemila (Cuicul), in Ant. Af., 5,1971.
5. ALQUIER (J et P.), Les thermes romains du val d'or (près de Oued Athmenia) , in R.S.A.C , N° 59 , 1928-1929
6. AMMARI (A.), REMINI (B.), L'eau Dans Les Villes Romaines– Quelques Cas Algériens, Larhyss Journal, Université Mohamed Khider de Biskra, n°37, mars 2019
7. AMRAOUI (T.), « Alimentation et gestion de l'eau dans les ateliers antiques de Numidie : le cas des fullonicae ». Véronique Brouquier-Reddé; Frédéric Hurlet. L'eau dans les villes du Maghreb et leur territoire à l'époque romaine, 54, Ausonius, 2018.
8. BAHLOUL GUERBABI (F.Z.) et FARHI(A.), La gestion de l'eau a Timgad de la source aux thermes antique, LARHYSS journal, N°23, Septembre 2015.
9. BALLU (A), Rapport sur les fouilles exécutées en 1911, in B.C.T.H 1912.
10. BALLU (A.), Fouilles archéologiques d'Algérie en 1905, in B.C.T.H, 1906 .
11. BALLU (A.), Rapport 1902.
12. BALLU (A.), Rapport 1923.
13. BALLU (A.), Rapport sur fouilles exécutées en 1909, in B.C.T.H 1910
14. BALLU (A.), Rapport sur les fouilles archéologiques à Timgad en 1903, in B.C.T.H.1904
15. BALLU (A.), Rapport sur les fouilles exécutées en 1912, in B.C.T.H, 1913 .
16. BALLU (A.), Rapport sur les fouilles exécutées en 1915, in B.C.T.H 1916.
17. BALLU (A.), Rapport sur les fouilles exécutées en 1916, in B.C.T.H. 1917.
18. BALLU (A.), Rapport sur les travaux de fouilles exécutées en 1906, in B.C.T.H 1907.
19. BALLU (A.), Rapport sur les travaux de fouilles opérés en 1904,in B.C.T.H 1905.
20. BALLU (A.), Ruines de Djemila (antique Cuicul), in R.Af., n° 62,1921.
21. BALLU (A.), Travaux de fouilles et de consolidations effectuées en 1920, in R.S.A.C, 1922-1923.

22. BALLU (A.). Les fouilles de TIMGAD, in, bulletin monumental, Tome65, 1901.
23. BBLANCHARD-LEMEE (M.), Dans les jardins de Djemila. In: Ant. Af., N°34,1998.
24. BEL FAIDA (A.) , les aqueducs de l'Afrique romaine « le dossier épigraphique »,contrôle et distribution de l'eaux dans le Maghreb antique et médiéval , E.F.R, 426, 2009.
25. BENCHALEL (W.), SAMRAOUI (B.), Caractérisation écologique et biologique de l'odonatofaune de deux cours d'eau méditerranéens : l'oued El-Kébir et l'oued Bouaroug (Nord-Est de l'Algérie), in Mediterranee · N°118, 2012.
26. BENRABAH (S.) et al., Caractérisation de la qualité des eaux de l'oued Kebir Quest (Nord Est algérien) , Rev. Sci. Technol., Synthèse 26, université Badji Mokhtar Annaba, 2013.
27. BERTHIER (A), Etablissement agricole antique de Oued Athémnia, in B.A .A, T1, 1962-1965, Paris, 1967.
28. BERTHIER (A.), « La mosaïque de sidi m'cid, Constantine », actes du 104^{eme} congres national des sociétés savantes, l'aquilaine , Bordeaux, 1979.
29. BERTHIER (A.), un habitat punique à constantine, in Ant. Af., 16, 1980.
30. BERTRANDY (F.), « Remarques sur l'évolution du statut juridique de thubursicu numidarum (Khemissa) et de son territoire pendant le haut empire », actes du colloque organisé par le CERHI,(Saint-Etienne 7et8 novembre 2005 « pouvoir et territoire I antiquité-moyen âge »publication de l'université de saint Etienne, 2007.
31. BERTRANDY(F.), l'Etat de P. Sittius et la Numidie cirtéenne (résumé de thèse d'octorat d'etat) , université de Paris IV- Sorbonne, 1989.
32. BERTRANDY (S.), Cirta, encyclopédie berbère, 13, 1994.
33. BLONSKI (M.), Corps propre et corps sale chez les Romains, remarques historiographiques, in dialogues d'histoire ancienne, presses universitaires de franche-comté, 2015.
34. BOBO (J.), J.MOREL (J.), Les peintures rupestres de l'abri du Mouflon et la station préhistorique du Hammam Sidi Djeballa dans la Cheffia (Est Constantinois), in libyca Tome III 1^{er} semestre 1955.
35. BOUET (A.),Chronique thermale, in *Aquitania*, 16.1990, l'Université Niichelcle Niontaigne- Bordeaux III.

36. BOUET (A.), Pratiques balnéaires et acculturation : quelques éléments de réflexion, In : Contacts et acculturations en Méditerranée occidentale, Publications du Centre Camille Jullian, Aix-en-Provence, 2015.
37. CAGNAT (R.), B.A.C 1893.
38. CAGNAT (R.), B.A.C, 1925.
39. CAGNAT (R.), Chronique d'épigraphie africaine, in B.C.T.H, 1894.
40. CAGNAT (R.), Rapport sur les fouilles exécutées en 1927 à ES-SEDRIA, in B.C.T.H, 1928-1929.
41. CAGNAT(R.), B.A.C, 1916.
42. CAGNAT(R.), BALLU (A), B.C.T.H, 1916.
43. CAGNAT(R.), Rapport 1923, BCTH 1924
44. CARUCCI (M.), The Romano-African Domus « Studies in Space, Decoration, and Function », in B.A.R, international series 1731, England, 2007.
45. CHRISTOFLE (M.), Rapport de fouille 1930. in B.C.T.H.
46. CHRISTOL (M.), « Le blé africain et Rome. Remarques sur quelques documents ». In: Le Ravitaillement en blé de Rome et des centres urbains des débuts de la République jusqu'au Haut-Empire. Actes du colloque international de Naples, 14-16 Février 1991. Rome : E.F.R, 1994.
47. CORBIER (M.), De Volsinii à Sestinum : cura aquae et évergétisme municipal de l'eau en Italie , Revue d'Études Latines, 1984.
48. CORBIER (M.), L'évergétisme de l'eau en Afrique: Gargilianus et l'aqueduc de Cirta in africa romana , atti del 3. Convegno di studio, 13-15 décembre 1985, Sassari (Italia). Edizioni Gallizzi, 1986.
49. CORBIER (P.), « Cuicul, une ville moyenne prospère sous les antonins et les sévères », actes du colloque internationale, Paris 21 ,22 octobre 2004, librairie Droz S.A , Genève, 2006.
50. CORREIA (V.H.), The Mosaics of Conimbriga (Prov. Lusitania, Portugal). New Observations on the Activity of their workshops and on their Decorative Programs, in J.M.R, 10, 2017.
51. COUËLLE (C.), Balaneutikè : le bain et les soins du corps dans l'Antiquité gréco-romaine. Journées de l'Antiquité et des Temps anciens 2014-2015, Faculté de Lettres et Sciences humaines; Université de La Réunion, 2014, Saint Denis, La Réunion.
52. CRISTINA (A.), LECHILLI (E.), Les différentes représentations et symboliques du cheval à travers l'iconographie de la région de Cirta du Ier à la fin du IIIe siècle après J.-C., in situ, 27, 2015.

53. CUQ (É.), La maison romaine à l'époque impériale, In J.Sav , 15^e année, Juin 1917.
54. DE PACHTERE (F. G.), Les nouvelles fouilles d'Hippone , In M.A.H , tome 31, 1911.
55. DELBARRE-BÄRTSCHI (S.), Les mosaïques romaines en suisse, ANTIQUA 53, Basel, suisse, 2014.
56. DELORME (J.), Etude architecturale de VITRUVÉ VII, in B.C.Hé, 1949. 73 .
57. D'ESCURAC-DOISY(H.), Inscriptions funéraires de Timgad, in *Libyca*, IV, 1, 1956.
58. DESSALES (H.), « Le prix de l'eau dans l'habitat Romain : une étude des modes de gestion à Pompéi, « ver une gestion intégrée de l'eau dans l'empire », actes du colloque international, université Laval, octobre2006, N°18.
59. Doc. SERIZIAT, Etudes sur Tébessa et ses environs, in Bull. Ac. Hippone, N°22, 1886.
60. DONDIN PAYRE (M.), Les thermes romains de theveste –Tébessa et l'album de François Maurice Allotte de la Fuye, un document sur les vestiges méconnus, in C.R.A.I, 154-2, 2010.
61. DRICI (S.), Réflexions sur les maisons romano-africaines et sur quelques éléments décoratifs de l'Algérie antique, in L'Africa Romana XVII, Siviglia 2006, Rome, 2008.
62. DUMAS (M.), « Révolution de l'architecture domestique du Proche-Orient protobyzantin (IV-VIIe siècle): culture de l'élite au détriment de la culture classique? », Dans *archeo-doc*, Actes de la 10e journée doctorale d'archéologie Paris, 20 mai 2015, Éditions de la Sorbonne, Paris, 2017.
63. ECK (W.), Die Wasserversorgung im römischen Reich : sozio-politische Bedingungen, Recht und Administration, dans DIE WASSERVERSORGUNG ANTIKER STÄDTE, II, Herausgeber : Frontinus-Gesellschaft e. V. (Mainz) 1988.
64. ELODIE (M.T.), Le fil d'Ariane et la traversée du Labyrinthe. in G.A.I.A, numéro 17, 2014.
65. FENTRESS (E.), Sétif, les thermes du V^e siècle, in Africa Romana, IV, 1988.
66. FEVRIER (P.A), Remarques sur les mosaïques de basse époque de Djemila, in B.S.N.A.F, 1965-1966.

67. FEVRIER (P.A.), Le fait urbain dans le Maghreb du III^e siècle- Les signes d'une crise-, in E.F.R, N°225, 1996.
68. FOURNET (Th.) et REDON (B.), Le bain grec à l'ombre des thermes romains, in les dossiers d'archéologie, N°342, 2010.
69. GERMAIN (S.), Remarques sur des mosaïques de style fleuri de Timgad et d'Hippone. In: Ant.Af. 7,1973.
70. GINOUVES (R.), Sur un aspect de l'évolution des bains en Grèce vers le IV^e siècle de notre ère, in B.C.Hé, 1955.
71. GRELOIS (E.), Etudes archéologique sur Ghelma, in M.A.N.M., première partie, bureau de l'académie, Metz,1852.
72. GSELL (S.), B.C.T.H., 1946-49,
73. GSELL (S.), Notes d'archéologie Algérienne, in B.C.T.H, 1901,p 311.
74. GUERY (R.), Fouilles de Sétif (1959-1966), in B.A.A, 1970.
75. GUIZANI (S.), « l'architecture domestique antique en Tunisie », dans La Tunisie antique et islamique, éditions Nirvana, Tunisie, 2013.
76. GUIZANI (S.), « Les maisons de l'aristocratie romaine en Tunisie :pouvoir et abus de pouvoir », Art et Pouvoir en Méditerranée antique et médiévale, 4^{ème} Colloque international, I.S.S.H.Tunis 20 - 22 avril 2017.
77. HERON DE VILLEFOSSE (A.), Les mosaïques de Tébessa (Théveste) , in R.S.A.C,24, 1886-1887.
78. JAMES W. RING, Windows, Baths, and Solar Energy in the Roman Empire, in A.J.A., Vol. 100, n° 4 (Oct., 1996).
79. JAUBERT (le chanoine), Reliquaires- d'enchr-akhrib et ruines romaines d'ain-touta , in R.S.A.C , n°37-1903
80. JOUFFROY (H.), « Les eaux thermales et les cultes des eaux », Les *Aquae* Africaines », acte du colloque 28-30 septembre 1990, université de tours.
81. JUDAS (A.), Sur l'identité des mots Thapsus et Saf Saf .in mémoire de la société des antiquaires de France, 1859.
82. LANCEL (S.), Actes de la conférence de Carthage en411, vol. 4, Sources chrétiennes 373, Paris.
83. LANTIER (R.), Les Eaux et leur culte en Gaule. In: J. Sav. n° 3, 1962.
84. LASSERE (J.M.), Africa quasi Roma (256av. j.c-711ap.j.c), revue des études d'antiquités africaines, CNRS éditions, 2015.
85. LASSERE (J. M.), La population de Theveste, in AOURAS, paris, N°6, 2010.

86. LASSUS (J.), l'archéologie algérienne en 1958 « Henchir Safia », in LIBYCA, T VII, 2^{ème} semestre, 1959.
87. LASSUS (J.), les mosaïques découvertes récemment en Algérie, in comptes rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles lettres, 106 e Année, 1962.
88. LEFEBRE (S.), La société politique de Theveste (Tebessa) en Afrique proconsulaire, in AOURAS, Paris, N°6, 2010.
89. LESCHI (L.), B.C.T.H., 1946-49.
90. LESCHI (L.), Commentaire d'une Inscriptions de Timgad, in B.C.T.H, n°35, 1934
91. LESCHI (L.), l'album municipal de Timgad et l'« ordo salutationis » du consulaire Ulpius Maricianus, in revue des études anciennes, T50, 1948.
92. LEVEAU (Ph.), « Les conditions environnementales dans le nord de l'Afrique à l'époque romaine. Contribution historiographique à l'histoire du climat et des relations homme/milieu », colloque 2008 ,Editoriale scientifica, Naple, 2009.
93. LEVEAU (Ph.), Transferts de technologie hydraulique dans l'afrique romaine, In : Ben Hassen, Eau et peuplement au Maghreb durant l'Antiquité et le Moyen Age, Université de Tunis, 2009.
94. LOHMANN,(H.), Beobachtungen zum Stadtplan von Timgad, in Wohnungsbau im Altertum. Bericht über ein Kolloquium in Berlin vom 21.11. bis 23.11.1978.
95. LOUAMRI (A.), MEBARKI, (A.), et LAIGNEL, (B.), Variabilité interannuelle et intra-annuelle des transports solides de l'Oued Bouhamdane, à l'amont du barrage Hammam Debagh (Algérie orientale).in H.S.J, 58 (7), 2013.
96. MALLET (F.), PILON(F.). Le strigile en Gaule, objet utilitaire et vecteur de romanité : l'exemple du strigile de la villa des Champs-de-Choisy à Charny (Seine-et-Marne). Gallia - Archéologie de la France antique, CNRS Éditions, 2009.
97. MAREC (E.), Le thème du labyrinthe et du Minotaure dans lamosaïque romaine, in Hommages à Albert Grenier, vol. 3 (Brussels: Latomus, Revue d'études Latines, 1962).
98. MAREC (E.). Une maison à étages à Hippone. La villa dite « du Procurateur ». In: Ant. Af., T3, 1969.
99. MARÉCHAL (S.), Public and private bathing in late antique north Africa, changing habits in a changing society?, in T.R.A.C, 2015.

100. MATTER (M.), « des chevaux du cirque : économie et passion à Rome », actes des journées d'études internationales organisées par l'UMR7044, études des civilisations de l'antiquité, sous le titre « le cheval dans les sociétés antiques et médiévales », strasbourg 6-7 novembre 2009, bibliothèque de l'antiquité tardive 22, BREPOLs Belgium, 2012.

101. MOLHOLT (R.), Roman Labyrinth Mosaics and the Experience of Motion, The Art Bulletin, 93:3, 2011.

102. MONCEAUX (P.), TIMGAD chrétien. In: École pratique des hautes études, Section des sciences religieuses. Rapport sommaire sur les conférences de l'exercice 1910-1911 et le programme des conférences pour l'exercice 1911-1912, 1910.

103. MOREL (J.), HILLY (J.), Atlas préhistorique de l'Algérie. Chetaïbi (ex-Herbillon), in libyca. Tome XXII 1974.

104. MOREL (J.), L'outillage lithique de la station du Kef-Oum-Touiza, dans l'Est Constantinois, in libyca. Tome 1, 1953.

105. MOREL (J.), La station préhistorique de la Grande Dune d'Aïne Khiaïr, dans la région de La Calle (Est Algérien), in libyca. Tome XVII 1969.

106. MOREL (J.P.), Recherches stratigraphiques à Hippone, in B.A.A, III, 1968.

107. MOREL (J.), Atlas préhistorique de l'Algérie. El Kala (ex. La Calle), in libyca. Tome XXXII – XXXIV 1984 -1985 -1986.

108. MOREL (J.), HILLY (J.), Découverte d'industries du Paléolithique inférieur dans le massif littoral du Cap de Fer et de l'Edough, in libyca Tome III 2^{ème} semestre 1955.

109. MOREL (J.), Le Paléolithique moyen de la région d'El Kala (Est algérien), in libyca. Tome XXVIII-XXIX 1980-1981.

110. MORIZOT (P.), « Une étape sur les voies romaines de la wilaya de Jijel, la *Respublica Vahartanensium* », 110^e Congrès national des sociétés savantes, Montpellier, 1985, III^e Colloque sur l'histoire de l'archéologie de l'Afrique du Nord.

111. MORVILLEZ (É.), Les mosaïques des bains d'Oued Athmenia (Algérie) « les calques conservés à la médiathèque de l'Architecture et du Patrimoine ». In B.S.N.A.F, 2006.

112. PAPIER (A.), Hippone des vestiges de construction et de mosaïques Romaines et Byzantine découvertes dans le jardin de CHEVILLOT de 1895 à 1898 « notices sur les fouilles », in BAH, N°29 (1896-1898).

113. PAVIS D'ESCURAC (H.), Flaminat et société dans la colonie de timgad, in Ant. Afr., T15, 1980.

114. PETTENNO (E.). Le aquae e le terme curative dell'Africa romana. In: Ant. Af. N° 34,1998.
115. PFLAUM (H.G.), l'Afrique Romaine, in Scr. Var I, Paris, 1978.
116. PFLAUM (H.G.), La date de la création de la province de Numidie. In: B.S.N.A.F, 1959.
117. PFLAUM (H.G.), Les flamine de l'Algérie Romaines, in Scr. Var. I.
118. PICARD (Ch. G), Une mosaïque pompéienne de Constantine et l'installation de Sittii à Cirta, in R.A, 1980.
119. PICARD (Ch.G.), La mosaïque romaine en Afrique à propos de l'ouvrage de K DUNBABIN, « the mosaics of roman north africa, studies in iconography and patronage », in R.A, fasc2, 1980.
120. PICARD (Ch.G.), le palais de sittius à cirta, in B.C.T.H, nouvelle série 18,1982, fascicule B (Afrique du nord), publie en 1988.
121. POULLE (A .), Nouvelles inscriptions de Lambèse et de Timgad, in R.S.A.C, n° 23,1883-1884, pp202-203.
122. POULLE (A.), Les bains de pompeianus , in R.S.A.C, V.19, 1878.
123. REBUFFAT (R.), Maisons à péristyle d'Afrique du Nord. Répertoire de plans publiés (II). In M.E.F.R. Antiquité T. 86, N°1. 1974.
124. REBUFFAT (R.). Cuicul, le 21 juillet 365. In: Ant. Af, 15,1980.
125. ROBUFFAT (R.), « vocabulaires thermal, le bain romain dans les thermes romains » , pp 1-34, acte de la table ronde organisée par l'E.F.R(11-12 novembre 1988), ROME, 1991.
126. SALAMA (P.), Bornes milliaires d'Afrique proconsulaire (un panorama historique du bas empire romain), E.F.R-101, 1987.
127. SALIOU (C.), « Bains et histoire urbain (l'exemple d'Antioche sur l'Oronte dans l'antiquité » , Acte de colloque internationale balénorient, Institut français du Proche-Orient , - Damas, Syrie 2-6 nov.2009 (coediction IFAO. Etudes urbaines N°9.2014).
128. SALIOU (C.), « Le nettoyage des rues dans l'Antiquité : fragments de discours normatifs dans P. Ballet, P. Cordier, N. Dieudonné-Glad (dir.), La ville et ses déchets dans le monde romain. Rebut et recyclages », Actes du colloque de Poitiers, 19-21 septembre 2002, Montagnac, 2003.
129. SERRADJ-REMILI (N.), Des expressions et des sentiments sur des pavements dionysiaques de l'Algérie, in J.M.R 14.2021.
130. SLIM (H.), La mosaïque du labyrinthe de Thysdrus. In: Ant. Af., n°15,1980.
131. STERN (H.), Mosaïque trouvée à Jonvelle (haute Saône), in B.S.N.A.F, 1971.

132. TADEUSZ (K.), Snobisme municipal ou prospérité relative? Recherches sur le statut des villes nord-africaines sous le Bas-Empire Romain, Traduit en français par Michal MICHALAK, in Ant. Af, n° 8 ,1974.

133. TORRENC (S.), La dédicace du temple du génie de la colonie à Timgad, in Ant. Af., n°21, 1968.

134. VARS (CH.), Inscriptions découvertes à Timgad pendant l'année 1901, in R.S.A.C, N°.35, 1901.

135. VARS (Ch.), Inscriptions inédites de la province de constantine pour les années1897 et 1898, in R.S.A.C, N°32, 1898

136. VENDRIES (C.), l'Ane et le Lion sur une peinture murale de pompéi (VII 6, 34-35) le triomphe de la virilité asinienne, Cahiers du Centre Gustave Glotz,vol. 20 (2009),

137. WAROT (S.), Libyca, 1960.

138. WUILLEUMIER, B.A.C,1928-1929.

2-3 الرسائل الجامعية

1. ABDEDDAIM (H.), Contribution a l'étude de l'influence de la structure du réseau hydrographique sur le risque hydrologique « cas des bassins de l'est de l'Algérie », thèse doctorat En Sciences Hydrauliques, université Mohamed Khider – Biskra ,2017-2018.

2. FAUQUET (F.), Le cirque Romain essai de théorisation de sa forme et de ses fonctions, thèse de doctorat en histoire, université de bordeaux III,2002

3. FOULCHE (A.L.), Le paysage balnéaire de Rome dans l'Antiquité : aspects topographiques, juridiques et sociaux. Thèse doctorat en Archéologie et Préhistoire, Université de Grenoble, 2011.

4. HEWITT (S.), The urban domestic baths of Roman Africa, thèse pour le grade de docteur en philosophie , McMaster University, Hamilton, Ontario, 2000.

5. RONIN (M.), La gestion commune de l'eau dans le droit romain. L'exemple de l'Afrique romaine et de l'Hispanie (Ier siècle avant – Ve siècle après J.-C.), thèse doctorat en Histoire, Université Laval, Québec, Canada , 2015.

6. VURPILLOT (D.). Les sanctuaires des eaux en Gaule de l'est : origine, organisation et évolution (I^{er} siècle av. J.-C. - IV^e siècle après J.-C.). Thèse de doctorat en Archéologie. Université de Franche-Comté, 2016.

1. Agence de bassin hydrographie (constantinois-seybousse-mellegue), les cahiers de l'agence N° 1, 1999.

2. Agence Nationale des Ressources Hydrauliques, Algérie

3. Année épigraphique

AÉ, 1889, 11	AÉ, 1907, 235	AÉ, 1907, 240	AÉ, 1907, 242
AÉ, 1908, 244	AÉ, 1908, 245	AÉ, 1934, 170	AÉ, 1941, 117
AÉ, 1942-43, 93	AÉ, 1948, 112	AÉ, 1966, 511	AÉ, 1971, 508
AÉ, 1973, 646	AÉ, 1973, 573	AÉ, 1978, 891.	AÉ, 1978, 891
AÉ, 1982, 958	AÉ, 1988, 1119	AÉ, 1991, 1665	AÉ, 1996, 1802
AÉ, 1999, 80	AÉ, 2000, 1726	AÉ, 2002, 1657	

4. Carte de réseau routier de l'Afrique Romaine, 1/1500000, établie par P. SALAMA, 1947, service cartographique, gouvernement général de l'Algérie, 1949.

5. Carte topographique « Djebel Fououa », Algérie (dept. de constantine, f^{lle} n°297, éch. 1/50000, ministère des travaux publics et de transports, institut géographique national, paris, mise à jour partielle de 1960

6. Carte topographique « OUED ATHMENIA », Algérie (dept. de constantine f^{lle} n°96, , ministère des travaux publics et de transports, institut géographique national, paris, mise à jour partielle de 1960.

7. Chronique « l'archéologie algérienne en 1927 », in R.af, 1928 .

8. http://archeoacceca.chez.com/page_2.htm, consulter le 15/01/2020 à 23^h.44^m

9. <https://www.photo.rmn.fr/archive/89-003807-2C6NU0HMH9Q6.html>, consulter le 16/01/2021 à 10^h.59^m

10. Plans et mosaïques des bains de Pompeianus près d'Oued-Athmenia, publication de R.S.A.C, 1880.

11. Projet carte archéologique de l'Est Algérien 2003-2007 , compte-rendu des trois premières campagnes 2003-2004-2005 ,

12. SOULIE (F.), les citernes d'Hippone ont été réparées, pp 799-802, <https://www.annaba-patrimoine.com/citernes-hippone/>. Publié 15 août 2016 . Mis à jour 29 avril 2018, consulter le 07 février 2021 à 00^h.45^m

13. www.nessahra.net/le-musee-de-djemila-comme-vous-ne-l-avez-jamais-vu, consulter le 25/07/2021 à 14^h.20^m

فهرس الصور والمخططات
والخرائط والأشكال والتّمثيلات
البيانفة

فهرس الصور

رقم الصفحة	العنوان	رقم الصورة
59	فسيفساء حمّامات المنزل شمال الكابتول بئاموقادي (فسيفساء النعال)	1.
59	نقش على لوح رخامي بجمّامات مدينة فريجوس	2.
64	أنابيب فخارية للهواء الساخن مدمجة في الجدران - بومبيي	3.
69	بعض الأدوات التي استعملت في الحمّامات	4.
94	توزيع الحمّامات الخاصة بمدينة ثاموقادي	5.
96	صورة عامة لجمّامات منزل الوحدة 17	6.
98	القاعة الساخنة الجنوبية	7.
98	جزء من القاعة الساخنة الشماليّة يظهر بقايا التسخين الجداري	8.
99	الحوض الدافئ المستحدث بعد إنشاء البازيليكا	9.
99	الموقد الجنوبي	10.
99	الموقد الشمالي	11.
99	الأعمدة الحاملة لأرضية القاعة الساخنة الشماليّة	12.
100	القاعة الباردة	13.
100	الحوض البارد الذي حوّل إلى حوض تعميم	14.
105	جزء من القاعة الساخنة لجمّامات يانوياريوس يظهر جزء من نظام التسخين	15.
106	الحوض الساخن النصف دائري	16.
106	الحوض الساخن مستطيل الشكل المنتهي بحنية	17.
108	التسخين الجداري للحوض الصغير	18.
108	أرضية القاعة الساخنة	19.
108	الموقد الأول في الجهة الجنوبية الشرقية	20.
108	الموقد الثاني في الجهة الجنوبية الغربية	21.
108	القاعة الباردة	22.
109	الحوض البارد	23.
111	منظر عام لجمّامات منزل الوحدة 38	24.
112	القاعة الساخنة	25.
112	الحوض الساخن	26.
113	موقد الحمّامات	27.

113	28.	آثار التسخين الجداري والتلبيس
113	29.	القاعة الدافئة
115	30.	القاعة الباردة
115	31.	الحوض البارد
116	32.	منظر عام لحمامات منزل انتصار فونيس
118	33.	القاعة الساخنة للحمامات
118	34.	الحوض الدافئ المحتمل
119	35.	الموقد الشمالي
119	36.	الموقد الجنوبي
120	37.	فسيفساء انتصار فينوس
121	38.	فسيفساء القاعة الكبرى بمنزل انتصار فينوس
122	39.	منظر عام لمنزل الوحدة 69
124	40.	القاعة الساخنة
124	41.	القاعة الدافئة
124	42.	موقد القسم الساخن للحمامات
124	43.	عينّة من البلاطات الآجورية لأعمدة الهيوكوست
125	44.	أرضية بهو الدّخول الجنوبي (القاعة الباردة؟)
125	45.	سلم المدخل الجنوبي
126	46.	حوض المنزل
127	47.	حمامات منزل الحوض
128	48.	القاعة الساخنة
129	49.	القاعة الباردة
131	50.	حمامات منزل سارتيوس
135	51.	فتحة تصريف مياه القاعة الباردة
135	52.	فتحة تصريف مياه الحوض البارد
137	53.	القاعتان الساخنتان لحمامات سارتيوس
137	54.	الجزء الخارجي لموقدي حمامات سارتيوس
139	55.	الحوض البارد لحمامات سارتيوس
139	56.	فسيفساء الحوض البارد
140	57.	جزء من فسيفساء القاعة الباردة

140	58.	فسيفساء الحوض البارد (صورة من الأرشيف)
141	59.	فسيفساء التابلينيوم لمنزل سارتيوس
142	60.	منظر عام لحمّامات هيرمأفروديت
143	61.	فسيفساء هيرمأفروديت
145	62.	بلاطات آجورية لأعمدة نظام التسخين
145	63.	عمود حجري لحمل أرضية نظام التسخين
146	64.	القسم البارد لحمّامات هيرمأفروديت
148	65.	البئر المحاذية لحمّامات ورشة الفخّار
150	66.	القاعة الساخنة الأولى
150	67.	القاعة الساخنة والحوض التابع لها
151	68.	القاعة الدافئة
151	69.	حوض القاعة الدافئة
152	70.	منظر عام لحمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس
154	71.	القاعة الدافئة
154	72.	القاعة الساخنة
155	73.	القاعة الباردة
155	74.	الحوض البارد
156	75.	فسيفساء القاعة الباردة
156	76.	فسيفساء القاعة الدافئة
158	77.	منظر عام لحمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف
160	78.	القاعة الساخنة الغربية
160	79.	جزء من الحوض الساخن المهيأ في المرحلة الثانية
160	80.	القاعة الساخنة الشرقية
161	81.	القاعة الباردة
161	82.	الحوض البارد
161	83.	الكوّة المهيأة بالقسم البارد للحمّامات
162	84.	فسيفساء القاعة الباردة
162	85.	فسيفساء القاعة الباردة معروضة بمتحف تيمقاد
163	86.	الحنية نصف دائرية للقسم البارد بالحمّامات
163	87.	الحنية نصف دائرية معروضة بمتحف تيمقاد

166	قاعة التّعرّيق	.88
167	القاعة السّاخنة الشّرقية	.89
167	القاعة السّاخنة الغربية	.90
167	الموقد الجنوبي الشّرقى	.91
167	موقد قاعة التّعرّيق	.92
168	الأعمدة الحاملة لأرضية القاعة السّاخنة الشّرقية	.93
168	الأرضية المحمولة فوق أعمدة آجورية لقاعة التّعرّيق	.94
169	فتحات التّسخين العمودي للقاعة السّاخنة الشّرقية	.95
169	فتحات التّسخين العمودي لقاعة التّعرّيق	.96
171	الحوض الجنوبي للقاعة الباردة	.97
171	الحوض الشّمالي للقاعة الباردة	.98
173	لوحة مشكّلة لفسيفساء المنزل شمال الكابتول	.99
174	منظر عام لحمّامات منزل رأس ميدوزا	.100
176	القاعة السّاخنة	.101
176	القاعة الدّافئة	.102
177	القاعة الباردة	.103
178	فسيفساء رأس ميدوزا معروضة بمتحف تيمقاد	.104
180	توزيع الحمّامات الخاصّة بمدينة كويكول	.105
185	منظر عام لحمّامات منزل أوروبا	.106
186	ثقب تصريف المياه في الاتجاه الغربى للحمّامات	.107
187	قاعة التّعرّيق للحمّامات الجنوبيّة	.108
188	موقد قاعة التّعرّيق	.109
189	القاعة الباردة	.110
189	الحوض البارد	.111
190	تقنية بناء الحوض البارد	.112
190	تلبّيس الحوض البارد	.113
191	موقد الحوض السّاخن للحمّامات الصّغرى بمنزل أوروبا	.114
191	الحوض البارد للحمّامات الصّغرى	.115
191	الحوض السّاخن للحمّامات الصّغرى	.116
195	القاعة السّاخنة الوسطى	.117

195	موقد القاعة الساخنة الوسطى	118.
196	القاعة الساخنة	119.
196	موقد القاعة الساخنة	120.
197	منظر عام للقاعة الباردة لحمامات منزل الحمار	121.
197	جزء من القاعة الباردة يبرز البناء بالتقنية الإفريقية	122.
198	الحوض الشرقي	123.
198	فسيفساء الحوض الشرقي	124.
199	الحوض الغربي	125.
200	فسيفساء حمام فينوس لقاعة الاستقبال بمنزل الحمار بكويكول	126.
201	فسيفساء القاعة الباردة	127.
201	فسيفساء الحمار المنتصر <i>assinus nica</i>	128.
202	إعادة تصوّر لفسيفساء القاعة الدافئة	129.
202	الصورة الرئيسية لفسيفساء القاعة الدافئة	130.
206	قناة تصريف مياه الحمامات الجنوبية وأسفلها قناة قادمة من الشارع الكبير شمال/جنوب	131.
206	صورة من الأرشفة لقناة تصريف مياه الحمامات الجنوبية	132.
208	القاعة الدافئة للحمامات الجنوبية	133.
209	تقنية البناء بالآجر بالحمامات الجنوبية	134.
209	التقنية الإفريقية بالحمامات الجنوبية	135.
209	تقنية البناء بالحجارة منتظمة الزوايا بالحمامات الجنوبية	136.
210	القاعة الساخنة والموقد الجنوبي	137.
211	الموقد الشمالي	138.
212	الحوض البارد للحمامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس	139.
212	تقنية بناء الحوض البارد بالآجر	140.
212	آثار تلبيس الحوض البارد بتقنية الملاط الممزوج بكسر الآجر	141.
213	فسيفساء الحوض البارد	142.
215	القاعة الساخنة للحمامات الشمالية الشرقية	143.
215	موقد القاعة الساخنة للحمامات الشمالية الشرقية	144.
216	الحوض البارد الغربي	145.
216	بقايا فسيفساء الحوض البارد الغربي	146.

217	147.	حمّامات منزل الجص
221	148.	جزء من الحمّامات يظهر الموقد والقاعة الساخنة (حفريات "مونييه" سنة 1937)
225	149.	فسيفساء القاعة التي تتقدّم القاعة ذات سبع حنيات (M42a-M42b)
226	150.	أجزاء من الفسيفساء M43 بحمّامات منزل باخوس
228	151.	أشغال ترميم خزّانات أدريانوس
229	152.	توزيع الحمّامات الخاصة بمدينة هيبوريغيوس
231	153.	منظر عام للمنزل والحمّامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية
233	154.	الخزان مستطيل الشكل
233	155.	الخزان أو البئر رباعي الشكل
234	156.	قناة تصريف مياه القاعة الباردة
234	157.	قناة تصريف مياه الحوض الغربي الساخن
236	158.	الحوض الساخن الغربي
236	159.	القاعة الساخنة والحوض الشرقي
237	160.	بقايا أعمدة الهيبيوكوست
237	161.	موقد الحمّامات
238	162.	القاعة الباردة للحمّامات
238	163.	الحوض البارد
240	164.	فسيفساء القاعة الباردة
240	165.	فسيفساء القاعة الساخنة
240	166.	حاشية فسيفساء القاعة الساخنة
243	167.	فوهة الخزان الجنوبي وجزء من غطائها بالمنزل ذو الطوابق
243	168.	الخزان الغربي بالمنزل ذو الطوابق
245	169.	القاعة الساخنة A
246	170.	إعادة تصوّر لفسيفساء القاعة C
247	171.	إعادة تصوّر لفسيفساء القاعة D
247	172.	إعادة تخطيط لفسيفساء القاعة D
248	173.	جزء من حمّامات منزل متاهة المينوتور (كثافة الغطاء النباتي)
250	174.	قناة تصريف مياه الحمّامات
251	175.	الحوض البارد لحمّامات منزل متاهة المينوتور

176.	الرّواق الفاصل بين القسمين السّاخن والبارد	252
177.	عينة من آجر أعمدة الهيوكوست	252
178.	جزء من فسيفساء هندسية بحمّامات منزل متاهة المينوتور	252
179.	إعادة تصوّر لفسيفساء المتاهة	253
180.	مركز فسيفساء المينوتور	253
181.	خزانات منزل الفسيفساء	256
182.	الخزان الكبير بمدينة كاستلوم تيديتانوروم	257
183.	فتحة تموين خزانات المنزل	258
184.	قنوات من الفخّار تربط الخزان بالبر	259
185.	قناة من الرّصاص تربط الخزان بالحمّامات	259
186.	القاعة السّاخنة لحمّامات منزل الفسيفساء	261
187.	القاعة الدّافئة لحمّامات منزل الفسيفساء	261
188.	بقايا الحوض السّاخن	262
189.	بقايا موقد القاعة السّاخنة	262
190.	القاعة الباردة لحمّامات منزل الفسيفساء	263
191.	الحوض البارد	264
192.	أجزاء من فسيفساء القاعة الباردة	264
193.	منظر عام لحمّامات بومبيانوس (حسب ألكيه 1929)	268
194.	سلّم الحوض البارد لحمّامات بومبيانوس	275
195.	إعادة رسم فسيفساء الأحصنة من طرف روسي	280
196.	إعادة رسم فسيفساء الأحصنة لحمّامات بومبيانوس من طرف شاباسيار	280
197.	فسيفساء القاعة الباردة بحمّامات بومبيانوس	283
198.	فسيفساء السّباحين معروضة بمتحف سيرتا	290
199.	حمّامات هنشير الصّفية أثناء حفرة ستاوسكي سنة 1958	294
200.	صورة تبين عملية نزع الحوض البارد الشّمالي وجزء من فسيفساء القاعة الباردة	298
201.	صورة تبين عملية نقل الحوض البارد الشّمالي	298
202.	فسيفساء القاعة الأولى أو بهو الدّخول	302
203.	فسيفساء رواق الدّخول	302
204.	فسيفساء قاعة نزع الملابس	302

303	205.	فسيفساء القاعة الباردة الكبرى
303	206.	فسيفساء القاعة الباردة الصّغرى مع الحوض الصّغير
304	207.	فسيفساء عتبة الوصل بين القاعة الأولى وقاعة نزع الملابس
304	208.	فسيفساء عتبة الوصل بين القاعتين الباردتين
304	209.	فسيفساء عتبة الربط بين القاعة الباردة و قاعة الوصل بين هذه الأخيرة وقاعة نزع الملابس
305	210.	منظر عام للمنزل شرق السّاحة العامّة القديمة
307	211.	الخزان أسفل الفناء
307	212.	الخزان الغربي
309	213.	القاعة السّاخنة
309	214.	آثار محور غلق نافذة القاعة السّاخنة
310	215.	القاعة الدّافئة
310	216.	مدخل القاعة الدّافئة
311	217.	فسيفساء القاعة الدّافئة
311	218.	فسيفساء القاعة الدّافئة (صورة من الأرشيف)
313	219.	الحمام الخاص بمادوروس
316	220.	خزان منزل الحمام بمادوروس
316	221.	بئر منزل الحمام بمادوروس
318	222.	صورة ساتيليتية لموقع حمامات قصر فاطمة
321	223.	جزء من مسار قناة تزويد حمامات قصر فاطمة بالمياه
321	224.	واحدة من الحجارة المنحوتة المشكّلة للقناة
321	225.	منظر عام لحمامات قصر فاطمة
323	226.	الحوض البارد للحمامات
323	227.	بقايا الصّباغة على جدران الحوض البارد
324	228.	أحواض الحمامات وآثار الأقواس المشكّلة لمداخلها
325	229.	فسيفساء الحنية النّصف دائرية الكبرى
361	230.	مخزن للحبوب بأوستي
364	231.	أحواض مرتبطة بصناعة وتشكيل الفخّار بورشتين من مدينة ثاموقادي
376	232.	الآجر المربّع (منزل هيرمأفروديت)
376	233.	الآجر المثلث (منزل الوحدة 17 بثاموقادي)

376	234.	الآجر المستطيل (منزل ورشة الفخّار)
377	235.	تقنية البناء بالآجر (منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم)
377	236.	التقنية الإفريقية (حمامات منزل الحمار)
378	237.	التقنية المختلطة (حمامات منزل سارتيوس)
378	238.	تقنية البناء بالحجارة الصّغيرة المنتظمة (حمامات منزل أوروبا)
378	239.	تقنية البناء بالدبش (حمامات منزل الحمار)
380	240.	جزء من أرضية المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس
380	241.	جزء من أرضية منزل الفسيفساء بكاستيلوم تيديتانوروم
381	242.	أرضية إحدى قاعات القسم البارد بحمامات منزل متاهة المينوتور

فهرس المخططات

رقم المخطّط	العنوان	رقم الصفحة
1.	ملخص إجمالي للأحواض الخمس ومختلف مؤهلاتها الهيدروغرافية	31
2.	شبكة الطّرق الرّومانية بين سيتيفيس وكويكول وميلاف وايجيلجلي	42
3.	مخطّط "تّيبّار" لحمامات منزل الوحدة 17	96
4.	حمامات منزل الوحدة 17 قبل استحداث البازيليكا المسيحية	97
5.	حمامات منزل الوحدة 17 بعد استحداث البازيليكا المسيحية	97
6.	منزل يانوياريوس	103
7.	حمامات يانوياريوس حسب "تّيبّار"	103
8.	نظام تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها	104
9.	القسم الساخن لحمامات يانوياريوس	107
10.	القسم البارد لحمامات يانوياريوس	109
11.	القسم الساخن لحمامات منزل الوحدة 38	112
12.	القاعة الباردة لحمامات منزل الوحدة 38	114
13.	حمامات منزل انتصار فينوس حسب "تّيبّار"	117
14.	حمامات منزل انتصار فينوس	117
15.	منزل الوحدة 69	123
16.	حمامات منزل الوحدة 69	123
17.	منزل الحوض	127
18.	منزل سارتيوس	132
19.	مخطّط حمامات سارتيوس	135
20.	القسم الساخن لحمامات سارتيوس	137
21.	القسم البارد لحمامات سارتيوس	138
22.	حمامات هيرمأفروديت	144
23.	موقع حمامات ورشة الفخّار داخل حي الحرفيين والصناع بثاموقادي	147
24.	حمامات ورشة صناعة الفخّار حسب "تّيبّار"	147
25.	حمامات ورشة صناعة الفخّار	149
26.	الحمامات حسب "تّيبّار"	152
27.	حمامات المنزل غرب حمامات سوق سارتيوس	153

157	المنزل غرب حمّامات فيلادالف	28.
158	حمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف	29.
159	القسم الساخن لحمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف	30.
161	القسم البارد لحمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف	31.
164	حمّامات المنزل شمال الكابتول حسب "تيبار"	32.
165	القسم الساخن لحمّامات المنزل شمال الكابتول	33.
170	القاعة الباردة وحوضيها	34.
171	توزيع الفسيفساء على قاعات وغرف المنزل شمال الكابتول	35.
174	منزل رأس ميدوزا "جنوب باب لمبار"	36.
175	حمّامات منزل رأس ميدوزا	37.
175	مخطّط "تيبار" للحمّامات	38.
183	المخطّط العام لمنزل أوروبا	39.
187	القسم الساخن للحمّامات الجنوبية بمنزل أوروبا	40.
189	القسم البارد للحمّامات الجنوبية بمنزل أوروبا	41.
191	الحمّامات الصّغرى بمنزل أوروبا	42.
193	منزل الحمار بمدينة كويكول	43.
193	حمّامات منزل الحمار "مخطّط تيبّار"	44.
194	القسم الساخن لحمّامات منزل الحمار	45.
197	القاعة الباردة والحوضين المتقابلين	46.
207	الحمّامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس	47.
207	الحمّامات الجنوبية " حسب تيبّار "	48.
208	القسم الساخن للحمّامات الجنوبية بمنزل كاستوريوس	49.
213	المسار الشّبه دائري داخل الحمّامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس	50.
214	الحمّامات الشّمالية الشّرقية لمنزل كاستوريوس	51.
214	أحواض الحمّامات الشّمالية الشّرقية	52.
218	منزل الجص بكويكول	53.
220	منزل باخوس بكويكول	54.
221	حمّامات منزل باخوس والقاعة ذات سبع حنيات (كمعيار للتعرف على مكان الحمّامات)	55.
222	مقطعين على امتداد المحورين (A/A') و (C/C') لحمّامات منزل باخوس	56.

222	مقطعين على امتداد المحورين (B/B') و (D/D') لحمامات منزل باخوس	57.
223	توزيع الفسيفساء على أجزاء حمامات منزل باخوس	58.
230	منازل الواجهة البحرية	59.
230	منازل الواجهة البحرية حسب "دي باشتار"	60.
232	جزء من المنزل في المرحلة الثانية للاستغلال	61.
232	مخطط المرحلة الثالثة	62.
234	مسار المياه داخل الحمامات	63.
235	أقسام الحمامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية	64.
244	المنزل ذو الطوابق " البروكوراتور	65.
245	القاعة الساخنة A	66.
260	المخطط العام لمنزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم	67.
261	القسم الساخن لحمامات منزل الفسيفساء بكاستلوم تيديتانوروم	68.
263	القسم البارد لحمامات منزل الفسيفساء	69.
271	مخطط حمامات بومبيانوس	70.
277	توزيع الفسيفساء على قاعات وأجزاء حمامات بومبيانوس	71.
287	حمامات سيدي مسيد	72.
295	المخطط العام لحمامات هنشير الصّفية	73.
295	أقسام ومكونات حمامات هنشير الصّفية	74.
300	مخطط توزيع الفسيفساء على أقسام حمامات هنشير الصّفية	75.
308	حمامات المنزل شرق السّاحة العامّة القديمة	76.
314	مخطط مدينة مادوروس (النواة الأولى) . منزل الحمام رقم 15	77.
317	منزل الحمام بمدينة مادوروس	78.
317	حمام المنزل بمادوروس	79.
320	مقطع طبوغرافي لمسار قناة المياه من المنبع إلى الحمامات	80.
320	الحوض أو الخزّان القريب من الحمامات	81.
322	حمامات قصر فاطمة مع بعض الاستنتاجات المحتملة	82.
324	حدود الحمامات وبقايا حجارة البناء المتناثرة	83.
362	منزل الأحواض الصّغيرة بمدينة كويكول	84.

فهرس الخرائط والأشكال والتمثيلات البيانية

1. فهرس الخرائط

رقم الخريطة	العنوان	رقم الصفحة
1.	تحديد المجال الجغرافي للدراسة	17
2.	توزيع مناطق المغياثية في شمال الجزائر	22
3.	توزيع الأحواض المائية في الجزائر (التّركيز على الشّرق الجزائري)	26
4.	خريطة توضّح مدى جودة مياه أودية الشّرق الجزائري	32
5.	شبكة الطّرق بين المدن والتّجمعات السّكانية الرّومانية من قرطاج شرقا الى سيتيفيس غربا	35
6.	توزيع بعض الأنصاب الميّلية الرّومانية في مقاطعة البروقنصلية	41
7.	توزيع المحطّات الحمويّة الرّومانية والطّرق والمسالك الرّابطة بينها	49
8.	موقع حمّامات بومبيانوس	265
9.	موقع حمّامات بومبيانوس في الاطلس الأثري "لقزال"	265
10.	تحديد موقع حمّامات هنشير الصّفية	291
11.	الورقة 33 من أطلس برينغتون، في إشارة إلى موقع cerva	292
12.	موقع هنشير الصّفية (رقم 170 في الورقة 40) (فريانة) من الأطلس الأثري (لقزال)	293
13.	موقع حمّامات قصر فاطمة في الأطلس الأثري "لقزال"	318

2. فهرس الأشكال والتمثيلات البيانية

رقم الشكل	العنوان	رقم الصفحة
01	رسم توضيحي لمحك الاستحمام strigile	69
02	مختلف أنواع محكّات الاستحمام	70
03	رسم توضيحي لحوض الاغتسال "لابروم"	70
04	تمثيل بياني لتوزيع الآبار بمدينة تاموقادي	93

347	توجيه الأحواض الساخنة بالحمّات الخاصّة	05
347	توجيه الأحواض الباردة بالحمّات الخاصّة	06
350	توجيه الأحواض الساخنة بالحمّات العمومية لمدينة تاموقادي	07
350	توجيه الأحواض الباردة بالحمّات العمومية لمدينة تاموقادي	08
371	مقارنة بين عدد الأحواض الباردة والساخنة بالحمّات الخاصّة	09

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الرقم	الصفحة
أ	مقدمة
13	الفصل الأول: المؤهلات الطبيعية وآليات بناء الحمامات الخاصة بالشرق الجزائري
14	1- جغرافية المواقع المدروسة وحدودها
14	1-1 تحديد المجال الجغرافي للدراسة
17	2-1 الخصائص الطبيعية والمقاربة التاريخية للشرق الجزائري
19	3-1 مناخ الشرق الجزائري بين الاستمرارية والتغير
22	2- الشبكة الهيدروغرافية (استغلال حقيقي لموارد مائية متعددة)
23	2- 1 أنواع المياه وجودتها حسب المصادر القديمة
25	2- 2 المؤهلات الهيدروغرافية للشرق الجزائري
34	3- الطرق الرومانية المحاذية لمختلف التجمعات السكانية موضوع الدراسة
46	4- البحث في المصطلحات وحدود استعمالها
51	5- تطور الحمامات الخاصة في الجزائر
52	5-1 تسمية الحمامات الخاصة في الجزائر القديمة
56	5-2 دلائل البحث عن الحمامات الخاصة في الشرق الجزائري
56	5-2-1 الملف الإيغرافي
62	5-2-2 نظام التسخين وعناصره
64	5-2-3 مصادر المياه وتصريفها من المبنى
66	5-2-4 أقسام الحمامات وعلاقتها فيما بينها
69	5-2-5 الأدوات المستعملة في الحمامات
72	6- موقع الحمامات وعلاقتها بالمباني المجاورة لها
72	6- 1 القوانين المسيرة والمنظمة للمدن والتجمعات السكانية
74	6- 2 تزويد الحمامات الخاصة بالمياه
86	6-3 حجم المياه مقارنة بعدد السكان
88	خلاصة الفصل

90	الفصل الثّاني: الدّراسة الوصفية والتّقنية للحّمّات الخاصّة بالشرّق الجزائري
91	1- الحّمّات الخاصّة بمدينة تاموقادي
91	1-1 كرونولوجية الأبحاث وتحديد المواقع
92	2-1 المؤهلات الهيدروليكية لمدينة تاموقادي
95	3-1 حّمّات منزل الوحدة 17
95	1-3-1 موقع الحّمّات وتأريخها
96	2-3-1 أقسام حّمّات منزل الوحدة 17
97	1-2-3-1 القسم الساخن للحّمّات
99	2-2-3-1 نظام التّسخين المعتمد بحّمّات منزل الوحدة 17
100	3-2-3-1 القسم البارد للحّمّات
101	4-1 حّمّات منزل يانوياريوس
101	1-4-1 سبب التّسمية وتأريخ الحّمّات
102	2-4-1 موقع حّمّات يانوياريوس
104	3-4-1 حركة المياه داخل الحّمّات
105	4-4-1 أقسام حّمّات يانوياريوس
105	1-4-4-1 القسم الساخن لحّمّات يانوياريوس
107	2-4-4-1 نظام التّسخين في حّمّات يانوياريوس
108	3-4-4-1 القسم البارد لحّمّات يانوياريوس
109	5-4-1 مواد وتقنيات بناء حّمّات يانوياريوس
110	6-4-1 المسار الحموي داخل حّمّات يانوياريوس
110	5-1 حّمّات منزل الوحدة 38
110	1-5-1 موقع الحّمّات وتأريخها
111	2-5-1 تزويد الحّمّات بالمياه وتصريفها منها
111	3-5-1 أقسام حّمّات منزل الوحدة 38
111	1-3-5-1 القسم الساخن للحّمّات
114	2-3-5-1 القسم البارد للحّمّات
115	4-5-1 المسار الحموي داخل حّمّات منزل الوحدة 38

115	1-6 حمّامات منزل انتصار فينوس
115	1-6-1 موقع الحمّامات وتأريخها
117	1-6-2 أقسام حمّامات منزل انتصار فينوس
117	1-6-2-1 القسم الساخن للحمّامات
119	1-6-2-2 القسم البارد للحمّامات حسب "تتيار"
120	1-6-3 فسيفساء منزل انتصار فينوس
121	1-7 حمّامات منزل الوحدة 69
121	1-7-1 موقع الحمّامات
122	1-7-2 أقسام حمّامات منزل الوحدة 69
123	1-7-2-1 القسم الساخن للحمّامات
124	1-7-2-2 القسم البارد للحمّامات
125	1-8 حمّامات منزل الحوض
125	1-8-1 موقع الحمّامات
127	1-8-2 أقسام حمّامات منزل الحوض
127	1-8-2-1 القسم الساخن للحمّامات
129	1-8-2-2 القسم البارد للحمّامات
130	1-9 حمّامات منزل سارتيوس
130	1-9-1 موقع حمّامات سارتيوس ومحيطها العُمُراني
132	1-9-2 تأريخ الحمّامات
134	1-9-3 مصدر المياه وحركيّتها داخل الحمّامات
135	1-9-4 أقسام حمّامات منزل سارتيوس
136	1-9-4-1 القسم الساخن للحمّامات
137	1-9-4-2 القسم البارد للحمّامات
139	1-9-5 المسار الحموي داخل حمّامات سارتيوس
139	1-9-6 فسيفساء حمّامات منزل سارتيوس
141	1-10 حمّامات منزل هيرمأفروديت
141	1-10-1 موقع حمّامات هيرمأفروديت ومحيطها

142	2-10-1 تأريخ الحمّامات
143	3-10-1 حركة المياه داخل الحمّامات
144	4-10-1 أقسام حمّامات منزل هيرمأفروديت
145	1-4-10-1 القسم الساخن للحمّامات
145	2-4-10-1 القسم البارد للحمّامات
146	11-1 حمّامات منزل ورشة صناعة الفخّار
146	1-11-1 موقع الحمّامات وإطارها التّاريخي
148	2-11-1 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها
148	3-11-1 أقسام حمّامات منزل ورشة صناعة الفخّار
148	1-3-11-1 القسم الساخن للحمّامات
151	2-3-11-1 القسم البارد للحمّامات
152	12-1 حمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس
152	1-12-1 موقع الحمّامات وتأريخها
153	2-12-1 أقسام حمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس
154	1-2-12-1 القسم الساخن للحمّامات
154	2-2-12-1 القسم البارد للحمّامات
155	3-12-1 المسار الحموي لحمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس
155	4-12-1 فسيفساء حمّامات المنزل غرب حمّامات سوق سارتيوس
157	13-1 حمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف
157	1-13-1 موقع الحمّامات وتأريخها
158	2-13-1 أقسام حمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف
159	1-2-13-1 القسم الساخن للحمّامات
160	2-2-13-1 القسم البارد للحمّامات
162	3-13-1 فسيفساء حمّامات المنزل غرب حمّامات فيلادالف
163	14-1 حمّامات المنزل شمال الكابتول
163	1-14-1 موقع الحمّامات وإطارها التّاريخي
164	2-14-1 نظام تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها

165	3-14-1 أقسام حمّامات المنزل شمال الكابتول
165	1-3-14-1 القسم الساخن للحمّامات
167	2-3-14-1 نظام التسخين في حمّامات المنزل شمال الكابتول
169	3-3-14-1 القسم البارد للحمّامات
171	4-14-1 المسار الحموي لحمّامات المنزل شمال الكابتول
171	5-14-1 فسيفساء حمّامات المنزل شمال الكابتول
174	15-1 حمّامات منزل رأس ميدوزا
174	1-15-1 موقع الحمّامات
175	2-15-1 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها
175	3-15-1 أقسام حمّامات منزل رأس ميدوزا
176	1-3-15-1 القسم الساخن للحمّامات
176	2-3-15-1 القسم البارد للحمّامات
177	4-15-1 فسيفساء منزل رأس ميدوزا
179	2- الحمّامات الخاصة بمدينة كويكول
179	1-2 لمحّة وجيزة حول الموقع
181	2-2 مصادر المياه الموجهة للحمّامات الخاصة بمدينة كويكول
182	3-2 حمّامات منزل أوروبا
182	1-3-2 الموقع وأصل التسمية
182	1-1-3-2 مداخل حمّامات منزل أوروبا
183	2-1-3-2 أصل تسمية الحمّامات
183	2-3-2 تأريخ الحمّامات
185	3-3-2 حركة المياه داخل المنزل ووصولها إلى الحمّامات
186	4-3-2 تصريف المياه من منزل أوروبا
186	5-3-2 أقسام حمّامات منزل أوروبا
186	1-5-3-2 الحمّامات الجنوبية بمنزل أوروبا
187	أ- القسم الساخن للحمّامات
188	ب- القسم البارد للحمّامات

190	ج - المسار الحموي بالحمّامات الجنوبية لمنزل أوروبا
190	2-5-3-2 الحمّامات الصغرى
192	4-2 حمّامات منزل الحمار
192	1-4-2 المجال العمراني لحمّامات منزل الحمار
192	2-4-2 الإطار التاريخي لحمّامات منزل الحمار
193	3-4-2 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها
194	4-4-2 أقسام حمّامات منزل الحمار
194	1-4-4-2 القسم الساخن للحمّامات
197	2-4-4-2 القسم البارد للحمّامات
199	5-4-2 مواد البناء وتقنياته بحمّامات منزل الحمار
199	6-4-2 فسيفساء حمّامات منزل الحمار
203	5-2 حمّامات منزل كاستوريوس
203	1-5-2 حدود الحمّامات وموقعها داخل المنزل
203	1-1-5-2 مدخل الحمّامات
204	2-1-5-2 أصل تسمية الحمّامات
204	2-5-2 تأريخ حمّامات كاستوريوس
205	3-5-2 تزويد حمّامات منزل كاستوريوس بالمياه وتصريفها منها
207	4-5-2 أقسام حمّامات منزل كاستوريوس
207	1-4-5-2 الحمّامات الجنوبية
207	أ- القسم الساخن للحمّامات الجنوبية
211	ب- القسم البارد للحمّامات الجنوبية
213	ج - المسار الحموي داخل الحمّامات الجنوبية لمنزل كاستوريوس
214	2-4-5-2 الحمّامات الشماليّة الشرقيّة
215	أ- القسم الساخن للحمّامات الشماليّة الشرقيّة
215	ب- القسم البارد للحمّامات الشماليّة الشرقيّة
215	6-2 حمّامات منزل الجص
215	1-6-2 موقع حمّامات منزل الجص

217	2-6-2 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها
218	2-6-3 أقسام حمّامات منزل الجص
219	2-7 حمّامات منزل باخوس
219	2-7-1 موقع حمّامات منزل باخوس
219	2-7-2 تأريخ منزل باخوس
220	2-7-3 أقسام حمّامات منزل باخوس
222	2-7-4 الرّسم المقطعي لحمّامات منزل باخوس
223	2-7-5 فسيفساء حمّامات منزل باخوس
227	3- الحمّامات الرّومانية الخاصّة بمدينة هيبوريجيوس
227	3-1 المؤهلات الهيدروليكية للمدينة
231	3-2 حمّامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية
231	3-2-1 تأريخ الحمّامات
233	3-2-2 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها
234	3-2-3 أقسام الحمّامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية
235	3-2-3-1 القسم الساخن للحمّامات
236	3-2-3-2 نظام التّسخين داخل الحمّامات
237	3-2-3-3 القسم البارد للحمّامات
238	3-2-4 المسار الحموي داخل الحمّامات
239	3-2-5 تقنيات بناء الحمّامات
240	3-2-6 فسيفساء الحمّامات شمال غرب منازل الواجهة البحرية
241	3-3 حمّامات المنزل ذو الطّوابق (البروكوراتور)
241	3-3-1 تأريخ المنزل وحمّاماته الخاصّة
242	3-3-2 تزويد الحمّامات بالمياه وتصريفها منها
244	3-3-3 أقسام حمّامات المنزل ذو الطّوابق
244	3-3-3-1 القسم الساخن لحمّامات المنزل ذو الطّوابق
246	3-3-3-2 القسم البارد لحمّامات المنزل ذو الطّوابق
246	3-3-4 فسيفساء حمّامات المنزل ذو الطّوابق

248	3-4 حمامات منزل متاهة المينوتور
248	3-4-1 موقع المنزل والحمامات
249	3-4-2 تأريخ الحمامات
250	3-4-3 مصدر مياه الحمامات وتصريفها منه
251	3-4-4 أقسام حمامات منزل متاهة المينوتور
252	3-4-5 فسيفساء حمامات منزل متاهة المينوتور
254	4- حمامات منزل الفسيفساء بمدينة كاستلوم تيديتانوروم
254	4-1 موقع الحمامات ومراحل استغلالها
255	4-2 النظام الهيدروليكي بالمدينة وتزويد الحمامات بالمياه
259	4-3 أقسام حمامات منزل الفسيفساء
260	4-3-1 القسم الساخن للحمامات
262	4-3-2 القسم البارد للحمامات
264	4-4 فسيفساء الحمامات
265	5- حمامات بومبيانوس بوادي العثمانية
265	5-1 الموقع وتاريخ الأبحاث
265	5-1-1 موقع الحمامات
266	5-1-2 تاريخ الأبحاث حول الموقع
269	5-2 تأريخ الحمامات
270	5-3 تزويد حمامات بومبيانوس بالمياه وتصريفها منها
270	5-4 دراسة مخطط الحمامات ومكوناتها
272	5-4-1 القسم الساخن للحمامات
273	5-4-2 القسم البارد للحمامات
276	5-5 المسار الحموي داخل حمامات بومبيانوس
276	5-6 دراسة الفسيفساء المكتشفة بالحمامات
277	5-6-1 فسيفساء القاعتين الدافئتين
278	5-6-2 فسيفساء القاعة الساخنة المستطيلة
278	5-6-3 فسيفساء القاعة الساخنة المنتهية بحنية نصف دائرية (فسيفساء الفيلا والأحصنة)

282	5-6-4 فسيفساء القاعة الباردة
284	6- حمامات منزل سيدي مسيد بقسنطينة
284	6-1 إطلالة تاريخية على منزل سيدي مسيد
285	6-2 تأريخ حمامات منزل سيدي مسيد
286	6-3 توفر عنصر الماء في سيدي مسيد واستغلاله
286	6-4 أقسام حمامات منزل سيدي مسيد
289	6-5 فسيفساء حمامات منزل سيدي مسيد
291	7- حمامات هنشير الصّفية ببئر العاتر
291	7-1 المعطيات التاريخية حول الموقع
293	7-2 الوصف العام لحمامات هنشير الصّفية
295	7-3 تزويد المبنى بالمياه وتصريفها منه
295	7-4 أقسام حمامات هنشير الصّفية
296	7-4-1 القسم الساخن للحمامات
297	7-4-2 القسم البارد للحمامات
299	7-5 فسيفساء حمامات هنشير الصّفية
300	7-5-1 فسيفساء المدخل
301	7-5-2 - فسيفساء قاعة نزع الملابس
301	7-5-3 - فسيفساء القاعتين الباردتين
303	7-5-4 - فسيفساء عتبات الأبواب
305	8- حمامات المنزل شرق السّاحة القديمة بتوبورسيكو نوميدياروم
305	8-1 موقع المنزل والحمامات
306	8-2 تزويد الحمامات بالمياه وتصريفها منها
308	8-3 أقسام حمامات المنزل شرق السّاحة العامّة القديمة
308	8-3-1 القاعة الساخنة
309	8-3-2 القاعة الدّافئة
310	8-4 فسيفساء الحمامات
310	8-4-1 فسيفساء القاعة الساخنة

310	8-4-2 فسيفساء القاعة الدّافئة
312	9- منزل الحمّام بمادوروس
312	9-1 الموقع والمساحة
313	9-2 تأريخ الحمّامات
315	9-3 منظومة التّروّد بالمياه داخل المدينة
316	9-4 مكونات الحمّام
318	10-حمّامات قصر فاطمة
318	10-1 موقع حمّامات قصر فاطمة
318	10-2 تاريخ الأبحاث بالمنطقة
319	10-3 نظام تزويد الحمّامات بالمياه
321	10-4 الوصف العام للحمّامات وأقسامها
325	10-5 فسيفساء حمّامات قصر فاطمة
326	خلاصة الفصل
328	الفصل الثّالث: تحليل المعطيات واستنتاجات عامّة
329	1- مقوّمات إنشاء الحمّامات الخاصّة "المقاربة السّوسيواقتصادية والدّلائل المادية"
329	1-1 مكانة المدينة وعلاقتها بتوفر الحمّامات الخاصّة
331	1-2 المكانة الاجتماعية للأشخاص وعلاقتها بامتلاك الحمّامات الخاصّة
341	2- موقع الحمّامات الخاصّة وعلاقتها بمحيطها
341	2-1 مدى استجابة مخطّطات الحمّامات الخاصّة لتوجيهات فيتروفينوس
341	2-1-1 توجيه الحمّامات الخاصّة
342	2-1-2 توجيه الأحواض داخل الحمّامات الخاصّة
351	2-2 حمّامات المنازل الحضرية والحمّامات الرّيفية
352	2-3 إشكالية بناء الحمّامات كعناصر أساسية أو لواحق بالمنزل
353	2-4 مدى تأثير الحمّامات على طوابق المنزل
354	3- الحمّامات الخاصّة في مواجهة العمومية
354	3-1 الرّغبة الشّخصية والدّافع العام لإنشاء الحمّامات الخاصّة
357	3-2 الحمّامات الخاصّة ذات طابع عمومي

359	4- مكونات الحمامات الخاصة وعلاقتها فيما بينها
360	4-1 إشكالية التفرقة بين القاعات الساخنة للحمامات الخاصة وقاعات ذات وظيفة غير حموية
363	4-2 التوزيع الفضائي لعناصر الحمامات
366	4-3 نظام التسخين " الهيبوكوست "
367	4-4 مقارنة بين الأحواض الساخنة والباردة داخل الحمامات الخاصة
368	4-5 تعدد الأحواض في الحمامات الخاصة ودلالاتها
371	4-6 الحمامات التي تحتوي أحواضا دافئة
372	4-7 المسار الحموي داخل الحمامات الخاصة
374	5- تقنيات بناء وتلبيس الجدران وتبليط الأرضيات
374	5-1 تقنيات بناء الجدران في الحمامات الخاصة
378	5-2 تقنيات تلبيس الجدران
379	5-3 تقنيات تبليط الأرضيات
381	6- دلالة الديكور داخل الحمامات الخاصة
381	6-1 العلاقة بين عنصر الماء والمعبودات
383	6-2 الفسيفساء وطبيعة المشاهد
385	7- تدهور الحمامات الخاصة ومحدودية انتشارها
385	7-1 سبب نقص أو تدهور الأحواض في حمامات الفترة المتأخرة
386	7-2 عوامل اندثار الحمامات الخاصة
388	خلاصة الفصل
390	خاتمة
395	قائمة المراجع
413	فهرس الصور
422	فهرس المخططات
425	فهرس الخرائط والأشكال والتّمثيلات البيانية

الملخص:

يعالج هذا البحث موضوع الحمامات الرومانية الخاصة في الشرق الجزائري، سواء تلك المبنية داخل منازل المدن، إما بناء أصيلاً أو مضافاً في فترات لاحقة، أو تلك الملحقة بالمنازل الريفية، بين هذا وذاك تختلف مساحة كل منها، كما تتعدد فيها القاعات والأحواض، وعلى عكس ما كان يعتقد أنّ الحمامات الخاصة لا يستعملها إلا أصحابها، فقد ثبت خلاف ذلك، إذ نجدها على ثلاثة أنواع: حمامات خاصة بآتم معنى الكلمة لا يرتادها إلا مالكوها، وحمامات خاصة داخل المنازل تفتح للأقارب والزوّار، وحمامات خاصة ذات طابع عمومي ملحقة بالمنازل الريفية أو الورشات، أو المنازل الجماعية المعدة للإيواء، وتقنياً خلص البحث أنّه للحكم على طبيعة المباني الحموية، لا بدّ من توفر مجموعة من الدلائل، في مقدّماتها نظام التسخين مكتمل العناصر، ونظام تزويدها بالمياه وتصريفها منها، بالإضافة إلى دلالات أخرى مرتبطة بالديكور، تعبّر عنها المشاهد الفسيفسائية مختلفة المواضيع، التي بلّطت بها أرضيات قاعاتها وأحواضها.

Abstract:

This research paper examines the subject of private Roman baths in the east of Algeria, two types: Built within city houses, either original or later added, and attached to rural houses " *villae rusticae*", the size of each is different, and the halls and basins are numerous. Contrary to the belief that only private bathrooms were used by their owners, they proved to be in three types: Private bathrooms, private in-house bathrooms open to relatives and visitors, Private bathrooms attached to rural houses or workshops, or group houses intended for accommodation. Technically, the research concluded that, in order to judge the nature of the protective buildings, there must be a series of evidence, primarily a fully fledged heating system " *hypocaustum*", a water supply and drainage system, as well as other decoration-related connotations, which are expressed in the mosaic scenes with which their floors are attached.

Résumé

Cette recherche porte sur les bains Romains privés dans l'est algérien, qui se caractérisent par deux types : Ceux construits initialement dans les maisons des villes, ou ajoutés ultérieurement, et ceux annexés aux maisons rurales « *villae rusticae*, ». L'aire de chacun est différent, tout comme les salles et les bassins. Contrairement à la conception que seules les salles de bains privés étaient utilisées par leurs propriétaires, ils se sont avérés être sur trois types:

- Bains privées appropriées; Bains privées dans les maisons accessibles aux amis et visiteurs; Bains privés à caractère publiques attenantes à des *villae rusticae* ou à des ateliers d'artisanats, ou bien des maisons collectives destinées à l'hébergement. Pour cerner la nature des établissements thermales, il est nécessaire de récolter des données et preuves relative aux éléments de chauffage (*hypocauste* complet), système d'alimentation et d'évacuation des eaux, et d'autres éléments liés au décor comme en témoigne les pavements de mosaïque qui ont couvert les sols.

الكلمات المفتاحية: حمامات خاصة ، الشرق الجزائري، نظام التسخين، الفترة الرومانية....

Keywords: Roman baths -Algerian east- Private bathrooms, hypocauste...

Mots clés: bains privée, thermes, hypocauste, Est Algérien